

الجزء الخامس من سلسلة «HUNGER GAMES»

سوزان كولنز

SUZANNE COLLINS

شروق

شمس الحصاد

SUNRISE ON THE REAPING



ترجمة: نور الأسطة



13814

شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للتشويق
Arab Scientific Publishers



**شروق
شمس الحصاد**
SUNRISE ON THE REAPING

الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر، 1447هـ

كولنز، سوزان

شروق شمس الحصاد. / سوزان كولنز؛ الأسطة، نور - ط1 - الرياض، 1447هـ

رقم الإيداع: 5639/1447

ردمك: 978-603-92334-1-1



T3814

سوزان كولنز
SUZANNE COLLINS

شروق
شمس الحصاد
SUNRISE ON THE REAPING

رواية

ترجمة
نور الأسطة

مراجعة وتحريـر
مركز التعريب والبرمجة



شبكة ادب المعرفة العلوم للناشر
Arab Scientific Publishers

يتضمّن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي

SUNRISE ON THE REAPING

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونيًا من الناشر

Publishers since All right reserved. Published by Scholastic Press, an imprint of Scholastic Inc., and associated logos are trademarks and/or SCHOLASTIC, SCHOLASZTIC PRESS, 1920. of Scholastic Inc. registered trademerks

بمقتضى الاتفاق الخطّي الموقع بينه وبين الدّار العربيّة للعلوم ناشرون للنّشر - الرياض

Text Copyright © 2025 by Suzanne Collins

All rights reserved

Arabic Copyright © 2025 by Arab Scientific Publishers, Riyadh, Saudi Arabia

الطبعة الأولى: تشرين الأول/أكتوبر 2025 م - 1447 هـ

جميع الحقوق محفوظة



شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر

Arab Scientific Publishers

السجل التجاري 1890221463

www.aspp.sa

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تمهوية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أجهزة أو أقراص مبرومة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطّي من الناشر.

إن الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر

Facebook.com/ASPArabia | Twitter.com/ASPArabia | www.aspp.sa.com | aspp.sa

تصميم الغلاف: علي الفهريجي

إهداء

إلى ريتشارد ريجيستر

"كذبت الدعايات ولو صدقت.
لكنني لا أعتقد أنّ هذا الأمر مهمّ ما دام صاحب الدعاية يعرف ما يفعله
ويدرك الأسباب الكامنة وراء أفعاله".

جورج أورويل

"قَوْلُ الحقيقة بسوء نيّة أسوأ بكثير
من اختلاق الأكاذيب".

وليام بليك

"أكثر ما يثير دهشة مَنْ ينظر إلى الشؤون الإنسانية بعين فلسفيّة
هو السهولة التي تحكّم بها أقلية من الناس الأكثرية، والرضوخ التام الذي
يدفع الشعوب إلى التخلي عن رغباتها وقناعاتها والانصياع إلى رغبات حكامها
وأهوائهم. فعندما ننظر في العوامل التي ساهمت في نشوء هذا الواقع
العجيب،

نجد أنّ القوة الفعلية تكمن في يد الشعب، وأنّه ليس للحكام ما يدعمهم سوى
الرأي العام. ومن ثمّ، إنّ الرأي العام وحده هو الركيزة التي تقوم عليها
الحكومات؛

المستبدّة منها والعسكرية والحرّة والشعبية".

ديفيد هيوم

"ليس من الصّعب على العقل أن يتصوّر نقيض الواقعة الطبيعية؛
تمامًا كما يتصوّر الوقائع التي تحدث. إذ يمكن للعقل أن يتصوّر أنّ الشمس
ستشرق غدًا أو أنّها لن تشرق غدًا، فكلا هذين التصوّرين واردٌ ومحتملٌ بالدرجة
نفسها".

ديفيد هيوم

القسم الأول "ذكرى الميلاد"



"ذكرى ميلاد سعيدة يا هايميتش!"

لقد وُلِدْتُ في يوم الحصاد. وإن كان في هذه المصادفة المشؤومة أيّ عزاء فهو أنني أستطيع أن أنام حتى وقت متأخر في يوم ذكرى ميلادي. فأحداث يوم الحصاد تسير في العادة من سيئ إلى أسوأ. وما من مواساة تُخَفِّف مِنْ هول القرعة؛ ولو قُدِّمَتْ لنا على شكل يوم عطلة مدرسيّة. فحتى مَنْ ينجو من القرعة يفقد الرُّغبة في الاحتفال بنجاته، أو في أكل كعكة ذكرى ميلاده بعد مشاهدته طفلين يُساقان إلى الكابيتول كما تُساق الماشية إلى المسلخ. تقلَّبْتُ على سريري، وغطَّيْتُ رأسي باللحاف.

ثم أحسستُ بأخي الصغير سيّد، ذي الأعوام العشرة، يهزُّ كتفي قائلاً: "ذكرى ميلاد سعيدة! طلبتُ منّي أن أوقظك باكراً كالديك. وقلتُ إنك تريد أن تذهب إلى الغابة عند الفجر".

هذا صحيح، عليّ أن أنهض. أريد أن أنهي عملي قبل مراسم الحصاد لتفَرِّغ لهوايَتي المفضَّلتَين بعد الظهر: أسرح وأمرح، وأقضي بعض الوقت مع حبيبتي لينور دوف. ففي العادة، كلُّما حاولتُ الاستمتاع بوقتي، رَدَّدتْ أُمي على مسمعيّ القول المأثور "مَنْ جَدَّ وجد ومن زرع حصد"، وشجَّعتني على ألاّ أفوّت أي فرصة عمل مهما كانت صعبة أو مضجرة أو بغيضة. ففرص العمل كثيرة؛ لأنّه حتى أفقر الفقراء لا يتردّدون في دفع ما يملكون من مال ليرتاحوا من مشكلاتهم ومسؤولياتهم ويلقوها على كاهل شخص آخر. لكنّ اليوم ليس

يومًا عاديًّا؛ فالיום ذكرى ميلادي ويوم الحصاد في الوقت نفسه. لذا، أعتقد أنّها قد تُرخي لي الحبل وتمنحني قدرًا صغيرًا من الحرية. لكنني لا أعرف ما إذا كانت مشاريع صانعي مباريات الجوع ستتعارض مع خططي ومشاريعي اليوم.

"هيا يا هايميتش! الشمس تستيقظ!"

"وها أنا أستيقظ معها". تدرجت من السرير إلى الأرض، وارتديت سروالًا قصيرًا خاطته لي أمي من كيس طحين حكومي مكتوب على قفاه "تقدمة الكابيتول". فأمي لا تهدر شيئًا، وقد ربّنتني وأخي سيد وحدها بعد أن ترمّلت في شبابها إثر وفاة أبي في حريق في منجم فحم، وامتهنت غسل الملابس لتصرف علينا. وهي لا تدع شيئًا يضيع سدى. فهي تحتفظ بالفحم والرماد لصناعة الصابون القلوي، وتطحن قشور البيض وتحولّها إلى سماد لتخصيب تربة الحديقة. ويومًا ما، ستقّص سروالي القصير هذا إلى شرائط، وتصنع منها سجّادة.

ارتديت ملابسني وتأثقتُ، ودفعتُ سيد؛ فهوى إلى سريره وغاص في لحافه المرقّع. ثم ذهبْتُ إلى المطبخ، وتناولت قطعة من خبز الذرة الذي خبزه أمي بمناسبة ذكرى ميلادي، بدلًا من الخبز الخشن الداكن الذي تعدّه في العادة باستخدام طحين الكابيتول. ورأيتها في الحديقة، تغلي مجموعة من الثياب في قدر، ومن بينها ملابس عاملي المناجم، وتحركها وتقلّبها بعصا، وذراعها تُحكّم الشدّ وتُجهد بفعل وزن الثياب. ما زالت أمي في الخامسة والثلاثين من العمر، إلّا أنّ مشكلات الحياة ومآسي السنين تركت أثرًا على وجهها؛ وحفرت فيه أخاديد وعضونًا.

حين لمحتني وافقًا على عتبة الباب، قالت لي وهي تمسح جبينها المتعرق: "ذكرى ميلاد سعيدة. لقد أتممت عامك السادس عشر. الطعام على الموقد".

"شكرًا يا أمي". فوجئتُ لما رأيتُ طنجرة من المربى على الموقد؛ إذ لم يخطر ببالي أن تصنع أمي المربى من المشمش الذي قطفته في الغابة منذ بضعة أيام. دهنتُ قطعة الخبز بالمربى وهممتُ بالرحيل.

ثم سمعتُ أمي تصيح قائلة لي: "أريد منك أن تملأ خزان المياه اليوم".

تجنّب أمي غسل الغسيل بمياه الصنبور التي تسيل في خيط رفيع وتعلّق القلب. لذا، تجمع مياه الأمطار في برميل، وتستخدمها أحيانًا لغسل ملابس زبائنها مقابل مبلغ إضافي من المال؛ بحجة أنّ مياه المطر تُنعم الملابس. لكنها في أغلب الأحيان تغسل الثياب بمياه البئر، فتطلبُ منّي أن أملأ الخزان. وعندئذ، أذهب إلى البئر وأضخ المياه منها، ثم أحملها إلى البيت وأصبّها في الخزان، وأكرّر العملية إلى أن يمتلئ؛ الأمر الذي يستغرق ساعتين؛ حتى إن كان سيد يساعدي.

فسألتها: "أيمكننا أن نوجّل ملء الخزان إلى الغد؟"

وردّت عليّ قائلة: "عندي جبل من الغسيل، والخزان شبه فارغ".

فحاولت أن أخفي خيبي وأجبتها: "حسنًا، سأهتم بالأمر بعد الظهر".

إذا انتهت مراسم حفل الحصاد بحلول الساعة الواحدة من بعد الظهر، وإذا نجوتُ ولينور دوف من القرعة، فسأملأ الخزان بحلول الساعة الثالثة، وسأقضي بعض الوقت مع حبيبتي.

التفّ غطاء من السديم حول بيوت السيم الرمادية المتصدّعة راسمًا لوحة تبعث السكينة في النفوس. وكان من الممكن أن أستمتع بهذا المنظر لولا صرخات الأطفال المعدّبة في الجوار؛ وهي صرخات راحت ترتفع أكثر فأكثر خلال الأسابيع الماضية؛ مع اقتراب موعد الدورة الخمسين من مباريات الجوع. فقد سكتتهم الكوابيس، وتعالّت صرخاتهم، فيما تغلّغت في داخلي أفكار متطوّلة أشعرتني بالقلق والفرع، ولم تفارقني مهما حاولت. الدورة

الخمسون من مباريات الجوع، أي الدورة الثانية من المباريات الربعية التي تُنظَّم كل خمس وعشرين عامًا والتي سيشارك فيها ضعف العدد المعتاد من المجالدين. لن يفيدني القلق؛ فالأمر خارج عن سيطرتي. ضعف العدد المعتاد من المجالدين. إنَّ المشاركة في هذه الدورة أشبه بالمشاركة في دورتين في الوقت نفسه. لا يمكنني أن أتحكَّم بنتائج الحصاد وما يليه. لذا، يجب أن أتخلص من تلك الهواجس المزعجة. يجب أن أبقى هادئًا وألا أصاب بالذعر. لن أدع الكابيتول يشمت بي، ولن أمنحه لذة الانتصار؛ فقد سبق له أن أخذ منّا ما فيه الكفاية.

مشيت وحيدًا في الشارع المغطى بالسخام حتى وصلتُ إلى التل الذي يحتضن مقبرة عمّال المناجم؛ وهي عبارة عن مجموعة متنوعة من شواهد القبور المتناثرة عشوائيًا على منحدر التل، وتتراوح ما بين شواهد قبور حجرية نُقِشت عليها أسماء أصحابها وتواريخ ميلادهم ووفاتهم، وألواح خشبية طلاؤها متشققة. إنَّ أبي يرقد هنا مع أهله ونسبه في قبر عائلة أبرناثي، تحت شاهدة قبر واحدة من الحجر الجيري.

قلّمًا يأتي أحد إلى هذه الأنحاء، خاصةً عند الفجر. لكن الاحتياط واجب؛ لذا ألقى نظرة سريعة حولي، ثمّ زحفتُ تحت السور إلى خارج المقاطعة، ومشيتُ في الغابة باتجاه المقطرة، حيث أساعد هاتي ميني على صنع الشراب. لا شكّ في أنّ العمل في المقطرة عمل شاق ومحفوف بالمخاطر، لكنني أفصّله على صيد الجرذان أو تنظيف المراحيض الخارجية. ومع أنّ هاتي تجاوزت الستين وكسورها، إلّا أنّها ما زالت تكدح في العمل من دون كلل أو ملل؛ بنشاط يعجز عنه الشباب في نصف عمرها. وهي تكلفني بالمهام التي تتطلب قوّة جسديّة، وتتوقّع منّي أن أجدّ وأكدّ مثلها؛ فأجمع الحطب، وأنقل أكياس الحبوب وصناديق الزجاجات الممتلئة والفارغة. هذا هو عملي؛ حمل الأغراض الثقيلة ونقلها من مكان إلى آخر. أُنراني دابّة هاتي؟

عَرَّجْتُ على المخزن الذي تستلم فيه هاتي موادها الغذائية، وهو عبارة عن رقعة أرض تختبئ تحت شجرة صفصاف خلف ستار من الأغصان المتدلية. وكان بانتظاري كيسان من الذرة المجروشة يزن كل منهما خمسة وعشرين رطلاً، فحملت كيسًا على كل كتف، ثم تابعت طريقي.

وصلت إلى المقطرة خلال نصف ساعة، ووجدت هاتي أمام طنجرة من الحبوب المطحونة المسلوقة بالقرب من كومة من بقايا الجمر.

فمدت لي ملعقة الطويلة قائلة: "أتود أن تجرب؟"

وعلى الفور، وضعتُ كيسي الذرة تحت السقيفة مع باقي المؤن والأغراض، وتناولت الملعقة ورفعتها في الهواء منتصراً، ثم هتفت قائلاً: "ياه، لقد ترقّيت!"

هذه أول مرة تسمح لي فيها هاتي بمساعدتها في تحريك خليط الحبوب المطحونة. علّها بدأت تدربني لأصبح شريكاً لها في هذه التجارة يوماً ما. لو تعاوناً في تقطير الشراب، لزاد إنتاج المقطرة؛ إذ لا تستطيع هاتي أن تلبّي كل الطلبات التي تصلنا بمفردها. فالشراب الذي تصنعه يلاقي إقبالاً واسعاً، ولا سيما الشراب اللاسع الذي تُعدّه من حبوب الكايبتول، وتبيعه بسعر لا يُرهق جيوب عمّال المناجم. أما الأنواع الفاخرة من الشراب، فيشتريها جنود حفظ الأمن- الذين لا يفرّقون بين الثكنة والمقهى- والمقتدرون في المقاطعة. لكن صناعة الشراب وبيعه بطرائق غير قانونية جنابة يعاقب عليها القانون. إذ يكفي أن يتولى قيادة قوات حفظ الأمن شخصٌ لا يحب الشراب، لينتهي بنا المطاف وراء القضبان أو تحت التراب. ومن هذه الناحية، يبدو أنّ العمل في المناجم أكثر أماناً؛ فمهما بلغت مشقّته، لن يزجّ بنا في السجن، ولن يجرّنا إلى حبل المشنقة.

وفيما كانت هاتي تصفّ زجاجات من الشراب بسعة نصف لتر في سلة مزينة بالطحالب، جلسْتُ القرفصاء أمام طنجرة الحبوب المطحونة

المسلوقة، وُرِحْتُ أَحْرَكُ الخليط بين الحين والآخر حتى فتر، ثمَّ سَكَبْتُهُ في دلو عميق، وَأَضَاقْتُ عليه هاتي الخميرة. وبعد ذلك، وضعتُ الدلو تحت السقيفة. إذ فضّلت هاتي أَلَّا تُشْعَلُ المقطرة اليوم؛ خشية أن يتبدد الضباب فيلفت الدخان انتباه العيون المتربصة. ففي حين أنّ الجنود المحليين يَغْضُونَ الطرف عن مقطرتها ودكانها في "الهوب"- وهو مستودع فحم قديم تحوّل إلى سوق سوداء- لن يتساهل جنود الكابيتول معنا إذا لمحونا من طائراتهم المموّهة التي تجول في السماء على علو منخفض. وبما أنّ هاتي فضّلت أيضًا ألا يرانا أحد منهم ونحن ننقل صناديق من الشراب، طلبت منّي أن أجمع من الحطب ما يكفي لأسبوعٍ كامل، فجمعتُ الحطب وقطّعتُه، ثمَّ سألتُها عمّا إذا كانت تريدني أن أساعدها بمهام أخرى، فهزّت رأسها يمينًا ويسارًا بصمت.

كسبت هاتي مودّتي على طريقتها الخاصة، فقد كانت تدسّ لي بعض الإكراميات من وقت إلى آخر. وأنا لا أتكلّم عن مكافآت نقدية أو زيادات على راتبي الذي كانت تُسَلِّمُه لأمي، بل عن هدايا صغيرة كانت تمرّرها لي في السر؛ كحفنة من الذرة المجروشة التي أطعمها لإوزّ لينور دوف، أو كيس من الخميرة أبيعُه في سوق "الهوب" السوداء. وها هي الآن تهديني زجاجة من الشراب بسعة نصف لتر، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ثرماء تعرض أسنانها المكسورة: "ذكرى ميلاد سعيدة يا هايميتش. استمتع بثمار عملك. أنت تستحق أن تشرب ما تصنع".

فرِحْتُ بهذه الهدية مع أنّي لا أحتسي الشراب. إذ يمكنني أن أبيع الزجاجة أو أهديتها لكليكرك كارمين؛ خال لينور دوف، لأحظى برضاه، وأكون عند حسن ظنّه. فهو لا يستلطفني، ومن الممكن أن يكون انطباعه عني مرتبطًا باسم عائلتي وصيتها. فأنا لسْتُ مجرد ابن غسّالة عاديّ؛ بل إنّني أنحدر من عائلة آبرناثي التي تفوح منها رائحة التمرد والعصيان كعطرٍ عابق يأسر القلوب ويُنفِرها في آن واحد. فبعد وفاة أبي، انتشرت شائعات حول أسباب الحريق الذي أودى بحياته. إذ ادّعى بعض الأشخاص أنّه أشعلَ الحريق بنفسه

لتخريب المنجم وتدميره، فيما زعم بعضهم الآخر أنه تمّ اغتياله وفريقه من قِبَل قيادات الكابيتول؛ بسبب تورّطهم في أعمال الشغب والتمرد. لذا، أعتقد أنّ كليرك كارمين يعاملني بجفاء كيلا يتورّط في مشكلات مع جنود حفظ الأمن، مع أنّه لا يكره لهم أيّ مودّة. وقد يكون سبب جفائه مُرتبطاً بعلاقتي بـلينور دوف. أترأه لا يحبّذ علاقتنا لأنني أتاخر بالشراب بطريقة غير قانونية؟ أيّاً كان السبب، نادراً ما يتكرّم عليّ كليرك كارمين بأكثر من إيماءة سريعة برأسه. حتى إنّه قال للينور دوف ذات مرة إنني من الأشخاص الذين سيلقون حتفهم في سنّ مبكرة، ولا أعتقد أنه كان يمدحني.

صرخت هاتي مُتفاجئةً عندما عانقتها بعفوية، ثمّ قالت: "كفّ عن هذا، وقلّ لي: أما زلت تتودّد إلى تلك الشابة من شعب كوفي؟"
فأجبتها ضاحكاً: "نعم، أنا أبذل قصارى جهدي".

وردّت عليّ: "لمّ لا تذهب إليها؟ فأنا لم أعد بحاجة إليك اليوم". ثم وصّعت حفنة من الذرة المجروشة في يدي وأرسلتني بعيداً.

خبّأتُ الذرة المجروشة في جيبِي، وهممت بالذهاب قبل أن تُغيّر هاتي رأيها، مُتحمّساً لقضاء المزيد من الوقت مع لينور دوف. وفيما كان عقليّ يحثني على الاستفادة من وقت الفراغ هذا لأملأ الخزان لأمي، كان قلبي الولهان مُتلّهفاً لرؤية حبيبته. وبما أنّ اليوم ذكرى ميلادي، فسأتجاهل صوت العقل وأقوم بما يمليه عليّ قلبي.

وفيما كنت أجتاز الغابة راكضاً نحو المرج، بدأ الضباب ينقشع، فبدت الأرض خضراء نضرة، آسرة الجمال. لكن لينور دوف تُسمّيها "صديقة المحكومين والمُدانين" الذين يبحثون عن ملجأ يأويهم من جنود حفظ الأمن. فلطالما نظرت لينور دوف إلى الحياة بعين متشائمة، ولا عجب في نظرتها السوداوية هذه؛ فقد اكتشفتُ يومَ تعرّفتُ إليها أنّها سُمّيت على اسم شابة

مُتَوَقَّاةٌ ورد اسمها في قصيدة قديمة، وأنَّ اسمها يدل على إحدى درجات اللون الرمادي.

تعرَّفْتُ إليها في خريفي العاشر؛ يومَ نجح صديقي بوردوك أخيرًا في إقناعي بالتسلل إلى خارج المقاطعة. فقد كان بوردوك يُقَابِلُ بالرفض كلِّ ما اقترح عليَّ الفكرة؛ لأنني أخافُ من مخالفة القانون، ومن الحيوانات المفترسة التي تعيش في الغابة. لكنه ألحَّ في سؤاله أكثر من المعتاد في ذلك اليوم، وأكد لي أنه لم يواجه أي صعوبات أو عواقب في مغامراته السابقة، وأغراني بأشجار التفاح المنتشرة في الغابة قائلاً: "مَنْ أراد التفاح تسلَّق الشجر". إذ إنني أحب التفاح، كما أنني مُتسلِّق بارع. وعندما فكَّرْتُ في ما قاله بوردوك وأيقنتُ أنه كان يتردّد إلى الغابة من دون خوف على الرغم من أنه أصغر مني سنًا، غيَّرتُ رأبي لحفظ ماء وجهي، وقبلتُ أخيرًا أن أتسلل معه إلى خارج المقاطعة.

ولمَّا توَعَّلنا في أعماق الغابة، قال لي بوردوك: "اسمع". ورفع رأسه إلى السماء، وبدأ يغني بصوتٍ أكثر عذوبة ونقاء ورقة من أصوات النساء. وإذ بالطيور المُقلِّدة تنضمُّ إليه شيئًا فشيئًا، وتغني معه بتناغم. كنتُ أعرف أن هذه الطيور تُردّد ألحان الطيور الأخرى، وإنَّما لم يخطر على بالي أنها تقلِّد أصوات البشر أيضًا. وسرعان ما تعالت أنغام الموسيقى في الغابة، ثمَّ انقطعت فجأة حين ارتطمت تفاحة برأس بوردوك بقوة، وقطعت عليه الغناء.

وسمعنا صوت فتاة تنادي: "من ذا الذي يغني مع طيوري؟" ثمَّ رأيتها. كانت مُستلقية على غصن شجرة على علو عشرين قدمًا من الأرض، وكأَنَّها مُمدّدة على أريكة في منزلها. وكان شعرها مسرَّحًا في ضفيرتين، إحداهما أعلى من الأخرى، فيما قدماها حافيتان ومُسختان. وكانت تنهش تفاحة، وفي يدها كتاب صغير غلافه من القماش.

فأبعد بوردوك رأسه ضاحكًا: "مرحبًا يا قرييتي. هل يُسَمَح لك بالتجول
وحدك في هذه الأنحاء؟ فأنا لا يُسَمَح لي بذلك".

"إدًا، لن أخبر أحدًا أنني رأيتك هنا".

"وأنا أيضًا. ارمي لنا بعض التفاح لو سمحت".

فنهضت الفتاة، وأخذت تقفز على الغصن وتهزّه صعودًا ونزولًا حتى
تساقطت علينا حبات التفاح كالمطر.

فهتف بوردوك: "لحظة، لآتي بالجعبة". ثم ركض بعيدًا. أمّا الفتاة
فتأرجحت من غصن إلى غصن، ثم حطّت على الأرض. يبدو أنّ بينهما صلة
قَرابة. لكن الفتاة ليست من عائلة إيفردين؛ فأنا أعرف أقارب بوردوك من
جهة أبيه. لكن، ربّما تجمعهما صلة قريى بعيدة من جهة أمّه. على أيّ حال،
سبق لي أن رأيت هذه الفتاة في المدرسة، وُحِيلَ إليّ أنّها خجولة، لكنني لم
أكن أعرفها، ولم أتحدّث إليها قطّ. ولا يبدو لي أنّها تتلَهّف للتحدّث إليّ؛ فقد
ظلتّ تحدّق إليّ حتى بادرتُ أنا إلى كسر حاجز الصمت بيننا.

"أنا هايميتش".

"وأنا لينور دوف".

"دوف كاليمامة بالإنجليزية؟"

"لا، كاللون".

"وأي لون هذا؟"

"لون اليمامة".

دوّخني الحديث، ولم أفهم ما قصدته إلى أن نادتنني في المدرسة بعد
فترة، وأخرجتُ قاموسًا فيه صفحات مطوية تمّت الإشارة إلى بعضها، وفتحته

مشيرة إلى مدخل فيه "دوف" (بالإنجليزية): لون رمادي فاتح مائل إلى البنفسجي أو الوردي. حينئذ، فهمتُ أنّ كلمة "دوف" ترمز إلى لون لينور المفضّل، وطائرها، واسمها.

ومنذ ذلك الحين، صرت ألاحظ كل شاردة وواردة عنها. إذ كانت تُخبئ في ملابسها الباهتة قطعًا ملوّنة؛ كالمنديل الأزرق الفاتح الذي يُطلّ من جيبها، والشريط الأحمر العليقي المدرور في كمّها. وكانت تُنهي فروضها المدرسية بسرعة في الصف، ثمّ تحدّق من النافذة بصمت من دون أن تتباهى أو تلفت إليها الأنظار. وكانت أناملها تتراقص في الهواء وهي تعزف أحيانًا على مفاتيح بيانو خيالية، فيما تتسلّل قدمها خارج حذائها، وتهتّز على الأرض الخشبية بهدوء مع الإيقاع. كانت لينور دوف تحبّ الموسيقى كباقي أفراد شعب كوفي، إلا أنّها لم تكن تحفل بالأغاني الطنّانة والرنّانة، بل بالكلمات المُحرّضة التي تحتّ الناس على التمرد. وقد تسبّبت نزعته المتمرّدة هذه باعتقالها مرّتين عندما كانت في الثانية عشرة من العمر. غير أنّه أُطلق سراحها حينئذ لأنّها لا تزال طفلة. لكنها كبرت الآن واختلف الوضع.

لمّا وصلتُ إلى المرج، زحفتُ تحت السور، ثمّ التقطتُ أنفاسي، وغصتُ في سحر المنظر. كانت لينور دوف تعزف على أكورديون قديم على صخرتها المفضّلة، وتغني بصوت ناعم وحزين لسرب من الإوز يرعى العشب. وكان شعرها الأحمر الساطع يتلألأ تحت أشعة الشمس.

يعاقب القانون سارق الوزّة من المراعي المشاعة النضيرة،

فيشنيق الرجال ويجلد النساء بالسياط المريرة،

ويترك المجرم الأكبر، سارق المراعي من الوزّة الفقيرة،

حرّاً طليقاً يرفل في غنائمه وثرواته الوفيرة.

قلّما تجود عليّ لينور دوف بغنائها؛ إذ إنّها- كسائر أفراد شعب كوفي- لا تغني أبدًا في الأماكن العامة. وخالها يفضّلان أصلًا العزف على الغناء. وعندما يعتليان المسرح، يكتفیان بالعزف ويتركان الغناء للجمهور. ولينور دوف بطبيعة الحال لا تمنع، فهي تشعر بالتوتر وينعقد لسانها عندما يُطلّب منها أن تغني في العلن.

تُوقّيت والدة لينور دوف أثناء الولادة، وبما أنّ أحدًا لا يعرف هوية والدها، تولّى كليرك كارمين وتام أمبر رعايتها وتربيتها، وأصبحت بمنزلة خاليتها؛ على الرغم من أنّه لا يجمعهما بها دمٌ ولا نسب؛ فهي من عائلة بيرد. لكن أفراد شعب كوفي يعتنون بعضهم ببعض. وقد اتفق كليرك كارمين وتام أمبر مع العمدة على أن يسمّحَ للينور دوف باستخدام البيانو الموجود في منزله- وهو البيانو الوحيد في المقاطعة الثانية عشرة- مقابل أن تعزف له لينور دوف مقطوعات موسيقية أثناء حفلات العشاء والتجمعات التي يقيمها. فكانت ترتدي فستانًا أخضر باهتًا، وتعقص شعرها بشريط عاجيٍّ، وتلوّن شفيتها باللون البرتقالي لتعزف على البيانو في تلك المناسبات. أمّا خلال الحفلات الموسيقية التي تحييها مع عائلتها مقابل المال، فكانت تتدبّر أمورها بالأكورديون القديم الذي تعزف عليه الآن، والذي تُلَقِّبه بـ "صندوق ألحانها".

يُديننا القانون ويُطالبنا بالثمن،

إن أخذنا أملاك غيرنا بلا إذن.

ويغض الطرف عن النبلاء،

الذين ينهبون الحق والرزق ويغنمون الثراء والرخاء.

لا يسمَح كليرك كارمين وتام آمبر للينور دوف بأن تعزف لحن هذه الأغنية في بيت العمدة، ولا حتى أثناء الجولات الموسيقية التي يقومون بها في المقاطعة الثانية عشرة، خشية أن يتعرّف الناس على الكلمات المتمرّدة التي ترافق اللحن، ويثيروا بلبلة هم بغنى عنها. وأنا، بصراحة، أتفق مع كليرك كارمين وتام آمبر. ومن الأفضل ألاّ نبحث عن المتاعب؛ فهي تجد طريقها إلينا وحدها، من دون أيّ مشقّة.

لا ينجو من العقابِ الفقيرُ المحروم،
إن همس يوماً بمخالفة قانونٍ جائرٍ مذموم.
هكذا شاء القدر، أن يتحمّل الفقيرُ المسكين
من يسّ القوانين على هواه وينسج فيها البهتان المبين.

مشّطُ المرج بعينيّ بحذر؛ فالكلّ يعرف أنّ الأشجار لها عيون. وحيثما
تذهب العيون المتربّصة ترافقها الأذان الصاغية.

يرمي القانونُ سارق الوُرّ وراء القضبان
ويبقى الوُرّ بلا مرعى ولا أمان.
لن يستردّ الوُرّ حقّه إلا إن ثارت آيات الجنان
واستعاد أرضه المنهوبة بالقوة بعد طول حرمان.

شرحت لي لينور دوف ذات مرّة أنّ المرج من الأراضي المشاعة التي يجوز للجميع التنعم بخيراتها، لكن جنود حفظ الأمن كانوا في بعض الأحيان يطردونها والإوز من المرج من دون سبب. وما كان سلوكهم هذا سوى غيظ من فيض ظلمهم. فأقلقني حديثها؛ وأنا من عائلة أبرناثي التي لا تعرف القلق.

صاحت طيور الإوز كصافرات إنذار عندما دنوت من لينور دوف؛ فقد كان وجه لينور دوف أول ما أبصرته هذه الطيور عندما فقسست البيوض، وهي لا تحب سواها. لكنها قد تعقد هدنة معي اليوم لأنني أتيتها حاملاً بعض الذرة المجروشة. وهكذا، ألقيت بعض الحبوب بعيداً لأشئت حراس لينور، ثم سارعت إليها لأعانقها.

قالت لي: "ذكرى ميلاد سعيدة. لم أكن أتوقع أن أراك قبل الحفل".

وكانت تقصد حفل الحصاد. لكنني لم أرغب في التحدث عن الحصاد.

فأجبتها: "أطلقت هاتي سراحي باكراً اليوم". وأضفت وأنا أريها زجاجة الشراب: "وأهدتني هذه الزجاجة بمناسبة ذكرى ميلادي".

"لن يصعب علينا بيعها، خاصّة اليوم". فمعظم سكان المقاطعة يُسرفون في احتساء الشراب في يوم الحصاد ويوم رأس السنة تحديداً. "سيأخذون أربعة أفراد هذا العام... سيتردّد صدى هذه المأساة في بيوت كثيرة، ويثقل قلوب العائلات بالهمّ والغمّ".

يبدو أنّ لا مهرب من هذا الحديث، فحاولت أن أطمئن لينور: "ستكون الأمور على ما يرام". لكنني شعرت بأنني أعطيتها وعوداً فارغة.

"أنت لا تثق حقاً بأنّ الأمور ستكون على ما يرام. أليس كذلك؟"

"أنت مُحقّة. أنا أقاوم اليأس بالتفاؤل؛ مع أنّني في قرارة نفسي أعرف أنّ حفل الحصاد آتٍ لا محالة، كما أعرف أنّ الشمس ستشرق حتماً في الغد".

فردت عليّ لينور دوف عابسة: "ما من دليل يُثبت حتمية انعقاد حفل الحصاد كل عام، ولا شروق الشمس كل صباح. فلا يمكنك أن تتيقن من دون شك أن ما حدث في الماضي سيتكرر في المستقبل. فهذا المنطق غير سليم".

"لكن الناس يخطّون حياتهم على هذا الأساس".

"وهذا جزء من المشكلة؛ إذ يعتقد الناس أن لا مفر من بعض الأمور، ولا يؤمنون بأن التغيير ممكن".

"أنتِ مُحقّة. لكنني لا أستطيع أن أتصوّر بأي شكل أن الشمس لن تشرق غدًا".

فقطبت لينور دوف حاجبيها وهي تحاول أن تفكّر في الردّ: "أستطيع أن تتصوّر عالمًا ليس فيه حفل حصاد؟"

"ليس في يوم ذكرى ميلادي. إذ إنّ ذكرى ميلادي لا تأتي إلا بصحبة حفل الحصاد".

حاولتُ أن أشتت انتباه لينور دوف بعناق آخر، لكنها مصمّمة على إقناعي بوجهة نظرها، لذا قالت بحزم: "كفّ عن اللهو واسمعي. فكّر في الأمر. أنت تقول إنّ اليوم ذكرى ميلادك، ويُصادف أنّها في وقت حفل الحصاد. وفي السنة الماضية أيضًا تزامنت ذكرى ميلادك مع يوم الحصاد. ومن هذا المنطلق، أقنعت نفسك بحتمية حدوث حفل الحصاد في يوم ذكرى ميلادك. إنّما ما من سبيل للتأكد من ذلك؛ فحفل الحصاد لم يكن موجودًا قبل خمسين عامًا. أعطني سببًا واحدًا يقنعني بأنّ حفل الحصاد سيستمر في الحدوث مستقبلاً فقط لأنه يصادف ذكرى ميلادك".

لا تتحدّث لينور دوف كثيرًا في حضور مُشاهدين، بل تلتزم الصمت. ثم عندما تنفرد بي، تفرغ كل ما يمرّ في ذهنها دفعة واحدة. وحين تصعب عليّ

مجاراتها، تشرح لي الأمور بهدوء وبطول بالٍ؛ من دون أي تكبر أو تفاخر. ولا شك في أنّها تفوقني ذكاءً. ففي حين أنّه تروق لي فكرة وجود عالمٍ من دون حفل حصاد، إلّا أنّني لا أرى في الأفق ما يُنبئ بإمكانية تحقُّقها. فالحقيقة المرّة هي أنّ قبضة الكابيتول الحديدية مُحكّمة على المقاطعات، ولا مَسْرَبَ للنجاة.

"لم أقصد أنّ لا مفرّ من حفل الحصاد فقط لأنه يصادف في يوم ذكرى ميلادي، بل كنت أقصد..." انقطع حبل أفكارني، ولم أعد أتذكّر ما كنت أقصده. "أنا آسف، لقد تشنت ذهني".

فظهرت علامات الخيبة على وجهها وقالت: "لا، أنا آسفة. فاليوم ذكرى ميلادك، وأنا أضيع وقتنا بالثرثرة والكلام الفارغ". ثم أخرجت من جيبها صرّة قماشية صغيرة لونها كريش اليمام، وعليها شريط أخضر كلون عينيها: "ذكرى ميلاد سعيدة. هذه هديتك، صنعها تام أمبر بيديه. وقد قايضتُ البيضَ بالمعدن، وساعدته على تصميمها".

ليس تام أمبر من أمهر عازفي المندولين فحسب، بل هو أيضًا أفضل حدّاد في المقاطعة الثانية عشرة. إذ يقصده الجميع لشراء أدوات ومعدات جديدة، أو لإصلاح قطع مكسورة من آلات قديمة. حتى إنّ بوردوك قد ابتاع دزينة من رؤوس السهام من تام، وهو يحتفظ بها ويعتني بها كأنها كنوز من ذهب. كما يتباهى بعض الأثرياء في المقاطعة بمجوهرات من الذهب أو الفضة صاغها تام لهم من قطع توارثوها عن أجدادهم. لم أحزِرُ ما صنعه لي تام بمناسبة ذكرى ميلادي. وتحمّست لأعرف ما في الصرة، فنزعْتُ الشريط عنها وفتحتها بلهفة.

في بادئ الأمر، لم أُميّز الغرض الذي وقع في كفيّ، إذ كان عبارة عن قطعة معدنية رفيعة مُقوّسة كحرف الحاء. فأمعنْتُ النظر إليها؛ مُتأملًا الحيوانات الملوّنين المحفورين على طرفي الحرف: أفعى تفتح في وجه طائر طويل العنق. ثم مرّرتُ أصابعي على الحرف المقوّس، مُتفحّصًا نقوشه

الدقيقة، فلاحظتُ حراشف الأفعى تنساب عليه من جهة، فيما ريش الطائر ينساب من الجهة الأخرى؛ حتى التقى الاثنان في الوسط والتأما معًا. وانتبهتُ أيضًا إلى وجود حلقة معدنية صغيرة خلف رأس كل حيوان، الغرض منهما على الأرجح ربط الحرف حول العنق كقلادة.

"ما أروع هذه القطعة! هل هي قلادة؟"

فأجابت لينور دوف بغموض: "ألا تعرف أنّ الجمال عندي هو ذاك الذي يُجدي، لا ذاك الذي يُبهر ويدوي؟" ثم سكتت، وتركتني أحل اللغز بنفسي.

فَرَحْتُ أَقْلَبُ القطعة المعدنية في يدي. ولمّا غطّيت رأسي الأفعى والطائر بأصابعي، لاحظتُ أنّ الحافة المصقولة لم تكن مجرد زينة، واثّضت الصورة أمامي.

فصِحتُ قائلاً: "إنّها قَدّاحة صوّان!"

"أحسنّت! لكنك لا تحتاج إلى حجر الصوّان لإشعال النار. فأني حجر آخر يتطايرُ منه شررٌ عند قَدْحِهِ بها سيفي بالعرض، كالمَرّو مثلاً".⁽¹⁾

لدينا قَدّاحة صوّان قديمة مُهترئة في البيت، ورثتها أمّي عن أجدادها. وفي ليالي الشتاء الطويلة، كانت تجعلني أتمرّن على إشعال النَّار بها، كيلا نهدر المال على أعواد الثقاب. إذ يقول المثل: "احفظ قرشك الأبيض ليومك الأسود".

مَرَّرْتُ إصبعي على النقوش المحفورة على عنق الطائر قائلاً: "لا أريد أن أفسدها بالقدح".

"لن تفسدها. فهي قدّاحة، وهذا هو غرضها". ثمّ وضعت لينور دوف يدها على رأس الأفعى، ومن ثمّ على رأس الطائر وأضافت: "لا يحني هذان الاثنان هامتيهما لأحد وبهما رمقٌ من الحياة. فهما رمز الإصرار والعزم".

فهمستُ للينور: "أحببت الهدية". وطبعْتُ قبلة ناعمة على خدّها. "وأحبُّكِ أنتِ كالنار في الهشيم".

إنَّ تعبير "سريان النار في الهشيم" شائع بين أفراد شعب كوفي، ونستخدمه أنا ولينور دوف على طريقتنا الخاصة. وهي في العادة تبسم عندما تسمع تلك الكلمات، إلاَّ أنَّها ردَّت عليّ هذه المرة بنبرة جدِّية: "وأنا أيضًا".

فقبَّلْتُها على خدّها حتَّى شعرتُ بملوحة دموعها على شفَتَيَّ، واستنتجتُ سبب بكائها من دون أن أسألها. فحاولتُ أن أطمئنّها وأرفع معنوياتها: "لا تقلقي، سنكون بخير". فأومأت برأسها، وعيناها تذرفان الدَّمع بغزارة. وأكملتُ قائلاً: "سنتجاوز هذا اليوم... كما تجاوزناه في الأعوام السابقة... وسنطوي هذه الصفحة، ونبدأ أخرى جديدة في الغد".

"لن نستطيع أن نطوي الصفحة... لأنَّ قيادات الكابيتول لن تسمح لأحد في المقاطعة الثانية عشرة بأن ينسى؛ فهي حريصة على نقش مباريات الجوع في أذهاننا جميعًا". ثم طرقت زجاجة الشراب بإصبعها طرقَةً خفيفة: "لقد اختارت هاتي مهنة نبيلة، تريح الناس من همومهم وتساعدهم على النسيان".

"يا لينور دوف". بلغ النداء مداده من دون أن يكلف كليرك كارمين-صاحب الصوت الجهور- نفسه بالصراخ. كان عازف الكمان ذو الأنامل الذهبية واقفًا على طرف المرج، ويداه في جيبي سرواله المرقّع؛ حرصًا على حماية مصدر رزقه. "من الأفضل أن نستعد لحفل الحصاد".

فمسحت لينور دوف دموعها وأجابت: "أنا قادمة".

وعلى الرغم من أنَّ كليرك كارمين لم يقل شيئًا عن حالة لينور، إلاَّ أنَّني شعرتُ أنَّه يحمّلني المسؤولية. فقد رمقني بنظرة اتهامية قبل أن يغادر. لم يكثرث لأمرِي إلاَّ بعد أن أصبحت علاقتي بلينور دوف جدية. ومنذ ذلك الحين، لم تُرق له أفعالي ولا تصرفاتي. قلتُ للينور دوف ذات مرة إنَّني أعتقد أنَّه يكره

الحب. وعندئذ، أخبرتني أنه يعيش علاقة حب في الخفاء منذ ثلاثين عامًا! لتجنّب مضايقات جنود حفظ الأمن والبطالة والسجن. وأنا، من ناحيتي، أدعم علاقته برحابة صدر. وخلصتُ أنه سيعاملني بالمثل، وأنه سيكون أوّل من يبارك علاقتي بـلينور دوف ويدعمني لأنه ذاق عذاب الحب. لكنه- على ما يبدو- يرى أنّ لينور دوف تستحق شخصًا أفضل مني.

تعكر مزاج لينور دوف كالعادة بسبب توتُّر علاقتي بخالها، فحاولت أن ألطّف الأجواء: "ألاحظت كيف بدأت الثلوج تذوب بيني وخالك؟ إن استمر الأمر على هذا المنوال، فسنصبح قريبًا أعزّ صديقين". ضحكت وانفرجت أساريرها، فأكملتُ قائلاً: "سأنجز أشغالي بحلول الساعة الثالثة من بعد الظهر... ما رأيك في أن نذهب بعدها إلى الغابة؟"

راقت لها الفكرة، فقبلتني وقالت: "إلى الغابة".

ولمّا عدتُ إلى المنزل، استحمت بدلو من الماء البارد، وارتديت السروال الذي ارتداه أبي يوم عرسه، وقميصًا صمّته أمي من مناديل قماشية اشترتها من متجر الكابيتول الذي يتسوَّق فيه عمّال المناجم. فنحن نبذل قصارى جهدنا ليكون مظهرنا لائقًا خلال حفل الحصاد. إذ إنّ حضور حفل الحصاد بملابس مهترئة وممزقة سبب كافٍ لينهال جنود حفظ الأمن علينا بالضرب، أو ليعتقلوا والدينا؛ بحجّة أننا قللنا من احترام شهداء الكابيتول الذين لقوا حتفهم في الحرب. وكأنّ الحرب لم تسفك إلّا دماء جنودهم.

أعطتني أمي هدايا ذكرى ميلادي: ملابس داخلية مصنوعة من أكياس الطحين تكفيني لعام كامل، وسكين جيب جديد أوصتني بلهجة صارمة بالأهوَ به مع أصدقائي، وألا أشارك في ألعاب السكاكين. ثم مدّ لي سيد قطعة من الصوّان ملفوفة بورقة بنيّة منسّخة، قائلاً: "وجدتها على الطريق الرملي بجانب قاعدة جنود حفظ الأمن. وقالت لي لينور دوف إنك ستحتاج إليها". فأخرجتُ قدّاحتي الجديدة من جيبى لأجرّبها، وقدحْتُ بعض الشرارات المتوهّجة. وعلى

الرغم ممّا تبديه أمّي عادة من تحفّظ إزاء علاقتي بـلينور دوف لأنّها تُشنت انتباهي وتلهيني عن عملي، إلّا أنّ القداحة نالت إعجابها، فجاءت برباط حذاء جلدي، وممرّته في حلقتي القداحة المعدنيتين، ثمّ علّقته حول عنقي.

أخذ سيد يتأمّل القلادة والطائر المحفور عليها بتلّهف وحزن في آنٍ واحد: "يا لها من قداحة جميلة!"

"أتودّ أن أعلمك كيف تستخدمها الليلة؟"

"أحقّاً؟" وأضأء وجهه عندما سمع ما اقترحه، ودبّ فيه الأمل؛ الأمل بأنّ أعلمه شيئاً خاصّاً بالكبار، والأمل بأنني سأبقى معه ولن أذهب بعيداً.

"نعم، حقّاً." وعبثت بشعره المجعد وشعّته بيدي.

فهتف ضاحكاً: "كفّ عن هذا!" وأبعد يدي عن رأسه، وتابع: "لقد أفسدت تسريحتي! علي الآن أن أمشّط شعري من جديد."

"أسرع". فذهب سيد مُستعجلاً لتسريح شعره، فيما انشغلت بإخفاء القداحة داخل ياقة قميصي؛ إذ لم تعجبنى فكرة وضعها في يوم الحصاد على مرأى من الجميع.

قرّرت أن أستفيد من الدقائق المعدودة المتبقية قبل موعد الحصاد لبيع زجاجة الشراب، فأتّجهت إلى البلدة، وكانت السماء تنذر بهبوب عاصفة. وضاق صدري لمّا رأيت الساحة المكتظة بجنود حفظ الأمن المدجّجين بالسلاح في لباسهم الأبيض، ولاحظتُ الشعارات المنشورة في كل زاوية: "لا طعام من دون سلام!"، "لا أمان من دون سلام!"، "لا سلام من دون جنود حفظ الأمن!"، "لا سلام من دون الكابيتول!"، ولمحتُ خلف المسرح الذي شُيّد مؤقتاً من أجل مراسم حفل الحصاد، لافتةً ضخمةً على واجهة قصر العدل تحمل صورة الرئيس سنو مع العبارة التالية: "حافظُ السلام الأول في بانيم".

كان جنود حفظ الأمن يسجّلون أسماء الحضور في الجانب الخلفي من الساحة، فقرّرتُ أن أسجّل حضورني قبل أن يطول الطّابور ويزدحم المكان. تفادت المرأة التي سجّلت حضورني النظر إلى عيني؛ ألأّتها تشعر بالعار والخجل، أو لأنها ببساطة لا تكثرث لأمرني؟

أغاظني منظر علم بانيم المُعلّق على نافذة الصيدلية، لكنني تغاضيت عن الأمر ودخلتُ؛ فقط لأنني أعرف أنّ الصيدلي سيشتري مني زجاجة الشراب بسعر أعلى من غيره. استقبلتني رائحة مواد كيميائية حادة ودغدغت أنفي، كما تسلّلتُ إلى أنفي أيضًا رائحة عطرة وناعمة من جرة تسترخي فيها زهور بابونج بانتظار أن يتفرغ الصيدلي لها ليصنع منها شايًا ودواءً. وعرفت على الفور أنّ بوردوك هو من قطف هذه الأزهار من الغابة. فقد بدأ مؤخرًا يعرض خدماته لجمع النباتات الطبية.

لم أجد في الصيدلية أحدًا سوى أستريد مارش، زميلتي في الصف، التي كانت ترتّب قوارير صغيرة على رفّ خلف المنضدة. وكان شعرها الأشقر مجدولًا في ضفيرة طويلة واحدة تتدلى على ظهرها. وبسبب الحرارة والرطوبة، أفلتت بعض الخصلات من ضفيرتها وانسدلت حول وجهها الجميل. كانت أستريد شابة حسنة من أغنياء المقاطعة الثانية عشرة، وكنتُ أكرهها بسبب ثرائها. لكنّ انطباعي عنها تغيّر حين تسلّلت ذات مرّة إلى السيم بمفردها ليلاً لعلاج جارتنا التي صُربّت بالسياط؛ بعد أن جادلت أحد جنود حفظ الأمن وردّت له الصاع صاعين. وفي تلك الليلة، أتت أستريد ومعها مرهم من صنع يدها، وعالجت جروح الجارة، ثم انصرفت من دون أن تطالبها بشيء. ومنذ ذلك الحين، أصبحت ملاذ الناس ومقصدهم عندما تنهال السياط عليهم وعلى أحبائهم. وتبيّن لي أن أستريد لا تشبه أصدقاءها الأغنياء المتعجرفين بصفاتها وتصرفاتها وأفعالها، ثمّ إنّ بوردوك مولع بها، ولهذا صرت أحاول أن أعاملها بلطف؛ على الرغم من أنّني أعرف أنّه لا يملك أي فرصة حقيقية للفوز

بقلبها. فالكل يعرف أنّ بنات البلدة لا يتزوَّجن بأبناء السيم... إلا إذا انقلبت الدنيا رأسًا على عقب.

سلّمت على أستريد وسألتها وأنا أضع زجاجة الشراب على المنضدة:
"أحتاجون إلى زجاجة شراب أبيض لصنع أدوية كأدوية السعال مثلًا؟"

"بالطبع. يمكنني أن أجد لها استخدامًا مناسبًا". وأعطتني أستريد سعرًا معقولًا مقابل الشراب، وأهدتني زهرة بابونج: "هذه لك. يُقال إن زهرة البابونج تجلب الحظ".

فأخذت الزهرة منها، ووضعتها في إحدى عُروات قميصي، ثم سألتها:
"أبوردوك مَنْ قال لك هذا؟"

وعلى الفور، احمر وجهها خجلًا. "لا أذكر. لست متأكّدة". حينئذ، وجدّتي أعيد تقييم فرص بوردوك في الفوز بقلبها.

وقلّتها وأنا أهدق إلى علم بانيم: "كلّنا بحاجة اليوم إلى بعض الحظ".
فهمّست لي أستريد بصوت خافت: "لم نعلّق العلم بإرادتنا... بل بأمرٍ صارمٍ من جنود حفظ الأمن".

لو لم تنفّذ عائلة مارش مَطْلَب الجنود لاعتُقِل جميع أفراد العائلة، أو لتّم تحطيم الصيدلية، أو إغلاقها بالشمع الأحمر. فشعرتُ بالسوء لأنني تسرّعتُ في الحكم عليهم قبل قليل.

"لا بأس، لم يكن أمامكم خيار آخر". وأشرتُ إلى زهور البابونج قائلاً:
"خذي واحدة لكِ أنتِ أيضًا، هل اتفقنا؟" فردّت عليّ بابتسامة حزينة وأومات برأسها.

عزّجتُ على محل الحلوى المجاور الذي تملكه عائلة دونر لشراء كيس صغير من الحلوى الملونة كي أتقاسمها مع لينور دوف لاحقًا. فقد كانت تسمي

هذه الحلوى باسم "حلوى قوس قزح"، وتُصنَّ على أن كل لون له نكهة مختلفة؛ على الرغم من أن كل الألوان تتشابه في الطعم. قامت ميريلي دونر-زميلتي في الصف- بخدمتي. وكانت ترتدي فستانًا زهريًا مكوَّبًا، وتضع على شعرها الأشقر شرائط من اللون نفسه على شكل فراشات. لن يتعرض أفراد عائلة دونر للاعتقال بسبب مظهرهم أو ثيابهم، فهُم يعتنون بهندامهم. شكرتُ أستيريد في سُرِّي لأُثَّها دفعت لي ثمن الشراب نقدًا؛ إذ لا تقبل عائلة دونر عملة "السكريب" التي يدفع الكابيتول بها أجور عمَّال المناجم. ولا يمكن صرف عملة السكريب إلا في متجر الكابيتول، إلا أن الكثير من التجار في المدينة يقبلونها كوسيلة للدفع، حتى إنَّ أُمِّي تحصل على الكثير منها من زبائنها.

خرجتُ من المتجر مبتسمًا، وأنا أنظر إلى كيس الحلوى وأتخيَّل لقائي مع لينور دوف في الغابة. ثم انتبهت إلى الوقت؛ حان موعد الحصاد. كانت الشاشات العملاقة على المسرح مُضاءة، وعليها صورة علم بانيم تكريمًا لمباريات الجوع التي بدأت منذ حوالي خمسين عامًا؛ بعد أن انتفضت المقاطعات، وثارَت ضد ظلم الكابيتول، واندلعت حرب أهلية دامية في بانيم خرجت منها المقاطعات خاسرة. ونتيجة لذلك، فرض الكابيتول علينا عقوبة الحصاد ومباريات الجوع. لذا، في اليوم الرابع من يوليو من كل عام، تُرسل كل مقاطعة شابًا وشابة، يتراوح عمراهما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة، للمشاركة في قتال حتى الموت. والفائز هو آخر مَنْ يبقى حيًّا.

تُسحب أسماء المجالدين في مباريات الجوع عشوائيًا خلال حفل الحصاد، وهذا ما يُعرَف بـ "القرعة". إذ يُحشد الشبان في جهة من الساحة، والشابات في الجهة الأخرى منها؛ في مساحتيْن مُطوّقتين بحبال برتقالية؛ كالماشية في الحظيرة. وهم يُنظَّمون عادة على أساس العمر؛ فيقف الصغار البالغون من العمر اثني عشر عامًا في الأمام، فيما الكبار البالغون من العمر ثمانية عشر عامًا يقفون في الخلف. وكان حضور الحصاد إلزاميًا للجميع. لم

أبحث عن أمي وسط الحشد؛ فأنا أعرف أنّها لن تجلب سيد إلى هنا حتى تبدأ المراسم. وإّما بحثٌ عن لينور دوف، وعندما لم أجدّها، اتجهت إلى القسم المخصّص للشبان الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة، واستغرقتُ في التفكير.

في قرعة اليوم عشرون ورقة تحمل اسمي. ففي كلّ عام، توّصع ورقة واحدة لكلِّ منّا في صندوق القرعة؛ وهو عبارة عن كرة زجاجية. لكنني في كل عام أراكم ثلاث أوراق إضافية؛ لأنني آخذ ثلاث حقائب من الطعام لي ولعائلتي. إذ إنّ كل حقيبة تحتوي على مؤن لشخص واحد: بعض الزيت المعلب، وكيس من الدقيق "تقدمة الكابيتول". وكان بإمكاننا أن نطلب تلك الحقائب كل شهر من قصر العدل. ومقابل كل حقيبة نأخذها، تُسقط ورقة إضافية باسمنا في الكرة الزجاجية، وتتراكم الأوراق عامًا بعد عام. وهكذا، جمعْتُ أربع أوراق كل عام على مدى الأعوام الخمسة الماضية، فوصل مجموع أوراقي في الكرة الزجاجية إلى عشرين ورقة. والأسوأ من ذلك أنّ هذا العام يُصادف الذكرى الخمسين لمباريات الجوع؛ وفيه تُقام الدورة الثانية من المباريات الربعية التي تُتظّم كل خمسة وعشرين عامًا، والتي يُحصّدُ فيها ضعف عدد الأفراد المُعتاد من كل مقاطعة؛ الأمر الذي سيُضاعف احتمال سحب اسمي. ولا يروق لي هذا الوضع على الإطلاق.

اكتظّت الساحة بالناس أكثر فأكثر، ورأيْتُ أحد الأطفال في الصفوف الأمامية يحاول إخفاء دموعه. فوجدتُني أتخيّل أخي سيد يقف مكان هذا الطفل بعد عامين، وأتساءلُ عمّن سيشرح له كيف يتصرّف خلال القرعة. أنا أو أمي؟ منّ منّا سيقول له: اعتنِ بهندامك، وابقِ هادئًا، ولا تسبّب المشكلات. ولو سُجِبَ اسمُك، حافظ على رباطة جأشك، واصعد إلى المسرح مرفوع الرأس؛ فلا فائدة من المقاومة. وإن لزم الأمر، سيجرّك جنود حفظ الأمن إلى المسرح. لذا، حاول أن تحفظ ماء وجهك وكرامتك، ولا تنسَ مهما حدث أنّ عائلتك تحبّك وتفتخر بك.

ولو سأل سيد: "لماذا عليّ أن أفعل كل ذلك؟"

فلن يكون بوسعنا إلا أن نقول له: "لأنّ هذه هي قوانين الحياة هنا، ولا مَهَرَب منها".

كانت لينور دوف ستكره هذه الإجابة، لكنها الحقيقة.

"ذكرى ميلاد سعيدة". أحسستُ بلكرة على كتفي، وإذ ببوردوك يقف بجانبى مرتديًا بذلة عتيقة، مع أخيه بلير الذي كان يرتدي قميصًا أكبر منه بثلاثة مقاسات استعاره من أخيه الكبير.

مدّ لي بلير كيسًا من الفول السوداني المحمّص اشتراه من متجر الكابيتول، وقال: "أتمنى أن تتحقق كل أحلامك".

"شكرًا". ووضعت كيس الفول السوداني مع كيس حلوى قوس قزح في جيبى. "لم يكن عليكما أن تتأثقا من أجلي".

فقال بلير مُبتسمًا: "أردنا أن نجعل يومك مميزًا". ثم أضاف ساخرًا: "من الأحمق الذي يولد في يوم الحصاد أصلًا؟"

فأجاب بوردوك بكل تقدير: "الأحمق الذي يعشق التحدي".

"أنا أتدبّر أمري في لعبة الحياة. وكما يقول المثل، تعيسُ الحظ في اللّعب محظوظٌ في شؤون الحب". ثمّ غرست زهرة البابونج في عروة قميصي أكثر قائلًا: "انظري يا بوردي إلى الزهرة التي أعطتني إياها صديقتك".

والتفتنا صوب قسم الشباب، حيث كانت أستريد تتحدث إلى ميريلي وأختها التوأم، مايزيلي؛ الشابة الأكثر غرورًا في المقاطعة.

فسأل بلير: "هل عرفت صديقاتها عن أمركما؟"

وأجابه بوردوك بابتسامة عريضة على وجهه: "ما من شيء يُذكر. لم يحدث شيء بيننا بعد".

أصدرت مكبرات الصوت خشخشة خفيفة، فتحوّل انتباه الحشد إلى المسرح. حينئذ، رأيت لينور دوف تتحاشى جنود حفظ الأمن، وتشقّ طريقها إلى قسم الشبابات. يا لجمالها! كانت ترتدي الفستان الأحمر التفاحي الذي رأيتها فيه في بعض عروضها الموسيقية، وشعرها مرفوع بمشطَيْن معدنيَيْن صنعهما لها تام آمبر. وكانت تُشعُّ جمالاً وقوةً.

ثم صدح صوت النشيد الوطني عبر مكبّرات الصّوت في الساحة، فاصطكت أسناني من شدة ارتفاع الصوت.

يا جوهرة بانيم،

أيتها المدينة العظيمة،

ينتظر الكابيتول منّا أن نغني مع النشيد، إلا أنّنا ندّعي الغناء؛ فنتمتم بكلمات عشوائية، ونحرّك شفاهنا مع الإيقاع. وفي الوقت نفسه، توالت على الشاشات صور تذكّرنا بقوة الكابيتول؛ الواحدة تلو الأخرى: جيوش من جنود حفظ الأمن في مشية عسكرية، وأساطيل من الطائرات والحوامات في الجو، ودبابات تجول شوارع الكابيتول باتجاه القصر الرئاسي. كان الكابيتول يعرض علينا أنيابه البيضاء الناصعة الفتّاقة بفخر.

وبعد أن انتهى النشيد، تقدّمت العمدة أليستر إلى المنصة، وبدأت تقرأ معاهدة الخيانة التي تتضمن شروط استسلام المقاطعات في الحرب. ومع أنّ معظمنا وُلد بعد نهاية الحرب، إلا أنّنا ما زلنا ندفع الثمن غاليًا. وعبئًا حاولت العمدة أن تقرأ المعاهدة بحياد، فقد خانها صوتها وكشف عن استيائها؛ ما يعني أنّها لن تبقى في منصبها فترة طويلة. فدائمًا يُستبَعَد الصالحون من تلك المناصب.

ثم تقدّمت دروسيلًا سيكل إلى المنصة، وهي امرأة من الكابيتول ترافق مجالدي المقاطعة الثانية عشرة إلى مباريات الجوع كل عام. لا أعرف عمر دروسيلًا الحقيقي، بل كل ما أعرفه هو أنّها تأتي إلى المقاطعة الثانية عشرة بمناسبة الحصاد كل عام منذ دورة المباريات الربعية الأولى. وقد تكون هي وهاتي في العمر نفسه، إنّما يصعب الجزم؛ لأنّ وجهها كوجه الدمى البلاستيكية. فبشرتها مشدودة، وشعرها مثبت بدبايس فاخرة مزبّنة بمشابك مكتوب عليها الرقم "50". يبدو أنّها استبدلت بمشابك المناشير الصغيرة التي ارتدتها العام الماضي مشابك أخرى تلائم المناسبة. يكفي أن تلقي نظرة سريعة على ملابس دروسيلًا لتعرف أنّها خاضت معركة مصيرية مع آخر صيحات الموضة وخسرتها؛ في محاولةٍ يائسة لإضفاء روح مرحة وجريئة على اللباس العسكري. إذ كانت دروسيلًا ترتدي سترة عسكرية صفراء ناصعة، وتنتعل زوجًا من الجزمات العسكرية الصفراء يصلان إلى فخذيها، وتعتمر قبعة عسكرية طويلة من اللون نفسه يتدلّى من أعلاها الكثير من الرّيش. كانت ملابسها صفراء من قمّة رأسها إلى أخمص قدميها؛ فبدأ أنّها استوحيت إطلالتها من صوص منكوش الرّيش. لكن أحدًا لم يضحك على مظهرها. فمَن يجرؤ على الضحك في وجه الشّر؟

وضع جنديّان كرتين زجاجيتين كبيرتين على جانبي المنصة؛ واحدة تحتوي على أوراق كُتبت عليها أسماء الشابات، فيما الأخرى فيها أسماء الشبان. ثم قالت دروسيلًا: "السيدات أوّلًا"، وغاصت يدها في الكرة اليمنى، وانتشلت ورقة صغيرة. "الفتاة المحظوظة هي..." وتوقّفت عن الكلام لزيادة الإثارة والتشويق، ثم أخذت تلعب بالورقة بأصابعها وهي تبتسم ابتسامة عارِفة. وأخيرًا، وجّهت الضربة القاضية: "... لويلا ماكوي!"

فشعرثُ بالغيان؛ إذ تسكن لويلا ماكوي على بُعد ثلاثة منازل من منزلي. ولم أعرف قطّ فتاة في الثالثة عشرة من العمر بمثل ذكائها وجرأتها. وعلى الفور، انتشرت همهمة غاضبة في الساحة، وشعرثُ بتوتّر بلير وبوردوك

بجانبي عندما صعّدت لويلا درجات المسرح مُقطّبة الحاجبين، وهي تدفع ضفيريّتها السوداوين خلف كتفيها وتحاول أن تبدو قوية.

"هذا العام، سنختار سيّدة ثانية، وستنضم إلى لويلا..." وغاصت يد دروسيلا في الكرة مرة أخرى، وراحت تخلط الأوراق قبل أن تختار منها ورقة ثانية وتقول: "... مايزيلي دونر!"

التقت عيناي عينيّ لينور دوف، واستولت فكرة واحدة على تفكيري: نجت لينور دوف مرة أخرى. لم يُسحّب اسمها هذا العام. ستكون في أمان حتى العام المقبل.

انتشرت همهمة الجمهور في الساحة مجددًا؛ بدافع الدهشة لا الغضب هذه المرة. إذ تُعدُّ مايزيلي دونر من نخبة سكان البلدة؛ فأفراد عائلتها من كبار التجار في المقاطعة، والجميع يتوقّع أن يتولى والدها منصب العمدة بعد أليستر. ونادرًا ما يقع اختيار القرعة على مثيلاتها؛ لأنّ سكان البلدة ببساطة لا يحتاجون إلى أكياس المؤن كسكان السيم.

كانت ميريلي تبكي وتعانق مايزيلي، فيما أمسكت هذه الأخيرة بيد أستريد وشدّت عليها بقوة، واستندت رؤوسهنّ إلى بعضها بعضًا في بحر من اللون الأشقر. ثم ابتعدت مايزيلي عن صديقتها برفق، وهذّبت فستانها البنفسجي، وهو نسخة مطابقة لفستان توأمها الوردي، ومشّت نحو المسرح واثقة الخطى، مرفوعة الرأس، تشمخ بأنفها كبرًا أكثر من عاداتها.

حان دور الشبان. وحين مدّت دروسيلا يدها إلى الكرة الزجاجية اليسرى وانتشلت منها ورقة، هيأتُ نفسي للأسوأ: "الشاب المحظوظ الأول الذي سيرافق الأنستين هو... وايات كالو!"

مضى وقت طويل منذ أن رأيت وايات في المدرسة آخر مرّة. وأغلب الظنّ أنّه بلغ الثامنة عشرة من العمر وأُرسلَ للعمل في المناجم. أنا لا أعرفه جيّدًا؛ فهو يسكن في الطرف الآخر من السيم، ويعيش حياةً منعزلة عن

الآخرين. شعرتُ بالذنب لأنني ارتحُتُ حين سمعتُ اسمه، وراقبتهُ وهو يعتلي المسرح بخطى ثابتة ووجه يخلو من التّعبير، وأشفقْتُ عليه. فقد كان على وشك أن يُتمَّ عامه التاسع عشر وينجو من الحصاد إلى الأبد.

ثم غاصت يد دروسيلّا في الكرة اليسرى مجددًا. لقد سبق أن ابتسم لنا الحظ مرّة وأنقذ لينور دوف، فهل سيبتسم لنا مرة أخرى لننجو كلانا من هذا الكابوس ونجلس معًا في أحضان الغابة؟ حبست أنفاسي مُنتظرًا صدور حكم إعدامي.

"والشاب الثاني هو... وُدباين تشانس!"

فتنفّستُ الصّعداء، وأخرجتُ نفسيًا طويلًا حاكاه من حولي. ورأيتُ لينور دوف تنظر صوبي. وما إن بدأت ملامح ابتسامة خجولة ترتسم على وجهها حتى تلاشت حين التفتت إلى وُدباين.

وُدباين هو آخر العنقود في عائلة تشانس، وهو الأكثر وسامة بين أولاد تشانس الجامحين الذين يجن جنونهم عندما يفقدون صوابهم، حتى إنّ هاتي ترفض أن تبيعهم الشراب خوفًا من أن يُسبّبوا لها المتاعب مع جنود حفظ الأمن. ولهذا يلجؤون إلى باسكوم باي العجوز، الذي يبيع شرابه الرديء لكلّ من دقّ بابه حاملًا المال. وإن كانت كأس عائلة أبرناثي مليئة بالتمرد، فكأس عائلة تشانس فائضة به، وأعداد أمواتهم الذين لقوا حتفهم على حبل المشنقة لا تُحصى. ويُقال إنّه تجمعهم بليثور دوف صلة قرابة من جهة والدها. لذا، يُكثّون لها مودة خاصة؛ وهو أمر لا يُعجّب كليرك كارمين على الإطلاق.

ظهر وُدباين الذي كان يجلس أمامي ببضعة صفوف على الشاشة، وبدأ يشق طريقه إلى المسرح، ثم ومضت عيناه الرماديتان ومضة ملؤها التحدي، والتفت فجأة وأطلق رجليه للريح في الاتجاه المعاكس، فتعالت هتافات أفراد عائلته وصرخاتهم التشجيعية، وسارعوا إلى سدّ طريق جنود حفظ الأمن



اسودّت الشاشات لحظة، ثم ظهر عليها علم بانيم. من الواضح أنهم لا يريدون أن يشاهد أحد في الكابيتول وباقي المقاطعات ما يحدث في المقاطعة الثانية عشرة.

وعمّت الفوضى في الساحة، فأصبح الناس في هرج ومرج؛ منهم مَنْ ركض هاربًا إلى الأزقة الجانبية، ومنهم مَنْ هرع إلى جثة وُدباين الهامدة في محاولة لمساعدته، فيما واصل الجنود إطلاق طلقات تحذيرية في الهواء. أصاب بعض الرصاص الطائش عددًا من الأبرياء المساكين. لم أعرف ما ينبغي لي فعله وأين يجدر بي أن أذهب. هل أبحث عن سيد وأمي، أو أخرج لينور دوف من الساحة، أو أنجو بجلدي؟

وكانت دروسيلا تصرخ بأعلى صوتها وهي تنظر إلى سطح قصر العدل:
"من أطلق النار؟ من أطلق النار؟"

فدفع جنود حفظ الأمن أحد زملائهم الشباب إلى حافة السطح.

وبدأت دروسيلا توبّخه من مكانها: "أيها الأحمق! أما كان في وسعك الانتظار حتى يصلَ إلى الزقاق؟ انظر إلى الفوضى التي تسببت بها في الساحة!"

كانت فوضى عارمة بالفعل. لمحتُ أُمي وسيد عند أطراف الحشد، وخطوْتُ نحوهما خطوة واحدة فقط، قبل أن يهدر صوت رجولي خشن عبر

مكبرات الصوت.

"انبطحوا على الأرض! انبطحوا على الأرض حالاً!" فجتوُّث من دون تفكير، واتَّخذتُ الوضعية المعتادة، شابكاً يديّ خلف عنقي، وواضعاً جيني على أرض الساحة المكسوّة بالسخام. ورأيت من طرفي عينيّ أنّ الجميع فعلوا مثلي. الجميعُ باستثناء أوثو ميلارك، ابن الخباز، صاحب البنية الضخمة، الذي بدأ مصدومًا ومُشوَّشًا. فقد كانت ذراعاه الغليظتان مرخيتين على جانبيه، وكان يدور في أرضه يمينًا ويسارًا كأنه ضائع. وعندما دققت النظر إليه أكثر، لاحظت أنّ شعره الأشقر ملطَّخ بالدم. عندئذ تدخل بوردوك، وضرب أوثو خلف ركبتيه فطرحه أرضًا بعيدًا عن مرمى النيران.

للع صوت دروسيلّا في الساحة وهي تصدر الأوامر لفريقها عبر "الميكروفون" المفتوح: "لدينا خمس دقائق! خمس دقائق فقط لتنظيف الساحة وإعادة ترتيبها! تخلّصوا من الموتى والمصابين الملطّخين بالدم!"

وفهمت أنّ البتّ ليس بتأّ مباشرًا حقًّا. إذ إنّهم على الأرجح يؤخّرون البتّ خمس دقائق؛ تحسبًا لوقوع حوادث من هذا النوع.

تجوّل جنود حفظ الأمن بين الجمهور، باحثين عن كل الذين تلطّخوا بالدماء، كأوثو، وراحوا يدفعونهم بعنف إلى داخل المتاجر المجاورة لإخفائهم عن الأنظار.

وصرخت دروسيلّا وهي تنزل عن المسرح مُتمايلة، ومُطقطِقة بكعبيها العاليتين: "يجب أن نعثر على شاب آخر. فذاك الذي مات لم يعد ينفع لشيء!"

فتعالت أصوات عويل حادّة، تلتها أوامر جنود حفظ الأمن. ثم سمعتُ صوت لينور دوف، فلحقتُ مصدر الصوت بحثًا عن صاحبه، ووجدتها تحاول مساعدة والدة وُدباين التي رفضت أن تُفليت يد ابنها الذي يأخذه الجنود بعيدًا عن الساحة. وراحت لينور دوف تشد على ذراع أحد الجنود، وتتوسّل إليه ليُمهل

المرأة المسكينة لحظة لتودّعه. لكنها كانت دقيقة لا يملكونها؛ لأنّ الوقت يداهمهم.

لن ينتهي الأمر على خير. هل يجب عليّ أن أتدخّل وأسحب لينور دوف بعيدًا عنهم، أم أنني إن فعلت سأزيد الطين بلّة؟ شعرْتُ وكأنّ رُكبتيّ قد التصقتا بالأرض.

وعلا صوت دروسيلّا في الساحة: "ماذا يحدث هنا؟ أخرجوا تلك الجثة من الساحة!" فأسرع أربعة جنود إضافيون لانتشال جثة وُدباين من بين ذراعِي أمّه.

وانفعلت الأم المسكينة عندما سمعت دروسيلّا تشير إلى ابنها بكلمة "جثة"، فصارت تصرخ وتصيح كالمجنونة، فيما التفت ذراعها حوله في محاولة لانتزاعه من أيدي الجنود. وانضمّت إليها لينور دوف، فشدّت ساقِي وُدباين بكلّ ما أوتيت من قوّة لتحريره.

لا شك في أنّ أمّي ستوبخني على ما سأفعله، لكنني لا أستطيع أن أترك لينور دوف وحدها في مواجهة الخطر. وسرعان ما انتصبت واقفًا وركضتُ إليها، على أمل أن أتمكّن من إقناعها بأن تفلت وُدباين. ولمحّ جنديًا يقترب منها رافعًا بندقيته في الهواء ليضربها بها على رأسها.

فصرختُ: "توقّف!" وقفزتُ بينها وبين الجندي لأحميها، وتلقّيت الضربة بدلًا منها، فشعرت بألم حاد في رأسي، وتشوشت رؤيتي وهويت على الأرض، إلا أنّني لم أبلغ وجهتي. فقد أمسكت بي يد ذات قبضة حديدية قبل أن أرتطم بالأرض، وجزّتني وألقت بي أمام جزمتين صفراوين. فتموضعت إحدى الجزمتين تحت ذقني ورفعته إلى الأعلى، قبل أن تنسحب بسرعة فيرتطم وجهي بالأرض.

"أعتقد أننا وجدنا ضالتنا".

كانت لينور دوف ورائي تتوسّل إلى دروسيلّا والآخريّن ليتركوني وشأنّي:
"أرجوكم لا تأخذوه! عاقبوني أنا. فأنا المذنبّة، وهو لم يفعل شيئاً".

فصاحت دروسيلّا: "فليطلق أحدكم النار على هذه الشابة المزعجة".
وعلى الفور، صوّب أحد الجنود بندقيته نحو لينور دوف، واستعدّ ليضغط على
الزناد، فتأفّفت دروسيلّا غاضبة وقالت: "لم أقصد أن تقتلها هنا! ألا ترانا نعمل
جاهدين لتنظيف الساحة من آثار الدماء؟ اقتلها في مكان بعيد عن الأعيّن".

وحيّن خطا الجندي خطوة نحو لينور دوف، أمسكه رجل يرتدي بذلة
بنفسجية من مرفقه، واستوقفه قائلاً: "لحظة، فكري في الأمر يا دروسيلّا. لو
كنت مكانك لَصوّرتها وحببتها في لحظة وداع مؤثرة؛ فأنت تعرفين أنّ الجمهور
يعشق هذا النوع من المشاهد. وألسن من يقول دائماً إنّ استمالة تعاطف
جمهورنا مع مُجالدي المقاطعة الثانية عشرة مهمة شبه مستحيلة؟"

"حسناً يا بلوتارك، سنفعل كما تشاء. فلينهض الجميع عن الأرض. هيّا
انهضوا عن الأرض يا حثالة المقاطعات!" وفيما قام جنديان برفعي عن الأرض،
لاحظتُ سوطاً مُعلّقاً على جانب جزمة دروسيلّا، وتساءلتُ إن كان حقيقياً أو
مجرد زينة. ثم فاح نَفْسُها المتعفن كرائحة السمك الميت في وجهي، وهي
تهمس لي: "أدّ دورك بجدارة، وإلا سأطلق النار عليك بنفسّي..."

وسمعتُ لينور دوف تصيح باسمي: "هايميتش!"

حاولت أن أردّ على دروسيلّا، لكنها أمسكت وجهي بأصابعها الطويلة
وأكملت قائلة: "... وسأجبر حبيبتك على المشاهدة".

في تلك اللّحظة، أشار بلوتارك إلى إحدى السّيّدات من بين أفراد طاقم
التصوير قائلاً: "وجّهي الكاميرا نحو تلك الشابة، يا كاسيا". ثم لحق بدروسيلّا
وتابع: "لقد صوّرنا بعض المشاهد حين تدخل جنود حفظ الأمن لتهدئة الحشود.
ما رأيك في أن نعرضها تحت شعار: لا سلام من دون جنود حفظ الأمن؟"

"ليس لديّ وقت لهذه الأشياء، يا بلوتارك! لقد تمكّنتُ من السيطرة على الوضع بصعوبة! أعيدوا الشاب الأول... ما كان اسمه؟"

فردّ عليها بلوتارك: "وايات كالو".

وأكملت دروسيلاً جملتها: "أعيدوا وايات كالو إلى قسم الشُّبان". ثم ضربت جبهتها ضربة خفيفة براحة يدها وقالت: "لا، لن ينفع ذلك!" ثم فكّرت قليلاً وقالت: "وجدتها! سأدعو الشابين إلى المسرح معاً. نعم، هذا أفضل!"

فأشار بلوتارك: "سنحتاج إلى ثلاثين ثانية إضافية لنستعدّ".

"إدّا، فلنبدأ". ثم أشارت إليّ وسألتنى: "ما اسمك؟"

"هايميتش أبرناثي". وشعرتُ أنّ اسمي غريب على لساني؛ كأني ألفظه للمرة الأولى.

ردّدت دروسيلاً ورائي: "هايميتش أبرناثي".

وصحّحتُ لها: "هايميتش أبرناثي".

فالتفتت إلى بلوتارك مُتأففة: "اسمه طويل جدّاً". فخرّبش بلوتارك على ورقة في دفتري، ثم أعطاه إياها لتتدرّب على قراءتها: "وايات كالو وهايميتش... أبر... ناثي. وايات كالو وهايميتش أبرناثي".

"ممتاز يا عزيزتي، حفظتِ الاسم بسرعة. نحن على وشك أن نستأنف البث. الأفضل أن تذهبي إلى مكانك، وسأخذ الفتى إلى مكانه". وحين صعدت دروسيلاً إلى المسرح بخطى متسارعة، أمسك بلوتارك بمرفقي هامساً: "حكّم عقلك يا فتى. لن تتردّد دروسيلاً في القضاء عليك بحركة من إصبعها إن ارتكبت أي خطأ آخر!"

لم أفهم ما قصده. هل ستقضي عليّ دروسيلاً بإشارة من إصبعها، أم ستقتلني بأصابعها الفتاكة بطريقة مروعة لا تخطر على بال؟ على أي حال، أنا

لا أريد أن أموت بسبب إصبع.

قادني بلوتارك إلى نقطة قريبة من خشبة المسرح. "حسناً، ابق هنا. وعندما تناديك دروسيلا، اصعد إلى المسرح بهدوء. أفهمت؟"

حاولت أن أهز رأسي إيجاباً، لكن رأسي كان يؤلمني، فيما تبعثرت أفكار وتثؤنات. ماذا حدث؟ ماذا يحدث؟ لقد انضمت إلى صفوف المجالدين في مباريات الجوع، وسأمت في ساحة القتال بعد أيام معدودة. أعرف كل هذا، لكنني شعرت أنني مُفصّل عن جسدي، أتابع الأحداث من وراء ستارٍ شفاف؛ وكأنّ المصاب لا يُصيني أنا، بل يُصيب شخصاً غريباً يشبهني.

وقف كل الحاضرين وعادوا إلى أماكنهم، وهم يتهامسون في ما بينهم بقلق، مُتلفّتين يميناً ويساراً، ومُحاولين أن يفهموا ما يجري حولهم.

وبدأ العد التنازلي عبر مكبرات الصوت: "ثلاثون ثانية! تسع وعشرون، ثماني وعشرون، سبع وعشرون..."

فصاحت دروسيلا مخاطبة الجمهور، فيما كانت إحدى العاملات تمسح العرق عن وجهها، وتدهنه بمساحيق التجميل: "اصمتوا! اصمتوا وإلا قتلناكم جميعاً، واحداً تلو الآخر!" وما إن أنهت دروسيلا تهديدها، حتى أطلق واحد من الجنود الذين يقفون إلى جانبها رشقات من الرصاص في الهواء، ومزّت طائرة فوقنا؛ وكأنّما الاثنان اتّفقا على إثبات جدية الوضع.

وسرعان ما ساد صمت تامّ في الساحة، لم يكسره إلا خفقان قلبي المتسارع. وغمرتني رغبة مفاجئة في الهرب، ثم تذكّرتُ منظر أشلاء دماغ وُدباين المتدلّية من جمجمته، فعدلتُ عن الأمر.

"عشرة، تسعة، ثمانية..."

عاد كل من كان على المسرح قبل حادثة إطلاق النار إلى مكانه: لويلا ومايزيلي، وجنود حفظ الأمن، ودروسيلا. وسارعت دروسيلا إلى تمزيق الورقة

التي أعطائها بلوتارك إياها إلى نصفين، ثم وضعت القصاصتين بعناية في أعلى الكومة في الكرة الزجاجية اليسرى.

امتدّت يدي بحثًا عن كتف مألوفة تسندني، فلم تجد بوردوك وبلير. لم أجد أمامي إلا بعض الأطفال الأصغر سنًا مِنِّي، والذين حرصوا على ترك مسافة آمنة بيننا.

"... ثلاثة، اثنان، واحد. نحن الآن على الهواء".

فتظاهرت دروسيلًا أنّها تسحب اسمًا من الكرة، وأعلنت الاسم: "الشاب المحظوظ الأول... الشاب المحظوظ الأول الذي سيرافق الآنستين هو... وايات كالو!"

وشاهدت وايات يمرّ أمامي ويصعد إلى المسرح من دون أي انفعال أو تعبير كما فعل في المرة الأولى، فحُيِّلَ إليّ أنّي أشاهد المشهد على شريط مسجّل.

ثمّ حامت يد دروسيلًا فوق الكرة الزجاجية لحظة، وبعد ذلك سحبت ورقتي من كومة الأوراق كما تُسحب الشعرة من العجين: "الشاب الثاني هو... هايميتش أبرناثي!" لكنني لم أبارح مكاني؛ أملًا أن أستيقظ من هذا الكابوس قريبًا، فأجد نفسي في سريري. لم يكن من المفترض أن يحدث كل هذا. كانت الأمور على ما يُرام منذ قليل. كنتُ قد نجوت، وكنتُ سأعود إلى المنزل بعد الحصاد، ثم سأذهب إلى الغابة مع لينور دوف. كنتُ قد نجوت هذا العام.

نادت دروسيلًا اسمي مرة أخرى وهي تنظر إلى عينيّ مباشرة: "هايميتش؟"

وما إن ظهر وجهي على الشاشة، حتى بدأت قدماي تتحرّكان تلقائيًا نحو المسرح، ثم رأيت الكاميرا تلتفت نحو لينور دوف. كانت يدها على فمها، لكنها

لم تبيك. لن يحصل بلوتارك منّا على وداعٍ دامع. لن نعطيه ما يريد. لن نسمح له بأن يستغلّ حزننا ودموعنا لتسلية الجماهير.

وسمعتُ دروسيلًا تقول: "سيّداتي سادتي، رَحّبوا معي بمجالدي المقاطعة الثانية عشرة المشاركين في الدورة الخمسين من مباريات الجوع! أتمنى أن يتسم الحظ لكم دائمًا!" ثم بدأت تُصقّق بيديها، وسمعتُ تصفيقَ الجمهور يتعالى عبر مكبّرات الصوت، مع أنّي لم أرَ أمامي سوى بضع أيادي مُصقّقة.

جلتُ بنظري بين الجمهور حتى التقت عينا عيني لينور دوف؛ فأخذ كل منّا يتفرّس في الآخر، وكأنّ العالم وكلّ ما فيه قد تلاشى من الوجود، ولم يبقَ أحد غيرنا، أنا وهي. ثم أنزلت لينور دوف يدها عن فمها، ووضعتها على قلبها، وهمست شفّتها بضع كلمات بصوت خافت: *أحبك كالنار في الهشيم*. فردّت شفّتي بالمثل. *وأنا أيضًا*.

وعلى حين غرّة، دوّت المدافع وانتشلتنا من سكون اللحظة. ثم انهالت قصاصات ملوّنة عليّ وعلى المسرح والساحة، فتلاشت لينور دوف وسط عاصفة من الألوان.

وبسطت دروسيلًا ذراعيها هاتفةً: "نتمنى لكم مباريات ربعية سعيدة!"

عندئذ، صاح أحدهم عبر مكبر الصوت: "انتهى البث". وانتقل البث إلى مراسم الحصاد في المقاطعة الحادية عشرة، فانقطع التصفيق المزيف، وتهاوت دروسيلًا على المنصة بطريقة استعراضية، وهي تنهّد تنهيدة درامية.

وفيما تعالت هتافات طاقم التصوير، اعتلى بلوتارك المسرح مُهنّئًا الجميع: "أحسنتم! أحسنتم جميعًا! لقد تفوّقتِ على نفسك يا دروسيلًا!"

فانتصبت دروسيلًا، وفكّت رباط قبعتها الصفراء عن ذقنها بحركة سريعة، ونزعتها قائلة: "لا أصدّق أنني استدركتُ الأمر بنجاح". ثم سحبت علبة

سجائر من جزمتهَا، وأشعلت سيجارة، وأخذت تدخنها وتنفت الدخان من منخريها وكأنَّ أنفها مدخنة. "على أي حال، سيستمع الجميع بهذه القصة المشوِّقة في حفلات العشاء!"

أتى أحد المساعدين بصينية مليئة بكؤوس فيها شراب باهت اللون، ومدَّ لي كأسًا من دون انتباه قائلاً: "تفصّل". ثم تدارك خطأه سريعًا: "عفوًا، لا شراب للأطفال والمراهقين!"

تناولت دروسيلًا كأسًا، ثم لاحظت أنَّ سكان المقاطعة ما زالوا يقفون بصمت وحزن في الساحة، فصاحت عليهم: "أما زلتم هنا؟ هيَّا، اذهبوا إلى منازلكم بسرعة! يا لكم من كائنات قذرة!" والتفتت إلى أحد جنود حفظ الأمن مُخاطبة إيَّاه: "أخرجهم من هنا بسرعة قبل أن تتغلغل رائحتهم الكريهة في شعري". ثمَّ أمسكت بخصلة من شعرها وشمَّتها، فكشَّرت قائلة: "لقد فات الأوان".

وما لبث الجندي أن أصدر الأمر، فسارع زملاؤه إلى دفع الناس نحو المخارج. رأيت بوردوك وبلير يقاومان الجنود، بينما ركض باقي الناس إلى خارج الساحة بخطى متسارعة للفرار من كابوس الحصاد، ومنهم من اتَّجه إلى منزله ليأخذ أطفاله بالأحضان، ومنهم من قصد دكان هاتي لينسى اليوم بِرُمَّتِهِ.

أصابني الذعر حين رأيت أحد جنود حفظ الأمن المحليين يُمسك بـلينور دوف، ويحاول تقييدها. ليتني هدَّأتها وأبعدتها عن وُدباين قبل أن يسوء الوضع. فلو تدخّلت في وقت أبكر لَمَّا اضطررتُ إلى مواجهة ذاك الجندي، ولَمَّا آلت الأمور إلى هذا المآل. فلماذا لم أتصَّرف؟ هل شلَّني الخوف؟ هل تشوُّش ذهني بسبب الظروف؟ أم أُنني تخاذلتُ أمام هيبة اللباس الأبيض؟ لقد جررتُ كلينا إلى الهلاك. وعندما أخرج الجندي الأصفاد ليكبِّل لينور دوف، اقترب منه كليرك كارمين وتام أمبر بسرعة، وتحدَّثتا إليه بصوت خافت، ودسَّتا في جيبه

مبلغًا من المال، فتلقّت الجندي يمينًا ويسارًا بحذر، ثمّ أطلق سراح لينور دوف وانصرف. فهدأ روعي. وبعد ذلك، رأيتها وهي تحاولت أن تركض إليّ، لكنّ خاليتها جرّأها بعيدًا.

خلت الساحة، ولم يبقَ فيها إلا عائلات المجالدين وأحبائهم.

وهرع السيّد دونر إلى المسرح وهو يلوّح برزمة من النقود على أمل أن ينقذ مايزيلي من مصيرها، فيما وقفت زوجته مع ميريلي قرب متجرهم. فصرخت له مايزيلي: "لا، يا أبي! لا تفعل ذلك!" لكنّه لم يستجب لطلبها، وبقي يتنقّل بين الناس على المسرح، ويلوّح بالنقود في وجوههم بيأس.

وانهارت امرأة بالبكاء في الساحة، فيما كان بعض الرجال حولها يتشاجرون ويتضاربون ويتبادلون اللوم. "أنت السبب! أنت السبب!" أعتقد أنّ هؤلاء من أفراد عائلة كالو.

ثم رأيتُ جيراننا من عائلة ماكوي يسندون أمي التي خارت قواها، فيما سيّد يشدّ على يدها ويدفعها إلى الأمام صارخًا: "هايميتش! هايميتش!" فبدأ الشوق يرضيني، والحنين ينهشني مع أنني لم أفارقهما بعد. يجب أن أتمالك نفسي. لكن حالتهما حطّمتني. كيف سيتدبّران أمورهما من دوني؟

يُفْتَرَضُ أن يُؤخَذَ المجالدون إلى قصر العدل لتوديع عائلاتهم وأحبائهم. لقد خصّ هذه التجربة من قبل، عندما رافقتُ والديّ لوداع سارشي ويتكومب، ابنة مدير أبي. كانت سارشي قد تيّمت ذاك العام بعد وفاة والدها ليل، بسبب مرض الرئة السوداء، فادّعت أمي أننا من أقربائها ليُسمَح لنا برؤيتها. وعندئذ، اصطحبنا جنود حفظ الأمن إلى غرفة جلوس مغبرة فيها أثاث غير مريح على الإطلاق. ولا أعتقد أنّ أحدًا غيرنا زار سارشي لتوديعها في ذلك اليوم.

أعرف أنّ عليّ أن أصبر حتى يحين موعد الوداع الرسمي، لكنّ كل ما أردته في تلك اللحظة هو أن أضمّ أمي وسيّد إلى صدري، وأغمرهما بكل ما

أوتيت من قوة. فخطرَ لي أن أستفيد من الجلبة التي تسبّب بها السيد دونر ومايزيلي، فاقتربتُ من حافة المسرح، وانحنيْتُ باسْطًا ذراعِي باتجاه أُمِّي وسيد اللذين أسرعَا نحوي.

وإذ بدروسيلا تصيح: "أبعده حَالًا!" فشَدّني جندي إلى الخلف، فيما واصلتُ هي الصياح: "لن يُسمَح لهؤلاء المجالدين بأن يودّعوا أهلهم. فما فعلوه اليوم مهزلة. خُذوهُم إلى القطار على الفور، ولنغادر هذه الحفرة الموبوءة!"

وما إن أنهت كلامها حتّى أمسك جنديّان بالسيد دونر ورمياه عن المسرح، فطارت منه نقوده وتناثرت على الأرض بين القصاصات الملونة. ثم أخرجوا الأصفاد.

استطاعت لويلا أن تحافظ على رباطة جأشها خلال أحداث اليوم، أقلّه حتى الآن. فقد كانت تنظر إليّ بعينين جاحظتين ملؤهما الخوف، فما كان منّي إلا أن وضعتُ يدي على كتفها لأهدئها. لكن، ما إن لامست الأصفاد المعدنية الباردة بشرتها، حتى أصدرت صوتًا خافتًا أشبه بأنين كائنٍ صغير علق في فخ. حينئذ، تهافتت كل عائلتنا نحونا لاستعادتنا.

غير أنّ جنود حفظ الأمن سرعان ما سدّوا الطريق أمامهم بأجسادهم كحاجز رادع. وفي تلك اللّحظة، تدخّل بلوتارك قائلاً: "لا أريد أن أكون مصدر إزعاج يا دروسيلا، لكنني لم أتمكّن من تصوير انفعال العائلات وردود أفعالهم من أجل الموجز الإعلامي. هل أستطيع أن أصوّر بعض المشاهد الإضافية؟"

فردّت عليه دروسيلا: "حسنًا، صوّر ما يلزمك. لكن، انتبه إلى الوقت. فإن لم تكن على متن القطار بعد خمس عشرة دقيقة، سنغادر من دونك، وستعود إلى الكابيتول سيرًا على قدميك".

فشكرها بلوتارك، ثم ألقى نظرة سريعة على عائلتنا، وأشار إليّ وإلى لويلا مُخاطبًا جنود حفظ الأمن: "اتركوا لي هذا وهذه".

فاقتاد بعض الجنود مايزيلي ووايات إلى قصر العدل، وهُم يُبعدون أقاربهما عنهما ويضربونهم بعصيهم. إلا أنّ ميريلي استطاعت بطريقة ما أن تتسلل وتعانق أختها التوأم. فلقت كلُّ أختٍ ذراعًا حول عنق الأخرى وشدّت بقوة؛ حتى تقابلَ جبيناهما وأنفاهما في الوسط، وبقيتا هكذا للحظة وجيزة قبل أن يفرّقهما الجنود. ولمحّت وايات يُلقي نظرة خاطفة أخيرة على المرأة الباكية من عائلته قبل أن يدخل قصر العدل.

ركضتُ مع لويلا نحو عائلتيّنا، لكنّ بلوتارك اعترض طريقنا قائلاً: "جهّزوا المكان لنصوّر المشهد".

فكنس طاقم التصوير الأرض حول المتاجر لإزالة القصاصات الملونة، فيما تموضع أحد المصورين أمام المتاجر وجّهز كاميرته. ونظّم بلوتارك والدي لويلا وإخوتها وأخواتها الستة أمام واجهة المخبز ثم هتف: "مهلاً، مهلاً، لا أريد أن يظهر الأطفال الذين كانت أسماؤهم في قرعة اليوم في المشهد". فتنحى اثنان من الأطفال جانبًا. "ممتاز. ما أريده منكم هو أن تعيشوا اللحظة التي أُعلنَ فيها عن اسم لويلا على المسرح من جديد؛ كما لو أنها تحدث الآن. ثلاثة، اثنان، واحد، ابدأوا التصوير".

فوقف أفراد عائلة ماكوي كالأصنام من دون أي انفعال أو تعبير.

فصرخ بلوتارك: "أوقفوا التصوير". ثم اقترب من عائلة ماكوي قائلاً: "أنا آسف، يبدو أنني لم أشرح الفكرة بوضوح. ألم تشعرُوا بصدمة أو انفعال عندما سمعتم باسم لويلا خلال حفل الحصاد؟ ربما صرختم أو بكيتم أو ناديتموها بحسرة. المطلوب أن تكرّروا ردّة فعلكم تلك أمام الكاميرا. هل هذا مفهوم؟" وتراجع خلف الكاميرا. "ثلاثة، اثنان، واحد... ابدأوا التصوير".

غير أنّ أحدًا من عائلة ماكوي لم يحرك ساكنًا، بل ظلّوا جميعًا يحدّقون إلى بلوتارك بعيون جامدة ووجوه خالية من التعبير. وما فعلوه لا ينم عن ارتباك أو حيرة، بل عن عزوف تام عن المشاركة في مسرحية الكابيتول.

فصرخ بلوتارك مُتَأَفِّقًا وهو يفرك عينه: "أوقفوا التصوير. وخذوا الفتاة إلى القطار".

وما إن أخذ الجنود لويلا إلى قصر العدل، حتى انهار والداها وإخوتها وأخواتها أخيرًا وغلبهم الحزن، وأخذوا ينادون باسمها، ويصرخون بحسرة تتصدّع لها القلوب. فلوّح بلوتارك للمصوّر ليوثّق اللحظة. وحين أدرك أفراد العائلة ما حدث، استشاطوا غضبًا، لكنّ الجنود أخرجوهم من الساحة بالقوة.

ثم التفت بلوتارك إلى أمي وسيد قائلاً: "أعلم أنّ الأمر صعب، فما رأيكما في أن نتوصّل إلى اتفاق يفيد الطرفين؟ إذا تعاونتما معي في تصوير المشهد الذي أريده، فأعدكما بأثني سأمُنحكما بعض الوقت مع هايميتش. هل اتفقنا؟"

لمحتُ سيد يرفع ناظريه إلى السماء، ثم دوّى الرعد دويًا خفيفًا، وكأنّه يندرنا من فال سيئ. وحين نظرتُ إلى وجه أمي الشاحب، وإلى شفّتي أخي المرتعشتين، انسابت الكلمات على لساني من دون تفكير: "لا تفعلي ما يريده يا أمي".

لكنّ أمي تجاهلّنتني، والتفتت إلى بلوتارك قائلة: "سأفعل ما تريد... كلانا سنفعل ما تريد إذا سمحت لنا بأن نحتضنه مرّة أخيرة".

فردّ عليها بلوتارك: "اتفقنا". ثم طلب منها أن تقف وسيد جنبًا إلى جنب، إلّا أنّها وقفت وراء سيد ولقّت ذراعها حوله. "لمسة جميلة. أعجبتني الفكرة. حسنًا، نحن في حفل الحصاد، وقد سحبت دروسيلًا ورقة من الكرة، وأعلنت أنّ المجالد الرابع هو هايميتش آبرناشي. ثلاثة، اثنان، واحد... ابدأوا التصوير".

شهقت أمي باندهاش، فالتفت إليها سيد حائرًا محتارًا، يبحث في وجهها عن تفسير لما حدث. وأنا متأكّد من أنّه شعر بالحيرة نفسها أثناء الحصاد.

وصاح بلوتارك: "أوقفوا التصوير! كان المشهد رائعًا. لكن، يمكننا أن نحاول مجددًا؟ حاولي أن تشهقي بصوت أعلى. ثلاثة، اثنان، واحد... ابدأوا التصوير".

لكنه لم يكتفِ بمحاولة ثانية، بل طلب من أمي وسيد أن يعيدا المشهد مرارًا وتكرارًا وأن يقوموا بردّات فعل درامية أكثر فأكثر: "ناديا هايميتش"، "خبّئ وجهك بفستان أمك يا فتى!"، "هل يمكنك أن تذرّف بعض الدموع؟" واستمر على هذه الحال حتى اغرورقت عينا سيد بدموع حقيقية، وكادت أمي أن تفقد وعيها.

فصحتُ عليه: "هذا يكفي! أوقف التصوير! لقد حصلت على ما تريده". وفي تلك الأثناء، أصدر جهاز بلوتارك اللاسلكي المعلق على حزامه صوت خشخشة، تلاه صوت دروسيل: "أين أنت يا بلوتارك؟ لِمَ هذا التأخير؟" فردّ عليها بلوتارك عبر الجهاز: "ها قد أنهينا التصوير الآن. أمهليني خمس دقائق". ثم أشار إلى أمي وسيد ليأتيا إليّ، فركضا نحوي، وارتميا في أحضاني. "لديكم دقيقتان فقط".

ضممتها إلى صدري، وحضنتهما بحنان للمرة الأخيرة؛ لأنني أعرف أنني لن أحظى بمثل هذه الفرصة مجددًا. وبما أنّ الوقت يداهمنا، سارعنّ في إفراغ محتويات جيوبي، وناولتُ أمي النقود والفول السوداني، وأعطيتُ سيد السكين وكيس حلوى قوس قزح. سلّمتهما كل ما كان معي، وكل ما كان يربطني بالمقاطعة الثانية عشرة.

فرّفع سيد كيس حلوى قوس قزح وسألني: "أهذا للينور دوف؟"

"نعم، أعطها إيّاه. لا تنس".

فأكّدت لي بصوت أجشّ من كثرة البكاء: "لن أنسى".

"أعرف أنّك لن تنسى. فأنا أعتد عليك دائمًا". وجثوت أمامه، ومددت له كُمّ قميصي ليمسح به أنفه، كما اعتدتُ أن أفعل في صغره. "أنت رجل البيت في غيابي. وأنا واثق من أنك ستأخذ الأمر على محمل الجد، وستتولى هذه المسؤولية بجدارة". فبدأ سيّد يهزُّ رأسه يمينًا ويسارًا. "لا تقلق، أنت تفوقني ذكاءً وشجاعةً بأشواط. لن يصعب عليك الأمر. أفهمت؟ أفهمت يا سيّد؟" فأوَمَّ برأسه. وشعَّثُ شعره. ثم وقفت وعانقت أُمِّي قائلاً: "تحلي بالقوة يا أُمِّي!"

فهمست لي: "أحبك يا بني".

"وأنا أيضًا أحبك يا أُمِّي".

ثم علا صوت دروسيلّا عبر جهاز بلوتارك اللاسلكي مجددًا: "لم أكن أمزح معك يا بلوتارك! سأغادر من دونك إن لم تأتِ حاليًا!"

"هيا بنا جميعًا! دروسيلّا لن تنتظر أحدًا!"

فسارع جنود حفظ الأمن إلى تفريقي عن أُمِّي وسيّد اللذين تشبَّتا بي بكامل قوّتهما.

وقالت أُمِّي باستعجال: "أتذكّر ما قاله أبوك لسارشي ويتكومب ذاك اليوم؟ لا تنسَ وصاياها".

فعدتُ بذاكرتي إلى غرفة جلوس في قصر العدل تعبق فيها رائحة زهور متعفنة، حيث كان أبي يتحدّث إلى فتاة باكية، وينصحها ويلحّ عليها قائلاً: "لا تسمح ليهم بأن يستغلوك يا سارشي. لا ت..."

ثم صرخت دروسيلّا بأعلى صوتها: "يا بلوتارك! بلوتارك هيفينزبي!"

وعلى الفور، أبعدني بعض الجنود عن أُمِّي وأخي بعنف، ورفعوني عن الأرض، وجزّوني بعيدًا فيما بدأ سيّد يتوسّل إليهم: "أرجوكم، لا تأخذوا أخي

مَنِّي! أرجوكم، لا تأخذوه! نحن بحاجة إليه!"

عندئذٍ، لم أتمالك نفسي؛ فتلويثُ، وحاولتُ أن أتملّص من قبضتهم قائلاً لسيّد: "لا تقلق يا سيّد! ستكون الأمور على ما... " ثمّ شعرتُ فجأة بصعقة كهربائية خدّرت جسدي وشلّته عن الحركة. بعد ذلك، أحسستُ بكعب قدمي يرتطم بحافّات درجات المسرح، ويحكّكُ بسجّاد قصر العدل، ثم بالحصى في الشارع الخلفي. لم أكن فاقداً وعيي بالكامل في السيارة، إلّا أنّني سمحتُ لهم بتكبيلي من دون أي اعتراض لأنفادي الإصابة بصعقة كهربائية أخرى. ثمّ صعدتُ إلى القطار مُترعزع الخطى، وُرَججتُ في غرفة فيها نافذة واحدة عليها قضبان حديدية، فأسندتُ جبيني إلى زجاج النافذة لأشاهد المنظر، لكنني ما رأيت إلّا عربة فحم متسخة تحجب الرؤية.

بقي القطار في المحطة ساعة كاملة؛ على الرغم من تذرُّم دروسيلا المتواصل. واسودّت السماء، وتعالى صوت طقطقة البَرَد فالمطر على الحديد والزجاج. وحينما انطلق القطار إلى وجهته، كنت قد استعدت كامل وعيي. وما إن بدأت عجلاته تتحرّك، حتى بدأت عيناي تقفزان من مكان إلى آخر بسرعة، وتحاولان أن تتشرّبا وتحفظا عن ظهر قلب كل ما في وسعهما من مناظر المقاطعة الثانية عشرة؛ كوميض البرق الذي أضاء السماء فوق المستودعات والمخازن الموحّشة، وسيول المياه المتدفقة على أكوام من مُخلّفات التعدين، والتلال الخضراء النضيرة.

ثمّ رأيتُ لينور دوف بثوبها الأحمر المبلّل تقف على تل صغير، وتمسكُ في يدها كيس حلوى قوس قزح. وحين مرّت عربتي من أمامها، رفعت رأسها إلى السماء، وصرخت ملء رئتيها صرخة مُثقلة بالحزن والغضب؛ فتمزّق قلبي ألماً، ورحت ألكم زجاج النافذة حتى تورّمت مفاصلي. وفي وسط سخطي واستيائي، شكرتُ لينور دوف على هديتها الأخيرة. إذ جاءت لتودّعني بعيداً عن عدسات الكاميرات والأعين المُتطوّلة، فلم يشاركنا أحد لحظة وداعنا.

وبقيت اللحظة التي انفطر فيها قلبي وقلبها لنا وحدنا.



بعد حين، جلستُ على الأرض مُتَكِنًا على الحائط، وضممت يديّ المُتَوَرِّمَتَيْنِ إلى صدري وأنا ألهث، فيما الألم يعتصر قلبي. ورحت أتساءل: تُرى، هل يمكن حقًا أن ينفطر قلب الإنسان ويُسَخَق؟ الإجابة حتمًا نعم، وإلَّا فلماذا نستعمل تعابير كـ "مفطور الفؤاد" و"مسحوق القلب"؟ لا شك في أنّ هذه الكلمات لم تنبع من العدم، وإثما هي وليدة تجربة. تخيلت أنّ قلبي يتشقق إلى قطع زجاجية حمراء وحادة راحت تنغرز في أعضائي أكثر فأكثر مع كل نبض. ولا يهمني إن لم يكن وصفي هذا دقيقًا أو صحيحًا من الناحية العلمية والطبية، فهو يعبر عمّا أشعر به من دون نقصان. كان قلبي يذرف دموعًا حمراء غزيرة في داخلي، فأحسستُ لهيئة بأثني أحتضر. لكنني لن أودّع الحياة بهذه السهولة، فهذّأت نفسي شيئًا فشيئًا. ثم حطّ اليأس رحاله في أعماقي.

لن أرى لينور دوف مجددًا، ولن أسمع ضحكتها المُشرِقة وهي تتسلق الأشجار، ولن أشعر بدفئها ونحن نفترش الأرض جنبًا إلى جنب بين أشجار الصنوبر. ولن أجد ريشة إوز عالقة في شعرها، أو أستمع إليها وهي تعزف الموسيقى على "صندوق ألحانها"، أو أخزها بإصبعي بين حاجبيها المقطبين عندما تستغرق في التفكير. ولن أرى وجهها يتوهج فرحًا عندما ترى كيس حلوى قوس قزح، أو حين ترى القمر بدرًا، أو عندما تسمعني أهمس لها: "أحبك كالنار في الهشيم".

خسرْتُ أعزَّ ما لديّ؛ حبيبتِي، ومنزلي، وأمِّي، وأخي الصغير... لماذا قلتُ لسيدِ إلهٍ أصبح رجل البيت؟ ما كان عليّ أن أضع مثل هذا الحمل الثقيل على كاهل طفلٍ بريء. فقد كانت جدتنا من جهة أبينا تقول إنّ سيد شخص مُتفائل، لا يرى إلا الجانب المشرق من الحياة. وأظنُّ أنّه لا يرى هموم الحياة ومآسيها لأنَّ رأسه بين الغيوم؛ فهو يحبُّ أن يتأمَّل الشمس والنجوم والأجسام التي تسبح في السماء ليلاً. لقد علِّم تام أمبر لينور دوف أصول الاهتداء بالنجوم؛ وهي ممارسة يتوارثها شعب كوفي أبًا عن جدِّ. ثمَّ علِّمت لينور دوف سيد ما تعلَّمته، فصار يجرُّنا إلى الخارج في الليالي الصافية لنرى الأشكال التي ترسمها كوكبة النجوم. "هذه الكوكبة تشبه الكيل الذي في دَلْوَتَا. وهذه كوكبة النَّشَاب. إنّها تشبه بوردوك، أليس كذلك؟ وهذه كوكبة البجعة، لكنَّ لينور دوف تسمِّيها كوكبة الإوزة. أمّا تلك الكوكبة، فهي كوكبتك يا أمِّي؛ لأنَّها تشبه حرف الواو، الحرف الأول من اسمك (ويليماي)، وإذا قلبناها رأسًا على عقب فستحوِّل إلى حرف الميم ككلمة "ماما"."

كان وجه أمي يضيء كلّما سمعت سيد يتحدث عن كوكبتها. فهي لا تملك الكثير، ونادرًا ما تحصل على هدايا جميلة، فما بالك بكوكبة نجوم باسمها؟ لقد أفنت أمي حياتها كلّها من أجلنا أنا وسيد، وربّتنا "كلُّ شبرٍ يتدَّر" من دون أن تطلب منّا شيئًا في المقابل. ليلة أمس، رأيتها تدخل المنزل وهي تحمل دجاجة، فتظاهرتُ بأنني لم أرها؛ لأنني أعرف أنّها اشترتها لتفاجئني بمناسبة ذكرى ميلادي. يبدو أنّها أنهكت نفسها بالعمل ساعات إضافية لتجمع ثمنها. آه يا أمي! هل ستمكّنين من تدبّر أموركِ من دون راتبتي؟ أنا واثق من أنّكِ لن تستسلمي، وستفعلين المستحيل لتأمين لقمة العيش. آه يا أمي! آه!

كان بلوتارك مُحِقًّا؛ لقد ارتكبتُ خطأً فادحًا، وها أنا أدفع ثمنه غاليًا. فأنا ذاهب إلى الموت المُحَتَّم بعد أن فطرتُ قلوب أحبائي، وقلبتُ حياة كلِّ منهم رأسًا على عقب.

حدّقتُ إلى الأشجار العابرة وأنا مُستغرق في التفكير. كنت أتوقّع أن تتحرّر لينور دوف قبلي من المقاطعة الثانية عشرة؛ فهي تنحدر من شعبٍ كان في ما مضى شعبًا رحلًا يتنقّل بين المقاطعات، ويعزف ألحانه الموسيقية أينما ذهب. وما زال تام أمبر يتذكّر تلك الأيام. فقد كان شابًا في مثل عمري عندما انتهت الحرب، وانتشر جنود حفظ الأمن في البلاد، وراحوا يبحثون عن أفراد شعب كوفي وبطوّقونهم، ويقتلون الكبار ويرسلون الأطفال للعيش في المقاطعات. لا تملّ لينور دوف من سماع الحكايات الشعبية عن أيام الخوالي؛ حين كان أجدادها يجوبون البلاد في شاحنة كبيرة مُتهالكة. وحين نفذ وقودهم، جاؤوا بخيول لجرّ الشاحنة. ثمّ عندما طوّقهم الجنود وساقوهم قسرًا إلى المقاطعة الثانية عشرة، كانت الشاحنة قد لفظت أنفاسها الأخيرة، فربطوا الخيول إلى عربة خشبية قديمة لم تتسع لهم جميعًا، فتابع معظمهم طريقهم سيرًا على الأقدام. كانوا يتدبّرون أمورهم بما لديهم، فيطهون طعامهم في الهواء الطلق، ويتنقّلون من مقاطعة إلى أخرى، ويعزفون ألحانهم في مستودعات ومخازن أو في الحقول. حتى إنّ أساليبهم وعاداتهم هذه اكتسبت صيتًا وشهرة بين السكان المحليين. لاحظتُ كيف كانت لينور دوف تنظر إلى حياة أجدادها بعين شاعرية، ولا ترى منها إلّا حُلوها، فما تجرّأت قطّ على إفساد أحلامها. كما أنّ زمن أجدادها ولّى، ومن المستحيل أن يعود؛ إذ لا يستطيع أحد مغادرة المقاطعة الثانية عشرة. وحتى لو كانوا يستطيعون المغادرة، فلن يقبل تام أمبر وكليك كارمين أبدًا بأن يعيشا حياة الرخالة. ومع ذلك، لم تتخلّ لينور دوف يومًا عن فكرة أنّ بعض الناس من شعب كوفي ما زالوا يعيشون خارج بانيم في أقصى الشمال. حتى إنّها كانت تتسلّل أحيانًا إلى أعماق الغابة وتغيب طويلًا، فينشغل بالي، وأتخوّف من أن تكون قد هربت إلى الأبد. إنّما لم يعد للخوف داعٍ الآن.

والآن، إمّا أن أصمد في وجه العاصفة أو أنهار تحت وطأتها. وفي تلك اللحظة، تبادل خزانُ المياه إلى ذهني وأنا أحدّق إلى قطرات المطر التي تسيل على زجاج نافذة عربتي. فتذكّرتُ كيف ركضتُ مسرعًا للقاء لينور دوف

بدلاً من العودة إلى المنزل لملء الخزان كما طلبت ممي أمي. ومع أنني لست نادماً على اللحظات الأخيرة التي قضيتها مع حبيبتي، إلا أنني أتمنى لو أنني ملأْتُ الخزان لأمي وسيد بدلاً من أن أتركهما يعتمدان على برميل مياه الأمطار الذي لا يحتوي إلا على بضعة لترات. لكنني لا أظن أن أمي في حالة تسمح لها بالعمل هذه الفترة. أو... لا أدري. علها تستجمع قواها وتلملم شتات نفسها بسرعة؛ كما فعلت عندما توفي أبي. آنذاك، أعدت حساء اللحم والفاصولياء على شرفه- كما جرت العادة في السيم- ثم عادت إلى العمل وكأن شيئاً لم يكن. أذكر أنني جلستُ حينها قرب المدفأة، ورحت أذرف الدمع على الأرض؛ على بُعد بضع أقدام من قميص مُبلل يبكي معي حزناً على صاحبه. ففي الشتاء، كنا ننشر الغسيل في الداخل ليجف، وكانت أرض منزلنا مُبللة دائماً.

كلما دنا القطار من وجهته، أبعدني أكثر فأكثر عن حياتي وأحلامي السابقة. كنتُ أحلم بأن أريح أمي من عبء العمل، وأن أحتُ سيد على المثابرة والتفوق في المدرسة ليحصل على وظيفة جيدة في المناجم؛ كالمحاسبة أو تحميل الفحم على متن القطارات، ليتمكن من النظر إلى السماء متى شاء. كنتُ أحلم أيضاً بأن أتزوج لينور دوف، وننجب أطفالاً نربيهم معاً، وأن نُعلّمهم لينور دوف الموسيقا، بينما أعمل لأؤمن لهم لقمة العيش، سواء أكان العمل في المناجم أم المقطرة أم أي مكان آخر. كنتُ مُستعداً لفعل أي شيء، ما دامت لينور دوف بجانبني. ثم تبددت أحلامي بلمح البصر، وذهبت أدراج الرياح.

ووجدتني أحسدُ وُدباين على حسن حظهِ؛ لأنه لقي حتفه في أحضان المقاطعة الثانية عشرة، وليس في ساحة قتال وحشيّة فتّاقة. فتبادرت إلى ذهني ساحة القتال في إحدى مباريات الجوع السابقة، حيث كان الظلام الحالك يُخيّم فجأة، قبل أن تنقضّ سناعب⁽²⁾ كبيرة سوداء مثل الفحم على

المجالدين وتهاجمهم. إنّ منظر تلك الأنياب المُسَنِّنة وهي تنغرس في وجه فتاة من المقاطعة الخامسة وتمزّقه إربًا إربًا مطبوع في ذاكرتي.

ليتني حاولتُ الفرار؛ فربّما أطلق جنود حفظ الأمن النار عليّ حينها وأردوني قتيلاً، وربّما متُّ ميتة سريعة من دون عذاب، ونمّثُ الليلة قرير العين مَلْفوفًا بكفن أبيض مع أهلي ونسبي تحت شاهدة قبر عائلتي. فنحن لا نتأخّر في دفن موتانا.

جلستُ في عربتي ساعات طويلة بمفردي، قبل أن يدور مفتاحُ في قفل الباب، ويطلّ عليّ وجه بلوتارك.

"هل تشعر بتحسّن؟ أترغب في الانضمام إلى الآخرين؟"

سألَ عن حالي وكأته يسألني إن تعافيتُ من صدام عاديّ، وليس من صعقة كهربائية وجرح غائر في قلبي. يا له من رجل غريب الأطوار يصعب توقُّع أفعاله وتصرفاته! لقد استغلّ حزن أمّي وسبيد وألمهما وأجبرهما على التمثيل أمام الكاميرات، ثمّ خالف أوامر دروسيليا وسمح لي بأن أوّدعهما. كما أنقذ حياة لينور دوف عندما طالب بتأجيل حكم إعدامها لتصوير لحظة فراقنا. من الأفضل أن أبقى علاقتي معه جيّدة، وألا أعاديه.

ثمّ إنّ عليّ أن أطمئنّ على لويلا؛ إذ لم يبقَ لها أحدٌ غيري. لذا، قلتُ لبلوتارك: "نعم".

وعلى الفور، أمر بلوتارك جنود حفظ الأمن بفكّ قيودي، ورافقني إلى عربة أخرى تراصّت فيها مقاعد بلاستيكية زاهية الألوان، فجلستُ بجانب لويلا، قبالة وايات ومايزيلي.

وسألنا بلوتارك: "أأنتم جائعون؟" فلم يجبه أحد. فأضاف: "سأعود بعد قليل". ثمّ غادر وأقفل الباب وراءه.

وخزتُ لويلا بمرفقي قائلاً: "مرحبًا يا صديقتي". ثم مددت لها يدي.

فأمسكته بيدها الباردة، وهمست لي: "مرحبًا يا هاي. لم يكن يحقّ لهم أن يأخذوك بهذه الطريقة".

إنّها مُحقّة. كيف لم يخطر هذا الأمر في بالي حتى الآن؟ لقد ظلموني عندما أرغموني على أن أحل محلّ وُدباين من دون قرعة. ولا شك في أنّ فعلتهم هذه تخالف قواعد المباريات وقوانينها، لكن أحدًا في الكابيتول لن يُصغي إليّ أو يهتمّ لأمرِي. فأنا مجرد قصة مُسلّية ترويهها دروسيلّا في حفلات العشاء ليس إلّا.

قلت للويلا: "لا يحقّ لهم أن يأخذوا أحدًا، لا أنا ولا غيري". وما إن رأيتُ وجهها الصغير ينقبض ويشحب لونه، حتى سألتها مُندفِعًا بغير رويّة: "ما رأيك في أن نوحد صفوفنا، يا حبيبة قلبي؟"

فابتسمت عندما دعوتها "حبيبة قلبي"؛ وهو لقب أطلقته عليها يومًا بسبب موقف طريف عشناه معًا عندما كُنْتُ في الثامنة وكانت هي في الخامسة. ففي ذلك الحين، قرّرت أنّها ستكون حبيبتِي، وصارت تصاحبني كظليّ أينما ذهبتُ، وتُخبر الجميع أنّها "حبيبة قلبي". استمرّ الأمر على هذا المنوال أسبوعًا كاملًا، ثم انفصلت عني لصالح صبي اسمه باستر؛ لأنّه أهداها ضفدعًا. كانت مشاعرها تجاهي مجرد نزوة عابرة على الأغلب. فعلاقتنا طفولية، وما كان قلبها ليهفو طويلًا إلى شخص تخوض معه مسابقات تجشؤ. لكننا ما زلنا صديقين مُقرّبين. ولو أنّ لي أختًا صغيرة، لَتَمَيَّيتُ أن تكون مثل لويلا تمامًا. حتى إنّني كُنْتُ أضمّر في قلبي أملًا ورجاءً بأن تقع لويلا في حبّ سيد عندما يكبران، وأن تجد فيه رفيق عمرها. لكنها لن تكبر، ولن تتجاوز أبدًا الثالثة عشرة.

"أنا موافقة. فلنشكّل فريقًا؛ فأنا أثق بكّ ويمكنك أن تثق بي".

خطر لي أن تُشكّل تحالفًا مع وايات ومايزيلي أيضًا؛ تحالف شباب المقاطعة الثانية عشرة، وإلّا تردّدت في الأمر عندما وازنتُ بين خياراتي.

فوايات يحيرني؛ إذ لا توحى لي نظراته الشاردة بأته ذو ذهن مُتَّقِد وعقل مُفكِّر. لكنه قوي البنية، وما سمعتُ يومًا أحدًا يشتكى منه ومن تصرّفاتِه. وهو من هذه الناحية يتفوّق على مايزيلي. فكلُّ ما أعرّفه عنها- سواء أكان من تجاربي الشخصية أم من كلام الناس- لا يدعو إلى المديح.

أثارت مايزيلي وميرلي فضولي في اليوم الأول في المدرسة؛ لأنّهما من بنات البلدة، وطباعهما غريبة، ولأنّهما توأم. إذ كانت أمي في تلك الفترة قد أنجبت توأمًا من الفتيات وفقدتهما؛ فبكت على ابنتيها اللتين وُلِدتا قبل أوانهما ولم تصمدا، ورثتهما رثاءً شديدًا. كنتُ أراها تُنقّس عن ألمها وهي تغسل ثيابنا، فتفركها على لوح الغسيل وتقرصها وتحفّها حتى تتمزق. كما كنتُ أسمعُ أبي- الرجل الذي يكبت مشاعره في أعماقه ولا يعبر عنها- يبكي ابنتيه بحرقه حين يظنني غارقًا في النوم. لطالما حاولتُ أن أتصوّر ما كانت ستصبح عليه شقيقتاي لو كُتِب لهما أن تعيشا. ولا حبّذا أن تكونا على شاكلة مايزيلي وميرلي. فعلى الرّغم من أنّ ميرلي ليست شخصًا سيئًا، إلّا أنّها تُجاري مايزيلي وتسايرها في كلِّ ما تفعله. ومايزيلي تتصرّف وكأنّها أفضل من الجميع؛ فهي تمشي مشية الخيلاء، مُتباهية بأحذيتها اللامعة وأظافرها الملوّنة، ولا تخرج إلى العلن أبدًا من دون حلّيها ومجوهراتها العزيزة. فهي مولعة بالمجوهرات.

أراها الآن تُحدِّقُ من نافذة القطار، وهي تُمرّر أصابعها بين السلاسل الست المُتدلّية من عنقها. فقد كانت تضع سلاسل مُزيّنة بالخرز، وأخرى مصنوعة من الحبال المصفورة، وحلى عليها أشكال وألوان. وأعتقد أنّ واحدة منها على الأقل مصنوعة من الذهب الخالص. لا أحد من أهالي السيم يمتلك أكثر من قطعة أو قطعتين من المجوهرات، فما بالك بست قطع. وحتى لو كان لديهم هذا العدد، لما تباهاوا بمجوهراتهم وارتدوها كلها دفعة واحدة.

فتح بلوتارك باب العربة وتنحّى جانبًا، مُفسيحًا المجال لمُضيف من الكابيتول يحمل طبقًا كبيرًا عليه تلُّ من الشطائر المُزيّنة بأعلام ورقية مُنمّمة

عليها شعار بانيم؛ تَلُّ من الأَرْغفة المُتَحَمَّة بشرائح اللحم المشوي أو المقدد أو الدجاج المشوي. ثارت شهيتي حين رأيتُ الشطائر التي يساوي ثمن الواحدة منها أجرَ يوم عمل كامل، وسال لعابي، فتذكَّرتُ أنني لم أتناول شيئاً منذ الصباح.

مدَّ المُضيف الصينية نحو لويلا التي أخذت تحدِّق إلى الخيرات والخيارات المعروضة أمامها بذهول وارتباك؛ إذ نادراً ما تزور اللحوم على أنواعها مائدة عائلة ماكوي. وإن حدث وزارتها يوماً، فكانت تأتي مُعلَّبة في علب معدنية. وحين لاحظ المضيف ارتباك لويلا قال لها باستعلاء: "أحتاجين إلى المساعدة، يا آنسة؟"

فاحمرَّ وجهها من الحرج؛ لأنها من عائلة عزيزة النفس. لكن، لم تترك لها مايزيلي مجالاً للرد؛ إذ بادرت إلى الجواب، وأوقفت المضيف عند حده: "إنَّها تحتاج إلى المساعدة بالتأكيد. فهل تتوقَّع منها أن تتناول الشطيرة وتأكلها بيديها؟ أليس عندكم صحون وشُوك وسكاكين في الكابيتول؟"

فاحمرَّ وجه المضيف خجلاً: "كلُّنا نأكل الشطائر بأيدينا".

وردَّت عليه مايزيلي: "أتأكلونها بأيديكم حقاً من دون أن تلقوها بمنديل على الأقل؟"

فالتفت المضيف إلى بلوتارك مهزوماً: "هل يُسمَح لهم بالحصول على مناديل؟"

وأجابه بلوتارك بلطف: "بالتأكيد، فهم ضيوفنا، يا تيبى. فلنذهب إلى المطبخ لجلب بعض المناديل والصحون. فهناك ما ينبغي لي أن أتفقَّده. بالإذن".

وما إن أُغلق الباب حتى انفجرتُ ضاحكاً.

فصرخت عليّ مايزيلي: "توقَّف عن الضحك!" ثم خاطبت لويلا قائلة: "لا تسمحى لهم بأن يقللوا من شأنك ويعاملوك كالحوانات يا لويلا. يجب أن

توقفهم عند حدّهم".

لم تتقبّل لويلا سماع هذا الكلام، فرمقت مايزيلي وردّت عليها بحزم: "لو لم تحشري أنفك في ما لا يعينك، لكنك قد أوقفتهم عند حدّهم بنفسى".

"كنت أحاول أن أساعدك".

"لا أحتاج إلى المساعدة من شخص سَخِرَ من أختي وقال لها إنّها تتبرّج بغبار الفحم بدلاً من مساحيق التجميل".

فظهرت ابتسامة طفيفة على وجه مايزيلي وهي تقول: "لكنها صارت تحافظ على نظافتها أكثر منذ أن أعطيتها هذه الملاحظة".

عندئذٍ، تذكّرتُ يومَ أطلّقت عليّ مايزيلي لقب "القرد الحكّاك" عندما أُصِبتُ بحكّاك شديد نتيجة لدغات البراغيث وأنا في السادسة من العمر. حينها، لم يجرؤ أحد على الاقتراب مني لمدة أسبوعين؛ مع أنني أكّدت للجميع أنّ دائي لم يكن مُعدّيًا. وما زال ذاك اللقب يبعث القشعريرة في بدني حتى الآن.

حينئذٍ، حسمتُ أمري، وقرّرتُ أنّي لا أريد أن تنضم مايزيلي إلى فريقنا. فقلتُ للويلا ساخرًا: "لم يعد ضميري يؤبّبني حيال استثناء مايزيلي من فريقنا".

وردّت عليّ لويلا وهي تشبك ذراعيها على صدرها: "ولا أنا". ثم لفت شيء ما نظرها، وعبسَ وجهها.

فالتفتُ لأعرف سبب عبوسها، ورأيتها تنظر إلى وايات الغارق في عالمه الخاص كالعادة، والذي ينظر شاردًا إلى لافتة على الباب مكتوب عليها "انتبه إلى خطواتك". ثمّ لمعَ شيء ما في يده تحت أشعة شمس الغروب، فلاحظتُ أنّه يلعب بعملة "سكريب" نقدية صغيرة، ويدحرجها بين أصابعه بخفّة يد. وما إن سمعنا صوت المفتاح يدور في قفل الباب حتى اختفت العملة عن الأنظار.

دخل تيببي مع عربة مُحَمَّلة بمستلزمات الطعام البلاستيكية. يبدو أنّ كل شيء على متن هذا القطار مصنوع من البلاستيك. فالعربة والمقاعد والشُوك والسكاكين والملاعق والأكواب والصحون كلّها من البلاستيك... ليسهل عليهم التَّنظيف والتَّعقيم بعد مغادرتنا.

وقال بلوتارك وهو واقف عند الباب: "لقد أعددنا لكم مفاجأة للتحلية".

هذا ما كان ينقصنا! المزيد من المفاجآت.

وقف تيببي بجانب لويلا وسألها: "ماذا تشتهين؟ لدينا شطائر متنوّعة من اللحم المشوي والمقعد والدجاج".

"شطيرة من اللحم المشوي".

"أترغبين في شطيرة من اللحم المقعد أيضًا؟ إنّ طباخنا يضع فيها صلصة وتوابل لذيذة".

"لِمَ لا؟" فناول تيببي لويلا صحنها مع شوكة وسكين ومنديل وقارورة من الليموناضة.

ثم التفت إلى مايزيلي وسألها بجفاء: "ماذا عنك؟"

فأخذت مايزيلي تتأمّل الصينية وما فيها بإسهاب، ثم قالت: "شطيرة من اللحم المشوي. أريد أن تكون شرائح اللحم حمراء غير ناضجة". وفردت منديلها على حضانها بعناية لتحافظ على نظافة فستانها، ثم أخذت ترتب الشوكة والسكين والكوب وقارورة العصير عليها، وبعد ذلك أضافت: "على الأقل، كان بإمكانكم أن تعطونا صينية لنأكل عليها براحة".

ثمّ جاء دوري ودور وايات، فطلبتُ ثلاث شطائر، واحدة من كل نكهة. فأعطى تيببي كلّاً منّا طعامه، ثم انصرفَ مع بلوتارك. ووجدتني أراقب مايزيلي وهي تقطّع شطيرتها بالسكين إلى قطع صغيرة، وتأكلها بالشوكة. من يأكل

شطيرةً بالشوكة والسكين؟ أنا متأكد من أن لا أحد غيرها في كل بانيم، لا في الكابيتول ولا في المقاطعات، يأكل الشطائر بهذه الطريقة. ثم التفتُّ إلى صحتي، وتناولتُ شطيرة اللحم المشوي أولاً. غرزتُ أسناني فيها بنهم، وقضمتُ قزمة كبيرة؛ فتلذذت بطعم اللحم المدخن المملح الزاكي، المُشرب بصلصة خضار مُخلَّلة كتلك التي تعدُّها أمي. إنَّه طعم لا يُقاوم! ثمَّ لمحتُ لويلا ترفع شريحة الخبز العليا من شطيرتها برفق، وتتفقد محتوياتها بعينين فضوليتين.

فقلت لها: "هيا، كُلِّي طعامك!" فشرعت في الأكل. لقد كانت لويلا جلدًا على عظم، فأردتها أن تشدَّ إزارها استعدادًا لساحة القتال.

التهمتُ شطائري التهامًا، وعببتُ الليموناضة عبًّا؛ فتحسَّ مزاجي قليلًا، ورُحْتُ أفكر في مهربٍ يخلِّصنا من هذا المأزق. فخطر لي أن نجرب حطنا، ونقفز من القطار وهو يسير. عاد بلوتارك فيما كنتُ أرسم خطة الهرب في ذهني، وطلب منَّا أن نرافقه إلى عربة الاستراحة والاستجمام. وحين خرجنا إلى الرواق، تفقدتُ الأنحاء بحثًا عن مسرب نجاة، فلم أجده؛ إذ كان جنود حفظ الأمن مُنتشِرين في كلِّ مكان، ومُغلقين كلَّ المخارج.

ذهبنا إلى عربة في الجزء الخلفي من القطار، ودخلنا غرفة جلوس فيها تلفاز مُثبَّت على الحائط يعرض أخبار الكابيتول، ومقاعد بلاستيكية عليها وسائد مُنجدة، فبدت أكثر طراوة ونعومة من المقاعد الزلقة الموجودة في الغرفة السابقة. وما إن استقررنا في أماكننا، حتى بدأت فقرة الأخبار المُتعلِّقة بموجز نتائج القرعة.

حينئذ، قال بلوتارك: "لقد عملتُ على الفقرة الخاصة بالمقاطعة الثانية عشرة طيلة فترة بعد الظهر، ووضعتُ عليها لمساتي الخاصة. وأعتقد أن النتيجة ستحظى بإعجابكم."

ثم دخلت دروسىلا الغرفة وفي يدها كأس طويلة من الشّراب مزينة بالخضار، ومشتت مُتمايلةً بسترتها العسكرية الصفراء.

فأشار بلوتارك إليها بالجلوس: "حزرتُ لكِ مقعدًا بجانبى".

وعلى الفور، ارتمت دروسىلا على المقعد، وسحبت عود كرفس من كأسها، وبدأت تنهشه قائلة: "قُل لي يا بلوتارك، كيف كان شكلى اليوم؟"

"كنتِ مُتألقةً كشابة في الثلاثين، وكانت سيرتك على كلِّ لسان".

فتلعثمت دروسىلا في الكلام وهي تُمرّر عود الكرفس على خدها: "الغالى ثمنه فيه". ثم أشارت بإصبعها إلى التلفاز وانفجرت ضاحكة: "لا أصدّق ما أراه! لم يحالف الحظ جوفينيا في هذا الطقس الغائم وهذه الإضاءة الرديئة. ألا تبدو الأميرة المتعطرسة شاحبة كالأشباح؟"

كانت جوفينيا امرأة صغيرة الحجم، تنتعل حذاءً ذا كعبٍ عالٍ طوله ست بوصات، وترتدي ثوبًا زهريًا مُرقطًا. وبعد أن أعلنت عن أسماء مجالدى المقاطعة الأولى، توالّت مشاهد الحصاد في جميع المقاطعات؛ واحدة تلو الأخرى. وعددتُ أربعة وأربعين مجالدًا من المقاطعات الأخرى؛ اثنتين وعشرين شابةً واثنتين وعشرين شابًا من كل الأشكال والأحجام والقامات. وكالعادة، لم يُخَيَّب مجالدو المقاطعات الأولى والثانية والرابعة ظنّي؛ إذ إنهم يلقّبون بـ "المجالدين المحترفين" لأنهم يتدربون على القتال، ويستعدون للمشاركة في مباريات الجوع منذ نعومة أظفارهم. ولمحتُ بين المجالدين من المقاطعات الأخرى عددًا من أقوىاء الساعد ومفتولي العضلات، وعددًا مماثلًا من الضعفاء الهزلى، فتعادلت كفتا الميزان. وعندما وزننتُ نفسي عليه، تبين لي أنني لم أكن من أقوى الأقوياء ولا من أضعف الضعفاء، وإنما بين بين. والفضلُ في ذلك يعود إلى أكياس الحبوب التي أنقلها لهاتي يوميًا. لكنني لم أصل بعدُ إلى برِّ الأمان؛ فبعض أولئك المجالدين المُحترفين قادرون على سحقي كما تُسحق الحشرة تحت الأقدام. وحليفتي في القتال ما هي إلا طفلة صغيرة لم يشتدَّ عودها بعد.

ثمّ حين اعتلى شاب ضخم قوي البنية المسرح في المقاطعة الحادية عشرة، قالت دروسيلًا: "إن لم تسعفكم أقدامكم، فاستعدوا للأسوأ". ولم تنطق بهذه الكلمات بلوّم أو سخرية، وإّما بنبرة جادّة تقشعرّ لها الأبدان.

فعلّق بلوتارك على كلامها بالقول: "ليست البنية الجسدية والقوة العاملين الوحيدين للفوز في هذه المباريات. فللذكاء والدهاء والمهارة دور في المعادلة. وأعطوا الحظّ حقه أيضًا؛ فقد يُرَجَّح كفة الضعيف على القوي في طرفة عين". وصمت قليلًا ثم أضاف: "سيشرح لكم مرشدوكم كلّ هذه التفاصيل".

المرشدون، العقل المُدبّر، الدرع الحامي، المنارة التي تنير درب المجالدين وتقودهم نحو الفوز في مباريات الجوع... تقع مسؤولية الإرشاد في العادة على عاتق الفائزين في الدورات السابقة من مباريات الجوع، فيحصل كل المُجالدين على مُرشدين؛ كلّ من مقاطعتهم... كلّهم ما عدا مجالدي المقاطعة الثانية عشرة؛ لأنّ مقاطعتنا هي الوحيدة التي لم يبقَ فيها أي فائز حي.

فعلى مدى السنين الخمسين الماضية، ما فاز من مقاطعتنا إلّا شخصٌ واحد فقط؛ شابة ضاعت قصّتها في مهبّ الريح. فقد مرّ دهر على فوزها. وفي ذاك الزمن، كان التلفاز رفاهية لا ينعم بها سوى عدد صغير من سكان المقاطعة الثانية عشرة، وكان الناس يتناقلون أخبار مباريات الجوع والمجالدين من لسان إلى لسان، فطلّت الفائزة من المقاطعة الثانية عشرة مجرّد قصة تتناقلها الألسن إلى أن محاها النسيان، ولم أر لها أي أثر في تسجيلات المباريات السابقة. إذ نادرًا ما يعرض الكابيتول تسجيلات المباريات الأولى؛ بحجة أنّها لا ترقى إلى مستوى الإنتاج والإثارة والتشويق الذي اعتاد عليه الجمهور. إنّ قصة هذه الشابة تعود إلى ما قبل ولادة والدّي، حتى إنّ جدتي لا تعرف عنها ما يُذكر. وكلّما سألتُ لينور دوف عنها، رفضت الإجابة وغيّرت الموضوع.

سألت بلوتارك: "من هم مرشدونا؟"

"لم يُحسَم الأمر بعد. ما زالت المشاورات جارية لاختيار مُرشدِكُم من بين الفائزين المُتَبَقِّين الذين لم يُكَلَّفُوا بإرشاد مجالدي مقاطعاتهم. ولا داعي للقلق، فالأسماء المطروحة تتضمَّن بعض المرشحين اللامعين".

قد يكون المرشحون لامعين، لكنهم لن يُلَطَّخُوا أيديهم بدماء أبناء مقاطعاتهم وبناتها، كما لن يسوِّدوا وجوههم أمام أهلهم وأنسبائهم بمساعدتهم في قيادة أحد مجالدي المقاطعة الثانية عشرة إلى النصر. ففي معظم المباريات السابقة، توارى مُرشدو مجالدي مقاطعتنا بعيدًا عن الأنظار، وما عرفنا أشكالهم ولا حتى أسماءهم. فلنواجه الحقيقة، نحن وحدنا.

ثم زعقت دروسيلًا: "حانت اللحظة الحاسمة. فإمَّا أن تُكْرَم أو تُهان".

جاء دور المقاطعة الثانية عشرة، وتوالت المشاهد التي تقرَّر فيها مصيرنا نحن الأربعة.

فطمأنها بلوتارك: "لا تقلقي، سنُكْرَم. لقد اجتزنا الامتحان بتفوّق".

شعرتُ بمزيج من الدهشة والاشمئزاز وأنا أتابع المشاهد تنتقل بسلاسة من مايزيلي إلى وايات ثم إليّ من دون أي أثر لحادثة إطلاق النار على وُذباين والفوضى العارمة التي تلتها، وكأنَّها لم تكن. فها هي دروسيلًا تعلن عن اسمي، وها أنا أصعد إلى المسرح وأمي تشهق وسيد يبكي ولينور دوف تضع يدها على فمها.

فقلتُ: "ليس هذا ما حدث!"

وأجابني بلوتارك: "لم نتلاعب بأيّ من المشاهد التي رأيتموها ولم نزيّفها؛ إذ لم يسمح لنا الوقت بذلك. كلُّ ما فعلته هو أنّني خلّطت أوراق اللعب وكدّسْتُها لصالحكم".

فسأله لوبلا: "ماذا تقصد؟"

وقبل أن يردّ عليها بلوتارك، أجاب وايات الذي لم يكن قد نبس بنت شفة منذ أن غادرنا المقاطعة: "لقد أعادَ ترتيب المشاهد التي صوّرها ليحسّن صورتنا أمام الجمهور، ويعطينا فرصًا أفضل للنجاح".

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه بلوتارك وقال: "هذا صحيح!"

وبدت علامات الارتباك على وجه لوبلا وهي تقول: "أتقصد... كما يفعل الناس في ألعاب الورق؟ ألا يعتبر هذا غشًّا؟"

"ليس تمامًا. اسمعوني جيّدًا، علينا أن نستميل تعاطف الممولين. وما كنّا لننجح في ذلك لو رأى الجمهور تطاير أشلاء ابن عائلة تشانس، وهلع الناس، وتدخّل جنود حفظ الأمن لتهدئة الوضع، وهجوم هايميتش على أحد الجنود..."

فقاطعته مُعترِصًا: "لم أهاجم أحدًا. لقد اعتدى الجنود على حبيبتني، فحاولتُ أن أحميها منهم".

وقالت دروسيل: "لا يهم؛ فالنتيجة واحدة. وبطبيعة الحال، لا يحق لك التدخّل في شؤون جنود حفظ الأمن".

وأكمل بلوتارك حديثه قائلاً: "أنا أحاول أن أسلّط الضوء على محاسنكم".

فحوّلت مايزيلي عينيها وقالت: "مثلما نفعل في متجرنا عندما نبيع الزبائن حلوى المارشميلو البائتة على أنّها علكة بسعر أعلى".

فنظرتُ إليها بطرقتي عينيّ مُتجَهِّمًا لأنني من الأشخاص الذين انطلت عليهم هذه الحيلة أكثر من مرّة.

وقال بلوتارك: "دعكم من السلبيات، وركّزوا على الإيجابيات".

ثمّ أضافت دروسيلّا: "فبدلاً من أن يرى الجمهور أربعة أبغال مسعورة من المقاطعات تكره الكابيتول..."

وأكمل بلوتارك الجملة عنها: "... سيرى أربعة شبّان فاتنين يعتلون المسرح وسط هتافات سكان مقاطعتهم وتصفيقهم الحار".

فقالّت دروسيلّا: "يجب أن تشكروا بلوتارك على ما فعله لكم. فبفضله، لن ينفر الجمهور منكم. وهذا بحد ذاته إنجاز، حتى لو لم يحالفكم الحظ في استقطاب المموّلين. فقد ألبسكم حللاً جديدة، وأبرزكم بمظهر حسن".

وردّت عليها مايزيلي بنبرة ساخرة: "ألا تقصدين أنّه أبرز الكابيتول بمظهر حسن؟ فبفضله، بدوتم أكفّاء مع أنّكم لم تتمكنوا حتى من سحب بضعة أوراق من كرة زجاجية من دون التسبب بكارثة".

وأجابها بلوتارك: "أعتقد أنّ إخفاء ما جرى اليوم يصبّ في مصلحتنا جميعاً. وقد سبق أن استدركت الأمر كما رأيتم، وأبقيته طي الكتمان".

أنا لعبة في أيديهم وأيدي الكابيتول. سيلعبون بي قليلاً للترفيه عن أنفسهم، ثمّ سيتخلّصون منّي عندما يسأمون، ويدفنون الحقيقة؛ فلا مكان لها هنا. لكنني أرى الحقيقة وراء الوهم. إذ إنّ تصرّفات بلوتارك، وشطائره الفاخرة، ولطافته، ومودّته، ومخالفته أوامر دروسيلّا ليسمح لي بوداع عائلتي؛ كلّها خطوات مدروسة للسيطرة عليّ. فاللّعب الراضية تؤدّي دورها من تلقاء نفسها، أمّا الغاضبة فتقاوم وتعضُّ الأيدي التي تحاول أن تُحرّكها، فتشوّه المسرحية. ولهذا، سيغمرنى بحبه ودلاله ليقودني إلى ساحة القتال ويحصل على لقطاته المنتظرة.

ثمّ فُتِحَ باب غرفة الجلوس بقوّة، وظهر تيبّي حاملاً كعكة ذكرى ميلاد كبيرة عليها ست عشرة شمعة، كأنّما جاء ليُثبِت صحّة تفكيري.



في المنزل، نحن لا نحتفل بذكرى ميلادي بتناول كعكة. إذ إنني لا أرضى بتناول الكعكة في يوم الحصاد، كما لا ترضى أمي بتناول كعكة ذكرى ميلادي من دوني. ولهذا، صارت تكتفي بإعداد فطور مميّز بمناسبة ذكرى ميلادي، كخبز الذرة مع المربي، وتؤجّل الكعكة ليوم رأس السنة.

كانت تبدأ بتأمين المكونات قبل شهور من رأس السنة، فتضع ما تحتاج إليه من شرائح التفاح المجفف وشراب الذرة والدقيق الأبيض جانبًا، وتشتري الزنجبيل والقرفة وأيّ توابل أخرى على مراحل من صيدلية عائلة مارش لأبّها باهظة الثمن. وقبل يومين من اليوم المنشود، تُعدّ حشوة التفاح، وتخبز ستّ كعكات رقيقة، ثم تبدأ بالتكديس والدهن. فتدهن إحدى الكعكات ببعض الحشوة، ثمّ تضع كعكة أخرى فوقها وتدهنها بالحشوة، ثمّ تضع أخرى فوقها، وهكذا دواليك حتى تنتصب أمامها كعكة شاهقة مؤلّفة من ست طبقات، فتلقّها بمنشفة، وتضعها جانبًا ريثما تمتصّ الكعكة حشوة التفاح تدريجيًا وتتشرّب طعمها الحلو. وفي أمسية رأس السنة، تصبّ لكلّ منّا كوبًا من اللبن الرائب، ونأكل معًا ملء بطوننا من الكعكة.

لكن الكعكة المزيّنة بالورود المسكّرة الفاخرة التي أراها أمامي الآن لا تمتّ إلى كعكة أمّي بصِلّة، والشموع تفوح منها رائحة الكابيتول النتن. ومع أنّ الأغنية التي يغنيها تبيي مع جنود حفظ الأمن شائعة في المقاطعة الثانية عشرة،

إلا أننا لم ننشدها يوماً في منزلي في مثل هذا اليوم، لأنها- كالكعكة- لا تليق
بالمناسبة.

ذكرى ميلاد سعيدة

لشخص مميّز جدّاً

وتمنّياتنا الصادقة لسنة تعود عليك بالخير

ذكرى ميلاد سعيدة يا هايميتش!

وما زاد الطين بلّة هو المصوّر الذي خبّأ كاميرته وراء كتف تبيي ليصوّر
ردّة فعلي خلسة. لا ريب في أنّ بلوتارك يريد أن يصوّر امتناني وفرحتي بهذه
المفاجأة لينشرها في كل أنحاء بانيم. والرسالة واضحة: انظروا كيف تُحسِن
معاملة المجالدين في الكابيتول، وكم تتسامح مع أعدائنا، وكم يعلو شأن
الكابيتول في تعامله الرّاقى مع البغال القادمة من بوّر موحلة.

رأيتُ مشاهد مُصوّرة من هذا النوع من قبل، وهي مشاهد يُعامل فيها
المجالدون كحيوانات أليفة مُدلّلة، ويحظون بمَن يصفّ شعرهم ويُطعمهم
ويمدّحهم، فيُغريهم الاهتمام والانتباه، ويقعون في الفخّ، ويتصرّفون بطريقة
تخدم مصالح الكابيتول ودعاياته. وقد تساعدهم تصرّفاتهم هذه على استقطاب
عدد أكبر من الممولين، إلا أنّها تُفقدهم حظوتهم لدى سكّان مقاطعتهم.
وهكذا، إن فازوا في مباريات الجوع وعادوا إلى الديار، لن يجدوا موكباً
يستقبلهم في الأحضان.

"لا تسمح ليهم بأن يستغلوك يا سارشي. لا تسمح ليهم بأن يكتبوا
أكاذيبهم وشعاراتهم ويزيّنوها بدمائك. ابذلي كل ما في وسعك لمنعهم".

هذا ما قاله أبي لسارشي في قصر العدل ذاك اليوم. هذه هي الوصايا التي طلبت مني أمي ألا أنساها. فقد طلبت مني أن أتمسك بهذه الكلمات بعد أن أذنت لبلوتارك بأن يستغلها هي وسيد. إذ لم يكن في وسعها أن ترفض مطالبه فخضعت له، لكنها طلبت مني أن أكون أقوى منها، وألا أحمي هامتي لهم.

لقد أمسك بلوتارك بعائلتي في لحظة انكسار، واستغل رجاءنا أن نحظى بحضن أخير ليتحكم بأمي وسيد. إنما ما عاد له سلطان علي. لذا، نهضت من مكاني وأنا أوازن بين الخيارات المتاحة أمامي. يمكنني إما أن أرمي الكعكة على الأرض، أو أن أتخّم وأبصق عليها، أو أن أمرغها في وجه تيبى الغبي. لكنني اخترت أن أقتدي بمايزيلي وأتصرف مثلها، فأدرت لهم ظهري وذهبت إلى النافذة.

ورأيت انعكاس تيبى على زجاج النافذة، فبدا وكأنه فقد حماسه، وقال: "الكعكة محشوة بالأناناس".

فهزرت رأسي يمينًا ويسارًا.

ثم قال بلوتارك: "لقد أخطأت التقدير. خذ الكعكة من هنا يا تيبى. أنا آسف يا هايميتش".

هل اعتذر مني؟ هل حقًا اعتذر مني رجل من الكايبتول؟ عندئذ اتضح الصورة: إنه يمثل ويتظاهر بأنه يراني كإنسان يستحق الاعتذار؛ هذه إحدى حيله الجديدة للتحكم بي، فتظاهرت بأنني لم أسمع.

لكنني شعرت بغصة وامتعضت من الكعكة. فما كان ينقصني إلا تذكير فح من الكايبتول يذكرني بأن هذا هو اليوم الأخير الذي أحتفل به بذكرى ميلادي. وكان وايات ولوبلا ومايزيلي أيضًا بغنى عما يذكرهم بأنهم لن يحتفلوا بذكرى ميلاد أخرى. ومع أنهم لا يدينون لي بشيء، إلا أنني ممتن لهم لأنهم تضامنوا معي ولم يطلبوا قطعة من الكعكة.

وبعد أن انسحب وفد حفلة الميلاد مع الكعكة وتمنيات الكابيتول الزائفة، قال بلوتارك: "فلنعد إلى صلب الموضوع. سيحصل كل منكم على مُرشِد خاص، وسيتمّ تعيين مُصمّم أزياء واحد للمقاطعة الثانية عشرة للاهتمام بكم جميعًا".

فهمت دروسيلا: "خير البر عاجله؛ فإيهم في حالة يرثى لها". ثم تأملت فستان لويلا القطني المُخطَّط بازدراء. "أين تجدون هذه الملابس القبيحة؟" وردّت عليها لويلا ببرودة أعصاب دفاعًا عن نفسها: "أمي تخيِّطها لي. ماذا عن ثيابكِ أنتِ؟"

لكن مايزيلي هي مَنْ وَجَّه الضربة الموجهة: "أنا أيضًا يهمني أن أعرف أنّي لك هذه الثياب يا دروسيلا! إذ لم أكن أعلم أنّ قوات حفظ الأمن في الكابيتول تشمل كتيبة من الصيغان والكتاكيث... كلُّ ما ينقصك هو منقار أصفر ليكتمل المظهر".

فصاحت دروسيلا وهي تنهض عن مقعدها: "كيف تجرئين؟" وإذ بها تفقد توازنها، وتهتّر على كعبيها العاليتين وتكاد تقع، ثم تثبتت قدميها وتستقيم.

عندها، وجَّهت لها مايزيلي الضربة القاضية، مُغلِّفةً إهانتها اللاذعة بصوت بريء: "زويدك، رفقًا بنفسك. ما عادت أحذيتك العالية تناسب سيِّتك. يُستحسن أن تعتزلي المرتفعات قبل أن تعتزلك".

فصفعتها دروسيلا على خدّها بقوة، وما كان من مايزيلي إلّا أن ردّت الصفعة بصفعة عنيفة أقوى منها أوقعت دروسيلا على المقعد الذي نهضت عنه منذ لحظات قليلة، فتجمّد الجميع في أماكنهم. وتخوّفت من عواقب هذه الحادثة. تُرى، هل سيقتلونا هنا الآن؟

وصاحت مايزيلي وقد انطبع كفّ دروسيلا على خدّها: "إيّاكِ أن تضربيني مرة أخرى!"

فحاول بلوتارك أن يهدّي الوضع: "لِمَ لا تأخذان نفسًا عميقًا؟ لقد مررنا بيوم عصيب، وتوتّرت أعصابنا جميعًا. فما رأ..."

وإذ بدروسيلّا تثب كمن لدغه عقرب، وتنتزع السوط المعلق على حذائها، وتنقضّ على مايزيلي وتجلدها بعنف. فصرخت مايزيلي من الألم، ورفعت ذراعها لحماية رأسها، وإثما ظلّت الضربات تنهال عليها بغضب وطرحتها أرضًا.

فصاح بلوتارك: "توقّفي يا دروسيلّا! توقّفي! ماذا تفعلين؟ لدينا جلسة تصوير غدًا!" ونادى الجنديين الواقفين في الرواق لإبعادها عن مايزيلي.

وقالت دروسيلّا وهي تلتقط أنفاسها: "يا لك من مخلوقة حقيرة ووضيعة! سأجعلك ثلاقين أجلك قبل أن تطأ قدماك ساحة القتال".

لم تُعر مايزيلي أي اهتمام بالكدمات التي بدأت ترتسم على ذراعها وعنقها؛ مع أنني لا أظنّها ذاقت طعم الكفّ في حياتها، فما بالك بطعم السوط. وأنا نفسي لم أتعرض للضرب إلاّ عندما كانت جدتي تصفني على رأسي للفت انتباهي لا لإيذائي. نهضت مايزيلي عن الأرض ببطء، مُتّكئة على الجدار لتستعيد توازنها، وردّت على دروسيلّا: "دعك من التهديدات الفارغة؛ فليست في يدك حيلة. أنتِ لستِ مُصمّمة مباريات، ولا حتى مُصمّمة أزياء. أنتِ مجرد جليسة أطفال مسؤولة عن أسوأ مقاطعة في بانيم لا أكثر".

ويبدو أنّ مايزيلي قد ضربت على وتر حسّاس؛ إذ انخصّت دروسيلّا هنيهة، ثم أجابت: "وأنتِ ذاهبة إلى الموت المحتم، وستموتين موتة دامية وأليمة".

فضحكت مايزيلي ضحكة صفراء قائلة: "أنتِ مُحقّقة، سأموت على الأرجح. لكنني إن نجوت، فسأصبح من الفائزين في المباريات الربعية، وسأكتسب شهرة. أما أنتِ، فستبقين على حالك مهما حدث".

عندها، ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه دروسيلا وقالت: "أتمنى أن تفوزي في المباريات الربعية؛ فالعذاب الذي يأتي بعد الفوز أسوأ من عذاب الموت. أنت تجهلين ما يحمله المستقبل في طياته". ثم عرجت نحو الباب.

وقالت مايزيلي: "كانت جدّتي تملك سترة كسترتك، لكننا لم نكن ندعها ترتديها خارج المنزل".

فانقبض وجه دروسيلا، وغادرت مع ما تبقى من كرامتها.

عمّ صمت مُطيق في القاعة بعض الوقت، ثم قال بلوتارك: "قد تبدو دروسيلا سخيفة في بعض الأحيان، وإنّما عليكم أن تحكّموا عقولكم. أنتم وحدكم. فما من مُرشدٍ من المقاطعة الثانية عشرة. ومُصمّ الأزياء مسؤول عن مظاهركم وثيابكم فقط. ولهذا، إنّ دروسيلا هي حليفتكم الوحيدة في الكابيتول؛ هذا هو الواقع. لذا، فكّروا مليّاً قبل أن تُفسدوا علاقتكم بها". ثمّ غادر الغرفة وأغلق الباب وراءه برفق.

سألث مايزيلي: "هل أنت بخير؟"

فقالت: "في أحسن حال". وأخذت تتحسّس كدماتها بتأنٍّ وحذر، فغصّت عيناها بالدمع.

أحزنتني حالتها، لكن وقفها في وجه دروسيلا أثارت إعجابي؛ إذ لم تُبدِ أي رغبة في تملّق ممثلي الكابيتول، وإنّما عاملتهم كما تُعاملنا. وكأنا كلّنا أجمعين أدنى من مقامها. فقلّث لها: "أنا أدير لهم خدّي الأيمن بعد مهزلة الكعكة، وأنتِ تكشّرين عن أنيابك وتنقضّين على دروسيلا كقط بريّ".

فارتسمت ابتسامة خجولة على وجهها وهي تقول: "أنا لا أسكت عن الجرائم التي تُرتكب بحق الموضة والأناقة".

حينئذ، قالت لويلا: "كما رأينا بأّم العين منذ قليل".

وأضافت مايزيلي: "كان لا بدّ من إخبارها بالحقيقة عن ملابسها الشنيعة وإعادتها إلى أرض الواقع. ودعك ممّا قالت عن فستانك يا لويلا، فهو جميل حقًا. أمك خياطة ماهرة".

وتبادلت الفتاتان نظرات ودّية، فشعرتُ بأنّ الثلوج بدأت تذوب بينهما. وقالت لويلا: "رأيي من رأيك".

وقفت جنديّة عند عتبة الباب، وأشارت لنا بيدها لنلحق بها، فتبعناها إلى غرفة فيها أربعة أسرّة- كل اثنين فوق بعضهما وقد تُبِّتتا بالجدار- وبابٌ يؤدي إلى حجرة صغيرة فيها مرحاض ومغسلة. وقالت لنا: "وضعنا لكم المناشف وفراشي الأسنان في الحمام. وجهّزنا لكلّ منكم سريرًا خاصًا".

ثم نظرت إلينا وكأّتها تنتظر منّا أن نشكرها على كرم الكابيتول وحسن ضيافته، فقالت مايزيلي: "الجو خانق في الغرفة. أشمّ رائحة نتنة كرائحة الملفوف المطبوخ".

وردّت عليها الجنديّة وهي تغادر وتقفّل باب الغرفة: "كفّي عن التذمّر. فقد كان المجالدون ينامون في عربة المواشي في السابق".

وجدنا ألبسة النوم على الأسرّة، فأخذ كلُّ منّا اللباس الأنسب لمقاسه، ثم دخلنا الحمام بالتناوب وبدّلنا ملابسنا، وأوينا إلى أسرّتنا. وعلى الفور، انسدلت الستائر من السقف تلقائيًا وحجبت النوافذ، وخفتت الإنارة المُنبعثّة من المصابيح المُعلّقة فوق الباب، فغرقت الغرفة في عتمة شبه حالكة. وسرعان ما غفا وايات وعلا شخيرها، وتبعته لويلا بعد فترة. أمّا مايزيلي فجلست على السرير العلوي مقابل سريري، وأخذت تمسح كدماتها بقطعة قماش مُبلّلة، فيما تمدّدت على فرشتي، وحدّقت إلى السقف، مُسترجعًا أحداث اليوم لعنّي أستوعبها.

ثمّ التفت أصابعي حول قدّاحة الصّوان المتدلّية من عنقي، وتبادر إلى ذهني منظر لينور دوف وهي تصرخ بملء رئتيها تحت المطر، فتمزّق قلبي ألمًا

من جديد. فأطبقْتُ أجفاني، وسعيتُ بخيطِ الود والشوق نحوها، مَدفوعًا بيقينٍ ثابتٍ أُنْهَى في الطرف الآخر تسعى بالخيط نفسه. وإذ بصوتها يغمرنى ويغني لي مَقْطَعًا من قصيدة الفتاة التي تحمل اسمها.

حَدَّقْتُ إلى أسداف الدُّجى طويلًا، أناجيتها مُتسائلاً، مُتوجِّسًا، مُرتابًا،

حَالِمًا أحلامًا لا يجرؤ بشر سواي على خوض غمارها أبدًا،

إِثْمًا ظَلَّتِ الظُّلال ساكنةً، وما اخترق سكينه الليل

إِلَّا همسة خافتة تحمل نداءً مُرتجى وقعه "لينور؟"

أعرف كلمات هذه الأغنية عن ظهر قلب. إذ كنتُ قد حفظتها لأغنيها للينور دوف في ذكرى ميلادها في شهر ديسمبر الماضي. ولم يصعب عليّ حفظها، فهي- بحسب تعبير لينور دوف- "دودة أذن" تتسلل إلى الذهن وتستقرّ فيه من دون استئذان؛ لتروي لك قصة شجيّة، فيأسرك لحنها الساحر وإيقاعها الموزون في دوامة لا نهاية لها. غنيتُ هذه الأغنية للينور دوف في بيت قديم قرب البحيرة، ونحن نشوي حلوى المارشميلو اليابسة على نار مشتعلة في الهواء الطلق. كُنَّا قد هربنا من المدرسة في ذاك اليوم... ولم نسلم من العقاب. لكن نزهتنا الصغيرة استحققت العناء؛ فقد قالت لي لينور دوف إنّ الأغنية أجمل هدية حصلت عليها في حياتها.

همسة هَمَسْتُهَا في الدُّجى أعادها إليّ الصدى مُرَدِّدًا "لينور!"

"ما هذا؟"

حاولتُ أن أتجاهل مايزيلي.

مجرد همسة وصداها ليس إلا.

لكنها كررت سؤالها: "ما هذا الشيء المعلق حول عنقك؟"

انقطع غناء لينور دوف، وتلاشت صورتها من ذهني، فالتفتُ إلى مايزيلي التي كانت تحدق إليّ بعينين فضوليتين جاحظتين في العتمة.

وأجبتها: "هدية ذكرى ميلادي... من حبيبتي".

"هل تسمح لي برؤيتها؟ فأنا أجمع الحلّي".

العزّ والرخاء نادران في المقاطعة الثانية عشرة، لكن السيد دونر يدلّل ابنتيه ولا يبخل عليهما بشيء. فقد أخبرتني لينور دوف ذات مرّة أنّه أهداهما في ذكرى ميلادهما الثالثة عشرة مشبكين من الذهب الخالص صاغهما تام أمبر لوالدة السيد دونر على شكل طائرين منذ أكثر من ثلاثين عامًا. فشعب كوفي يحبّ الطيور. لم أر هذين المشبكين بنفسي، إلّا أنّني سمعتُ أنّ ميريلي حصلت على مشبك طائر طنان وأوقعته في بئر حالما حصلت عليه، وأنّ مايزيلي حصلت على مشبك طائر مقلّد لم يعجبها لأنّه بنظرها مخلوق قبيح، فثارت ثائرتها، وأصرّت على تام أمبر ليحوّله إلى كائن جميل، كفراشة مثلاً. وحين رفض طلبها، رمت المشبك في دُرج ولم تضعه قطّ.

استشاطت لينور دوف غضبًا حين سمعت ما حدث بالمشبكين؛ لأنّ مايزيلي وميريلي لا تُقدّران ولا تستحقّان فنّ تام أمبر وحرفته، وظلّت تتوعّد باقتحام بيت عائلة دونر لسرقه مشبك الطائر المقلّد، حتى أقنعتها أنا وبوردوك بالعدول عن الفكرة. إذ لم يبدُ لنا أنّ تورّط لينور دوف في عملية سطو بعد فترة قصيرة من اعتقالها الثاني خطوة ذكية. لكنها لم تنس، ولم يتلاش غضبها.

فما زال الموضوع يستفّرُّها ويضايقها. وأنا متأكّد من أنّها ما كانت لتسمح لمايزيلي بأن تضع مخالبتها الملوّنة على قلاذتي.

فقلتُ: "إنّ القلاذة عزيزة على قلبي، وأفضّل ألاّ أخلعها أبدًا. كما أنّها ليست قلاذة فعليّة".

فلم تلجّ عليّ أكثر، بل أومأت برأسها بصمت، وعلّقت قطعة القماش المبللة على طرف السرير، ثم اندسّت تحت لحافها، واستدارت نحو الحائط. قرصني البرد بسبب هواء المكيف المثلج، فتدثّرت جيّدًا بلحاف الكابيتول الخشن الذي تنبعث منه رائحة مواد كيميائية، وغمرني الحنين إلى لحافي القطني المُرَقَّع الذي كانت أمّي تنشره في الشمس يوم الأحد من كل أسبوع؛ حين يخفت ضجيج المنجم وتصفو السماء من السخام، فيتشرّب القماش دفءَ النهار ويعبق برائحة الهواء النقي. آه، كم اشتقتُ إليك يا أمي... وأنت أيضًا يا سيد...

لم أتوقّع أن يغلبني التّعاس، لكن أحداث اليوم استنزفتني حتى العظم، وسحبتني هدهدة القطار الرتبية إلى حالة نصف واعية بين اليقظة والنوم، ثم أثقلت أجفاني فاستسلمتُ للتعب. وبعد بضع ساعات، استفتقتُ على حين غرّة على يد لوبلا تهزّ ساقي.

وهمست لي بصوت أعلى من شخير وايات لأسمعها: "هاي، يا هاي!"

فأثكأْتُ على مرفقي، ونظرْتُ إليها بعينين مُثَقَلَتَيْن من النوم: "ماذا يحدث؟"

فقلت لي بحزم: "لا أريد وايات في فريقنا. لا أريده. أسمعْت؟"

"وايات! لم لا؟ يبدو قويًّا و... " فما كان منها إلّا أن قاطعتني قائلة: "لأنّهُ وعائلته- ولا سيّما أباه- يديرون أمورًا غير قانونيّة في مقاطعتنا، إنهم وكلاء لألعاب الحطّ".

وكلاء ألعاب الحظ هم عمال مناجم يلبّون رغبات من يريدون الترفيه عن أنفسهم في المقاطعة الثانية عشرة. فينظّمون مباريات مختلفة، ويحتّون الناس على المشاركة فيها؛ بدءًا من مصارعة الكلاب، ووصولًا إلى مباريات الملاكمة، ومباريات في ألعاب النرد والورق وغيرها... في مرأب قديم خلف سوق الهوب السوداء، ويحصلون بالمقابل على المال من المشتركين. وحين تتوتّر الأجواء مع جنود حفظ الأمن- كما حدث ذات مرة حين أُضِرمت النار في إحدى مركباتهم- يتوارى وكلاء ألعاب الحظّ عن الأنظار بعض الوقت، ويحصرّون أنشطتهم في الأزقة الخلفية والمباني المهجورة.

لست من محبي هذه الألعاب، ولو سمعت أمّي أنّني أهدر نقودي عليها فستقتلني من دون أن يرفّ لها جفن. كما أنّني لا أفهم أصلًا ما يستهوي الناس في تلك الألعاب. أليست الحياة نفسها لعبة حظّ قاسية؟ فما حاجتي إلى المزيد؟ على أي حال، إن شاء الناس تبديد أموالهم لمشاهدة مثل هذه تفاهات، فليفعلوا ما يشاؤون.

فأجبت لويلا: "ليس من حقي أن أحكم عليه، فأنا أيضًا أعملُ عملاً غير قانونيّ وأبيع الشراب بطريقة غير قانونية. ثمّ ألا ينغمس كايسون في ألعاب النرد؟"

كايسون هو شقيقها الأكبر الذي يقضي نهاره في المنجم، وليله في مطاردة ما تشتهي نفسه وتمتّع به عيناه.

فهزّت رأسها يمينًا ويسارًا بسرعة قائلة: "لا يهمني أنّ عائلة وايات تنظّم ألعاب الحظّ غير القانونيّة، بل إنّ ما يقلقني هو أنّها ممّن يستفيدون من مباريات الجوع".

ثم فهمت مقصدها. ففي هذه الفترة من كلّ عام، يتولى وكيلان أو ثلاثة تشجيع الناس على جني المال من خلال استغلالهم المجالدين في مباريات الجوع، ويستمرّ الأمر طوال فترة المباريات، ويشمل ذلك تشجيعهم على توقّع

الأسماء التي سُسْحَبُ في القرعة، وأعمار المجالدين، وعدد الأوراق التي تحمل أسماءهم في الكرة الزجاجية، وما إذا كانوا من سكان السيم أو البلدة، وفرصتهم في النجاة واحتمال موتهم، واسم الفائز... وفي حال نجحت توقعاتهم يجنون بعض المال. ويُفْتَرَضُ أن تكون هذه الألعاب غير قانونية، إلا أن جنود حفظ الأمن لا يكثرثون لأمرها لأنها تشبه ما يحصل في الكابيتول. وفي حين أن معظم وكلاء ألعاب الحظ يناون بأنفسهم عنها لأسباب إنسانية، يغتنم بعضهم الفرصة لجني أرباح وفيرة، وأولئك القوم لا ذمّة لهم ولا ضمير، ولا يمكن الوثوق بهم.

فسألت لويلا: "هل أنت متأكّدة من أن وَايات وكيل ألعاب؟"

"لقد تأكّدت من الأمر عندما رأيته يلعب بعملة "السكريب" النقدية بخفة يد. فقد أخبرني كايسون ذات مرّة أن كل وكلاء ألعاب الحظ يستخدمون إشارات خفية لإعلام جمهورهم بأن إحدى المباريات على وشك البدء؛ وذلك من دون إثارة الشبهات".

"كما أنه معتاد على التعابير المتعلقة بمثل هذه الألعاب. فقد فهم ما قاله بلوتارك عن خلط الأوراق وتكديسها على الفور".

"وفي إحدى المرات، عندما سمع كايسون اسم السيد كالكو بصق على الأرض، وقال إنه لا يتعامل مع أشخاص يتاجرون بدماء الأطفال".

يا لسخرية القدر! تاجر بدماء الأطفال فسُحِبَ اسم ابنه في القرعة. فتذكّرتُ تهافت أفراد عائلة كالكو نحو وَايات في الساحة، وعدم تمكّنهم من توديعه. غير أنني لم أعد أستطيع التعاطف معهم بعد كل ما اكتشفته. "هل تعتقدان أن وَايات ساعد والده في جمع المال على قرعتنا؟"

"نعم".

"أنا أيضًا. فوكلاء الألعاب يُبقون أعمالهم في كنف العائلة، ولا يُشركون الغرباء. لذا، أتفق معك يا لويلا. لا أريد وايات في فريقنا. هيا، عودي إلى النوم".

طلبت من لويلا أن تنال قسطًا من الراحة، لكنني بقيتُ صاحيًا. وحين فُتحت الستائر عند الفجر، حدقتُ من النافذة لأجد جبالًا غريبة عني. ما أمر طعم الاستيقاظ في مكان لا تعرفه ولا يعرفك. ثرى، ما الذي يحدث في جبال ديارى؟ هل تُعدُّ هاتي دفعة جديدة من الشراب؟ وهل تغسل أمي الغسيل بدموعها؟ هل يملأ سيد الخزّان تحت سماء صافية لا غيوم فيها؟ هل ما زال الإوز يحرس قلب لينور دوف ويحميه؟ ثرى، إلى متى سيبيكيني أحبائي؟ إلى متى سأظل حيا في ذاكراتهم قبل أن أصبح في طي النسيان؟

أطل بلوتارك برأسه من الباب، ودعانا لتناول الفطور بصوت بشوش ومُبتهج؛ وكأن شيئًا لم يحدث مساء البارحة. فارتدينا ثيابنا واتجهنا إلى غرفة الجلوس، حيث وجدنا بانتظارنا شطائر البيض واللحم المقدد والليموناضة. وطلبت مايزيلي فنجاءًا من القهوة؛ وهو مشروب الأغنياء في مقاطعتنا، فصبت تبيي القهوة لنا جميعًا. غير أنّ طعمها المر لم يعجبني على الإطلاق.

وظلّ القطار يتجه صعودًا إلى أن دخلنا نفقًا شديد الظلمة. عندئذ، قال لنا بلوتارك إنّنا كدنا نصل إلى وجهتنا. وإثما مضى دهر قبل أن يخرج القطار من النفق ويتوقّف أخيرًا في المحطة. وإذ بأشعة الشمس الساطعة تتسلل عبر النافذة وتعميني. وبعد أن تأقلمت عيناى مع النور، رأيت قطارًا آخر في الجانب المقابل من الرصيف.

ولمحتُ جوفينيا- مرافقة مجالدي المقاطعة الأولى التي سخرت منها دروسىلا البارحة- وهي تترجّل من القطار بتأنٍ وحذر، مُنّعة حذاءً من جلد الأفعى. ثم ظهر خلفها أربعة عمالقة مكبلون بالأصفاد، ومربوطون بعضهم إلى بعض بالسلاسل، ترافقهم مجموعة من جنود حفظ الأمن الذين بدوا أشبه

بالأقزام بجانبهم. وما إن أغلق باب القطار خلفهم، حتى استدار الشاب الأخير فجأةً وركل النافذة، فتكسّر الزجاج وتناثرت الشظايا على الأرض.

وسمعتُ أحدًا خلفي يقول بصوت خافت: "باناش باركر، أحد المجالدين المحترفين من المقاطعة الأولى. يزن حوالي ثلاثمئة رطل. واسم عائلته باركر؛ ما يعني أنه على الأرجح من أقارب الفائز بالدورة السادسة والأربعين من المباريات، بالاديوم باركر. فرص فوزه مرتفعة نسبيًا (5 إلى 2)، ما يضمن له وجبتين يوميًا في ساحة القتال من الممولين الذين يُراهنون عليه. كما أنه أعسر، الأمر الذي قد يشكّل نقطة قوة أو ضعف؛ حسب الظروف. إنّما لا ريب في أنّ طباعه الحادّة وتهوُّره نقطتا ضعف مُكلفتان. ووفق الإحصاءات المتعلقة بمستوى تدريب المجالدين وبنيتهم الجسدية ونسبهم، إنّ باناش باركر هو المجالد المُفضّل لدى الجمهور، ونحن مجرّد رهان خاسر".

فالتفتنا جميعًا إلى وايات الذي أضاف من دون أن تفارق عيناه منافسينا: "قد لا ترغبان بي في فريقكما، لكنكما تحتاجان إلى مهاراتي".



قالت لويلا: "يبدو أنّك وكيل ألعاب ومُتَلَصِّص أيضًا! هل لديك فضائل أخرى؟"

"لستُ وكيلَ ألعاب، بل أنا أُقيِّم الاحتمالات؛ أي أنني أدرس الاحتمالات المتاحة، وأتوقَّع إمكانيّة حصول كلِّ منها. هذا كلُّ ما في الأمر. أفراد عائلتي هم من يجمعون الأموال ويديرونها."

"لا فرق، كلا الأمرين سيّان. كما أنّك مُتَجَسِّس تسترق السمع إلى أحاديث الآخرين."

فردّت عليها مايزيلي: "نحن نتشارك الغرفة نفسها يا لويلا، ولهذا من الطبيعي أن نسمع حديثكما. ثمّ من قال لكما إنني ووايات نرغب في التحالف معكما أصلًا؟"

وأجابتها لويلا: "إدّا، حُسيمة المسألة."

في تلك اللّحظة، أشار إلينا بلوتارك من حيث يقف عند الباب قائلاً: "هيا بنا، حان وقت الرحيل."

عندما ترجّلنا من القطار، شعرثُ كأنني حشرة صغيرة ضعيفة في المحطّة الكبيرة الفاخرة. وعلى الفور، وضعنا نحن الأربعة خلافتنا جانبًا، والتصقنا بعضنا ببعض كما تفعل الهرة الصغيرة في الأماكن الغريبة. ثم كبّلنا

الجنود من جديد. ولمّا جاؤوا بسلاسل حديدية لربطنا معًا، لَوَّح الضابط المسؤول بيده قائلاً: "لا حاجة إلى السلاسل مع هؤلاء".

فتمتم وايات: "ألم أقل لكم إنّنا رهان خاسر لا يستحق العناء؟"

وتأكّدتُ مرة أخرى من الحقيقة المرّة؛ لا يملك أيّ منّا مقوّمات للفوز، ولسنا سوى أرقام هامشية في سجل الخاسرين. إنّما قد تكون هذه فرصتنا للهرب. لكن إلى أين؟ أين يجد مُجالد فارسٌ ملاذًا آمنًا في الكابيتول؟ لا أرى مكانًا يؤوئني كجبال ديارى التي تلفّ أبناءها وبناتها بغطاء ضبابي وتخفيهم عن أنظار الجنود، أو كالمرج الذي تلقّبه لينور دوف بصديق المحكومين والمُدانين. ما من ملاذ يلوح في الأفق.

فخضعتُ للأمر الواقع، وعدلتُ عن فكرة الفرار، ورحتُ أتأمل الملصقات التي تزيّن جدران المحطة. "لا سلام، لا ازدهار!" "لا ألعاب جوع، لا سلام!" فلاحظتُ أنّ هذه الشعارات تشبه تلك التي رأيتها في مقاطعتي. فعلى ما يبدو، إنّ سكان الكابيتول أنفسهم لا يتلعون الطعم إن لم يكن مُغلّقًا بشعارات السلام والازدهار.

ترجّلت دروسيلًا من القطار، وهي تُقرقع بكعبها العالي مُتمايلةً في لباس ضيق من قطعة واحدة عليه علم بانيم، وعلى رأسها قبعة من الفرو الأحمر طولها قَدَمَان، تميل بغنج على إحدى عينيها. ثم لَمَحْتُ آثارًا من الكريمة الصفراء على زاوية فمها. يبدو أنّها أطفأت الشموع والتهمت الكعكة بالنيابة عني.

فقالَت لها مايزيلي: "أرى أنّ الكعكة نالت إعجابك". وبدا من كلامها أنّها لم تُعد النظر في تصرّفاتها.

وحين لم تفهم دروسيلًا مقصدها، أشار بلوتارك إلى زاوية فمه قائلاً: "لديك بعض الكريمة هنا على فمك". فنظرتُ إلى انعكاس صورتها على نافذة القطار لأبّتها لم تجد مرآة، ومسحت بقايا الكريمة عن شفيتها بلسانها. وفي

تلك اللحظة، انتبهتُ إلى أنّ خدها مُتورّم؛ فحتى طبقات مستحضرات التّجميل السميكة المدهونة على وجهها لم تنجح في إخفاء أثر كَفِّ مايزيلي.

فقال لها بلوتارك: "ما هذا الجمال!" وتبيّن لي أنّ دروسيلاً مجرد دمية في مجموعته، يتحكّم بها بكلمات معسولة تُرضي غرورها.

ثمّ قالت دروسيلاً وهي تمشي بخطوات سريعة وواسعة: "هيا بنا".

ولمّا خرجنا من المحطة، تمكّنا بصعوبة من استنشاق بعض الهواء المُنعش قبل أن نُحمّل كالبضائع على متن شاحنة بيضاء بلا نوافذ، من شاحنات جنود حفظ الأمن. لا أظنني ركبْتُ سيارة أو شاحنة سوى بضعة مرات تُعدُّ على الأصابع: رحلة البارحة من قصر العدل إلى محطة القطار، ورحلتان أو ثلاث رحلات مدرسيّة إلى المناجم، فقط لا غير. لكن هذه أوّل مرّة أجلس فيها في مركبة مُغلّقة من دون نوافذ أُطلِّ منها إلى الخارج، وأوّل مرّة أركب فيها سيارة تقودني إلى حتفي. وضعوني في صندوق معدنيّ مُقفل لا يصل إليه نور الشمس أو الهواء المنعش، فشعرت وكأّهم أغلقوا عليّ التابوت، ولم يبقَ إلّا أن يهيلوا عليّ التراب.

ثمّ ضغطت لويلا بيدها على كتفي، فهذا روعي، وأدركتُ حينئذ أنّ عليّ التشبّث بها للنجاة من هذا الكابوس. فوجودها معي يمنحني سبباً للكفاح والصمود، ويسكّن خوفي من مواجهة الموت وحيداً من دون يد تمسكُ بيدي. رجائي الأخير الآن هو أن نفارق الحياة معاً.

وسألتها: "هل أنتِ بخير يا حبيبة قلبي؟"

"كنتُ أفضل حالاً قبل أن آتي إلى هنا".

"لا تقلقي، سنبقى معاً. هل اتّفقنا؟"

"اتّفقنا".

حين فُتِحَت أبواب الشاحنة، أعماني نور الشمس مرة أخرى. وكان الطقس جافًا، فاشتقتُ إلى النهر الجبلي البارد الذي كنتُ أنقل منه الماء إلى هاتي. ثرى، ماذا ستفعل من دوني؟ ستأتي بدابة جديدة... أوفر حظًا منِّي.

لم يكن بلوتارك ودروسيليا في الأنحاء حين أمرنا الجنود بالنزول من الشاحنة. فترجّلنا، وبدا لي أنّ حذائي العتيق البالي دخیل في الزقاق المرصوف بالرخام الأبيض، الذي يصبّ في ساحة فسيحة فيها مبانٍ شاهقة أُطلِّ منها شباب من جيلنا يرتدون لباسًا مدرسيًّا مُوحَّدًا، وأخذوا يُحدِّقون إلينا مُتَفَحِّصِينَ، وبشيرةٍ إلينا بأصابعهم وكأُنا وسيلة للهُو اليوم.

فشعرتُ كحيوان بريٍّ اصطيد في الغابة، وأحکِم وثاقه، وكُمِّم، ثمّ جيلَ به في الشوارع لتسلية المارة والمتفرّجين. مشينا كسيري النفوس، مُطأطئي الرؤوس. وحدها مايزيلي أبقت رأسها مرفوعًا ولم تُخنه قيد أنملة، إلا أنّ وجنتيها تخصّبتا بالأحمر من شدّة الخجل والإحراج.

تمتم أحد الجنود الذين يرافقوننا: "ما زلتُ أعتقد أنّ إحصار المجالدين إلى الأكاديمية فكرة سيئة".

وردّ عليه أحد زملائه: "المبنى الرياضي التابع للأكاديمية مهجور منذ حوالي أربعين سنة، وها قد وجدوا له غرضًا مفيدًا".

فأجابه الجندي الأوّل: "من الأفضل أن يهدموه، فهو يشوّه المنظر".

وحين ابتعدت الشاحنة، بان وراءها المبنى الرياضي؛ وهو عبارة عن بناء مُتهالك زُيِّنَتْ واجهته بلافتة مكتوب عليها "مركز المجالدين" بحروف ذهبية. وما إن فتح لنا الجنود الأبواب الزجاجية المُتشقّقة، حتى عبقت في وجوهنا رائحة منطّفات الأرضيات والعفونة.

كنا آخر الوافدين، وكان منافسونا مُورّعين على أقسام يحمل كلٌّ منها رقم مقاطعتهم. اقتادنا الجنود إلى قسم المقاطعة الثانية عشرة في آخر

الصالة، فيما صار المجالدون المحترفون سليطو اللسان يطلقون صيحات استهجان، ويسخرون منّا مُتَهَكِّمِينَ. يبدو أنّهم يشحذون ألسنتهم مع أسلحتهم أثناء التدريب.

وكان كل قسم يحتوي على أربع طاوولات مُنَجَّدة، تفصلها عن بعضها ستائر رقيقة. وأمام كل طاولة، وقف شخصان يرتدي كل منهما معطفاً أبيض، ويضع حول وسطه حزاماً مليئاً بأدوات التشذيب المختلفة كالمقصات وشفرات الحلاقة.

فصل الجنود الشبان عن الشابات في غرفتين مختلفتين لتبديل الملابس. ومع أنني لم أودّ الافتراق عن لويلا، إلّا أنّ الله لم يكن أمامي خيار آخر. لعلّ مايزيلي تهبُّ لنجدتها إن واجهت أي مشكلة؛ فقد أثبتت أمس أنّها لا تتردّد في ردّ الصاع صاعين. كما أنّ مظهرها- بكدماتها الحديثة وتقطيعة وجهها الحادة- يوحي بأنّها خاضت شجاراً منذ وقت قصير وتنتهيلاً لآخر.

تَظَّم الجنودُ الشبانَ في صفٍّ واحد أمام باب غرفة تبديل الملابس بالترتيب؛ وفق أرقام مقاطعاتهم. فشعرتُ بالارتياح لأنّني وقفتُ مع وايات في آخر الصف، ولم يكن هناك أحد خلفنا ليطعننا في ظهرنا. وهكذا، ما كان علينا أن نحتاط إلّا من الشابين الضخمين الواقفين أمامنا من المقاطعة الحادية عشرة. إنّما خُيِّلَ إليّ أنّهما غارقان في حزن عميق، ولا يكثران بما حولهما.

عندما دخلنا الغرفة، طلب منّا الجنود أن نخلع ملابسنا. وفي حين خلعنا سراويلنا وأحذيتنا بسهولة، واجهنا صعوبة في خلع قمصاننا بأيدينا المكبّلة، فمر علينا الجنود واحداً تلو الآخر، ومزّقوا قمصاننا بسكاكينهم. وإذا اعترض أحدنا، ضحكوا قائلين إنّ المحرقة لن تفرّق بين الثياب المُمزّقة وغير المُمزّقة. ولما جاء دوري ومزّقوا قميصي ورموه على الأرض أمامي، شعرتُ كأنّهم غرزوا السكين في قلبي. فهذا القميص هو ثمرة تعب أمّي وعرق جبينها. ما زلتُ أذكر كيف رصفت المناديل القماشية بعناية ودقّة لتستفيد من كل شبر من

القماش، ثم خاطتها بحبّ وحنان. ولم يبقَ منه الآن إلا قطع مُبعثرة على الأرض.

ثمّ سألني أحد الجنود وهو يضرب قلادتي بطرف سكينه ضربًا خفيفًا:
"هل هذا تذكارك؟"

تذكاري؟ عندئذٍ تذكّرتُ أنّه يحق لكلِّ مجالد أن يأخذ معه غرضًا واحدًا من الديار إلى ساحة القتال، ما دام لا يُعدُّ سلاحًا. وإن اكتشفوا أنّ قلادتي قدّاحة صوان سيأخذونها مني؛ لأنّها تمنحني أفضلية على الآخرين، لكنني لن ألفت انتباههم إلى هذا الموضوع بنفسي.

"نعم، تذكاري هو هذه القلادة".

فأمسكها الجندي ومَرَّر أصابعه عليها قائلاً على مضض: "إنّها جميلة". ثم أضاف: "سيأخذونها منك لاحقًا للفحص والمعينة". فأومأُ برأسي. لا أعتقد أنّهم سيعرفون ما هي أو ينتبهون إلى غرضها الحقيقي؛ حتى لو فحصوها ودققوا فيها. فسكان الكايتول يشعلون النار بالكبريت والولاعات، ولا يحتاجون إلى قدح الحجر لتوليد شرارة.

ثم اقتادنا الجنود إلى غرفة رحبة يغطي أرضها بلاط أزرق، وتنتشر على جدرانها مرشّات للاستحمام. ومع أنّي اعتدْتُ على السباحة في البحيرة مع بوردوك شبه عارٍ، إلا أنّني استغربت الوقوف عارياً بين ثلاثة وعشرين شابًا آخر عُراة. فرُحْتُ أحدِّقُ إلى البالوعة على الأرض، وأتجنّب النظر إليهم. ثم أدركتُ أنّني لن أحظى بمثل هذه الفرصة لتفقد خصومي وتقييمهم، فانتهرتها ورفعتُ نظري إليهم. بدا لي أنّ المجالدين المُحترفين السِتّة ممشوقو القوام، وعضلاتهم منحوتة نحًا على أجسادهم. وعَدَدْتُ اثني عشر مجالدًا آخر لديهم أمل في الفوز إن كانوا يجيدون القتال. أمّا الباقون- وهم ستة- فهُم جلد على عظم وحالتهم يُرثى لها.

كان باناش- الشاب الذي كسر نافذة القطار- يختال كالطاووس في الغرفة، ويمرّ بيننا مُزْمَجِرًا ومُحَاوِلًا تخويفنا وترويعنا وسط قهقهات باقي المجالدين المُحترفين. وظلّ يتمادى في استعراضه حتى وجد من لا يتحمّل العبث؛ فلمّا دنا من شابّي المقاطعة الحادية عشرة، نال ركلة خاطفة على بطنه. وما إن رفع قبضته استعدادًا للثأر، حتى انهمرت علينا مياه حارقة من المرشّات وقاطعته.

فصرنا نقفز ونتلوّى لتفادي الحرق. ثم انقطعت المياه فجأة، ونفثت علينا المرشّات رغوة صابون سامّة تخنق الأنفاس، وتحرق العيون كالفلفل الحار. وحين عادت المياه مجدّدًا، تدافعنا تحتها لإزالة الصابون اللزج الحارق عن أجسادنا، لكنها انقطعت مجدّدًا قبل أن نتخلّص منه نهائيًا، فظلّ مُلتصِفًا بنا.

ثمّ نفثت علينا المرشّات هواءً ساخنًا؛ فالتصق الصابون ببشرتنا أكثر، وصار دبقًا، وشعرنا برغبة في الحكاك، فحككنا جلدنا وهرشناه هرشًا كمن أصابه الجرب، واحمّرت عيوننا، واحتقنت أنوفنا، وتلبّد شعرنا وانتصب كالأشواك على رؤوسنا. ولمّا عدنا إلى غرفة تبديل الملابس، وُزّع علينا الجنود أوراقًا رقيقة وكبيرة الحجم لنستتر بها، واقتادونا إلى الأقسام المخصّصة لمقاطعاتنا في الصالة الرياضية.

كنت آمل أن تكون لويلا قد سلّمت من هذه المذلّة، لكنّ ضفيريّتها المنتصبّتين على رأسها كهوائيين مكسورين أشارتا إلى العكس، فعرفت أنّها مرّت بالتجربة نفسها. ولا ريب في أنّ مايزيلي عانت الأمرين بسبب كدماتها. ساق الجنود كلًّا منّا إلى طاولته وأمرونا بالجلوس، ثمّ أحكموا وثاقنا بالأصفاد والسلاسل مثل المجالدين المحترفين هذه المرّة.

ثمّ أغلق الجنود الستائر البيضاء وعزلوني عن باقي المجالدين، وتقدّمت نحوي شابة شعرها أرجواني مائل إلى الاحمرار ومُصَفّف على شكل كُرَتَيْن، برفقة شاب تتدلّى من وجنتيه تقّاحتان معدنيّتان.

لا أعتقد أنّهما أكبر منّي سنّاً بكثير.

قالت الشابة: "مرحبًا، يا هايميتش! أنا بروسرينا، وهذا فايتوس. نحن مسؤولان عن تجميلك وتزيينك، ومهمّتنا أن نجعلك آيةً في الجمال!"

فهتف فايتوس: "نعم! نعم! سنبرز جمالك وهيتك!" ثم كثر عن أنيابه وزمجر مُكملاً: "لزرع الخوف في قلوب المجالدين الآخرين!"

وأضافت بروسرينا: "ولمساعدتك في الحصول على أكبر عدد ممكن من الممولين!" ثم أخفضت صوتها وكأّتها توشك على الإفصاح عن سرّ خطير وتابعت: "لا يمكننا أن نرسل إليك أي مساعدات في ساحة القتال؛ لأننا جزء من الفريق المسؤول عنك... لكنّ عمّتي الكبرى وعدتني بأن تموّلك وتساعدك، لأحصل على علامة أعلى".

علامة أعلى؟ "هل أنتما طالبان في هذه الأكاديمية؟"

فردّ عليّ فايتوس: "لا، نحن طالبان جامعيّان، لكننا لسنا من طلاب السنة الأخيرة. فأولئك يفضّلون العمل مع المقاطعات الأعلى رتبة".

وطمأننتني بروسرينا قائلةً: "لكننا مسروران بالاهتمام بك، فأنت شاب ظريف! وعلى أي حال، لن نتمكّن من الحصول على مقاطعة أفضل إلّا بعد عامين".

يا لفرحتي! صار فريقني يتألّف من دروسيلا التي تكرهني، ومرشد يشجّع مجالدين من مقاطعة أخرى، وطالبيّن مُبتدئين، ومصمم أزياء ما زلت لا أعرف من هو. فسألْتُ: "مَنْ مُصمّم الأزياء المسؤول عنّي؟"

وما إن طرحْتُ السؤال حتى ارتبك كلاهما، وتبادلا نظرات قلقة، ثمّ أجاب فايتوس: "عُيّن المصمم ماغنو ستيفت للمقاطعة الثانية عشرة كالمعتاد. لكن، لا تصدّق كل ما يُقال عنه؛ فهو ليس بهذا السوء".

فتأوهتُ خائب الأمل؛ لأنَّ ماغنو ستيفت يُكَلِّفُ بتصميم أزياء مجالدي المقاطعة الثانية عشرة كل عام منذ نعومة أظفاري. وهو يستحقُّ صيته السيئ. ففي حين يُبدع المصمِّمون الآخرون كل عام، ويصمِّمون أزياء جديدة ومتنوّعة لمختلف المناسبات التي يشارك فيها المجالدون قبل بداية مباريات الجوع،-كموكب الاستعراض والمقابلات- يعيد ماغنو تدوير الزي الرديء نفسه كل عام، ولا يُكَلِّف نفسه بأكثر من تعديلات طفيفة على المقاس. فلا يظهر مجالدو المقاطعة الثانية عشرة في تلك المناسبات إلا بملابس عمال المناجم.

ثم قالت بروسرينا: "لقد وعد الجمهور بإطلاق جديدة مُتألِّقة للألعاب الربعية!"

وأضاف فايِتوس: "هذا خبر سار؛ فالزي القديم لا ينفع في لفت أنظار الممولين".

وأكملت بروسرينا: "من المفترض أن يمرّ اليوم على خير من دون حوادث؛ فقد حُظِرَ على الجميع التزيّن بالزواحف الحيّة خلف الكواليس، مع أنّ ماغنو هو الوحيد الذي فعل ذلك".

وهمس فايِتوس: "العام الماضي، وضع سلحفاة غاضبة كمشبك حزام، فوقعت السلحفاة على الأرض وعصّت دروسيلا، فغضبت دروسيلا وعصّت ماغنو. حصلت هذه الحادثة أمامنا. لكن، لا يُسمح لنا بالتحدّث عمّا حدث، مع أنّ الجميع..."

فقاطعته بروسرينا، ورمقته بنظرة صارمة ليكفّ عن الكلام: "لن تتكرر هذه الحادثة! ما رأيك في أن نبدأ بتشذيب الشعر على جسدك؟ فلنرّ إن زالت كل الحشرات عنك".

عندئذ، أدركتُ أنّ الصابون اللاسع كان مخلوطاً بمبيد حشرات. ولو لم أكن على وشك الموت، لغضبتُ من الآثار طويلة الأجل التي يمكن أن تسببها فعلتهم هذه.

وإذ بفانيتوس يصرخ فجأة: "لحظة، انتظري! يجب أن نصور مظهره قبل أن نضع لمساتنا عليه!"

فأخرجت بروسرينا كاميرا صغيرة، وصوّرتني من قمة رأسي إلى أخصي قدمي، وهي تقول: "لو لم تتذكّر الصور يا فانيتوس لكنا قد حصلنا على علامة راسبة".

وباشرا بحلاقة كل الشعر الظاهر على جسدي باستخدام شفرتين كهربائيتين. وما سَلِمَتْ منهما شعرة، حتى الشعيرات الصغيرة التي نبتت على ذقني. وحين فرغا مني، شعرْتُ كالجرذ الأجرد. ثم قلّما أظفاري، تاركين لي أظفارًا رفيعةً تساعدني في القتال بناءً على طلبي. وقالت لي بروسرينا: "أنتُ مُجَوِّ. قد تحتاج إلى مخالبك". فتساءلتُ في سرّي عمّا إذا كانت تُشَبِّه أنفي بالخطم، وشعري بالفراء، وأسناني بالأنياب.

ثمّ دهن فانيتوس مادّة لزجة على شعري المنتصب كأشواك قنفذ غاضب، وظلّ يفركه ويدعكه بمهارة حتى أعاده إلى طبيعته المجعّدة، ووقاه من شرّ التقصّف والانكسار، وخلّص فروة رأسي من الحكّة. فما كان مني إلا أن أقنعته بأن يسمح لي بدهن تلك المادة على جسدي. وما إن فعلتُ، حتى ارتحت من الحكاك أخيرًا.

وبعد أن أنجز فانيتوس وبروسرينا عملهما، تركتهما يلتقطان لي صورًا من دون اعتراض؛ لأنّهما لبيّا طلباتي وساعداني. كما أنّه لا ضير في تكوين بعض الصداقات في الكابيتول؛ فكانت مكافأتي الحصول على قطعة ورق جديدة أستتر بها، وحبّة حلوى بنكهة النّعناع سحبتّها بروسرينا من جيبتها وناولتني إياها، فأكلتها لأتخلّص من طعم المبيدات في فمي. وعلى الفور، جعلني طعم النّعناع أشعر بالانتعاش، وأيقظ في داخلي ذكريات سعيدة. ثمّ غادر الطالبان على عجل؛ فذهبت بروسرينا مع أختها لتتأقّق وتتهندم تحسبًا

لظهورها أمام الكاميرا، فيما هرع فایتوس لیساعد أمّه في تزيين منزلهما استعدادًا للحفلة التي تُقيمها الليلة بمناسبة مباريات الجوع.

و حين غادرا، حظيتُ بلحظة هدوء مع نفسي، ونعمتُ ببعض الخصوصية وراء الستائر البيضاء المغلقة. فشعرتُ كأنني أعيش كابوسًا محمومًا لا ينتهي، يختلط فيه الواقع بالهذيان. فقد استحممتُ بموادّ كيميائية، ثمّ اهتَمّ بي شخصان غريبًا الأطوار، وها أنا الآن ألتفّ بقطعة ورق، وأنظر إلى رجلَيّ الحليقتين؛ بانتظار رجلٍ يثبت بنطاله على خصره باستعمال زواحف حيّة.

تلمّستُ أصابعي رأس الأفعى المتكئة على عنقي، وانسابت على حراشفها حتى وصلت إلى ريش الطائر، ثمّ إلى رأسه ومنقاره الحاد. فعدتُ بذاكرتي إلى يوم ائشحت سماءه بالغيوم قضيته مع لينور دوف في مكاننا السريّ في أعماق الغابة. كانت تجلسُ برفقتي، فيما الليل يسدل سدوله ببطء، وكلانا لا نبالي بظلمته. ثمّ حطّ طائر أسود جميل على غصن قريب.

فقالت لينور دوف بصوت ناعم: "انظر، غراب. كالطائر المذكور في قصيدة الشابة التي أحمل اسمها. أكبر طائر مغرّد على وجه الأرض".

"يا له من طائر مهيب!"

"هذه أنثى. أتعلم أنّ الغرابان كائنات فائقة الذكاء تستخدم المنطق لحل مشكلاتها؟"

"أحقًا؟ ليتها تعلّمني كيف أقوم بذلك".

"ولا أحد يملي عليها ما ينبغي لها قوله أو فعله. أريد أن أكون كالغراب عندما أكبر... أن أقول كلمة الحق، وألاّ أسكت عنها مهما كان الثمن".

مهما كان الثمن... هذه العبارة تقضّ مضجعي. أخشى أن تتفوّه لينور دوف بكلام طائش، أو أن تُقدّم على أفعال متهوّرة تثير غضب الكابيتول وتُنزل

عليها عقابًا صارمًا. فقد سبق أن تجاوزت حدّها مرتين عندما كانت في الثانية عشرة من العمر.

ففي الليلة التي سبقت إعدام كلاي تشانس في الساحة، تسلّق أحد عمود المشنقة، وحفّ الحبل باستعمال أداة حادّة حتى رققه. وحين عُلق كلاي على حبل المشنقة وُرفِعَ في الهواء في صباح اليوم التالي، انقطع الحبل أمام النَّاس المُحتشدين وسقط كلاي أرضًا، فأطلق عليه جنود حفظ الأمن الرصاص حتى خمدت أنفاسه. لم تلتقط كاميرات المراقبة أيّ صورة تساعد في التعرف على الفاعل؛ فقد كان الظلام حالكًا، والسماء مثلجة في تلك الليلة، إلّا أنّ أحد سكان البلدة لمح لينور دوف تتسلل إلى خارج الساحة وأبلغ عنها، فاعتقلها الجنود وأخذوها للتحقيق. لكنها أصرّت على أنّها لم ترتكب أي جرم أو خطأ. فتحيّر الجنود في أمرها. فقد كانت المُتّهمة الجالسة على كرسي الاستجواب أمامهم مجرد طفلة صغيرة لا تطال قدمها الأرض، ولا تثبت الأصفاد حول معصمها النحيلين. ثم اعترفت بيني-أخت كلاي التي كانت تعاني مرضًا مميئًا في القلب- بالذنب، وتحملت المسؤولية بالنيابة عن لينور دوف، فاعتُقلت وفارقت الحياة في زنانتها بعد ثلاثة أيام. عندئذٍ، أخلى الجنود سبيل لينور دوف، بعد أن تعهّد كليرك كارمين وتام أمبر بإبقائها في المنزل ليلاً.

وهكذا، قيّد كليرك كارمين حرّبتها، وشدّد الرقابة عليها. لكن الإرادة تصنع المعجزات. ففي صباح يوم حصاد الدورة السادسة والأربعين من مباريات الجوع، وهو أول حفل حصاد وُضِعَ فيه اسمي واسم لينور دوف في الكرة الزجاجية، بدأ الدخان ينبعث من تحت المسرح في الساحة، وتبيّن أنّ مصدر الحريق قطعة قماش مشتعلة، اتّضح في ما بعد أنّها علم بانيم. وحرّق العلم جريمة خطيرة عقوبتها السجن لمدة عشر سنوات. ولا شكّ في أنّ العقوبة ستطول إن صوّرت الكاميرات العلم المُشتعل وبيّنت الصّور على الشاشات الوطنية. ولحسن الحظ، استطاع جنود حفظ الأمن التخلّص من آثار الحادثة قبل بداية البثّ.

كانوا قد شيّدوا المسرح في الليلة الماضية، ولم يخطر لهم أن يركّبوا كاميرات مراقبة تحته. لكنهم اكتشفوا لاحقًا أنّ غطاء فتحة المجاري الموجودة تحت المسرح أزيح من مكانه، ووجدوا بقايا شمعة أُشعلت منذ ساعات لتذوب على مهل وتحرق علم بانيم المنقوع بالكيروسين في موعد الحصاد. ولما تعدّر عليهم العثور على أدلة قاطعة أو شهود، أخذوا أصحاب السّوابق إلى التحقيق، ومن بينهم لينور دوف. فقالت إنّها كانت في المنزل تكتب وصيّتها استعدادًا للحصاد، ثمّ أظهرت الوصيّة، وتلّت عليهم الصفحات السبع التي ورّعت فيها جلّ ممتلكاتها على طيور الإوز. ويمكن أن تكون لينور دوف قد بالغت في الاستعداد والحيلة وأثارت شكوك الجنود، إلّا أنّهم أطلقوا سراحها مرّة أخرى وأذروها بأنّهم سيراقبونها من كثب.

لكنني في قرارة نفسي أعرف أنّها المسؤولة عن هاتين الحادثتين؛ مع أنّي وخاليها لم نحصل منها على إجابة واضحة قطّ. فكلّما سألتها عن الموضوع، قالت إنّ الغموض سرٌّ جاذبيّة نساء شعب كوفي. وإنّ ألححت عليها، ضجّت قائلة إنّها لن تعطيني إجابة صريحة. فلو كانت الفاعلة، فهي تُفضّل ألاّ تخبرني حفاظًا على سلامتي. وإن لم تكن الفاعلة، فلا طائل من الجواب. "لا يهم من الفاعل. فلم يتغيّر شيء: لقد أُعدمَ كلاي، وما زال الحصاد قائمًا كأنّ شيئًا لم يكن."

وكانت حادثة العَلَم المُشْتَعِل آخر لطفة سوداء في سجلّ لينور دوف. وفي ليلة رأس السنة الماضية، عزّقت وعائلتها الموسيقى في الحفلة التي أقامها قائد جنود المقاطعة نفسه. لكنها لم تُخفِ استياءها من الأمر. وحين طلب منها كليرك كارمين ألاّ تدع مشاعرها ووجهاً نظرها الشخصية تؤثر في عملها، وقال لها إنّ الموسيقى تقرّب الناس من بعضهم بعضًا رغم اختلافاتهم لأنّ الجميع يحبون الألحان الجميلة، شكّكت لينور دوف في كلامه؛ لافتة نظره إلى أنّ كل الناس يحبّون الحياة أيضًا، ويتنفّسون الهواء نفسه، ومع ذلك لا

يكفون عن الظلم والقتل. لذا، إنّ بعض الأشياء التي نحبّها وننتشاركها لا تقدّم ولا تؤخر.

حين تتحدث بهذه الطريقة، أشعر أنّ شعلة التّمرد في روحها لم تنطفئ قطّ، بل خمدت مُوقّنا مُتحيّنة الفرصة المناسبة لتثور من جديد.

ثرى، كيف كنتُ سأتصرّف البارحة لو وقع الخيار على لينور دوف في حفل الحصاد بدلاً مني؟ أظنني كنتُ سأحاول التسلل إلى القطار لمساعدتها على الفرار، أو سأضرم النار في قاعدة جنود حفظ الأمن. هذا ما كنت سأرغب في فعله. لكنني في الواقع ما كنت لأتمادى إلى هذه الدرجة، بل كنتُ سأكيح جماحي، وأتخلى عن تلك الخطط من أجل أمّي وسيد، وأفقد عقلي وصوابي شيئاً فشيئاً نتيجة فراقني عن لينور دوف. أمّا هي، فوضعها مختلف. فهي تعيش حرّة طليقة، تميل حيث يميل هواها؛ لأنّها ليست مسؤولة عن إعالة عائلتها.

بعد ساعة تقريباً، أعطاني جنود حفظ الأمن شطيرتين من زبدة المكسرات وموزة، وهي أوّل موزة آكلها في حياتي. كان طعمها لذيذاً، لكن قوامها جاف وخالٍ من العصارة، على عكس الفواكه الأخرى. ثم بلّثُ حلقي بقليل من المياه الفوارة المليئة بالفقاغات. مَنْ العبقري الذي خطرت في باله فكرة وضع فقاعات في الماء؟ ما الفائدة منها إن كنتُ سأتجشّأها كلها؟

وحين فتح الجنود الستائر، لاحظتُ أنّ جميع المجالدين خاضوا العملية نفسها. حتى إنّ بعض أولئك المحترفين صاروا أقرب إلى المراهقين منهم إلى رجال الأدغال بعد أن حُلقت لحاهم الكتّة.

وبعد قليل، دخلت جوفينيا الصالة برفقة امرأة تدفع عربة محمّلة بأزياء فاخرة، ولحق بها فريق التجميل المسؤول عن المقاطعة الأولى نحو غرفة تبديل الملابس الخاصة بالشبان؛ لإعدادهم لموكب الاستعراض الذي يركب فيه المجالدون عربات تجرّها خيول، ويُعرضون لأول مرة للجُمهور؛ إذ يشكّل هذا

العرض أحد مراسم افتتاح مباريات الجوع. ثم فكَّ جنود حفظ الأمن قيود مجالدي المقاطعة الأولى، وأخذوهم إلى غرفة تبديل الملابس.

وبعد بضع دقائق، تكرر المشهد مع مجالدي المقاطعة الثانية الذين اتَّجهوا مع فريقهم إلى غرفة تبديل الملابس الخاصة بالشابات. وبعد نصف ساعة، عاد مجالدو المقاطعة الأولى إلى الصالة مُتبخِرين بفساتينهم وبذلاتهم الخضراء البراقة التي تشبه موضة الكابيتول.

وعندما مرّوا أمامنا، صاحت مايزيلي: "ما هذا الجمال يا سيلكا! الأخضر المخاطي يليق بك!"

فتعالت الضحكات في الصالة، واندفعت سيلكا نحو مايزيلي بغضب، وهي تفوقها طولاً بثماني بوصات، ووزناً بمئة رطل، إلا أنّ أحد الجنود عاجلها بضربة عصا على ضلوعها أوقفت اندفاعها. فرمقت سيلكا مايزيلي بنظرة مُهدّدة، ثم مرّرت إصبعها على عنقها ببطء مُلمّحة إلى ما تنويه.

وما كان من مايزيلي إلا أن مطّت شفيتها ساخرة وقالت: "الجمال هو حُسن الفعل لا المظهر. أرينا ابتسامة!"

فقال لي لويلا مُبتسمة من حيث تجلس على طاولتها: "لم يكن لقاؤهما الأوّل ودّيّاً في غرفة تبديل الملابس".

أجبتها وأنا أراقب مجالدي المقاطعة الأولى وهم يتَّجهون نحو شاحنتهم، ومجالدي المقاطعة الثانية وهم يخرجون من غرفة تبديل الملابس بأزياء جلدية أرجوانية مزينة بدبابيس معدنية. "أنا أيضاً لا يروق لي مجالدو المقاطعة الأولى".

فسأل أحد المجالدين: "إلى أين يذهبون؟"

وردّ عليه أحد الجنود: "إلى جلسة التصوير، ثم إلى العربات".

ثم حان دور مُتسايقي المقاطعتين الثالثة والرابعة. يبدو أنّ دورنا سيكون في النهاية. خلت الصالة شيئًا فشيئًا، وعادت بروسرينا- وقد جدّدت صبغة شعرها- برفقة فايتوس الذي كان مُتضايقًا من والدته لأنها حوّلت غرفته إلى مقهى من أجل حفلتها. وما إن اتّجه مجالدو المقاطعة الحادية عشرة إلى غرفة تبديل الملابس، حتى دخلت دروسيلًا مُقَرَّعةً بكعبيها العاليتين على الأرض، وقبّعتها الحمراء مطويّة تحت إبطها.

وسألت بروسرينا وفايتوس: "أين الأحمق ماغنو؟" وعندما رفعنا أكتافهما للدلالة على أنّهما لا يعرفان مكانه، أكملت مُتأقّفة: "ستتأخّر بسببه عن أكبر حفلة في السنة!"

يا لها من مُرافقةٍ جديرةٍ بمنصبها! كلُّ هَمّها هو الحفلات.

انتظرنا ماغنو عشر دقائق إضافية، ثم قلتُ: "أريد الذهاب إلى الحمام".

عندئذٍ، فكُّ جنود حفظ الأمن قيودنا، وأخذونا إلى غرفة تبديل الملابس الخاصة بالشابات، فقضينا حاجتنا. وما زلنا لم نعرف مكان ماغنو؛ وكأنّ الأرض انشقت وابتلعتة. جلسْتُ بجانب لويلا على مقعد طويل، ولاحظتُ أنّ فريق التجميل قوّم صغيرتيها، ورسم حاجبين صارخين على وجهها. وكانت خصلات مايزيلي الذهبية تتدفّق من رأسها مُتموّجة بكثافة. تليق بها هذه التسريحة. أمّا وایات، فما زال مظهره كما كان عندما وصلنا إلى هنا.

ثمّ سألت لويلا: "ماذا سنفعل إن لم يأت ماغنو؟ هل سنُعفى من موكب الاستعراض أو سنرتدي هذه الأوراق في العربة؟"

لا أعتقد أنّ أحدًا منّا أو من الفريق فكّر في هذا الاحتمال. فقد دبّ الذعر في الجميع، ودُعِرْتُ معهم أيضًا. صحيح أنّني أستنكر كل هذه المسرحية، إلّا أنّني لا أرغب في اعتلاء المسرح للمرة الأولى مُلتفًا بقطعة ورق. ومن المؤكّد أنّني لن أجدب انتباه أي ممّولين إن كانت مؤخرتي ظاهرة للعيان.

فطالبت مايزيلي بفستانها: "أين الفستان الذي جئتُ به؟ أستطيع أن أجمع القطع الممزقة وأثبتها بدبابيس!"
وردّ عليها أحد الجنود: "حرقناه".

كان الوقت يداهمنا، فأمرت دروسيلًا فرق التجميل بإعارتنا قطعًا من ملابسهم. وفيما كنتُ أحاول أن أحشر جسدي داخل سروال فايتوس الأزرق القصير المخملي، دخل ماغنو ستيفت إلى الصالة، ومعه كيس بلاستيكي على كتفه.

كانت بشرته المسفوعة بالشمس مُزَيَّنة برسوم تُشبه حراشف الأفعى، وكان يرتدي قميصًا طويلًا مصنوعًا من ماسات معدنية، وينتعل في رجليه صندلًا يلتفُّ رباطه على طول ساقيه وصولًا إلى أعلى الفخذين. إلا أنني لم أرَ ما يدلُّ على أنه يرتدي سروالًا. ومن كلِّ أذنٍ تدلُّ ثعبان رباط حيٍّ يفجّ ويتلوّى من الألم.

فقالت دروسيلًا بغضب: "أنت تعلم أن موضة الكائنات الحية محظورة! سأبلِّغ عنك".

فردّ ماغنو: "لا تقلقي يا دروسي، سيموت الثعبانان بعد بضع ساعات". ثم أفرغ محتويات حقيبته على الأرض. وإذ بها تحتوي على نصف دزينة من الزي نفسه الذي يرتديه مجالدو المقاطعة الثانية عشرة كل عام. فلوح ماغنو بذراعيه في استعراض ساخر للنصر وقال: "أأنتم مستعدّون لإثارة إعجاب الجمهور؟"

أنا متأكّد من أنّ ماغنو تأخّر عمدًا. فقد بلغ التوتّر مداه، وتهافتنا على الأزياء المُستعملة كما لو أنّها مصنوعة من الألماس. سارعنّ إلى ارتداء إحدى بذلات عمال المناجم البالية التي تفوح منها رائحة كريهة، والتي كانت موصّلة بدبابيس أمان صدئة. واعتمرتُ الخوذة البلاستيكية الرديئة على رأسي من

دون أي اعتراض. ومع أنّ الحذاء كان ضيقًا على قدميَّ، إلّا أنّني انتعلته وعقدت رباطه ممنونًا؛ لأنني لم أعد عاريًا أو حافيًا.

وكانت دروسيلّا هي الوحيدة التي عاتبت ماغنو قائلة: "ألم تَعِدُنَا بزيّ باهر جديد؟ أين هو؟"

فأشعلَ ضوء خوذة مايزيلي الخافت مُفتخرًا بنفسه: "ها هو ذا! لقد استبدلتُ البطاريات لإضاءة الخوذات!"

وشممت به دروسيلّا: "أليق هذا بالمباريات الربعية؟ إن كان هذا أفضل ما عندك، فأبشرك بأنّ إقالتك مُحتمة، المسألة مسألة وقت ليس إلّا".

فضحك باستهزاء: "لا أحد يُبالي بالمقاطعة الثانية عشرة، ولا حتى أنتِ. هيّا، قيّدوهم وحذوهم إلى الإسطبل. أنجزتُ مهمّتي".

خرجنا مسرعين من المبنى الرياضي. وما إن ركبنا الشاحنة التي كانت بانتظارنا عند الباب، حتى انطلق السائق بسرعة فائقة يشقّ شوارع الكابيتول كالسهم، وهو يُبوق البوق. ثمّ علا صوت النشيد الوطني الصادح طاغيًا على صوت البوق. يبدو أنّه يُذاعُ في كل أنحاء المدينة؛ ما يعني أنّ مراسم افتتاح مباريات الجوع بدأت من دوننا. وبمجرّد أن انتهى النشيد، ضغط السائق على المكابح فجأة، فزحفت العجلات على الأرض مُصدرةً صوتًا مُتشنجًا وتوقّفت. وفتّحت أبواب الشاحنة، فلاحظتُ أنّنا داخل إسطبل واسع أشبه بمغارة سقّفها عالٍ يستند إلى أعمدة إسمنتية ضخمة. وكان الجميع في هرج ومرج. فقد كان عمّال الإسطبل يُسابقون الزمن ليحشروا ثمانية وأربعين مُجالدًا في اثنتي عشرة عربة، وليضعوا اللجام على الخيول ويربطوها بالعربات. وكان كلُّ منهم يصرخ من جهة، ولا أحد يصغي إلى الآخر.

ثمّ علت أصوات الموسيقى مُعلنة بداية الموكب، وفتّحت أبواب الإسطبل على مصراعها، فالتقط المصوِّرون صور مجالدي المقاطعة الأولى قبل أن تنطلق عربتهم إلى الممشى وسط هتافات الجمهور. وركض مصوِّر نحونا،

وصوّرنا عدّة صور، ثمّ غادر من حيث أتى. أهذا مفهومهم لجلسة التصوير؟
تصوير المجالدين وهُم مُقيّدون بالسلاسل والأصفاد داخل شاحنة؟

أمرت دروسيلّا عمّال الإسطبل بمساعدتنا: "خذوا مجالدي المقاطعة
الثانية عشرة إلى عربتهم!"

ففكّوا السلاسل، وأزالوا الأصفاد عن معاصمنا، وأخذونا إلى عربة
مُتداعية تجرّها أربعة خيول رمادية هرمة جفول حيوص.⁽³⁾ فجلتُ بناظرِيّ في
الإسطبل، واتّضح لي أنّ شكوكي في محلها. إذ كانت إطلاّلات كل المجالدين
الآخرين أبهى منّا بأشواط. فأزياؤهم كلّها جديدة ومستوحاة من مقاطعاتهم:
أزياء رعاة بقر مُخصّبة بالأحمر للمقاطعة العاشرة، وأزياء حوريات بحر زرقاء
برّاقة للمقاطعة الرابعة، وأزياء رمادية وتيجان على شكل عجلات للمقاطعة
السادسة. حتّى إنّ عرباتهم مُصمّمة ومُزخرفة بعناية لافتة للنظر، منها ما
يوحى بالقوة والشراسة، ومنها ما يتّسم بالأناقة والرقي، وخيولهم تتباهى
بزينة مُتناسقة من الريش والزهور على رؤوسها. أمّا خيولنا، فكانت رؤوسها
عارية.

وكانت عربتنا صغيرة، تتّسع لنا بصعوبة، والخيول ترتجف وتهزّها في كل
اتجاه بعصبية. فصار ركوب العربة بحد ذاته مغامرة محفوفة بالخطر. وفجأة،
شبّ حصان واقفًا على حافرَيْه الخلفيّين، فتراجعت لويلا إلى الخلف مُتعتّرة.

وأمسكت بها قبل أن تقع على الأرض قائلاً: "انتهي! لا تخافي. ثقي
بنفسك ولن يصعب عليك ركوب العربة."

فقالت: "لا أظنّني قادرة على ركوبها". وانهارت على الأرض.

فصرخت دروسيلّا عليها: "انهضي، يا فتاة!"

رفعتُ لويلا عن الأرض، وقلتُ لها: "انظري إليّ واسمعيني جيّدًا. لا أحد
في الكايتول يساوي قُلامة ظفرك. فقد ترعرعت في أحضان عائلة تحبّك،

وربتك أحسن تربية. وقلبك أبيض كالثلج. ما كنت لأحظى بصديقة أو حليفة أحسن منك. أسمعك يا حبيبة قلبي؟"

فأومأت برأسها بالإيجاب، ثم استقامت في وقفها: "سنبقى معًا حتى النهاية، أليس كذلك يا هاي؟" فوعدها: "نعم، سنبقى معًا حتى النهاية!"

وصرخت دروسيلًا: "فلتركب الآنستان في مقدّمة العربة!"

فركبت مايزيلي ولويلا العربة، وتمسكتا بالحافة الأمامية. ثم ركبت أنا ووايات خلفهما، وتشببتنا بالحافتين الجانبيتين. حينئذ، ما عادت أولويتنا أن نلفت أنظار الجمهور والممولين، بل أن نحافظ على توازننا، وأن نتجنب الوقوع من العربة. فقد شبّ أحد خيولنا فجأة، ثم ركل العربة بحافريه، وصهل صهيلاً حادًا. كان يُفترض بنا أن نتقدّم إلى الأمام ونأخذ موقعنا في الصف، غير أنّ العاملين كانوا يحاولون السيطرة على خيولنا وكبح جماحها. ولم يفلتونا إلا عندما اجتازت عربة المقاطعة الحادية عشرة باب الإسطبل.

لقد تأخرنا في الخروج إلى الممشى، لكن الأمر خارج عن سيطرتنا، وخيولنا التي يُفترض أن تكون قد تلقّت التدريب اللازم للسير في الموكب بهدوء ووقار من دون إرشاد، اندفعت إلى الخارج من دون أن تتوقّف عند باب الإسطبل ليلتقط المصوِّرون صورنا.

وفي أوّل تسعين مترًا، سارت خيولنا على إيقاع الموسيقى بخطى متناسقة. لكنني عندما نظرتُ إلى إحدى الشاشات العملاقة المعلقة فوق المدرجات المُكثَّظة على جانبي الممشى، ورأيتُ نفسي مُتفوقًا على الدرايزين بزبي الرديء، تذكّرتُ ما قاله وايات: نحن رهان خاسر. فاستقمّت ووقفّت مُنصِّبًا.

كان كلُّ الجمهور في حالة هذيان، وكان الجميع يتصبّبون عرقًا ووجوههم مُحَمَّرَة. ومنهم من صرخ وصاح مُستهزئًا بنا، ومن رمى زجاجات ونفايات علينا، ومن انحنى فوق الحاجز الذي يفصل المدرجات والممشى وتقياً ما في

معدته. وعلى الرغم من أزيائهم الفاخرة ومظاهرهم المُتكلِّفة، كانت رائحتهم مزيجًا من العرق والشراب والقيء؛ أشبه برائحة الساهرين في الهوب ليالي السبت.

وحاول رجل أن يخز مايزيلي بعصاه؛ فاختلّ توازنه، ووقع على وجهه وكسر سنًا. ووجهت لي امرأة كلمات وحركات بذئنة. كان من الصعب أن تتجاهل ما بدر من الجمهور الهائج، لكننا صمدنا... إلى أن انبثقت من بين الحشود مفرقة نارية انفجرت أمام عربتنا وومضت ومضت زرقاء.

وعلى الفور، فقدت خيولنا صوابها، واندفعت مذعورة بعيدًا عن المفرقة، وتمايلت وتخبّطت كيلا تسقط على الأرض. فانزلقتُ على ركبتيّ على أرض العربة، لكنني استطعتُ أن أحكم قبضتي على الحافة قبل أن تُطلق الخيول حوافرها للريح. وتعالَت هتافات الجمهور حين تجاوزنا عربة المقاطعة الحادية عشرة وتجنّبنا بأعجوبة الاصطدام بعربة المقاطعة العاشرة التي دُعرت خيولها أيضًا. أردتُ أن أحمي لويلا، إلا أنّ كلّ ما استطعتُ فعله هو التّشبّث بحافة العربة، ونحن نُجرّ بسرعة فائقة في الممشى.

عمّت الفوضى في المُدَرّجات والممشى، فيما أخذت العربات الأخرى تبتعد عنّا، وتفسح لنا المجال في محاولة لتجنّب الاصطدام بنا. ثم علا صوت صافرة الإنذار، وومضت أضواء حمراء دوّارة زادت الطين بلة؛ إذ ثارت خيولنا أكثر. أذكر أنّ الموكب ينتهي عند الدوّار المؤدّي إلى قصر الرئيس سنو. لكن، كيف سنوقف العربة؟

وما إن طرحْتُ هذا السؤال على نفسي، حتى تجلّى الجواب أمامي عندما رأيتنا نقرب من عربة المقاطعة السادسة، وعجلتها المُسنّنة الشائكة. ثم رأيتُ الشرر يتطاير في الهواء، وسمعتُ صرير احتكاك الحديد بالحديد، وشعرتُ بمحور العَجلة ينكسر تحت قدميّ، فاندفعتُ نحو لويلا على أمل أن أحميها من الصدمة، فيما مدّت هي يدها صوبي. وإذ بالعَجلة تنهار، والعربة

تنقلب وتقفز كلينا في الهواء. ثمَّ وجدتُ نفسي على الأرض، وبداي
مُغطَّستان في بركة من الدم، فيما أضواء الكابيتول تومض فوق كسراج
الليل.

أفضِّلُ الموت بهذه الطريقة. الموت على الممشى أفضل من الموت
بسبب السناجب والجوع والسيوف في ساحة القتال.

فسلِّمْتُ بالأمر الواقع، واستعددتُ للموت. إلا أنني سرعان ما أدركتُ أنَّ
الدم ليس دمي، وأنَّ الموت على الممشى لم يكن مصيري أنا، وأنَّ الشخص
الذي هرب من ساحة القتال هو لويلا.



تبادرت إلى ذهني صورة فرخ الطائر المقلد الميت على بساط من الطحالب، وعينه اللامعتين، وريشه الأسود المائل إلى الزرقة تحت أشعة الشمس، ورجليه الهامدتين، ولينور دوف وهي تُمسد ريشه بأطراف أصابعها قائلة: "يا صغيري المسكين... يا طائر خمد صوته... من سيغني ألكانك بعد رحيلك؟"

كان جسد لويلا الضئيل ساكنًا وهامدًا وسط الفوضى العارمة حولنا. يا لي من حام بارع! ماتت حليفتي في عهدي قبل أن تطأ قدمها ساحة القتال. من سيغني ألكانك بعد رحيلك، يا لويلا؟

ضاق نفسي من جرّاء الواقعة. وأنا متأكد من أنّ جسدي مصاب بالرّضوض ومغطّى بالكدمات، إلّا أنّني لم أر ما يشير إلى وجود كسر، فجتوت بجانب لويلا وأنا أناديها: "لويلا"، وحاولت أن أوقفها، وأجد فيها عرقًا نابضًا؛ مع أنّي أدركت في قرارة نفسي أنّ الأوان قد فات. ثمّ لاحظت أنّ بصرها شاخص، فعرفت أنّ روحها قد فارقت جسدها، فأغمضت عينيها. كان لون حاجبيها المرسومين بقلم أسود يتعارض مع لون وجهها الشاحب، وكانت إحدى ضفيريها ترقد في بركة الدم السائل من مؤخرة رأسها؛ حيث تفتت جمجمتها عند ارتطامها بأرض الممشى الأسفلتية. فرّبت ضفيريها، ثمّ لعقت إبهامي ومسحت قطرة دم عن خدها.

يبدو أنّ عريش⁽⁴⁾ عربتنا قد انكسر أثناء الحادث، فتحزّرت خيولنا وهربت، تاركةً في أعقابها دمارًا وحطامًا. خرج وايات ومايزيلي اللذان استطاعا البقاء مُتمسّكين بحواف العربة من بين الركّام مجروحين ومرضوضين. كلاهما حيٌّ يُرزق. رفع وايات خوذة لويلا التي وقعت منها حين قُذِفنا من العربة عن الأرض، واتّجه ومايزيلي نحونا. وحين دتّوا منّا، كانت حالة لويلا غنيّة عن البيان.

فخلّعت مايزيلي قلادة من الخرز الكبير المرصوف على شكل زهور بنفسجية وصفراء، قائلة: "كنتُ سأهديها هذه القلادة كتذكّار لتحمل معها قطعة من الديار في ساحة القتال". ثمّ جتّت بجانبها، فرفعتُ لها رأس لويلا بيدي لتضع القلادة حول عنقها. وتسرّب دم جديد من جمجمتها إلى راحتي.

وقلتُ لمايزيلي: "شكرًا، إنّها تحب الزهور". لم أقو على الحديث عنها بصيغة الماضي، وأنا أشعر بدفئها بين يديّ.

وحذّرتنا وايات: "إنّهم قادمون لأخذها".

فرأيت أربعة جنود يشقّون طريقهم نحونا بين المسعفين والمرافقين والمشاركين المذهولين، يريدون أن يُخفوا لويلا عن الأنظار في صندوق خشبي مع جرائمهم الأخرى، ويشحنوها إلى المقاطعة الثانية عشرة؛ لأنّ موتها على الممشى لم يكن جزءًا من المسرحية، بل كان حادثة عرضيّة سلّطت الضوء على عجزهم. فليس هذا هو الدم الذي يريدون أن تُرَيّن به شعارات الكابيتول وأكاذيبه وملصقاته.

حملتُ لويلا بين ذراعيّ، وبدأت أترجع إلى الوراء.

فقال لي وايات: "لا جدوى من الهرب، سيأخذونها مهما فعلت".

فصاحت مايزيلي بغضب: "ليست ملكًا لهم. لا تدعهم يأخذونها بهذه السهولة، أركض!"

فأطلقتُ رجليّ للريح، وأنا عدّاء سريع لم يهزمني أحد في سباقات الجري في المدرسة، إلّا وُدباين تشانس. إنّما ولّت تلك الأيام وانقضت. فركضتُ من أجل لويلا، ومن أجل وُدباين لأنه لن يركض مجددًا. لم أعرف إلى أين أذهب، لكنّ كل ما أعرفه هو أنّني لا أريد أن أسلم لويلا إلى الكابيتول وجنوده. فمايزيلي مُحقّة؛ لويلا ليست ملكًا لهم.

ركضتُ على نحو مُتعرّج، مُراوغيًا الجنود بين الأجساد الملطخة بالدماء حول حطام عربة المقاطعة السادسة. يبدو أنّ خيولها قفزت فوق الحاجز، وشقّت طريقها بين الجمهور. فكان المسعفون يحومون في الأنحاء وهم يصرخون، ويحملون جرحى الكابيتول على الحملات بعناية، مُهملين مجالدي المقاطعة السادسة المطروحين أرضًا.

واصلتُ الركض بين عربات المقاطعات الأخرى المصفوفة على جانبي الممشى. كان الطريق نحو قصر الرئيس سنو مفتوحًا وخاليًا من العوائق والخطر. لن أنجح. لن أبلغ القصر. فأصوات الجنود وخطواتهم تقترب منّي أكثر فأكثر، وذراعاي ترزحان تحت وطأة الجمل، وكل خطوة عذاب في هذا الحذاء الضيق، وكل نفس معاناة؛ فنفسي مقطوع منذ الحادث. ما فائدة الهرب مع لويلا إن كانوا سيأخذونها منّي عاجلاً أو آجلاً؟ فهل هناك فائدة في تأخير هذا الأمر المحتوم؟

استُبدِلَ البث المباشر بعلم بانيم على معظم الشاشات الكبيرة المعلّقة فوق الجمهور. لكنني رأيتُ نفسي على إحدى الشاشات المعدودة التي ما زالت تنقل ما يحدث في الممشى. كانت لويلا تبدو وكأنّها نائمة بين ذراعيّ، وإذا كان التصوير والبث مُستمريّن، أقلّه في الكابيتول، فلن تضيع مقاومتي سدى. ربّما أنّ الألوان لرسم مُلصقًا يدمغ أكاذيب الكابيتول بالحقيقة.

لمحتُ عربة ذهبية لامعة مربوطة بخيول ناصعة البياض أمامي. وكان مجالدو المقاطعة الأولى قد ترجّلوا منها ووقفوا بجانبها، ما عدا باناش، الذي

بقي على متن العربة يهزّ اللجام ويصرخ على الخيول: "هيا! تحرّكي!" يبدو أنّه يريد أن يكون المجالد الوحيد الذي تزفّه الخيول إلى قصر الرئيس ليحصل على لحظة مجدٍ يُمهّد بها طريقه إلى النصر. لكنّ الخيول لم تنصع لرغبته، بل أخذت تضرب حوافرها بالأرض وتهز رؤوسها إلى الخلف. حينئذ، خلعت سيلكا فردة من حذائها ذي الكعب العالي، وأخذت تضرب بها الحصان الواقف على الطرف حتى سال دمه، فصهّل من الألم، وبدأ يرفس في الهواء، ودُعِرت الخيول الثلاثة الأخرى. وعلى الفور، طرّحت سيلكا أرضًا، وقفز باناش من جانب العربة لينجو بنفسه.

كان الجنود لا يزالون يلاحقونني، وبدأت ذراعي تخونانني، فانتهرت الفرصة مُتحيّئًا غفلة باناش لأسرق منه فكرته العبقريّة، وقفزت على عربة المقاطعة الأولى في اللحظة التي سيطر فيها الهلع على الخيول ودفعها إلى الجري. أريد أن أكون المجالد الذي يصل إلى قصر الرئيس على متن عربة تجرّها خيول في وسط هذه الفوضى، وأريد أن تكون لويلا معي ليراها الجميع.

عندما اندفعت الخيول إلى الأمام، هوبت على حافة العربة الأمامية، فالتكأْتُ عليها، وأسندتُ لويلا إليها لأخفّف الحمل عنّي، مُتجاهلًا صيحة باناش الغاضبة. وحين استعادت الخيول وتيرة سيرها الطبيعية، استعدتُ توازني، واستقممتُ في وقفتي. لقد سقطت منّا خوذتان السخيفتان في الحادث، ومن دونهما لم نعد نشبه عمال المناجم. وقد كان زينا أسود قاتمًا لا يلفت النظر ولا يترك انطباعًا، غير أنّ قلادة الخرز الزاهية اللامعة على عنق لويلا وقدّاحة الصوان المربوطة حول عنقي سطعتا في هذا السواد. وللمرة الأولى، كان مظهرنا في هذه العربة الفاخرة وبحليّتنا الأنيقتين يوحي بأننا مجالدان يُحسب لهما حساب، وما عدنا رهائنًا خاسرًا يائسًا، بل نحن رهان يستحقّ المجازفة. لو أنّ لويلا لم تمّت.

توقّفت الخيول تحت شرفة القصر مباشرةً. فرفعتُ ناظرِي إليها، وتسمّرتُ في مكاني حابسًا أنفاسي. فقد كان الرئيس سنو على الشرفة بشحمه

ولحمه. ها هو ذا، سيّد بانيم الأكثر نفوذًا وقسوةً يقف بثبات، ويشاهد كارثة حفل افتتاح مباريات الجوع بهدوء. أمال رأسه قليلاً، فتدلّت خصلة من شعره الأشقر المجعد على جبينه. ثم التقت عيناه عينيّ، وارتسمت ابتسامة على شفّتيه. لم تحرّك أفعالي فيه ساكنًا؛ لا غضب ولا امتعاض ولا ذرّة خوف. فالشاب الجبلي الأرعن الذي يحمل جثة فتاة صغيرة بين ذراعيه مجرد دعابة تافهة لا تستحقّ من الرئيس إلاّ ابتسامة طفيفة.

سيأتي مَنْ يُطيح بك من سهوة الخيلاء والغرور إلى القبر يا حضرة الرئيس. ترجّلتُ من العربة، ومددْتُ لويلا على الأرض، ثمّ تراجعْتُ خطوة إلى الوراء كيلا يتظاهر بأنّه لا يرى جثتها الصغيرة. ثمّ أشرْتُ إليه، وبدأتُ أصقّق له لأعطي الثناء لمن يستحق.

فَلْتَرِ إن كان في وسعك أن تزيف الحقيقة في هذا الوضع، يا بلوتارك.

وعلى الفور، تغيّرت تعابير وجه الرئيس سنو، وحوّل نظره إلى الشاشة المعلّقة إلى يميني التي كانت تبتُّ صورتي من الرأس إلى الخصر وأنا أصقّق، ثم وضع أصابعه على الوردة البيضاء المغروسة في ياقة سترته- وهي علامته البارزة- وقومها، والتفت إليّ مجدّدًا. كان يحدّق إليّ بعينيه الزرقاوين بامعان، لكنّ بصره لم يكن مُوجّهًا إلى وجهي. هل استرعت قداحتي انتباه الرئيس سنو؟

أمسكني الجنود من الخلف وجروني بعيدًا، فيما هرع المسعفون إلى لويلا. كنتُ أعلم أنّ لا جدوى من الإسعاف. فقد ذهبت لويلا ولن تعود. ولم أريد أن أتركها وحدها، غير أنّني لم أعرف ما أفعله بجثتها. تُرى، هل شاهدت عائلتها ما حدث؟ ماذا عن عائلتي؟ لا أظنّ أنّ الكابيتول سيودّ أن يشاهد أحد في المقاطعة الثانية عشرة الحادثة. أغلب الظنّ أنّ البث قُطع في مقاطعتنا حين فزعت خيولنا وفقدت السيطرة.

تلوّيْتُ قليلاً بين أيدي الجنود، ثم أدركتُ أنني أتعبُ نفسي عبثاً، فأرخيْتُ جسدي، وتركتهم يجرّونني إلى الإسطبل. لكنّهم سرعان ما فطنوا إلى سكوني المريب، فأداروني وكبّلوا يديّ وأرغموني على المشي. عندئذ، سمعتُ هتافات الجمهور، وانتبهت إلى أنّ المدرّجات ما زالت مُكتظّة.

"من أي مقاطعة أنت يا فتى؟"

"انظر هنا يا أنت! ما اسمك؟"

"أنت من المقاطعة الثانية عشرة. أليس كذلك؟"

لفت السؤال الأخير انتباهي. هل كانت كل تلك الأسئلة مُوجّهة إليّ؟ فرصتُ أنظر إلى الجمهور يميناً ويساراً.

"تكلّم، يا فتى! كيف لنا أن نموّلك إن لم نعرف من تكون؟"

يريد هؤلاء أن يموّلوني ويرسلوا إليّ الطعام والإمدادات في ساحة القتال، ثم أن يراهنوا عليّ كأثني كلب جائع في حلبة مصارعة؟ ربما كان يجدر بي أن أبدي بعض الامتنان، أو على الأقل أن أتصرّف بذكاء. وإّما كيف أحكّم عقلي ويدي لا تزالان مُضرّجتين بدم لويلا؟ فتنخّمتُ وبصقتُ في وجه رجلٍ مليءٍ مُزيّنٍ بمرايا صغيرة مغروسة في بشرته، وأصبّته في خده، فانفجر الجمهور ضاحكاً.

"أحسنّت!"

"أعجيني أسلوبك!"

"أأنت هايميتش أو وايات؟"

صدر السؤال الأخير عن امرأة تعتمر عشّ طائر كقبّعة على رأسها، وتلوّح بورقة مطبوع عليها برنامج مباريات الجوع والرقم "50" بالذهب اللامع على خلفية علم بانيم. فتنخّمتُ مرّة أخرى، غير أنّ أحد الجنود حدّرنني قائلاً:

"هذا يكفي". لكنني تجاهلته وبصقته، فضربني بمرفقه على خصري، وتعالى هتافات الجمهور، فلم أدري لمن منا كانوا يهتفون.

ضاق الجنود بي ذرعًا، فرموني في عربة مجالدي المقاطعة الرابعة. وعلى الفور، تمسكتُ برمح زائف ثلاثي الشعب لأتجنب الوقوع من العربة مرة أخرى، غير أنّ صاحب الرمح لم يُعجبهُ الأمر. فما إن بلغنا الإسطبل حتى ضربني بطرف العصا على معدتي، وطرحني أرضًا.

فضحكت شابة من المقاطعة الرابعة قائلة: "ضربة موفقة يا أورتشين". وابتعدت مع رفاقها وهي تلوح بذيل حورية البحر.

لم أجد سببًا وجيهًا للنهوض، فبقيتُ ممددًا في مكاني غير آبه إن دهستني أقدام أو حوافر أو عجلات. إذ لم يفارقني منظر جثة لويلا الباردة الممددة تحت شرفة الرئيس سنو. أشعر بأنّ هذا المشهد انطبع في ذاكرتي إلى الأبد.

استتبّ الوضع، وبدأ الجمهور يتفرّق والممشى يخلو تدريجيًا. إنّما ما كان أحد على عجلة من أمره لإزاحة مجالد مُستعصي من المقاطعة الثانية عشرة. وبعد حين، أطلت مايزيلي فوقى وشعرها المُجعد المموج ينساب كله على إحدى كتفيها، وقالت لي: "كانت لك الكلمة الأخيرة الليلة، يا سيد أبرناثي".

"وما كانت هذه الكلمة بالضبط يا آنسة دونر؟"

"لا تعبثوا مع سكان المقاطعة الثانية عشرة".

فارتسمت نصف ابتسامة على شفتيّ: "هل تظنين أنّني أخفتهم؟"

وردت عليّ: "لا. لكن، لم يعد بإمكانهم أن يتجاهلونا". وأضافت وهي تساعدني على الوقوف. "أفضل أن يكرهوني على أن يتجاهلونني".

واقترب وايات مئا قائلًا: "أحسنَت صنعًا. قد يساعذك ما فعلته مع الجمهور. أعني، في الحصول على بعض الممولين. كما تحسَّنت فرص فوزنا قليلًا بعد الحادث؛ فقد أُصيبَ جميع مجالدي المقاطعة السادسة بالأذى والجروح، وتضرَّر مجالدو المقاطعة العاشرة أيضًا".

ضبطتُ أعصابي وتمالكْتُ نفسي كيلا أن أضربه، وقلْتُ: "وماتت لويلا".

"هذا صحيح. لكن لويلا لم تكن تشكُّل خطرًا على أيِّ مئا، وكانت مرتبتها متدنيَّة في تصنيف المجالدين؛ نظرًا إلى أنَّها فتاة صغيرة الحجم في الثالثة عشرة من العمر من المقاطعة الثانية عشرة".

حدَّقْتُ إليه مذهبًا من لامبالته وبرودة أعصابه، ثمَّ سألتُه: "وما كان تقدير والدك لفرص فوزك في مباريات الجوع يا وايات؟"

فتسلَّلتُ ملامح الحرج إلى وجهه، إلَّا أنَّه اكتفى بالقول: "حوالي أربعين إلى واحد".

"أيعني هذا أنني إذا راهنتُ على فوزك بدولار وفُزت أنتَ في مباريات الجوع، فسأربح أربعين دولارًا؟"

"ستربح واحدًا وأربعين دولارًا. لكن يجب أن تقتطع من هذا المبلغ عمولة الوكيل".

"يبدو أنَّك حقًّا رهان خاسر، فحتى والدك لا يعلِّق عليك آمالًا كبيرة".

فقال وايات: "لم أدِّع غير ذلك". ثمَّ استدار واتَّجه نحو شاحنتنا، وهي إحدى الشاحنات القليلة المتبقية في الإسطبل.

فقالت لي مايزيلي: "كان كلامك جارحًا؛ حتى بالنسبة إلي. فنحن لا نختار ذوبنا".

"لكن يمكننا أن نختار ألا نسير على خطاهم".

وردت عليّ قائلة: "لا خيار أمامنا. كنتُ سأقضي بقية حياتي في متجر عائلي، أبيع الحلوى؛ حتى لو كرهتُ هذا العمل. وأظنك كنت ستعمل في المناجم حتى الممات. فدرونا مرسومة منذ الولادة، ولا نستطيع سوى السير عليها".

ثم لحقتُ بوايات إلى الشاحنة، فبقيتُ وحدي أفكر في ما إذا كنتُ قد تفوّقت عليها في المساواة واللؤم. فهذا ليس بأمر يُفتخَر به. لكن ما فعله وايات لا يُشرّف أيضًا؛ فكيف يحسب تأثير وفاة لويلا على فرص فوزنا قبل أن تبرد جثتها؟ كيف يحولها إلى رقم لا يُعتدُّ به في حساباته؟ فهي ليست مجرد رقم، بل إنها الطفلة الصغيرة التي قابلتها في يوم ولادتها، حين رفعها السيد ماكوي بفخر وسعادة من وراء النافذة ليربها لأطفال السيم. شعرتُ بغصّة تعتصر قلبي وتهدّد بإغراقي في دوامة من الحزن، فما كان منّي إلا أن حبستُ حزني ووجعي في صندوق صغير أحكمتُ إقفاله ودفعته إلى أعماقي. لن يحصد الكابيتول دموعي لتسلية جمهوره.

لكنّ الإجهاد المعنوي أصابني بالدوار، فالتكأتُ على عمود، وأخذتُ أشاهد الطيور وهي تقفز من عارضة خشبية إلى أخرى في السقف، والعربات والخيول وهي تدخل إلى الإسطبل واحدة تلو الأخرى، والمجالدين اللذين يتقاطرون معها تباغًا من الممشى وينضمّون إلى فريق مقاطعتهم. وكان بعض الجنود يجوبون الأنحاء، ويلتقطون المجالدين الشاردين ويكبّلونهم ويقتادونهم إلى الإسطبل، إلا أنّهم لم يقتربوا منّي، بل رمقوني بنظراتهم وتركوني وشأني. فوجدتُ نفسي أُحدّق إلى لوحة إلكترونية عليها لائحة بأسماء مجالدي الدورة الثانية من مباريات الجوع الربعية. يبدو أنّ أسماء عائلاتنا لست مهمّة.

لائحة المجالدين

في الدورة الثانية من مباريات الجوع الربعية

المقاطعة الثانية		المقاطعة الأولى	
ذكر	ألفيوس	ذكر	باناش
أنثى	كاميلا	أنثى	سيلكا
ذكر	جانوس	ذكر	لوبي
أنثى	نونا	أنثى	كارات

المقاطعة الرابعة		المقاطعة الثالثة	
ذكر	أورتشين	ذكر	آمبيرت
أنثى	باربا	أنثى	ديو
ذكر	آنجلير	ذكر	ليكت
أنثى	ماريتي	أنثى	كوبل

المقاطعة السادسة

المقاطعة الخامسة

مايلز	ذكر	هايتشيل	ذكر
ويلي	أنثى	أنيون	أنثى
آتريد	ذكر	فيسير	ذكر
فيلو	أنثى	بوتينا	أنثى

المقاطعة الثامنة

ويفتون	ذكر
نوشيون	أنثى
ريمان	ذكر
ألونا	أنثى

المقاطعة السابعة

بيتشير	ذكر
أوتون	أنثى
هارتوود	ذكر
رينجينا	أنثى

المقاطعة العاشرة

باك	ذكر
لاني	أنثى

المقاطعة التاسعة

ريان	ذكر
كيرنا	أنثى

ذكر	كلايتون	ذكر	ستامب
أنثى	ميدج	أنثى	بيلير

المقاطعة الحادية عشرة

ذكر	هال	ذكر	وايات
أنثى	تشيكوري	أنثى	مايزيلي
ذكر	تايل	ذكر	هايميتش
أنثى	بلوسوم	أنثى	لويلا

ثمانية وأربعون فتى وفتاة. وينقص الرّقم واحدة. لن أستطيع تذكُّر أسمائهم جميعًا. ولا أعتقد أنّ أحدًا منهم سيتذكّر اسمي؛ فعددنا كبير جدًّا. اقترب منّي فتى يرتدي بذلة زرقاء كهربائية، حجمه بحجم أخي سيد تقريبًا، وأصفاده تُصدر طنينًا خفيًّا. خروف آخر يُساق إلى المسلخ. "مرحبًا، أنا أمبيرت. أنا من المقاطعة الثالثة".

نظرتُ في الأنحاء. إله وحده من دون مرافق. يبدو أنّ فُرصه في النجاة أسوأ من فُرصِي. ومع أنّي لا أعرف ما يريد منّي، إلّا أنّني سأعامله كما أرجو أن يُعامل أخي سيد إن كان مكانه. فقلتُ: "مرحبًا، يا أمبيرت. أنا هايميتش. كم عمرك؟"

"اثنا عشر عامًا. وأنت؟"

"أتممتُ السادسة عشرة أمس".

فقال: "حظ عاثر". ثمّ جلس القرفصاء إلى جانبي، وبدأ يعبث بأصفاده قائلاً: "لتحررتُ في غمضة عين لو كان معي دبوس شعر".

فارتسمت على ثغري ابتسامة وهو يتباهى بنفسه، وقلتُ: "أو مفتاح".

"ذكرتني بأبي. فهذا بالضبط ما كان سيقوله لي في هذا الموقف. سيضحك عندما أخبره بما حصل".

كان في وسعي أن أقول له الحقيقة المُرّة وأن ألفت نظره إلى أنّه لن يرى أباه مجدّدًا. إنّما ليس في قلبي مُتسع لمزيد من اللؤم اليوم، ففضّلتُ أن أسايره وأترأف به، وناولته دبوس أمان من زيّي: "حاول باستعمال هذا الدبوس، يا بطل".

فأضاء وجهه؛ وكأ أنّه حصل على لعبة جديدة. ثمّ فتح الدبوس بسرعة، وأخذ يحرك طرفه في قفل الأصفاد.

"لا نتعلّم هذه الأمور في المدرسة، فتعلّمنا المدرسي يقتصر على التكنولوجيا التي نستخدمها في المصانع. لكنّ أُمّي تعلّمني هذه المهارات؛ فهي مهندسة بارعة. أترغب في التحالف معي؟ فعندي مهارات تفيد في ساحة القتال".

هكذا إذًا. لقد نبذه مجالدو مقاطعته، فجاء إليّ بحثًا عن شخص في وضع أسوأ منه. بالطبع سيأتي إليّ، فعامل المنجم من المقاطعة الثانية عشرة مرشح مناسب.

فقلتُ له: "سبق أن تحالفتُ مع شخص آخر، لكنّه لقي حتفه".

"أتقصد لويلا ماكوي؟ أنا آسف، لم أعرف أنّها تُوقِّيت، ظننتها غابت عن الوعي. إذًا، حمّلتَ الرئيس سنو مسؤولية وفاتها".

الحق يُقال؛ لا تفوت آمبيرت شاردة ولا واردة، فأجبتّه: "لا أظن أنّي سأكون حليفًا مناسبًا لك يا آمبيرت. يمكنك أن تجد حلفاء أفضل مِنّي. لم لا تسأل مجالدي مقاطعتك إن كانوا يودّون أن يشكّلوا فريقًا معك؟"

"لقد شكّلتُ فريقًا مع مجالدي مقاطعتي. لكنني أحاول أن أشكّل تحالفًا مع مقاطعات أخرى لمواجهة تحالف المجالدين المحترفين. سبق أن انضمّ إلينا جميع مجالدي المقاطعتين السابعة والثامنة. ومجالدو المقاطعة الحادية عشرة يدرسون الموضوع".

ثم أدار الدبوس في القفل مرّة أخيرة، فسقط الصقْدُ عن معصمه الأيسر. وعلى الفور، رفعه آمبيرت عاليًا قائلاً بفخر: "ألم أقل لك إنّني سأحرّر نفسي؟"

قلْتُ له مدهوشًا: "ياه! كيف فتحتَ القفل؟"

فأجابني وهو يعيد إحكام الصفد حول معصمه قبل أن يلاحظ أحد ما فعله: "لو كان لدينا المزيد من الوقت لعلمتُك". ثم خبأ دبوس الأمان في جيبه وأضاف: "العرض سارٍ إن غيّرت رأيك". ثمّ انطلق راکضًا نحو مجالدي مقاطعته، وأخبرهم بما دار بيننا، فصاروا ينظرون إليّ نظرات مُتفحّصة.

لمّ يريد آمبيرت أن يتحالف معي؟ فأنا لسْتُ من أصحاب الذكاء والفتنة. ربّما يفكّر مثل هاتي، ويظن أنّني أصلح لحمل الأثقال كالذّواب. على أي حال، كانت لويلا حليفتي الوحيدة. وبموتها ماتت رغبتني في التحالف مع أي شخص آخر.

حين لم يبقَ أحدٌ غيري من المجالدين في الأنحاء، أمرتني جنديّة بركوب الشاحنة، وقيدتني ومايزيلي ووايات بالسلاسل، ثم راحت تجول بنظرها في

الإسطنبول، وقطبت حاجبها قائلة: "أين مرافقتكم ومُصمّم أزيائكم ومرشدوكم؟"

فلم يجبها أيُّ منّا. ما فائدة الجواب؟ نحن لا نعلم أين هم، ولسنا مسؤولين عن تبرير غيابهم.

فقالت جنديّة أخرى: "غادرت دروسيلّا على عجلة بعد الحادث، وماغنو ستيفت لم يكلف نفسه بحضور الموكب أصلًا". ثم ألقّت نظرة على لوحة المعلومات التي في يدها وأضافت: "وما من مرشدين مُكلّفين بالمقاطعة الثانية عشرة على اللائحة".

عندئذٍ، تأقّفت الجنديّة الأولى وقالت: "وماذا ينبغي أن نفعل بهم؟ سنتتهي مناويتي بعد عشر دقائق. وأنا مدعوّة إلى حفلة مع فرقتي؛ فأنا الوحيدة التي تُعدُّ مشروبات لذيذة".

"لا يمكننا أن نتركهم هنا. خذهم إلى مسكنهم، وليتدبّروا أمورهم بأنفسهم".

ثمّ أغلِقَ باب الشاحنة، وعلا هدير المحرّك. وما إن أسندتُ رأسي إلى الجدار في العتمة الحالكة، حتّى استحوذت عليّ كل المشاعر والآلام والمآسي التي حاولتُ أن أكتبها في اليومين الماضيين: الصّداع الحاد الناجم عن الضربة التي تلقّيتها بالبندقية، والصعقة الكهربائية، ووجع القلب على فراق أحبائي ووداعهم، والاستحمام بالمواد السامة، وموكب الاستعراض المُهين، وحادثة العربة المروّعة. وأسوأ ما في الأمر هو أنّني مبلّل بدماء لويلا. شعرتُ وكأنّني كتلة من الوجد؛ لا راحة في الجسد، ولا سكينه في القلب.

ترجّلنا من الشاحنة في شارع تصطفّ على جانبيه مبانٍ سكنية ملوّنة كحلوى قوس قزح، وقادتنا الجنديّة المستاءة إلى مدخل يحرسه جنود مدجّجون بالسلاح، ثم عبّر ردهة تكسو جدرانها ألواح بديل الخشب، ووصولًا إلى مصعد تفوح منه رائحة الأقدام والعطر الرخيص. وأخيرًا، أدارت مفتاحًا في

القفل الذي يحمل الرقم "12" على جدار المصعد، وأخذت تفكُّ قيودنا في طريقنا إلى الأعلى، وهي تقول: "إنَّ مرشديكم ينتظرونكم في الأعلى. وطلبوا منَّا أن نزيل عنكم القيود. لكن لا تُقَدِّموا على أي فعل قد تندمون عليه؛ فالمكان يعجُّ بجنود حفظ الأمن والكاميرات". ثم أشارت برأسها إلى كاميرا في زاوية سقف المصعد. كانت الكاميرا ظاهرة للعيان، ولم يُحاولوا إخفاءها. فهُم يريدون منَّا أن نعرف، أو أقله أن نظنَّ أنَّهم يراقبوننا على مدار الساعة.

فهمستُ: "لا سلام من دون جنود حفظ الأمن".

وأومات الجندية برأسها إيجابًا: "بالضبط".

وحين فُتِح باب المصعد، دَفَعَتْنَا الجندية إلى الخارج، فوجدنا أنفسنا في مدخل وحدة سكنية. وعلى أحد الجدران، رأيتُ لوحة كلب بودل أبيض يرتدي بذلة رسمية مُعلَّقة فوق طاولة صغيرة عليها وعاء مليء بحبات برتقال مصنوعة من الشمع. فصاحت الجندية: "صاروا في عهدتكم!" قبل أن تغلق باب المصعد.

تركتنا الجندية تحت إشراف لوحة كلب بودل، فوقفنا بصمت بانتظار الجولة التالية من العذاب. ثمَّ شممتُ رائحة مألوفة؛ إنَّها رائحة حساء اللحم والفاصولياء الذي تعدّه أمِّي في عزاء الموتى. لكنَّ هذا غير معقول. حينئذ، بدأ الصندوق الذي حسبتُ فيه أوجاعي يتشقق، وبدأت عيناى تغصَّان بالدموع التي تراكمت في داخلي منذ حفل الحصاد إلى وفاة لويلا. فغضبتُ من نفسي، ورحتُ أرمش بسرعة وبقوة لأمنعها من الخروج.

تناهى إلى مسمعيّ صوت خطوات ناعمة، ثمَّ رأيتُ شابة تقترب منَّا، وعرفتها على الفور. إنَّها الشابة من المقاطعة الثالثة التي فازت بمباريات الجوع العام الماضي. "مرحبًا، أنا وايريس، إحدى المرشدتين المسؤولتين عنكم".

كانت ساحة القتال في ألعاب العام الماضي عبارة عن مساحة مليئة بالأسطح اللامعة التي تعكس ما حولها كالمرايا؛ فبدت كما لو أنّها سراب. إذ كانت مياه البحيرات تعكس صورة السماء، والغيوم تعكس صورة الأرض. كما كانت الصخور والجلاميد والكهوف والمنحدرات مرصوفة بالمرايا. فلمّا رُفِعَ المجالدون إلى ساحة القتال باستخدام منصات مسطحة مرتفعة، ضاعوا في متاهة الانعكاسات، وما استطاعوا أن يفرّقوا بين خصومهم وانعكاساتهم في المرايا. فأينما التفتوا، رأوا وجوهًا مُتكرّرة تحدّق إليهم، وأزياء لامعة عاكسة للضوء.

أذكر أنّ سيّد همس لي ونحن نشاهد المباريات: "ما هذا؟ أستطيع بصعوبة أن أشاهد ما يحدث. أصابني الحول".

كان المشهد مُحيّرًا ومُربكًا على الشاشة، فما بالك بساحة القتال؟ كان في منتصف الساحة هيكل حديدي فضي كبير يشبه قرن الماعز، فيه حقائب مليئة بالمؤن وأسلحة، ويُعرّف باسم "قرن الوفرة". إنّما لم يكن الحصول على الطعام والأسلحة المتناثرة عليه وحوله بالأمر السهل. فكم من مجالد خدعته الانعكاسات فركض نحو سيف ومدّ يده لانتشاله فانتشل حفنة من الهواء، أو قفز إلى ما تهياً له أنّه فسحة أرض خالية فاصطدم بجدار، أو راوغ ليتفادى حدّ السيف فقفز صوبه وغرسه في جسده.

في تلك السّاحة، فقد المجالدون صوابهم وأصيبوا بالجنون، ما عدا وايريس. إذ لم تنهوّر وتركض نحو قرن الوفرة مثل الآخرين، بل أخذت تدرس ساحة القتال بعناية وتأنّ، ثمّ ابتعدت بحذر عن وسطها، وانتشلت حقائب مؤن من العدم. وحين اندلعت المعركة الأولى بين المجالدين قرب القرن، كانت بمنأى عنهم. فتجولت في ساحة القتال، واستكشفتها على راحتها، حتى استقرت على صخرة كبيرة تطل على بحيرة. لكنّ أحدًا من المجالدين الآخرين لم يرّها؛ حتى عندما كانوا يمرّون على بُعدٍ بضع أقدام منها؛ فقد حجبها المرايا والانعكاسات عن أنظارهم، وخبّأتها على مرأى العين. وهكذا، بقيت طوال

فترة المباريات جالسة على صخرتها بهدوء وسكون، وكأنَّ على رأسها طيرًا، وراحت تأكل وتشرب من البحيرة، وتنام متكورة.

والمضحك في الموضوع- إن جاز وصفُ شيءٍ مُتعلِّقٌ بمباريات الجوع بالمضحك- هو مشاهدة مُصمِّمي المباريات وهم يحاولون أن يرسلوا إليها هدايا المُمَوِّلين مرارًا وتكرارًا ويفشلون في كل مرة. فقد كانوا كالمجالدين عاجزين عن رؤيتها. ومع أنَّهم حاولوا أن يمزحوا حيال هذا الموضوع، إلاَّ أنَّه كان من الواضح أنَّهم شعروا بالإحراج لأنَّ شابة من المقاطعة الثالثة استطاعت أن تفهم آليَّات ساحتهم أكثر منهم وتستخدمها لصالحها.

وحين لم يبقَ في ساحة القتال سوى فتى من المقاطعة السادسة، وقفت وايريس أخيرًا على صخرتها، فانقضَّ الفتى عليها، إلاَّ أنَّه لم يَطلِّها، بل صدم رأسه بالصخرة وشقَّ جمجمته وغرق في البحيرة. وعلى الفور، حامت طائرة النصر فوق "قرن الوفرة" قرابة الساعة باحثة عن وايريس. ولم تجدها إلاَّ عندما قررت وايريس أخيرًا الخروج من مخبئها، وسارت نحو الطائرة لتعيدها إلى الكابيتول. وعندما سُئِلت لاحقًا عن استراتيجيتها العجيبة، قالت ببساطة: "تَبِعْتُ الأنوار". وامتنعت عن إعطاء أي تفاصيل أخرى، إمَّا لأنَّها لم تُرد أو لأنَّها لم تستطع مناقشة الموضوع. وعلى الرغم من أنَّ ما أنجزته يستحق الثناء- لأنَّها غلبت مُصمِّمي المباريات في عقر دارهم- إلاَّ أنَّها كانت تثير القلق في النفوس.

لا عجب في أنَّنا حصلنا عليها كمرشدة. فالكابيتول يرمي لنا فضلاته دائمًا؛ بدءًا من أزيائنا القذرة، ومرورًا بخيولنا الضَّعيفة، ووصولًا إلى وايريس. لم أستطع أن أتقبَّل الأمر. لا أريد أن تكون وايريس مرشدتي؛ إذ ما عاد بإمكانني التعامل مع أشخاص غربيي الأطوار. لقد تعبثُ. كيف لشابة تتبع الأنوار أن تُعلِّمني النجاة؟ كيف يمكنها أن تُعلِّمني كيف أحمي نفسي وأضمد جروحي إذا كانت قد حَرَجَت من ساحة القتال من دون خدش؟ كيف بإمكانها أن ترشدني إذا لم تحارب أو تقتل أو ترشد أحدًا من قبل؟ لا تستطيع.

كنت سأقول لها كل ما دار في ذهني، لولا وصول امرأة ثانية أكبر منها
سنًا، بعمر هاتي تقريبًا. لم أعرفها على الفور، ثم تذكرت إحدى مباريات الجوع
التي شاهدتها في طفولتي. كان الفائز فتى يرتدي بذلة من الأصداف البحرية.
وفي حفل تتويجه، اجتاحته نوبة هلع حين تتالت على الشاشات مُقتطفات
تُظهرُ وفاة منافسيه الثلاثة والعشرين الواحد تلو الآخر. فاحتضنت هذه المرأة
الصببي، وبذلت ما في وسعها بصفتها مرشدته لتحجبه عن الكاميرات التي
تقتات على الألم والعذاب ولا تعرف الرحمة.

اسمها ماغز، وهي من المقاطعة الرابعة. نظرت إليّ بعينين مُتعاطفتين،
وفتحت ذراعَيْها قائلة: "أنا آسفة على ما حصل للويلا، يا هايميتش".

احترتُ هنيهة، واختلطت مشاعري. أغضب أم أحزن؟ ثم أثقل الحزن
قلبي، فخطوت نحوها ووضعتُ رأسي على كتفها، وأجهشتُ بالبكاء.



لستُ ببكاءٍ في العادة. فأنا لا أبكي إلا حين يخطف الموت مَنْ أُحِبُّ. حينئذ، أبكي بكاءً جارفاً وقبيحاً؛ مثلما أفعل الآن لأنّ لويلا ماتت في عهدي، ولأنتي فشلتُ في حمايتها. فإن كانت لينور دوف حبي الحقيقي الوحيد، فلويلا حبيبة قلبي الوحيدة.

احتضنتني ماغز، ولم تفلتني فيما نشجتُ وبكيتُ وسال أنفي ودمعي على كتفها. فيما أخذتُ وايريس مايزيلي ووايات إلى غرفة أخرى لتمنحني بعض الخصوصية. فهمستُ بغصّة: "أنا آسف". لكنّ ماغز هزّت رأسها، وربّبت على ظهري بصمت.

وحين هدأت أعصابي قليلاً، أخذتني إلى الحمّام، حيث كان حوض من الماء الساخن بانتظاري، وناولتني كيساً وهي تقول: "ضع زيّك في هذا الكيس، فقد طالب ماغنو باستعادة أزيائه. ثمّ استحمّ، وانضمّ إلينا".

غادرت ماغز وأغلقت الباب وراءها، فغطّيتُ الكاميرا بمنشفة لأحصل على بعض الخصوصية؛ غير آبهٍ إن كان تصرّفني هذا سيجرّ عليّ عقاباً صارماً، ثمّ خلعتُ الزيّ البغيض ورميته في الكيس. في عائلتي، كنّا نستحمّ بمياه ساخنة أيام الأحد فقط. أما في سائر الأيام، فكنا نتدبّر أمورنا بدلاء من الماء البارد؛ لأنّ ملء حوضنا المصنوع من القصدير مهمة شاقة فيها عناء طويل لضخ الماء وتسخينه. لم يخطر لي قطّ أنّني سأستحمّ يوماً بلوح صابون ناعم وصابون سائل في حوض استحمام عميق مصنوع من الخزف، وطافح بالمياه الساخنة. غطّستُ جسدي

في المياه النقية شيئًا فشيئًا، فغمرني دفؤها وحصنني، فيما صبغها دم لوبلا باللون الوردي.

أغمضتُ عينيَّ وصَفَيْتُ ذهني حتى سكتت الأصوات في عقلي، وتلاشى العالم كله من حولي. فبقيتُ وحدي في أحضان الدفء، لا أسمع إلا هسيس همسات بعيدة، وأستنشق رائحة الحساء الطيبة والصابون المعطر بعبير الأزهار. ظللتُ على هذه الحال طويلًا، وحين فتحتُ عينيَّ، كان الماء قد برد، وأطراف أصابعي قد تجعّدت كقشر الفاكهة اليابسة. فأفرغتُ الحوض، ثم وقفتُ تحت مرشّة الاستحمام وفركتُ جسدي جيدًا لأزيل عني بقايا مبيد الحشرات، وغبار الطريق، ودم لوبلا.

بعد ذلك، جفّفتُ جسدي بالمنشفة الوثيرة، وارتديت الملابس السوداء التي تُركتُ لي في الحمام، وانتعلتُ الحذاء الجديد. تردّدتُ لحظة في الانضمام إلى الآخرين بعد انهيار العلي أمامهم، لكنني سرعان ما تخطّيتُ الأمر وهممتُ بالخروج. لا يهمني رأي أحد، فليظنّوا ما يشاؤون.

لم تكن الشقة مُزيّنة بلمسات دافئة تُشعّر المرء بأنّه في منزله؛ فقد بدا لي أنّ ذوق المُصمّم غريب وقائم على هوس بالأغراض الزغبية الناعمة، واللون البرتقالي الغامق، وصور وتماثيل القلط والجراة الصغيرة. وكانت القضبان المُثبّنة على النوافذ توحى بأنّ هذه الشقة مجرد قفص كبير ومُزيّن. تبعثُ الرائحة الطيبة إلى المطبخ، حيث كان وايات وماغز ووايريس يجلسون إلى المائدة ويتناولون الطعام.

قالت لي ماغز: "انضمّ إلينا يا هايميتش. صديقتك تستحم". وسكبتُ لي صحنًا كبيرًا من حساء الفاصولياء واللحم. كنتُ مرهقًا، فلم أوصّح لها أنّ مايزيلي إحدى زميلاتي في الصف، لا أكثر.

ثم قالت وايريس: "طلبتُ ماغز من الطباخ أن يُعدّ لكم هذا الطبق".

فردت ماغز وهي تضع الصحن أمامي: "هذا صحيح. فهذا الحساء يبعث الراحة والسكينة في النفس". ووافقها الرأي قائلاً: "هذا صحيح". ورحت أستنشق رائحة الحساء الزكية، فتبادرت إلى ذهني صورة شقيقتي التوأم وأبي وجدتي ولويلا. ثم شربت الحساء، وسرى طعم الديار في عروقي؛ لعلّه يمدني بالقوة لمواجهة العاصفة المُقيلة. وسألت: "ما هذا المكان؟"

أجابني ماغز: "هذه الشقة مُخصّصة للإيجار لفترات قصيرة. وقد استأجرها القِيمون على مباريات الجوع هذا العام كسكن للمجالدين".

وأضافت وايريس: "في العام الماضي، وضعونا كلنا- أربعة وعشرين مجالداً- في إحدى ثكنات الجنود. أمّا هذه الترتيبات الجديدة فتمنحكم بعض الخصوصية".

أجبت: "أي خصوصية؟ لقد غطيّ الكاميرا في الحمام بمنشفة لأستحم على راحتي".

وشرحت لي ماغز: "ركبوا هذه الكاميرات مؤخرًا لمراقبة المجالدين. وكل ما نعرفه هو أنّ الكاميرات تصوّر كل ما يحدث في الشقة على مدار الساعة. إنّما لا سبيل لمعرفة ما إذا كان الجنود يشاهدون البث المباشر أو المقاطع المصورة".

حينئذ، نهض وايات عن كرسيه قائلاً: "أنا ذاهب للاستحمام".

كنت أودّ أن أعتذر منه وأقول له: *إِنِّي آسف عمّا قلته سابقًا عن أبيك ورهانه عليك*. لكنّ التعب أرهقني واستنزف طاقتي، فلم أقل له أيّ شيء.

تركتني ماغز ووايريس أكمل وجبتي بصمت، فتناولت الحساء، وبعض الخبز الأبيض مع الزبدة، وقطعة كبيرة من فطيرة الخوخ. وحين أنهيت طعامي، خشيتُ أن تفتحا معي جلسة للتخطيط للقتال. لكنّ ماغز قالت

ببساطة: "لم لا تذهب إلى النوم يا هايميتش؟ يمكننا أن نكمل حديثنا في الصباح".

وأخذتني إلى غرفةٍ فيها سريران، على كلٍّ منهما لحاف برتقالي ملمسه كالقرو، ولباس للنوم. ثم تمتّ لي ليلةٌ سعيدة، وغادرت الغرفة. فبدلتُ ثيابي، واندسستُ تحت اللحاف مُتَوَقِّعًا أن يكحلّ الأرق عينيّ هذه الليلة. لكنني ما إن وضعتُ رأسي على المخدّة، حتى غرقتُ في سباتٍ عميق.

كانت لينور دوف تقول لي دومًا إنّ أحلامي كمرآة تعكس ما يشغل تفكيري بوضوح. الليلة، عانيتُ من كوابيس مُفزِعة لها علاقة بكل ما عشته في الأيام الماضية، وكل ما أتخوّف من حصوله في الأيام المُقبِلة. ورأيت رؤوسًا، وجماجم مُتفجّرة، وعربات مُتَحَطِّمة. وبما أنّني لا أعرف ما يُخبئه لي مُصمِّمو المباريات، وما سأواجهه حين يُقرَع الجرس في الساحة مُعلِنًا بداية القتال، صار عقلي الباطني يستلهم الصّور من مباريات الجوع الماضية، ويُفكّر في سيناريوهات وأسباب مختلفة للموت: السلاح، الجوع، الكائنات المُعدّلة جينيًّا؛ إذ لم يرَ مُصمِّمو المباريات أنّ الشرور القديمة- كالأسلحة والجوع- كافية لتسلية جماهير الكابيتول المُتعتّشة للدماء، فقرّروا اختراع كائنات مُعدّلة جينيًّا في مختبراتهم؛ كالسناعب التي تنهش الوجوه، أو الخنافس الفصّية اللامعة التي استخدموها في ألعاب العام الماضي والتي تحتشد بأعداد كبيرة حول المجالدين، وتسحب الهواء من رئاتهم وتخنقهم. وقد اختار عقلي الباطني الموت بهجوم الخنافس.

أخذت الخنافس تمتصّ الأوكسجين من رئتيّ رويدًا رويدًا، حتى استفقتُ من الكابوس مُنقطع الأنفاس. كان وايات نائمًا على السرير المُقابل لسريري يشخر كمن ينشر الخشب بمنشار كهربائي، فتأكّدتُ من أنّني لم أكن مُخطئًا عندما قرّرتُ ألاّ أتخالف معه. إذ إنّ شخيره وحده كفيّل بإرشاد خصومنا إلينا في ساحة القتال. هل يتظاهر بالنوم كما فعل في القطار حين تنصّت إلى حديثي مع لويلا؟ فراقبته مُطوِّلاً، وتبيّن لي أنّه مُستغرق في النّوم فعلاً.

بقيت تحت اللّحاف، مُستفيدًا من وحدتي لأستجمع أفكارى وأستوعب كلّ ما عشته في الأيام الماضية؛ فقد تتالت الأحداث بسرعة فائقة. وما زلت لا أصدّق أنّ لويلا ماتت فعلاً. لقد خسرتُ حليفتي، ثمّ عرض عليّ أمبيرت التحالف معه. ارتحتُ لذلك الفتى، وأثارت فكرته عن تشكيل تحالف ضد المجالدين المُحترفين فضولي وإعجابي في آنٍ معًا. تُرى، هل سيقبل بوايا ومايزيلي في فريقه؟ لا يبدو أنّه نيق. فقد تحالف مع مجالدي المقاطعتين السابعة والثامنة؛ على الرغم من أنّي لم أرَ فيهم ما يلفت النظر. على الأغلب، إنّه يسعى إلى جمع أكبر عدد ممكن من المجالدين، ويركّز على الكمية وليس على النوعية. لكنّه إن حصل على دعم المقاطعة الحادية عشرة سيرجّح كفة الميزان لصالحه...

ومع ذلك، لم أقتنع بعد تمامًا بفكرة التحالف معهم. سأسأل ماغز عن رأيها في هذا الموضوع. إنّ كون مرشدتي من المقاطعة الرابعة- إحدى المقاطعات التي تُنجب مجالدين محترفين- أمرٌ غريب. لكنّ ماغز شاركت على الأرجح في الدورات الأولى من مباريات الجوع، أي قبل زمن "المجالدين المحترفين". وربما لا يجدر بي الحكم على وايريس بقسوة؛ فما فعَلته مثير للإعجاب. ولو كان بإمكانى الفوز في المباريات عن طريق الخداع، من دون أن أحرّك ساكنًا، لفعلتُ. لكنّ الفوز بهذه الطريقة من شيم أشخاص مثل أمبيرت، وليس مثلي أنا.

أخرجتني رائحة الطعام المقلّي من السرير، فارتديتُ ثياب الليلة الماضية، وذهبتُ إلى المطبخ؛ حيث وجدتُ ماغز ووايريس تجلسان إلى المائدة كما تركتهما بالأمس. يبدو أنّ التّوم لم يكحلّ أجفانهما. ثمّ انتبهتُ إلى أطباق الطعام الكبيرة التي زينت المائدة، وسال لعابي لدى رؤيتي منظر البيض واللحم المقدد وأقراص البطاطا المقرمشة.

قالت ماغز: "صباح الخير يا هايميتش. تفضّل، اسكب ما تشاء".

فأخذتُ صحنًا، وكدّستُ فيه البيض واللحم والبطاطا في كومة كبيرة، ثمّ ملأتُ صحنًا آخر بالخبز المحمّص والزبدة والمرّبي، وصببتُ كوبًا من العصير وآخر من الحليب من دون قهوة. وبعد ذلك، جلستُ ألثهم فطوري بهدوء؛ مُمتنًا لما عُرّ ووايريس لمجاراتهما صمتي مرّة أخرى. وبعد أن قرّع الصّحنان، ارتفعت معنوياتي، وشعرتُ بأنني قادر على مواجهة ما يُخبئُه لنا اليوم من مُفاجآت. إذ سأحتاج إلى كل طاقتي لمواجهة المجالدين المحترفين، ولا سيما منهم باناش الذي سيُحاسِبني غالبًا على سرقتي عربة مقاطعته.

دخلت مايزيلي المطبخ فيما كنت أحتسي الشاي الساخن المحلّى. وكان زيّها نسخة مُطابقة لزيّبي، لا يختلف عنه إلا بالقلائد. كانت تبدو قويّة وحادة الطباع في زيها الأسود، وشعرها المرفوع عن وجهها والمنسدل على ظهرها، وآثار السوط المرسومة على بشرتها. يليق بها هذا المظهر الجديد أكثر من الكشاكش والشرائط التي تُزيّن ثيابها عادة- والتي توحى لنا بالتكبر والعجرفة- كما يعكس شخصيتها أكثر. يبدو أنّها لم تكن على سجيّتها في متجر الحلوى؛ فقد قالت بوضوح إنّها تكره العمل فيه. تُرى، ما الأحلام التي حبستها في أعماقها؟

قالت لها ما عُرّ: "صباح الخير يا مايزيلي. هل نمت جيّدًا؟"

فردّت عليها مايزيلي: "أفضل من الليلة السابقة". ثم صبّت لنفسها فنجانًا من القهوة، ولقّت راحتي يديها الاثنتين حوله.

فسألتهَا: "ألن تتناولي طعام الفطور؟"

"ليس من عادتي أن أتناول طعام الفطور".

تصرّفاتها هذه تدفع الناس إلى الجنون. ففي السيم، طعام الفطور ضيف نادر يُرَحّب به متى ما جاء وكيفما جاء. دهنّت بعض المرّبي على قطعة أخرى من الخبز المحمّص، وقلّت: "عادتك في تفويت الوجبات ستفيدك في ساحة القتال؛ حيث لا فطور ولا غداء ولا عشاء".

عندئذ، تدخّلت ماغز قائلة: "من المُستَحسَن أن تتغذّي جيّدًا في الأيام المقبلة قبل دخول ساحة القتال".

ففكرت مايزيلي قليلاً في ما قالته ماغز، ثمّ وضعت شريحة من اللحم المُقَدّد في صحنها، وأكلت منها قطعة صغيرة... ليس بيدها بالطبع. بدأت أشك في أنّ عائلة دونر تأكل الفشار أيضًا بالشوكة والسكين.

بعد قليل، انضمَّ إلينا وايات مُرتديًا الزي الأسود نفسه، ووجهه مُغطّى بتجاعيد النوم، فقلت له مُمازِحًا لتلطيف الأجواء بيننا: "ما هذا الزي الجميل يا صاح!؟" إلاّ أنّه أجاب بطريقة دفاعيّة: "ماذا تقصد؟ زيّ مثل زيّك".

فقلت مايزيلي: "أعلينا حقًا أن نلبس الزيّ نفسه ونتجوّل في الأنحاء كأثنا ثلاثة توائم؟ نلثُ كفايتي من التّوائم والأزياء المتشابهة".

إذ كانت مايزيلي وميريلي تمتلكان خزانة كاملة من الملابس المُتطابقة، فقلتُ لها: "ظنننّك تحبّين تنسيق الأزياء ومُطابقتها".

"أمي هي التي تستمتع بذلك".

أظنّها ترتدي ذلك الكم الهائل من المجوهرات لأنّها الطريقة الوحيدة لتكون على سجيتها، وتضع لمستها الخاصة على يُفرض عليها.

قالت ماغز: "هذا هو الزي الذي أرسله الكابيتول. سيرتدي جميع المجالدين هذا الزيّ أثناء التدريب، وفي ساحة القتال. لكنكم سترتدون أزياء مختلفة في المقابلات. وماغنو هو المسؤول عن تصميمها. في العام الماضي، أرسل المجالدين من مقاطعتكم بأزياء التدريب، فحصل على إنذار، ووُضِعَ تحت المراقبة. نأمل أن يكون قد صمّم أزياء تليق بكم هذا العام. على أي حال، سيحين موعد التدريب قريبًا، ونودّ أن نتحدّث إليكم قليلاً قبل ذهابكم".

يجب أن أركّز؛ فقد تكون هذه فرصتنا الوحيدة للحصول على المساعدة.

تابعت ما عَزَّ كلامها: "لقد أرشدتُ العديد من المجالدين على مرّ السنين. وفي سنواتي الأولى كمرشدة، لم أكن أسأل المجالدين عن رغباتهم وطموحاتهم؛ لأنّ الإجابة بدت لي حينها واضحة: يريدون النجاة والبقاء على قيد الحياة. لكنني مع مرور الوقت أدركت أنّ رغبات المجالدين لا تقتصر على هذين الأمرين فحسب. فمثلاً، عندما كُنْتُ مجالدة في المباريات مثلكم، كنتُ أرغب في حماية المجالد الآخر من مقاطعتي".

وأضافت وايريس: "أذكر أنّني لم أرِد أن أموت ليلاً في الظلام. كانت تلك الفكرة ترعبني".

"لذا، نحن الآن نسألکم عمّا تريدونه".

ففكر كلُّ منّا بصمت في ما يريدُه في ساحة القتال. البارحة، كان هدفي الأول حماية لوبلا. أمّا الآن، فكل ما يهمني هو أن أموت موتةً سريعة لأخفّ العذاب عن عائلتي وأحبائي.

فقلتُ: "لا أريد أن تراني حبيتي أو أمي أو أخي وأنا أموت موتًا بطيئًا ومؤلمًا. ولا أريد أن يظلّ موتي عالقًا في ذاكراتهم. فصورة السناعب المتوحّشة المعدّلة جينيًا وهي تنهش وجوه المجالدين وتمزّقها إربًا إربًا لا تفارقني حتّى اليوم... لا أحد يتخطى هذه الوحشيّة".

وقال وايات: "وأنا أيضًا أريد أن أموت موتًا سريعًا. لا أريد أن يراهن أحد على موتي البطيء، وأن يكسب المال من عذابي".

فسألته مُتَعَجِّبًا: "أتعتقد حقًا أنّ عائلتك ستراهن على موتك؟"

فهزّ كتفيه قائلاً: "إن لم تفعل عائلتي ذلك، فثمّة من سيفعل. وأنا متأكد من أنّ أحدًا ما بدأ بالمراهنة على موتي، وموتك أيضًا. فهكذا تسير الأمور".

عندئذ، قالت مايزيلي: "لا أريد أن أتوسّل إلى أحد أو أستجديه للإبقاء على حياتي. أريد أن أموت مرفوعة الرأس".

ثم سألت ماغز: "هل يودُّ أحدكم أن يضيف أي شيء؟"

ثمة وسواس ينهش قلبي، له علاقة بسارشي وأبي، ونظرية لينور دوف عن شروق الشمس، وعلامات السوط على ظهر مايزيلي، وجثة لويلا الممددة تحت شرفة الرئيس سنو، وما قاله أمبيرت عنها: "حملت الرئيس سنو مسؤولية وفاتها".

"وأنا أيضًا أؤيدكما في كل ما قلتماه. لكنني أودُّ أيضًا أن... وألقيت نظرة خاطفة على الكاميرا المعلقة في زاوية المطبخ، وأنا أفكر في أفضل طريقة للتعبير عن فكرتي من دون إطلاق صافرات إنذار الكابيتول؟ "أودُّ أن أذكر الجميع بأنني أشرك في مباريات الجوع لأن الكابيتول انتصر في الحرب، وما زال يُعاقب المقاطعات على ما حدث منذ خمسين عامًا. أريد من الجميع أن يعوا أننا نلنا جزاءنا بعد خمسين عامًا من العقاب".

أعتقد أنني عبثت لهم عن فكري بطريقة دبلوماسية. توقعت منهم أن يسخروا مني أو أن يستهزئوا بي، لكن أحدًا لم يفعل.

وسألت مايزيلي: "أي أنك تريد أن تجعلهم يتخلصون من مباريات الجوع إلى الأبد. وكيف ستفعل ذلك؟"

"لا أعرف بعد. أعتقد أن الخطوة الأولى تكمن في تذكير الجمهور أننا بشر مثلهم؛ لأنهم يعاملوننا كالحوانات... ويلقبوننا بالبالغ... ويشبهوننا بالوحوش المفترسة، حتى إن أحدهم قال إن أظفاري مخالب. وقد رأيت جميعًا كيف نظر إلينا طلاب الأكاديمية بفوقية خارج المبنى الرياضي. بالنسبة إليهم، نحن مجرد حيوانات؛ مع أن سكان الكابيتول ليسوا أفضل ولا أذكى منا".

فقالت مايزيلي: "حتى إنهم أغبى منا". يبدو أنها لا تكثرث لأمر الكاميرات. "انظروا إلى الفوضى التي تسببوا بها في مقاطعتنا أثناء الحصاد، أو في موكب الاستعراض، أو في مباريات الجوع التي شاركت فيها وإيريس

العام الماضي. إذ لم يستطع مُصمِّمو المباريات أن يرسلوا لها هدايا المُموِّلين ومساعداتهم. يجب أن نسلِّط الضوء على عدم كفاءتهم".

وأضاف وايات: "يمكننا أيضًا أن نقلب الموازين. فلنُرهِم أُنَّا بشر، وأنهم الوحوش التي تقتل من دون رحمة".

فقلتُ: "كلُّ هذه الأفكار جيِّدة، لكنني لستُ بذكاء وإيريس وفطنتها. لا أظنني قادرًا على التحايل والتغلب على ساحة القتال".

فشجَّعتني وإيريس قائلة: "ثق بنفسك قليلًا. فساحة القتال ليست إلا آلة كبيرة قاتلة، ومن السهل التغلُّب على الآلات".

وقال وايات وهو يلعب بعملته النقدية بين أصابعه: "لكن كيف سنضمن أن يبتُّ الكابيتول ما سنفعله بدلًا من أن يدفنه تحت سابع أرض؟ فهذا هو التحدي الحقيقي".

عندئذ ردَّت مايزيلي: "لن يُخفي المشهد إن كان ما سنفعله يشمل قتل أحد المجالدين".

وأضاف وايات: "أو قتل أنفسنا".

فحدِّرتنا ماغز وهي تشير برأسها باتجاه وايات ومايزيلي: "فكِّروا مليًّا في هذا الموضوع قبل أن تخطوا أي خطوة. فقد تعرَّضون أنفسكم أو حلفاءكم للخطر".

"إدَّا، لن تكون لدينا مشكلة؛ فهاميتش لا يريد أن يتحالف معنا".

أهذا حقًّا ما استنتجته من الحديث؟ فقلتُ له: "أنتُ مُحقُّ يا وايات. ضع اللوم عليّ؛ أنا الشرير، وأنتما- الشابة الأكثر قسوة ولؤمًا في المقاطعة، والشاب الذي يساعد الحثالة في المراهنة على موت الأطفال- بريئان".

عندئذٍ قالت ما عَزَّ وهي تنظر إليّ بقلق: "لا تستخفّ بأهميّة الحلفاء في ساحة القتال. أعتقد أنّكم ستقتربون من بعضكم بعضًا أكثر فأكثر خلال التدريب". ثمّ التفتت مايزيلي إلى وايات قائلة: "يمكننا أن نشكّل فريقًا... إذا أردت".

"موافق".

وعلى الفور، ندمتُ على ما قلته؛ على الرغم من أنّي لم أقل إلا الحقيقة. فأنا أيضًا لستُ مثاليًا. وأعتقد أنّي نَقَسْتُ عن غضبي وانزعاجي بانتقادهما، وقد حمّلتها ذنوبًا لا علاقة لهما بها. فهما لم يقتلا لويلا، ولم يختاراني في الحصاد، ولم يبتكرا مباريات الجوع. عليّ أن أهدّي أعصابي. ثم إن كنتُ أنوي أن أترك بصمة تليق بي في ساحة القتال، وأن أدمغ أكاذيب الكابيتول بالحقيقة، فأنا بحاجة إلى حلفاء يساعدونني على القيام بذلك.

لذا قلتُ: "قصدني فتى من المقاطعة الثالثة يُدعى آمبيرت، وعرض عليّ أن أنضمّ إلى تحالفه. لقد سبق أن حصل على دعم المقاطعتين السابعة والثامنة، وهو الآن يتشاور مع المقاطعة الحادية عشرة. لا أعرف بعد إن كنتُ سأقبل عرضه، لكن يمكنني أن أسأله إن كان بإمكانكما الانضمام إلى فريقه. سأخبره أنّكما ذكيّان".

فهزّت مايزيلي كتفيها بلامبالاة، فيما أومأ وايات برأسه قائلاً: "تزداد فرص نجاة المجالدين عندما ينضمّون إلى فريق، خصوصًا في بداية المباريات؛ لأنّ الفريق يؤمّن الحماية والمساعدة".

ألا يفكّر أبدًا في شيء غير الفرص والاحتمالات؟ فأجبتّه: "سأخذ هذا الأمر في الحسبان". ثمّ التفتتُ إلى ما عَزَّ ووايريس سائلًا: "ماذا سنفعل خلال التدريب؟"

فأجابت ما عَز: "ستتدربون في المبنى الرياضي نفسه الذي تهيأتم فيه للموكب. ستتاح لكم أنشطة مختلفة تساعدكم على اكتساب مهارات مفيدة لمواجهة ما ينتظركم في ساحة القتال. لا تنشغلوا بما يفعله الآخرون، بل ركّزوا على ما تحتاجون أنتم إليه للبقاء على قيد الحياة".

فقلتُ: "الدفاع عن النفس".

وأضافت مايزيلي: "أو الاختباء والتواري عن الأنظار".

ثم سألت وايات: "ما الأولوية القصوى؟"

فبدأت وايريس تغني أغنية غريبة:

ابدأ بالفرار، ثم ابحث بالترتيب،

عن سلاح يقيك وماءٍ يرويك،

وزادٍ يُغديك وظلٌّ يأويك،

ونار تدقُّك وصديقٍ يحميك.

ثم أضافت: "لقد ألفتُ هذه الأغنية القصيرة، وعَدَدْتُ فيها الأولويات بحسب الأهمية لأتذكّر ما يجب أن أفعله في ساحة القتال. فقد كُنْتُ أعلمُ أنني لن أستطيع أن أقاتل المجالدين الآخرين في المعركة الأولى، ولهذا ابتعدتُ عنهم وعن المؤن بأقصى سرعة، واعتمدتُ على عقلي وذكائي. لكنكم على الأرجح ستحتاجون إلى سلاح فعلي. وإن لم تنجحوا في الحصول على سلاح في بداية المباريات، اصنعوا واحدًا بأنفسكم. أي شيء يفى بالغرض. سننوا غصنًا واستخدموه رمحًا إن اضطررتم. ثم ابحثوا عن الماء قبل الطعام؛ لأنّ العطش يقتل أسرع من الجوع. وأشعلوا نارًا إن احتجتم إليها للإنارة أو الطبخ

أو التدفئة، ولكن احرصوا على استخدامها بحذر. فقد تُشكّل خطرًا عليكم، وتكشف عن مكانكم للآخرين. أمّا الأصدقاء، فكانوا بالنسبة إليّ مجازفة أنا في غنّي عنها".

ثمّ قالت ماغز: "أمّا بالنسبة إليّ، فكان العثور على أصدقاء وحلفاء في قمة أولوياتي. عليكم أن تتخذوا قراراتكم بأنفسكم، وأن تفعلوا ما يناسبكم".

وسأل وايات: "وماذا عن بناء مأوى؟"

فردّت عليه ماغز: "أعتقد أنّكم ستتنقلون كثيرًا في ساحة القتال، وقد لا تمكثون في المكان نفسه أكثر من ليلة. ومن واقع تجربتي، أنصحكم بالعثور على حلفاء يسهرون على حمايتكم. فهذا أهم بكثير من بناء مأوى".

فقلت لوايات: "شخريك مرتفع للغاية".

"أنا لا أشخر. كنتُ أتظاهر بالشخير في القطار".

"إدّا، عندي لك خبر سيئ: أنت تشخر عندما تنام".

فأكّدت له مايزيلي كلامي: "إنّه مُجَوِّ. أنت تشخر كالدبّ. لقد وصل صوت شخريك إلى غرفتي".

فنصحته ماغز: "حاول أن تنام في مكان فيه أصوات صاخبة تخفي صوت شخريك، كضفة نهر مُتدفّق أو شلال، أو حتى كهف يحبس صدى الصوت".

حينئذ قالت مايزيلي: "لا تقلق، سأعطي رأسك بلحاف أو ما شابه. وإذا علا شخريك كثيرًا وسبّب لي الإزعاج، فسأوقظك".

فردّ عليها وايات: "نسيت أنّك ستكونين معي. يبدو أنّ الأصدقاء في قمة أولوياتي أنا أيضًا. ماذا سنفعل غير ذلك خلال التدريب؟"

وقالت ماغز: "سيعلمكم فريق من المدربين كيف تستخدمون الأسلحة وتشعلون النار. ابحثوا عن أدلة تساعدكم على فهم ما ينتظركم في ساحة القتال. ففي بعض الأحيان، يُخبئ مُصمِّمو المباريات في اختياراتهم للتدريبات أدلة مهمة تشير إلى طبيعة ساحة القتال. كانت الإجراءات مختلفة في زمني؛ فنحن لم نحصل على أي تدريب يُذكر، ولا على إشارات تدلّ على ساحة القتال بأي شكل".

وأضافت وايريس: "في العام الماضي، كانت صالة التدريب- ولا سيما الأقسام المُخصّصة لتعليم مهارات النجاة- مليئة بأغراض لامعة وعاكسة للضوء كالمرايا والأوعية المعدنية. ولم أدرك مغزاها إلى أن دخلتُ ساحة القتال. حينئذ، اتضحت الصورة في ذهني، وأدركتُ أنّ ساحة القتال تعتمد على الخدع البصريّة، وأنّ الأخطار التي أراها أمامي ما هي إلا انعكاسات. ولهذا اتّجهتُ نحو الخطر ونجوتُ. عليكم أن تثقوا بحدسكم وغرائزكم".

فردّت ماغز: "ثقوا بحدسكم؛ هذه نصيحة جيّدة".

ثم أعلن صوت صدح عبر مُكبّر الصّوت أنّ علينا التوجّه إلى ساحة التدريب، فثبّتت ماغز قطعًا قماشية عليها الرقم "12" على ظهور قمصاننا بدبابيس. ورافقنا جنود حفظ الأمن من المصعد إلى الشاحنة، وأخذونا إلى المبنى الرياضي.

حين ترجّلنا من الشاحنة، تفقّدت مايزيلي مظهر وايات قائلة: "قفّ بثباتٍ أكثر، ودعْ هيئتك تعبّر عن قوّتك، يا وايات". وحين حاول أن يبدو أكثر قسوة قالت له: "لا، توقّف. هذا أسوأ. كسّر عن أسنانك، وقفّ مُنتصبًا، وانفخْ صدرك". ثمّ بعثرت شعره قليلاً، ورفعت كمّيه وهي تقول: "لماذا تُخفي العضلات التي اكتسبتها من العمل في المناجم تحت ثيابك؟ اعرضها".

وقلتُ: "هذا أفضل. واللون الأسود له هيئته".

وأضافت مايزيلي: "نحن شباب المقاطعة الثانية عشرة- الحفرة المَنْسِيَّة والمُتَعَفِّنة في بانيم- كقنبلة موقوتة؛ قلوبنا جامحة وعزيمتنا قويَّة. فقد صفعْتُ مرافقتنا، فيما تحدَّى هايميتش الرئيس سنو علنًا. لذا، لن يجرؤ أحد على العبث معنا؛ فلسنا بلقمة سائغة".

فهتف وايات: "كل خطوة نخطوها كرمية نرد، لا أحد يعرف على أيِّ وجه ستستقر".

وردَّدت: "نحن قنابل موقوتة".

فتح الجنود أبواب المبنى، فدخلنا بخطى ثابتة، وعيون ملؤها التحدي والتمرُّد.

لقد تغيَّرت الصالة الرياضية بالكامل، واستُبدلت بأقسام التجميل أقسامٌ مُخصَّصة لتعليم مهارات البقاء كإشعال النار، وربط العُقَد، وسلخ الحيوانات، والتخفي؛ يُشرف عليها مُدرِّبون يرتدون أزياء بيضاء. أمَّا الجهة الخلفية من الصالة فمخصَّصة للتدريب على استخدام مختلف أنواع الأسلحة في القتال. كان المجالدون الآخرون مُوزَّعين على الأقسام المختلفة، وكانوا يرتدون زيًّا كزِينًا وإيَّما بألوان مختلفة. لحسن الحظ، حصلنا على اللون الأسود. إذ إنّ اللون الأخضر المخاطي يوحي بالمرض والوباء. حظكم سيئ يا مجالدي المقاطعة الأولى. فيما اللون الأصفر الذي يرتديه مجالدو المقاطعة التاسعة يوحي بأنَّهم مجموعة من الكتاكيت.

كانت المُدرِّجات في الجهة اليمنى من الصالة مُقسَّمة بحبال من النايلون إلى اثني عشر قسمًا مُرقَّمًا بأرقام المقاطعات. وكان القسم المُخصَّص لمقاطعتنا هو الأقرب إلى الباب. ولم يكن هناك أحد على المدرِّجات، سوى مجالدي المقاطعة الحادية عشرة بزِيَّهم ذي اللون الأخضر القاتم، والذين كانوا يخوضون نقاشًا مُحتدِّمًا في ما بينهم.

فقال مايزيلي مُتذمِّرًا: "لِمَ نحن دائمًا آخر من يصل؟"

فأجبتها: "ليكون ختامها مسكًا". مع أنني أعرف أنّ السبب وراء ذلك أنّ لا أحد يهّمه أمرنا.

وذكرنا وايات: "فريق جامح مُتمرد". فاعتدلنا في وقفنا، وتقدّمنا بخطى واثقة إلى وسط الرّحام.

كانت ماغز مُحقة. لم نفترق في التدريب، بل بقينا معًا. إذ لم نكن نعرف أحدًا من المجالدين الآخرين حق المعرفة. وفي مباريات الجوع، لن يكون لنا سند أفضل من بعضنا بعضًا؛ لأننا أقلّ ميلًا إلى قتلنا بعضنا بعضًا. وقالت مايزيلي بحزم: "هيا، لنرم السكاكين".

ليست فكرة سيئة على الإطلاق. فعلى الرغم من الوعد الذي قطعتة لأمي، إلا أنني لم أكن غريبًا على رماية السكاكين، غير أنّ خوفي على أطرافي أبعدني عن ألعاب المغامرة التي يرمي فيها اللاعب السكين بين رجليه أو بين أصابع يديه. لذا، كنت أكتفي بالرماية على كوخ قديم أو جذع شجرة أو ما شابه. وقد كان صديقي بليز ماهرًا في هذه الألعاب، ولا بأس بي أيضًا؛ إذ كنت أتمتع بقدره لا يُستهان بها على التصويب. وتذكرتُ سكين الجيب الجديد الذي أهدتني إياه أمي بمناسبة ذكرى ميلادي، ولم أحصل على الفرصة لأجربه. أمل أن يجلب بعض السعادة والمُتعة لسبيد.

أُجّهنّا إلى قسم رمي السكاكين، وأنا أجول بنظري في الأنحاء، فلمحتُ بعض فرق التصوير التي تُوثق مجريات التدريب، وبضعة جنود يجوبون الصالة. ورأيتُ فوق المُدرّجات في الجهة اليسرى قاعة اجتمع فيها مُصمّمو المباريات. كانوا يرتدون أزياء بيضاء كالثلج، ويتابعون التدريب، ويُدوّنون ملاحظاتهم عن المجالدين وهم يحتسون القهوة. في الأيام المقبلة، سيحصل كلُّ منّا على علامة من 1 إلى 12، وتدلّ على هذه العلامات على فرصة كلِّ منّا في النجاة والفوز في المباريات. وسيسترشد الجمهور بتلك العلامات ليقرّر من سيموّله من بين المجالدين.

وصلنا إلى محطة رمي السكاكين، حيث كان مجالدو المقاطعة السابعة يقفون بزِيهم البني المائل إلى الحمرة، مع مجالدين آخرين. فتبادلنا نظرات فاحصة، فيما بدأت امرأة من الكابيتول تُدعى هيرسيليا بإعطائنا تعليمات حول رمي السكاكين. لقد قال لي أمبيرت إنَّ مجالدي المقاطعة السابعة وافقوا على الانضمام إلى تحالفه، وإِنَّهم تركوا انطباعًا حسنًا لديه. يبدو أَنَّهُم واثقون من أَنفسهم ومُتواضِعون؛ فلا غرور ولا تكبُّر. اقتربت مِنِّي إحدى مجالِدَتِي المقاطعة السابعة، وهي شابة نحيفة، شعرها أسود لامع ومُسرَّح في ضفائر، تضع دبوسًا على شكل شجرة على قميصها، وعرَّقت عن نفسها قائلة إنَّ اسمها رينجينا، فعرَّفْتُها بنفسِي أيضًا.

وبعد أن تعلَّمنا الأساسيات، وصرنا نعرف كيف نمسك بالسكين ونبقي أذرعنا مستقيمة عند الرمي من دون أن تُثني معاصمنا، اصططفنا لنبدأ بالتدريب العملي. وُضِعَت أمامنا على قاعدة خشبية سلَّة فيها حوالي اثني عشر نوعًا من السكاكين، إنَّما لم يُسمَح بحمل السلاح إلَّا للمجالد الأوَّل في الصف. وكانت هيرسيليا هي التي تختار السكين وتناوله للمجالد، فيرميه على الهدف، ثمَّ يعود إلى نهاية الصف. وعندئذٍ، يسترجع رجلٌ يرتدي زيًّا أبيض السكين ويُعيده إلى السلَّة. لم يُصَب الكثير من السكاكين التي رُميت الهدف، إلَّا أنَّ مايزيلي أصابته في معظم محاولاتها. ومع أَنِّي لا أحبُّ التباهي، إلَّا أنَّ النصل لم يخنِّي ولا مرة، وما استعصى عليَّ هدف. انشرح صدري في هذا التمرين؛ إذ إنَّ رماية السكاكين تُعيد إليَّ ذكريات طيبة عن أيام قضيتها في الغابة وأنا ألهو وأتبارى مع أصدقائي. وحين أصابت رينجينا بؤرة الهدف، نسيت للحظة أين أنا، وهتفت لها من دون أن أنتبه: "رمية موفِّقة! أحسنت!"

وحين ارتسمت ابتسامة سريعة على وجه رينجينا، أدركتُ أنَّ يدي لن تطاوعني على قتلها، مثلما لن تطاوعني على قتل مايزيلي أو وايات. وما دمْتُ لن أقتلها، فمن الأفضل أن أوحِّد الصفوف مع المقاطعة السابعة، وأنضمَّ رسميًا إلى تحالف أمبيرت.

فافتتحتُ المشاورات مع رينجينا، وقلتُ لها: "كان أمبيرت يخبرني
أنتم...". وإِثْمَا لم أستطع إكمال جملتي. وكلُّ ما أعرفه هو أنّني لمحتُ بطرف
عيني جسمًا أخضر مخاطيًا ينقضُّ عليّ، وسمعتُ صوت صدمة، تليها أصوات
السكاكين وهي تتساقط على الأرض، ثم شعرتُ وكأني تلقّيتُ ضربة مطرقة
على ضلوعي.

مَنْ ذاق طعم ضربة غادرة ومُفاجئة يعرف أنّ الوجعَ وجعان: ألم الجسد،
ومرارةُ الغدر المُبَاعِث. طُرِحْتُ على الحصيرة لاهتًا مُنقطع النَّفس. وما إن
انتبهتُ إلى باناش الذي كان يتّجه نحوي، حتّى أمسكتُ بمقبض أحد السكاكين
على الأرض. غير أنّ أحد الجنود صعقه صعقة كهربائية قبل أن أتمكّن من
النهوض، وهرع إليه ثلاثة آخرون وجروّه بعيدًا. ثم ساعدني وايات على
الوقوف، فيما قام المجالدون الآخرون بجمع السكاكين المُتناثرة على الأرض.

وحين استعدتُ توازني، نظرتُ حولي، وأدركتُ أنّي وخمسة مجالدين
غيري نحمل في أيادنا سكاكين مشحوزة التُّصول، وأنّ عددنا يفوق عدد
الجنود الموجودين في الصالة بأربعة أضعاف. ولو تحرّكنا بسرعة، فقد ننجح
في الحصول على بعض الرماح والسيوف الموجودة في محطات القتال
الأخرى. نظرتُ إلى رينجينا، وإذ بعينيها تنطقان بما يجول في خاطري، حتى
إِثْمَا تردّدت قبل أن تُفليّ سكينها حين مدّت إلينا هيرسيليا السلة.

وعندما استؤنّف التدريب، عاد كلانا إلى نهاية الصف، ووقفنا على مسافة
آمنة من الآخرين، لنكون بمنأى عن مسامعهم.

قالت رينجينا: "ارفع ذراعيك".

رفعتُهما ببطء، فأخذتُ تتحسّس ضلوعي حيث سدّد باناش ضربته.
وقالت: "لا كسور". ثمّ تراجعت خطوة إلى الوراء، وهمست: "كان بإمكاننا
التغلّب عليهم".

كلّما فكّرْتُ في الأمر أكثر، غلى الدّم في عروقي. فكل عام، نسمح للكابيتول بأن يسوقنا إلى الذبح كالخراف، ولا أحد يحاسبه على الدماء المَسفوكة. فالجميع يتفَرّجون على الكابيتول وهو يُقيم حفلة ويرقص على وقع مأساتنا، ثم يضع جثتنا في صناديق ويرسلها إلى أهلنا كأثّها هدايا العيد.

قلْتُ لرينجينا: "حتى لو لم تتغلّب عليهم، كان بإمكاننا على الأقل أن نُؤذيهم قليلاً ونخدش كبرياءهم".

فرّد عليّ أحد ورائي: "بلا شك. حتى إثمّه كان بإمكانكم التّسبّب بأضرار كبيرة". فالتفتُ، وإذ بيلوتارك يقف خلفي. أشار بيده إلى فريق التصوير ليصوّرُوا التدريب على رمي السكاكين، ثم أضاف: "لكن، ما الذي ردعكما؟"



كم وددتُ أن أضرب بلوتارك على وجهه على الرغم من الألم الذي يمزق ضلوعي. فما قصده واضح. إذ لم يكن يسأل فقط عن سبب عُدولنا عن التمرد في صالة التدريب، بل عن سبب رضوخنا للكابيتول في المقاطعة الثانية عشرة. فلماذا سمحنا للكابيتول بأن يحكمنا؟ أيسبب الخوف أو الغباء؟

وألح في سؤاله: "لِمَ تُذعنون؟"

فردت عليه رينجينا بصراحة: "لأنّ السلاح في أيديكم."

"هل هذا كل ما في الأمر؟ لا أنكر أنّ السلاح يُرَجح كفة طرف على آخر، لكن إذا قارنّا عدد السكان في المقاطعات والكابيتول..."

نعم، يفوق عدد سكان المقاطعة الثانية عشرة عدد جنود حفظ الأمن فيها. لكن، ما نفع المعاول والسكاكين والمتفجّرات في مواجهة ترسانة البنادق الآلية والطائرات والقذائف والأسلحة الكيميائية والكائنات المعدّلة جينيًا؟

فقلتُ: "نحن لا نُذعن".

"كيف ذلك وأنتم تتبعون شروط الكابيتول وقوانينه؟"

أجبتة بلهجة حادة غاضبة: "تتبعها لتتفادي الموت على يديه! ألا ترى أنّنا نختار الحياة لا الخضوع؟"

"بلى. كما أراكم تُجْرُونَ إلى المشانق، وتُصْرَعُونَ بطلق الرصاص والمجاعة ومباريات الجوع. لكنني لا أظنُّ أنّ الخوف الذي يبعثه العقاب في النفوس يُبْرِرُ هذا الخضوع الجماعي الذي ارتضيناه جميعًا. ألا توافقانني الرأي؟" فحدّثنا إليه، وحاولنا أن نفهم نواياه. فهو لم يكن يحاول استفزازنا أو الاستهزاء بنا، بل كان حقًّا يستفسر عن الموضوع. "لماذا تخضعون للأمر الواقع؟ ولماذا أخضع له أنا؟ ولماذا خضع له الناس على مرّ السنين؟" وحين لم تُجِبْه، هز كتفيه قائلاً: "فكّرًا في الموضوع، فهو يستحق التأمل".

قالت هيرسيليا: "حان دورك يا هايميتش". ثمّ ناولتني سكينًا، فوجدتني أوازن بين خياراتي من جديد؛ إذ يمكنني إمّا أن أرميه على الهدف أو أن أغرسه في قلب أحد الجنود. غير أنّني اخترت الاحتمال الأوّل، وأصبتُ الهدف مع أنّ رميتي لم تكن مثالية.

كان بلوتارك ينتظرني في نهاية الصف، فحاولتُ أن أتجاهله، إلّا أنّه لم يكفّ عن الثرثرة. "لقد خطفتُ الأضواء البارحة".

"أجل، وأنا مُتأكّد من أنّك زوّرتِ الوقائع لتصب في صالح الرئيس سنو".

"لم يكن هناك داعٍ لفعل ذلك؛ فقد توقّف البتّ المباشر ما إن انفجرت المفرقة. ونقلت أخبار الكابيتول أنّ حفل الافتتاح جرى على أكمل وجه من دون حوادث".

"لا أظنُّ أنّ من يأخذ أخبار الكابيتول على محمل الجد سيدقّق في صحّة المعلومات التي تنقلها. فأولئك الأشخاص لا يكثرثون لما يحدث للمجالدين، ولا يهتمّون إن متنا أو عشنا". تُرى، ماذا حدث لجثة لويلا؟ أأمل أن يكون الكابيتول قد أرسلها إلى عائلتها ليلتمّ شملنا عمّا قريب. فقبر عائلة ماكوي بجوار قبر عائلة أبرناشي.

ثمّ التفّتُ وهممتُ بالانصراف، فوضع بلوتارك يده على ذراعي قائلاً: "أنا آسف على ما حدث للويلا، يا هايميتش. كان في شخصيّتها من الوقار والرصانة

ما يفرض الاحترام".

هل قدّم لي التّعازي وحاول أن يواسيني؟ فقلتُ له غاضبًا: "لماذا لا تتركني وشأني؟ الصالة مليئة بالمجالدين الذين يتلهّفون للظهور أمام الكاميرا. اذهب إليهم".

فرفع يديه وكأته يستسلم، ثمّ تراجع بضع خطوات قائلاً: "أنا مسؤول عن تصوير مجالدي المقاطعة الثانية عشرة فقط. ولكنني سأحاول ألاّ أزعجك بعد الآن".

أغاطني بأسئلته وتحريّياته، فذهبتُ إلى مايزيلي ووايات وتحدّثتُ إليهما على انفراد: "إذا انضمنا إلى تحالف أمبيرت، فسيكون مجالدو المقاطعة السابعة حلفاءنا أيضًا. لذا، سأعزّفكما على رينجينا". ورمقتُ مايزيلي بنظرة صارمة وتابعت: "عليك أن تتصرّف بلطف. لا تُبدي رأيك في شعرها أو أظفارها أو مظهرها، ولا تقولي لها إن كان اللون البني يليق بها أم لا، ولا تطلبي منها أن تُريك الدبوس الذي تضعه على قميصها وكأنك خبيرة في المجوهرات. احتفظي بتعليقاتك لنفسك".

"لكنّ شعرها جميل".

"أما أنت يا وايات، فلا تتصرّف بغرابة، ولا تُحلّل مصيرها ومصير رفاقها، ولا تنهّل عليهم باحتمالات موتهم".

"أيمكنني أن أقول لهم مصير المجالدين الآخرين؟"

"لا. لا الآن، ولا لاحقًا. فهذا التصرّف مُخيف ومُريب! إذا أردت، يمكنك إخبارهم عن فرص حصولهم على الهدايا أو المُموّلين أو ما شابه. لكن، لا أحاديث عن فرص نجاتهم واحتمالات موتهم. انسيا ما اتفقنا عليه سابقًا. لا يجب أن نتصرّف كقنابل موقوتة معهم، بل يجب أن نُريهم أننا أذكاء، وأهل للثقة، وجدّيون بالانضمام إلى تحالفهم".

عندئذ، رأيتُ أمبيرت يركض نحوِي في زيِّ أزرق كهربائي، وهو يلوّح بحبل أسود في طرفه أنشودة. "مرحبًا يا هايميتش! لقد انضمَّ مجالدو المقاطعة العاشرة إلى فريقنا. إنهم أولئك الذين يرتدون الزي الأحمر. لقد تعرّفتُ إليهم في محطة ربط العُقد، وصنع لي أحدهم- شاب اسمه باك- هذا الوَهَق.⁽⁵⁾ أفكّر في تحويله إلى قلادة لآخذه إلى ساحة القتال كتذكاري؛ بما أنّني لم أجلب واحدًا معي من المنزل". وأخذ يلفّ الحبل حول يده في حلقات رخوة، ثمّ وضعه حول عنقه وهو يهمس: "سأخذه إلى ساحة القتال كتذكاري، ثم أفكّه وأستخدمه كوهق للنجاة".

ارتعشت شفتا مايزيلي بقلق: "لا يمكنك ارتداؤه بهذا الشكل! فأنت تبدو كفار عالق في سلك معدني".

فتساءل أمبيرت باستغراب: "أحقًا؟" لكنّه لم يبذُ مُستاءً منها. ثم نظر إليّ بعينين فضوليتين.

فقلتُ لمايزيلي: "هل نسيت ما قلته لك منذ قليل؟"

لكنّها تجاهلتنني، وفكّت الحبل عن عنق أمبيرت من دون أن تستأذنه.

فقلتُ لأمبيرت: "هذه مايزيلي، وهي من مقاطعتي، وتودّ أن تنضمّ إلى التحالف".

أخذت مايزيلي تتأمل الحبل بعينين فاحصتين وتقلّبه بين أناملها، ثمّ قالت: "يمكنك أن تصنع من هذا الحبل قلادة مَصفورة شبيهة بقلادتي". وأمسكت بإحدى القلائد المُتدلّية حول عنقها؛ سلسلة سوداء مَصفورة بعناية، تتوسّطها قطعة معدنية لامعة مَصفورة عليها زهرة. "من دون الزهرة بالطبع".

فقال أمبيرت: "حسنًا. هل يمكنك أن تصنعي لي واحدة؟"

"نعم، لكنني سأحتاج إلى مساعدتك لتثبيت الحبل وأنا أضفره. فليس معي شريط لاصق".

"حسنًا".

"وليس معي حلقة معدنية أو مشبك لثبته حول عنقك. سنضطر إلى ربطه؛ مع أنني لا أنصح بذلك".

فبحث أمبيرت في جيبه، ثم أخرج دبوس الأمان الذي أعطيته إياه أمس وقال: "معني هذا الدبوس".

قالت مايزيلي وهي تتأمله: "سيفي بالعرض. لكن، كن حذرًا. إذا فككته فستحلّ ضفيرة القلادة كلها. هيّا بنا". وذهبت إلى المدرجات من دون أن تتأكد إن كان يتبعها.

فقال لي أمبيرت: "يريد أبي أن يتعرّف إليك. إنّه قرب الطاولة التي عليها بطاطا". ثمّ لحق بها راکصًا.

أبوه! بطاطا! سيطر عليّ الشكّ مُجددًا. هل يمكن أن يكون أمبيرت مجرد طفل موهوم يعيش في عالم من نسج خياله؟ يجب أن أتأكد قبل أن ألتزم بالانضمام إلى تحالفه. عرّفتُ وايات إلى رينجينا؛ أملًا أن يتصرّف معها كشخص طبيعي، ثمّ ذهبت للبحث عن رجلٍ وبطاطا.

قمتُ بجولة بين الأقسام المزدحمة. وبالفعل، عثرْتُ على رجل قصير القامة، أسود الشعر، يُدير ظهره إليّ، ويقف مُتَّكِنًا على طاولة عليها حبة بطاطا واحدة. لا يبدو أنّ أحدًا من المُجالدين مُهتمُّ بمهاراته وخبراته. وقفتُ أمام قسم الإسعافات الأولية المجاور، أعبث بالشاش، وأراقبه من طرفي عينيّ، ثم استدار، ولاحظتُ أنّه يضع نظارة ذات إطار حديدي، ورأيتُ الشبه بينه وأمبيرت. لكنّ وجهه مألوف. أين رأيته من قبل؟ إنّه بيتي؛ أحد الفائزين في مباريات الجوع من المقاطعة الثالثة.

اقشعرّ بدني عندما بدأت الصورة تتوضّح أمامي.

لم يكن أمبيرت مجنونًا ولا كاذبًا. لقد رافقه والده إلى الكابيتول لأنه أحد الفائزين السابقين؛ ما يعني أنّ بيتي كُلفَ بإرشاد ابنه وإرساله إلى الموت في الدورة الخمسين من مباريات الجوع.

لكن، لِمَ يطلب الكابيتول من بيتي- النابغة في مجال التكنولوجيا- أن يُدرب المجالدين على حبة بطاطا؟ وكيف انتهى الحال بأمبيرت في مباريات الجوع؟ أيعقل أن يُحصَد فردان من العائلة نفسها؟ يبدو أنّ الحظّ لا يحالف هذه العائلة أبدًا.

فاقتربتُ من بيتي وسألته: "هل أنت والد أمبيرت؟"

"نعم. ولا شكّ في أنّك تتساءل عن سبب وجودي هنا يا هايميتش". ثمّ أزال بيتي نظارته وبدأ ينظّفها بقميصه. "هذا هو العقاب الذي رآه الكابيتول مُناسبًا لي لأنني قمتُ بتعطيل نظام اتصالاته. فهو لن يقتلني لأنّ لا غنى له عن ذكائي وخبرتي، لكنّ حياة ابني لا تساوي شيئًا بالنسبة إليه".

لقد أجاب عن كل تساؤلاتي. "ما أقسى هذ العقاب! أنا آسف. أمبيرت فتى رائع".

فقال بيتي: "نعم". وأخذ يحدّق إلى أمبيرت الذي كان يجلس على المدرّجات ويثرثر بحماسة، فيما مايزلي تصفر الحبل بجانبه.

فسألته: "وهل عيّنك الكابيتول مُرشِدًا لابنك؟"

"هذا جزء من العقاب. والمغزى منه أن أشاهد ابني في الساعات الأخيرة من حياته. ومع أنّ المُرشدين لا يحضرون التدريب عادة، إلّا أنّه تمّ تعييني مُدرّبًا كيلا يفوتني شيء. فما جدوى العقاب إن لم يتلذذ الكابيتول بعذابي ويُطيله؟"

لم أعرف كيف أواسيه، فقلتُ: "لا تُحمّل نفسك ذنبًا ليس ذنبك".

"لكنّ الذنب ذنبي. فما فعلته كان مجازفة، ولم أدرك أنّ الكابيتول كشف أمري إلاّ خلال حفل الحصاد. لقد أبقى الرئيس سنو الأمر طي الكتمان حتى اللحظة المناسبة. لو عرفتُ في وقت أبكر لأنهيّت حياتي، ولكان أميرت في المنزل الآن في أمان. الرئيس دقيق في تحركاته". وخفض بيتي رأسه، واثكأ بأطراف أصابعه على الطاولة الخشبية ليحافظ على توازنه. توقّعتُ أن يفقد أعصابه وينهار أمامي، لكنه قال: "هل تريد أن تتعلّم كيف تحوّل البطاطا إلى بطّارية؟ فالضوء قد يكون مفتاح النجاة في ساحة القتال".

لا يا بيتي. ما أريده حقًا هو أن أبتعد عنك وعن حياتك المُتداعية. لكنني لستُ إنسانًا وضيعًا، لذا لن أتهرّب منه بسبب وضعه، ولن أعامله كما أتوقّع أن يُعامل سكان المقاطعة الثانية عشرة أُمي وسيّد بسبب حصادي. فقلتُ: "لم لا؟ لكن، هل سنجد بطاطا في ساحة القتال؟"

"لا أعرف. أغلب الظنّ أنّ الكابيتول كلّفني بهذا التدريب لإذلالني فقط، لا أكثر. مع أنّني لا أرى في هذا دُلاًّ. لكن، إن لم تجد بطاطا في ساحة القتال، فبإمكانك استخدام مزروعات أخرى، كالحامض مثلاً. لكن، لا تأكل الحبات التي تستخدمها كبطارية". ثم أخرج صينية صغيرة عليها أكياس بلاستيكية صغيرة يحتوي كل منها على بعض المسامير، وعملتين نحاسيتين، ولفافة صغيرة من الأسلاك، ومصباحين صغيرين. "إن استخدمتَ حَبَّتَيْنِ من البطاطا، فسُتنتج طاقة كهربائية أكبر".

"إن وجدتُ حبة واحدة فلن يصعب عليّ أن أجد غيرها".

"وإن لم تجد غيرها، فبإمكانك أن تقطعها إلى نصفين". وأخرج حَبَّة بطاطا ثانية ووضعها أمامي، ثمّ ناولني شيئًا يشبه قلمًا صغيرًا في طرفه شفرة، وأضاف: "سنستخدم الحَبَّتَيْنِ معًا. ركّز معي".

مَرَّق بيتي أحد الأكياس الصغيرة، وأفرغ محتوياته على الطاولة، ثمّ رفع ناظره إلى الأعلى للحظة، فانتبهتُ إلى الجندي الواقف بجانبني. عندئذٍ،

انتابنتي رغبة مُلِحَّة في غرس الشفرة في جسده، وتذكُّرتُ ما قاله بلوتارك:
"فكّر في الموضوع، فهو يستحق التأمل".

"سنصنع بطارية من النحاس والزنك وحمض الفسفوريك الموجود في
عصارة البطاطا التي تُشكّل ناقلاً للكهرباء وتسمح للأيونات بالانتقال بين
المعدنين. هدفنا هو إنشاء دائرة كهربائية تُضيء هذا المصباح".

أوماًتُ برأسي؛ كما لو أنني استوعبتُ كلَّ ما قاله، مع أنني لم أفهم شيئاً
من شرحه.

فأكمل بيتي: "الخطوة الأولى هي أن نشقَّ حبة البطاطا لنضع فيها
العملة النحاسية". ثمَّ أحدثُ شُقّاً بحجم العملة في حبة البطاطا التي معه،
ففعلتُ مثلما فعلتُ بحبتي. ثم قال: "بعدها، سنلفُّ إحدى العملات النحاسية
بأسلاك ونغرسها في البطاطا. انتبه، يجب أن يبقى ذيل السلك خارج البطاطا".

فغرست العملة الملفوفة بالسلك في حبة البطاطا، وسألته: "هل هذا
يعني أنّ ساحة القتال ستكون مُظلمة؟"

وأجابني: "لا أعرف شيئاً عن ساحة القتال. يُقال إنَّك إذا سلقت البطاطا
فستتمكن من إنتاج طاقة إضافية".

"لكنني أحتاج إلى إشعال النار لسلق البطاطا. وإذا أشعلتُ ناراً..."

فقاطعتني مبتسماً: "ستكون قد حصلت على مصدر بديل للإنارة. ما يعني
أنَّ هذا التمرين مضيعة للوقت".

"لم أقصد ذلك، أنا آسف".

"لا داعي للاعتذار عن حسن إدراكك وفطنتك. أنا سعيد لأنك تصغي إلى
تعليماتي بانتباه".

وحين شعرْتُ أنّ الجندي يتعد عتًا، أضفتُ: "قالت وايريس إنّ مُصممي المباريات يُخفون إشارات تدلّ على ساحة القتال في صالة التدريب".

فقال: "أنصحك بأن تُصغي إليها؛ فقد كنتُ مُرشدَها، وأعرف مدى ذكائها". ثمّ رفع مسمارًا وتابع: "هذا المسمار مُغطّى بطبقة من الزنك. لا تدعه يلمس العملة النحاسية. وليس من الضروري أن تستخدم عملة ومسمارًا، إذ يمكنك أن تستخدم أي شريحة من النحاس والزنك. قد تتمكن من العثور على بعضها في ساحة القتال؛ إذا تمكنت من الوصول إلى ما تحت "الديكور" الاصطناعي". ثمّ غرس المسمار في حبة البطاطا على بعد مسافة صغيرة من العملة، فحدوثُ حدوه.

"قالت لي وايريس أيضًا إنّ ساحة القتال مجرد آلة كبيرة".

"هذا صحيح. كل ساحات القتال آلات بشكل أو بآخر".

فُرحْتُ أفكر في الحديث الذي دار بيني ووايريس في المطبخ، حين قلتُ إنّني أريد أن أتحايل على ساحة القتال لأكشف الستار عن عدم كفاءة الكابيتول. لكنني ما عدتُ أرى جدوى من تنفيذ هذه الفكرة؛ فقد سبق لوايريس أن تغلّبت على الساحة ببراعة لا أحلم بمحاكاتها. إلّا أنّ انتصارها لم يُغيّر شيئًا؛ فما زال الوضع على حاله. وحتى لو نجحتُ في تنفيذ مناورة صغيرة، فسيحجبها الكابيتول عن الكاميرات بكل سهولة ولن يراها أحد. وجدتها... "ما دامت ساحة القتال مجرد آلة، يمكننا إذًا أن نحطّمها ونهدمها. أليس كذلك؟"

فقال لي بيتي وهو ينظر إلى أمبيرت: "نعم، هذا ممكن من الناحية النظرية. لكنّ القول أسهل من الفعل. فلنوصِل حَبّي البطاطا ببعضهما". ثمّ قام بتوصيل السلك المربوط بعملته بمسماري، وأوصل سلكًا إضافيًا بمسماره.

وفجأة، تبادرت إلى ذهني مشاهد من مباريات الجوع التي شارك فيها بيتي، وتذكّرتُ كيف استخدم ما جمعه من قطع وأدوات من ساحة القتال

ليصعق جميع خصومه الباقين بالكهرباء وقتلهم كلهم دفعة واحدة. عندئذ، أدركت أنني إن كنتُ أخططُ لتدمير ساحة القتال، فسأحتاج إلى هذا الرجل الذي لم يكتفِ بالتحايل على ساحة القتال فحسب، بل استولى عليها واستخدمها لصالحه. فعلى الرغم من ذكائي وفطنتي، ما زلتُ غريبًا عن عالم المعرفة. فأنا مجرد شاب جبليّ لم يكن يعرف أنّ البطاطا تصلح لشيء غير السلق والقلي.

فهمستُ: "كيف، يا بيتي؟ كيف يمكنني أن أدمرها؟ لا أعرف شيئًا عن الآلات".

قال: "بل تعرف، لكنك لم تربط الأمور بعضها ببعض بعد. البراغي، والعجلات ومحورها، والرافعات كلها آلات بسيطة. هل تعرف مضخة المياه؟"
"أعرفها أكثر مما ينبغي".

"مضخة المياه نوع من الرافعات التي تولد فرائجًا جزئيًا يسحب الماء إلى الأعلى. ويتطلب تشغيل بعض الآلات قدرًا أكبر من المعرفة والخبرة من غيرها".

قلت: "أعرف كيف أشغل المقطرة. هل من فائدة في ذلك؟"

فلمحتُ ابتسامة صغيرة على وجه بيتي وهو يقول: "بالطبع. لم لا؟" ثم أخذ طرف السلك الملفوف حول عمليتي والسلك الملفوف حول مسماره، وربط كلاً منهما بأحد السلكين الصغيرين المتدليين من قاعدة المصباح. عندئذ، انبعث من المصباح ضوء خافت، فهتف بيتي: "لقد نجحنا".

لو كانت أمي هنا لأعجبها هذه البدعة؛ لأنها ستساعدنا في الاقتصاد في استعمال الشموع.

لكنّ هذا لا يكفي لتدمير ساحة القتال.

فسألتُ بيتي بالحاح: "كيف أدّمّرها يا بيتي؟"

فانحنى بيتي على الطاولة، ورفع نظارته، وأخذ يتفحّص البطارية بدقة، ثم قال: "أتقصد كيفيّة قطع الدّارة الكهربائية؟ عليك بكل بساطة أن تفصل أحد أجزائها. يمكنك مثلًا أن تسحب أحد الأسلاك لتطفئ البطارية". ثم انتبهتُ إلى الجندية التي تقف ورائي، وأدركتُ أنّ كلام بيتي مُوجّه إليها. "نحن نحوّل الطاقة الكيميائية إلى طاقة كهربائية لإضاءة المصباح. لذا، يجب أن تكون الدّارة الكهربائية مُتكاملة ومُغلقة لتعمل البطارية".

اقتربت الجندية حتى صار أنفها على بعد بضعة سنتيمترات من البطارية، وجذب اهتمامها أربعة مجالدين يرتدون زيًا باللون الخوخي- مجالدي المقاطعة الثامنة- حلفائي غير الرسميين، إذا سارت الأمور على ما يرام.

قال أحدهم: "هل يمكننا أن نجرب؟"

فردّ عليه بيتي: "بالطبع". ثمّ خاطبني قائلاً: "شكرًا على اهتمامك يا هايميتش. زُرني مجددًا إذا أردت أن تتدرّب أكثر على صنع بطارية من البطاطا. وذكرى ميلاد سعيدة!" يبدو أنّ أمبيرت قد أخبره عن ذكرى ميلادي. مدّ بيتي يده ليصافحني قائلاً: "إنّها مُصادفة طريفة... أعني أنّك حُصِدت للمشاركة في مباريات الجوع في اليوم الذي وُلِدت فيه".

حين صافحته، شعرتُ بأنّه يدسّ شيئًا في يدي، فخبّأتُ الغرض في جيبِي من دون أن ألفت انتباه الآخرين، وقلتُ: "شكرًا يا سيدي". ثمّ انصرفتُ وأنا أتحمّس بأصابعي الكيس البلاستيكيّ في جيبِي الذي يحتوي عملتين نقديّتين ومسامير. لقد أعطاني بيتي هدية صغيرة بمناسبة ذكرى ميلادي. يجب أن أجد طريقة لأهزّب بها هذه القطع إلى ساحة القتال، ثمّ سأتظاهر بأنني أجمعها أثناء المباريات. إنّما لا أعتقد أنّي سأستطيع العثور على عملات نقدية في ساحة القتال، لذا سيكون الأمر مشبوهًا وغير مُقنع. ولهذا، سأضطرّ إلى البحث عن أغراض نحاسية أخرى. وإذا حالفني الحظ ووجدتُ حبة بطاطا أيضًا،

فسأكون قد جمعتُ نصف الأغراض التي أحتاج إليها لصنع مصباح خافت. لكن، لِمَ أخوض كل هذا العذاب ومعِي قداحة صوّان تشعل نارًا في ثوانٍ؟ من يدري؟ قد يحتاج مجالدو المقاطعة الثامنة إلى مصباح في ساحة القتال.

حين اقتربتُ من المدرّجات، كانت مايزيلي تضع لمساتها الأخيرة على قلادة مَصفورةٍ بإتقان. إنّها بارعةٌ حقًّا؛ فمن ينظر إلى القلادة لا يرى إلاّ تذكيرًا بسيطًا، ولا يخطر بباله أنّها مصنوعة من حبل ذي أنشودة. ثمّ رفعت مايزيلي القلادة لتتأملها بعينين فاحصتين.

وأخذ أمبيرت يُمرّر أصابعه على الحبل بإعجاب: "ما أحلى هذه القلادة! لقد استطعتِ بطريقة ما أن تضفري الحبل كلّ في صغيرة واحدة مُتناسقة. أنتِ بارعةٌ حقًّا".

فردّت عليه مايزيلي: "وأنتَ لديك ذوق رفيع". ثمّ ألبسته القلادة.

"ليتكِ كنتِ أختي".

دلّت النظرة الغريبة التي ارتسمت على وجه مايزيلي على أنّ أمبيرت أوّل شخص يقول لها هذه الكلمات. فتوقّعتُ أن تتفوّه بتعليق ساخر، إلاّ أنّها قالت ببساطة: "حسنًا، سأكون أختك".

"رائع! سأري أبي القلادة". ثمّ عانقها أمبيرت بحماسة، وحاولت هي أيضًا أن تعانقه بطريقة غريبة قبل أن يركض مُبتعدًا.

فقال لي وقد قطّبت حاجبيها: "أبوه!"

"نعم، أبوه هنا فعلاً. أتذكرين بيتي، الفائز في مباريات الجوع من المقاطعة الثالثة؟ لقد أساء التصرّف، فقرّر الكابيتول أن يعاقبه بإجباره على تدريب ابنه".

"ما هذه الوحشيّة الزائدة؟! لا أتصوّر أنّ أحدًا يريد أن تراه عائلته بهذه الحالة".

"ما من عقاب أسوأ من هذا".

فجأة، أعلن أحد مُصممي المباريات أنّ موعد الغداء قد حان، فتوجّه كلّ منّا إلى القسم المُخصّص لمقاطعته على المدرّجات. ثمّ وَزَع علينا أحد الجنود أربع علب طعام. لكنني كنت لا أزال مُتخَمًّا من طعام الفطور، وضلوعي تؤلمني من ضربة باناش. ثمّ إنّ علبة غداء لويلا التي بقيت بجانبني على المدرجات قضت على شهيتي بالكامل، فلم آكل. لمحتُ وفدًا يتضمّن مجموعة بالرّيّ الأزرق والبنّي والخوخي والأحمر يقترب منّا. إنّهم مجالدو المقاطعات الثالثة والسابعة والثامنة والعاشرة.

سأل أمبيرت: "هل يمكننا أن نجلس معكم؟"

فقلتُ: "بالطبع". فإذا كانوا سيُصبحون حلفاءنا، يُفضّل إدّا أن نتعرّف إليهم ونتقرّب منهم. جلسوا بجانبنا، ثمّ عرّف كلّ منهم بنفسه؛ إنّما ذهبت معظم أسمائهم أدراج الرياح قبل أن أحفظها. كان مجالدو المقاطعة العاشرة مُصابين برضوض وجروح من جراء حادث العربات، إلّا أنّ عيونهم تُفصح عن قوّة عزيمتهم.

وفي القسم المجاور، كان مجالدو المقاطعة الحادية عشرة يُشيحون بنظرهم عنّا، لكنّ صمتهم وسكونهم يوحيان بأنّهم يتنصّتون إلى حديثنا، ويحاولون أن يدرسوا نوابنا قبل أن يُقرّروا الانضمام إلى التحالف.

فقلتُ: "هذا تحالفك يا أمبيرت. لِمَ لا تشرح لنا ما يجول في ذهنك؟"

تعجبتني ثقته بنفسه؛ فعلى الرغم من صغر سنّه بادر بالإجابة من دون تردّد أو خوف: "في معظم الأحيان، يفوز المجالدون المُحترِفون في مباريات الجوع؛ على الرغم من أنّهم لا يُشكّلون سوى ربع المجالدين. أمّا نحن، فعددتنا

يفوقهم بثلاثة أضعاف. إذًا، الفكرة هي أن تُؤخِّد كلَّ المقاطعات التي تضمَّ مجالدين غير مُحترِّفين لنقلب الموازين، ونصبح نحن الصيادين وهم الفريسة".

فسألت شابة من المقاطعة العاشرة: "هل يمكننا حقًّا أن ننجح في هذا المسعى؟"

وأجابها أمبيرت: "ولِمَ لا يا لاني؟"

ولِمَ لا؟ إنَّ عدد سكان المقاطعات يفوق عدد سكان الكابيتول بأكثر من ثلاثة أضعاف.

وأضافَ: "لا تدعوا خدعتهم تنطلي عليكم وتزرع فيكم الشعور بالهزيمة قبل القتال. فكلِّكم تتحدَّثون وكأنَّنا نُنَّجُه نحو هزيمة حتمية، ولكنني أعتقد أنَّنا نملك فرصة للفوز".

طنَّت عبارة فرصة للفوز في أذن وايات وانتشلته من شروده، فبدأ يُحلِّل فرصنا: "علينا أن نأخذ في الحسبان بنياتهم الجسديَّة، وتدريبهم، وطباغهم، والهدايا التي يمكن أن يحصلوا عليها من المُموِّلين. لكن، إذا جمعنا عددًا كافيًا من المجالدين... وسرح بأفكاره بعيدًا.

فشرحْتُ للآخرين: "لا تقلقوا، هذا سلوكه المُعتاد. إنَّه يحسب فرص فوزنا ضد المجالدين المحترِّفين الاثني عشر". فالتزمت المجموعة الصمت ريثما يستكمل حساباته.

ثمَّ قال وايات: "نعم، يمكن أن تنجح هذه الخطة. فوزنا ليس راجِحًا. لكن، إذا استطعنا توحيد تسع مقاطعات تحت راية واحدة، فستكون لدينا فرصة جيِّدة للنجاح".

سألت رينجينا: "وماذا سنفعل بعد القضاء على كلِّ المجالدين المحترِّفين؛ إذا نجحنا في القضاء عليهم؟"

فأجابتها مايزيلي: "سنعقد اجتماعًا آخر. إنَّ هذا التحالف يُنظَّم جهودنا، ويُعطينا خطة عمل واضحة نَتَّبِعُهَا، بدلًا من الغرق في دوامة الذعر والهلع".

وقال وايات: "لكننا حتَّى الآن لم نُوحِّد إلا خمس مقاطعات، فيما نحن بحاجة إلى تسع".

قال أمبيرت: "سبق لي أن عرضتُ الفكرة على مُجالدي المقاطعات الباقية، لكنهم لم يرغبوا في الانضمام إلينا". عندئذ، نظرنا جميعًا إلى المُدرِّجات الممتدة على طول الصالة الرياضية. كان أعضاء تحالف المحترفين- المؤلف من المقاطعات الأولى والثانية والرابعة- مجتمعين مثلنا لتناول الغداء في الطرف الآخر من المدرجات، في كتلة من اللون الأخضر المخاطي والأرجواني والزرقة الداكنة. أمَّا مجالدو المقاطعات الحادية عشرة والتاسعة والسادسة والخامسة، فجلسوا في أقسامهم، كلُّ مجموعة وحدها، من دون أي ارتباط أو انتماء. ثم رأينا بعض المحترفين يرمون عليهم الفارغة على الأرض، ويتَّجهون نحو مجالدي المقاطعة السادسة، ويسرقون وجبتين من وجباتهم. مَنْ في قلبه ذرة من الشهامة والإنصاف لا يقبل الظلم بكل أنواعه؛ مهما كانت الظروف.

كان فريق المقاطعة السادسة يتألف من أربعة مجالدين هزيلين، توحى أطرافهم الضعيفة بأنهم لم يتعرَّضوا لنور الشمس قطُّ. وكانوا مَلفوفين بالضمادات بسبب حادثة العربات، فبدوا وكأنَّهم مومياوات. كما يبدو أنَّ أحدهم قد لوى قدمه، وأذكر أنَّ آخَرَ انهار على الأرض في الحَمَّام لاهتًا بسبب المبيدات. كنتُ على وشك التخلي عن فكرة ضمِّهم إلى التحالف لأنهم مجرد عبء إضافي، لكنَّ لون زيَّهم الرمادي استوقفني؛ إنَّه لون يمامة لينور دوف. هذه إشارة.

فسألتُ أمبيرت: "هل رفضت المقاطعة السادسة عرضك؟"

"نعم، قالوا إِيَّهم يُفَضَّلون عدم الانضمام إلى أيِّ تحالف كيلا يستهدفهم المحترفون".

"لا أعتقد أنَّ الأمور تسير وفق خطتهم".

انهارت إحدى مجالدتي المقاطعة السادسة على المدرجات باكية، وكانت طفلةً صغيرة نحيلة، عظامها بارزة. فأخذتُ علبتي وعلبة لوبلا، واتَّجِهتُ نحوها. وحين اقتربتُ منها تراجعَت إلى الوراء خائفة، فمددتُ لها علبة لوبلا قائلاً: "هذه لكِ. لدينا بعض العلب الإضافية". فتردَّدت، ثم تناولت العلبة بيد مرتجفة. وناولتُ الصبيِّ الذي ما زال يلهث مُصدِّراً صوت تنفُّس مسموعاً العلبة الأخرى قائلاً: "هل أنتم بخير بعد الحادث؟"

فأومأت الفتاة برأسها قائلةً: "نحن آسفون لأنَّ عربتنا آذت صديقتك".

قد تكون ضعيفة، لكنها تراعي مشاعر الآخرين. "لا داعي للاعتذار؛ فالذنب ليس ذنبكم".

"شكرًا لك لأنك لم تُحمِّلنا المسؤولية".

"ولمَّ أحملكم مسؤولية حادث لا علاقة لكم به؟ نحن نعمل على بناء تحالف مُتماسِك. وأنا أفهم رغبتكم في التزام الحياد، لكنَّ الحياد في مثل هذه الظروف لا يقي من الخطر. الدعوة لا تزال قائمة، ومكانكم محفوظ إن غيَّرتم رأيكم".

وحين عدتُ إلى حلفائي، تبعني أربع يمامات رمادية مُضمَّدة، وتقوَّعت على المدرجات، ثمَّ عرَّفت عن نفسها همسًا: ويلي؛ الفتاة البكاءة، ومايلز؛ الفتى المصاب بالربو، وآتريد، وفيلو. ثمَّ بدأوا يتناولون طعامهم.

فقال وايات: "المقاطعة السادسة هي المقاطعة السادسة في تحالفنا".

وقالت رينجينا: "نحن نحتاج إلى اسم. من نكون في وجه تحالف المحترفين؟"

فاقترحت المقاطعة الثانية عشرة اسم "القنابل الموقوتة"، أمّا العاشرة فرشّحت اسم "الخيول السوداء"، فيما طرحت السابعة اسم "الغزاة".

لكنّ ويلي اعترضت بحزم: "لا، لا يشبهنا أيّ من هذه الأسماء. أنتم تحاولون أن تتظاهروا بالقوة، لكننا لسنا ندّاً للمحترفين. فنحن لا نملك تدريبهم ولا خبرتهم، ولم نتدرّب منذ نعومة أظفارنا على القتال للفوز في مباريات الجوع".

وسألت لاني: "وهل نريد أن نسلط الضوء على هذه الأمور؟"

فأجاب أمبيرت: "ليست فكرة سيّئة. فهذا يعني أننا لم نتشرّب أفكارهم، ولم ننخدع بأوهامهم التي تُصوّر الموت في ساحة القتال مَجْدًا يُبتَغى".

وقالت رينجينا: "نحن لا نُشارك في المباريات بمحض إرادتنا".

وردّ أمبيرت: "هذا صحيح، لكننا سنقاتل إذا لزم الأمر. نحتاج إلى اسمٍ يليق بنا وبمقاطعاتنا؛ اسم يُعبّر عن أننا بدأنا بشقّ طريقنا خطوة خطوة".

فقلتُ من دون تفكير: "المُستجِدّ زغلول". فضحك الباكون. "أنا جادّ. هذا هو اللقب الذي يُطلَقُ على العمال الجدد في المناجم؛ حتى إنّ أبي كان يناديني بهذا اللقب عندما كان يُعلّمني أشياء جديدة. فكان يقول لي مثلاً: "هيا أعلمك كيف تربط شريط حذاءك أيّها المُستجِدّ زغلول"."

فقالت ويلي وقد ارتسمت ابتسامة على وجهها المُغطّى بالدموع: "أعجبنى هذا الاسم. نحن المُستجِدّون".

وفكّرت رينجينا بالاسم قليلاً، ثم قالت مُبتَسِمةً: "ونحن نفتخر بتحالفنا".

شعرْتُ بالارتياح والطمأنينة بعد الغداء؛ ليس فقط لأنَّ نصفَ المجالدين صاروا حلفائي ولن يقتلونني، بل لأنني لم أعد مُضطرّاً إلى التفكير في قتلهم. فعذاب القتل أشدُّ وطأة على النفس من عذاب الموت. صار عندي الآن حلفاء يساندونني ويحمونني، ونحن نتعلّم معًا كيف ننصب فحّاً، ونرمي فأسًا، ونُجَبِّر رجلاً مكسورة.

خلال التدريب، تبغني مجالدو المقاطعة السادسة كظليّ أينما ذهبْتُ؛ كأثم سَرَبِي الصغير من اليمام الرمادي. لكن، إذا كانوا يظنّون أنّني أستطيع حمايتهم في ساحة القتال، فضنّهم ليس في محله. فأنا لا أستطيع أن أحميهم.

يبدو أنّ وايات وجد من يشاركه شغفه بالأرقام والفرص والاحتمالات. إذ إنّ زملاء أمبيرت من المقاطعة الثالثة مولعون بالحسابات الإحصائية، ووايات سعيد بمشاركتهم نظامه في تقدير الفرص والاحتمالات. يبدو أنّ الطيور على أشكالها تقع، أو في هذه الحالة، يبدو أنّ المهووسين بالأرقام على أشكالهم يقعون. لكنّ من أدهشني حقّاً هو مايزيلي. ففي مقاطعتنا، لم تكن شابة محبوبة تحظى بالإعجاب والاحترام والتقدير، بل شابة تبعث الخوف والرهبّة في النفوس. ولم يكن أحد من الأطفال يقصدها أو يطلب منها المساعدة، بل يهربون منها ويتفادونها. أمّا الآن، فكان المجالدون المُستجِدّون يتهافتون إليها؛ طالبين منها أن تُضيف لمستها الفنيّة إلى تذكاراتهم. يبدو أنّ قلادة أمبيرت قد أعجبتهم. وكانت مايزيلي تُلبّي طلباتهم، ولا تصدّ أحدًا منهم؛ فتجدل الحبال والخيطان، وتلقّها وتربطها بتصاميم وأنماط مختلفة تُضفي على تذكاراتهم البسيطة رونقًا خاصًّا، وتحوّلها إلى قطع فاخرة. وكانت تذكارات المُستجِدّين تُجسّد فخرهم بالانتماء إلى مقاطعاتهم. فقد جلبت ويلي معها جرس درّاجة هوائية، فيما حمل مايلز صافرة قطار معدنية؛ وهما من المقاطعة السادسة التي تُعنى بوسائل النقل. أمّا مجالدو المقاطعة العاشرة التي تشتهر بتربية المواشي فجلبوا حدوات خيول، فيما تزوّج حطّابو المقاطعة السابعة بقطع خشبية منحوتة ومزخرفة، وحمل مجالدو المقاطعة الثامنة معهم دمي صغيرة

بأزياء جميلة مُخَيَّطة، وجاء أحد مجالدي المقاطعة الثالثة بمقبض باب؛ مع أنني لا أرى علاقته بالتكنولوجيا. أخذت مايزيلي كلَّ التذكارات التي جاءها بها حلفاؤنا وجمَّلتها. ومع أنها لا تكفُّ عن إبداء نصائحها وآرائها في الجمال والأناقة من دون أن يستشيرها أحد، إلا أنَّ مجالدين غيَّرتا تسريحة شعرهما، فيما تعهَّد مجالد بالتوقف عن قضم أظفاره. فكان حلفاؤنا ينظرون إليها بعين المحبة والإعجاب.

انتهت جلسة التدريب، من دون أن نحصل على جواب من المقاطعة الحادية عشرة. لو كانوا ينوون الانضمام إلينا، فَلْيُعْرِبُوا عن رغبتهم بصراحة. إذ إنَّ تحالفنا بحاجة إلى مزيدٍ من العضلات. لقد رأيتُ هال-الشاب الذي ركلَ باناش في الحمَّام- يرمي مِذْرَافَةً قطعت رأس دمية قتال بضربةٍ واحدة. فلماذا نخدع أنفسنا؟ نحن هنا لنقاتل، ولا جدوى من التظاهر بعكس ذلك.

لقد اكتسب المُستجِدُّون ثقة بأنفسهم اليوم. ففي نهاية التدريب، مشينا إلى الشاحنات بخطى واثقة. وعلى متن الشاحنة حالكة الظلِّمة، وضعتُ بعض الخطط والاستراتيجيات مع مايزيلي ووايات، وأخذنا نتبادل ما جمعناه من معلومات عن حلفائنا. ولم نشعر بمرور الوقت إلى أن توقَّفت الشاحنة.

فقالت مايزيلي: "لقد وصلنا إلى الشقة بسرعة اليوم".

انفتح باب الشاحنة فجأة، وأشار إليَّ جندي لكي أترجِّل منها. وحين نهض وايات للِّحاق بي، رفع الجندي يده في الهواء قائلاً: "اجلس مكانك، نحتاج إلى أبرناشي فقط".

هذا لا يُبَشِّرُ بالخير. حين خرجتُ من الشاحنة، وجدتُ نفسي أمام بناء أبيض رخامي أكثر هيبية من شقق المجالدين، يمتد على طول الحي، وتتوسطه أبواب خشبية عملاقة مُرَصَّعة بنجوم ذهبية. لمحتُ تعابير القلق على وجه وايات قبل أن يُغَلِّق باب الشاحنة وتتعد مسرعة. ما الذي يحدث؟ أين أنا؟

فجأة، أسرع الرجلان اللذان يرتديان زيًا بنفسجيًا ويقفان إلى جانبي المدخل بفتح درفتي الباب؛ كأنهما تلقيا تعليمات خفية. ثم أطلّ بلوتارك هيفينزبي من خلفهما وتقدّم نحوي، وملامحه عصية على التأويل.

"مرحبًا يا هايميتش. لقد طرأت بعض التغييرات على جدولك في اللحظة الأخيرة".

"أجدولي أنا فقط؟"

"نعم، أنت فقط. يبدو أنّ الرئيس سنو قد أعاد النظر في... تصرّفاتك".

فتبادرت إلى ذهني جثة لويلا الممدّدة تحت الشرفة، والرئيس سنو الواقف على الشرفة، وأنا أصقّق له أمام العيان.

أنا هنا لأدفع ثمن البصمة التي تركتها على ملصقات الكابيتول.



أنا مجرّد كومة هسّنة من العظام واللحم تسري فيها بضعة ليرات من
الدم في حلّة من الجلد أرقّ من الورق. وما أسهل كسر عظامي وتمزيق
لحمي وجدي! استولت عليّ هذه الفكرة وأنا أدخل القلعة الرخامية المهيبة.
ما شعرتُ قط بمثل هذا الضعف.

جلتُ بنظري في المدخل، وبين جدرانها الشاهقة وسقفه العالي. فلم
أجد إلا رخامًا براقًا فاخرًا، ومزهريّات ضخمة تفيض بأزهار كبيرة. فلا كلاب
بودل ولا برتقال هنا.

لمحتُ عاملة تنظيف ترتدي مئزرًا مكويًا ومُنشّي تنفض الغبار عن تمثال
باستعمال منفضة من الريش. ثم وقعت عيناها عليّ فامتلتا بالشفقة،
وافترقت شفاتها، فلاحظتُ أنّ لسانها مقطوع. إنّها من أسرى الكابيتول الذين
يلقَّبون باسم "أفوكس"، وهم أشخاص ينظر إليهم الكابيتول كخونة أو أعداء
فيقطع ألسنتهم ويُجبرهم على خدمته مدى الحياة. هل سيُقطع لساني؟ بلعتُ
ريقي. الموت على يد باناش أرحم من هذا المصير.

قال بلوتارك: "من هنا".

كانت السجادة أشبه ببساط من الطحالب يمتصّ وقع خطواتي،
فشعرت بأنني أصبحتُ شبحًا يطوف في الأنحاء؛ كالأشباح التي تذكرها لينور
دوف في أغانيها. لقد أخبرتني ذات مرة كيف تملكها الذعر والخوف حين

اعتقلها جنود حفظ الأمن، وكيف تغلّبت على خوفها عندما أدركت أنّنا قد لا نستطيع التحكّم بالتجارب والمواقف التي نمّر بها، وإّما يمكننا التحكّم بتصرّفاتنا وردود أفعالنا تجاهها. "كنتُ خائفة، لكنني وجدتُ بعض السكينة عندما أيقنتُ أنّي أستطيع التحكّم برّدة فعلي".

حاولتُ عبثًا أن أحذو حذوها وأن أهدّي أعصابي؛ فقد كان الأدرينالين يتدفّق في عروقي كخيول مذعورة، ودقات قلبي تفرع في أذنيّ كقرع الطبول. ساعديني يا لينور دوف. لكنها ليست هنا، لا أحد هنا سيساعدني.

قادني بلوتارك عبر رواق طويل سقفه مُقوّس، وجدرانه مرصوفة بلوحات كبيرة، يظهر فيها أناس مُتكبّرون مُتغطّرسون في ثياب فاخرة قديمة الطراز بحجمهم الطبيعي. وكان كلُّ منهم يحمل عَرَصًا يرمز إليه ويُمثّله؛ كميزان، أو قيثارة، أو كأس مرصّعة بالياقوت.

فأشار بلوتارك إلى اللوحات بلا مبالاة قائلاً: "أقدّم لك عائلة هيفينزبي".

لحظة... عائلة هيفينزبي؟ أهذه عائلته؟ هل نحن في منزله؟

عائلته كبيرة، وأفرادها يُزيّنون جدران كل الأروقة التي نمّر بها، ويُراقبوننا مُتباهين بثروتهم ورموزهم المميزة؛ كغصن شجرة مورق، وطائر أبيض، وسيف، و... أهذه ساق ديك رومي؟ كلّهم وُلدوا وفي أفواههم ملاعق من ذهب. كانت بعض الأبواب موصّدة بإحكام، فيما بعضها الآخر مفتوحة على مصاريعها، وتُطلّ من ورائها غرف مَفروشة بأثاث فاخر وثرّيات بلوريّة مُتوهّجة. ولم أرَ أحدًا في الأنحاء، سوى بعض الأفوكس الذين تواروا في الظلال.

تُرى، كم شخصًا كرّس حياته لبناء هذه القلعة؟ وكم شخصًا قضى نحبه قبل أن تكتمل؟ ولم كلّ هذا العناء؟ فقط لكي تحصل عائلة هيفينزبي على مكان لتعليق لوحاتها المُتكلفة. فلتنفعكم لوحاتكم السخيفة في قبوركم.

وأخيرًا، دخلنا غرفة فيها لوحة لرجل ذي لحية بيضاء، يحمل كتابًا مفتوحًا
ويبتسم لنا من فوق المدفأة.

فقال بلوتارك: "هذا تراجان هيفينزبي، جدُّ جدُّ... إله أحد أجدادي. ولا أذكر
كم جيلًا يفصلني عنه. لكنّه الوحيد في العائلة الذي ترك وراءه أثرًا يستحق
الذكر. هذه مكتبته. جلبتك إلى هنا لتحدّث قليلاً".

هذا جيّد. يريد فقط أن يتحدّث إليّ لا أن يعدّمني؛ فهذا روعي شيئًا فشيئًا،
وبدأت أستوعب أنني في مكتبة ولسْتُ في غرفة تعذيب. فالجدران مرصوفة
من الأرض إلى السقف برفوف مُكتنّة بالكتب والمؤلّفات والمجلّدات. وفي
الزاوية، درج ذهبي لولبيّ يلتفّ حول عمود رخامي أبيض، ويقود إلى شرفة
داخلية تُطوّق المكتبة. وفي قَمّة الدرج، نسْرُ ذهبيّ مُترجّع على الدرايزين.

إنّ هذه المكتبة غرفة أحلام لينور دوف. فقد كانت تقول إنّ الكتب أرواح
مَحفوظة، تنبض بحكايات أصحابها بعد موتهم. ولدى شعب كوفي مجموعة
واسعة من الكتب القديمة التي تشققت أغلفتها وذبلت أوراقها، لكنّها عندهم
أثمن من الذهب.

نحن نتعلّم القراءة في المدرسة، إلّا أنّنا قلّمنا نجد ما نقرأه؛ فالكتب
نادرة في المقاطعة الثانية عشرة. ومع ذلك، كنتُ أعثر بالصدفة على كتاب
في سوق الهوب السوداء بين حين وآخر. وإن كان معي ما أقايسه به، كنتُ
أسارع إلى شرائه مهما كان مضمونه، لأهديه إلى لينور دوف في ذكرى
ميلادها. أهديتها مرّة دليلاً عن تربية الدواجن، وقد أعجبها؛ على الرّغم من أنّه
يركّز على تربية الدجاج لا الإوز. وأهديتها أيضًا مجلّدًا فيه خرائط يعود تاريخها
إلى ما قبل الأيام المظلمة؛ أي أنّها لا تصلح لشيء. لكنّ أجمل ما أهديتها إياه
هو ديوان شعر فيه قصائد بقلم شعراء راحلين. وبعض هذه القصائد صارت
أغاني مُلحّنة.

ما زالت الابتسامة التي ارتسمت على وجه لينور دوف، والقبلات التي انهالت بها على وجنتي حين أهديتها ديوان الشعر راسخةً في ذهني، تمدُّني بالقوَّة، وتُذكِّرني بأنَّ ثمة أشياء لا تطالها أيدي الخراب.

"هل تقرأ يا هايميتش؟"

"نعم، لقد تعلَّمتُ القراءة".

"ليس هذا ما قصدته. هل تهوى القراءة؟"

"أقرأ ما يهمني ويجذبني".

فقال بلوتارك: "وأنا أيضًا. لكن مع الأسف، لا تُعدُّ القراءة من الهوايات المحبَّبة في الكابيتول؛ مع أنَّ الكتب تتضمَّن معلومات قيِّمة تساعدك على فهم الناس". ثم مدَّ يده إلى ما ظنَّته مكتبًا مُدمجًا في الرفوف، وأدار مقبضًا على شكل رأس عنزة، فانقسمت اللوحة الخشبية إلى نصفين، وانفتحت، وارتفعت من جوفها صينية عليها زجاجات لامعة. صبَّ بلوتارك لنفسه كأسًا من شراب كَهْرْمَانِيَّ اللون، والتفت إليَّ قائلاً: "هل أصبُّ لك كأسًا؟"

فأجبت: "أنا لا أحتسي الشراب". لكنَّ فضولي المهني غلبني، فدنوتُ من الصينية لأتفقِّد الأنواع المختلفة من الشراب المَعروضة عليها. كان لون الشراب الأبيض الذي أصنعه مع هاتي صافيًا كال مياه، أمَّا الزجاجات المصفوفة أمامي الآن فتحتوي على شراب أبيض ملوَّن بألوان قوس قزح كلها؛ مع أنَّني لا أعلم ما إذا كانت هذه الألوان صناعية أو ناتجة عن مزج الشراب بالأعشاب أو النكهات. وكانت الزجاجات تحمل لوحات فضية صغيرة، مكتوبة عليها أسماء مختلفة لا أعرفها.

ثم لفت انتباهي اسم شراب أعرفه، على الرغم من أنَّني لم أره من قبل؛ فأمسكُ الزجاجة ورفعتها في الهواء، فتراقصت أشعة الضوء على الشراب الأبيض المائل إلى اللون السلمونيِّ الباهت.

وقال بلوتارك: "هذا شراب السُّلوان. أنت في أغلب الظن لم تسمع به من قبل".

أنت مخطئ يا بلوتارك. كيف لا أعرف السُّلوان وهو مذكور في قصيدة لينور دوف؟ لقد سئمتُ من تعامله معي باستعلاء، فقررت أن أوقفه عند حدّه وقلتُ: "أتقصد السُّلوان نفسه المذكور في هذا البيت: "اشتفَّ دواء السلوان الرحيم هذا، لطفًا، اشتفّه..."

فأُتسعت عينا بلوتارك دهشةً، وتلا بقية البيت: "... وانسنَ الفقيدة لينور".

فذهيتُ أنا هذه المرّة. ليس لأنّه يعرف قصيدة لينور دوف- فأنا لا أستبعد أن تكون قصيدتها وسط هذا الحشد الهائل من الكتب- بل لأنّه حفظها عن ظهر قلب. لا يعجبني وقع اسم لينور على لسانه.

وأضاف: "لكنّ القصيدة لا توضّح ما إذا كان الشاعر يقصد شراب السلوان أو العقار الذي يُخلط به".

لقد تناقشتُ في هذا الموضوع مع لينور دوف من قبل، فشرحت لي أنّ الفعل "اشتفَّ" مرادف لفعل "شرب" أو "عبّ"، وأنّ الشاعر يحاول أن يشرب دواء السلوان كلّهُ لنسيان حبّه الضائع.

فقلتُ: "لا يهمّ إن كان يقصد الشراب أو العقار، المهم أنّه سيُنسى من يشربه عذابه وألمه".

"بالضبط. أظنّ أنّ هذه الزجاجاة تحتوي على تقليد رخيص بنكهة التوت يشبه الشراب الأصلي. أتعرف أنّ شراب السُّلوان الأصلي كان يُخلط بعقار المورفلنج في ما مضى؟ لكنّ السُّلطات منعت صانعي الشراب من استخدام هذا العقار بعد أن تبين أنّه يتسبّب بإدمان شديد. هل تأذن لي يا هايميتش أن أسألك من علمك هذه القصيدة؟"

"إِنَّهَا مشهورة في المقاطعة الثانية عشرة". هذه كذبة كبيرة؛ لكنني أريده أن يظن أننا تعلمناها من الكتب، تمامًا مثله.

"أحَقًّا؟ تعال معي. لدي ما أريك إِيَّاه في الدفيئة".

بالتأكيد، الدفيئة. هل يتوقَّع منِّي حقًّا أن أعرف ما هي الدفيئة؟ خرجنا من المكتبة من باب جانبيّ، وعبرنا رواقًا ضيقًا، ثم دخلنا غرفة يحتضن سقفها الزجاجي المقوّب قطعة من السماء. وكانت الجدران زجاجية أيضًا، تُطلُّ على حديقة مليئة بالأزهار الزاهية والأشجار النضرة. لكن، لماذا تحتاج عائلة هيفينزبي إلى رؤية الحديقة من هذه الغرفة التي تعج أصلًا بالنباتات والأزهار والهواء الرطب المنعش؟ حتى إنّ فيها عصافير صغيرة تُرفرف بحرّيّة بين العوارض العلوية في السقف، مُزقِرَةً ملء رئتيها، وطاولات وكراسٍ صغيرة مُزَيَّنة بزخرفات حلزونية مُنتَشِرة حول نافورة تصبّ الماء في بركة. وكان على إحدى الطاولات هاتف غريب، على شكل بجعة نائمة، سمّاعته هي رأس البجعة وعنقها المُقوّس. وزبّت حشرة قرب أذني، فلوّحتُ بيدي لأطردها بعيدًا.

يبدو لي أنّ عائلة هيفينزبي بذلت جهودًا جبّارة لاحتواء الطبيعة في هذه الغرفة. ولمّ كلّ هذا العناء؟ هل يصعب عليهم فتح الباب والخروج إلى أحضان الطبيعة؟ لو رأت أمّي هذا المنظر لقاتلت إنّ "المال لا يدوم في يد الأغبياء".

قال بلوتارك: "انظر إلى هذه النبتة". وأشار إلى نبتة مَزروعة في سلة مُعلّقة فوق هاتف البجعة النائمة. كانت أوراقها خضراء طويلة، تتدلى منها أشياء زهرية اللون، شكلها كالجرار ولها أغصية صغيرة، وفي قعر كلّ منها سائل عذب. وأضاف بلوتارك وأنا أستنشق العبير الجميل: "إنّها تتميز بعبير حلو يجذب الحشرات. وما إن تحطّ حشرة على حواف الجرّة اللزجة، حتى تنزلق إلى داخلها وتغرق في السائل، فتصبح غذاءً للنبتة".

"ولمّ أردت أن تُريني إيَّاه؟"

فأشار بلوتارك بإصبعه إلى لوحة مَحفور عليها اسم النبتة. يبدو أنه يوجد في قصر عائلة هيفينزبي موظف مَسْؤُول عن حفر أسماء الأعراس على لوحات صغيرة، فقرأتُ الاسم: نبتة *السلوى*، وأنا أفكر في غاية بلوتارك من هذا العرض.

وقلتُ: "شراب السُّلوان ونبتة السلوى طريقتان مُبتَكَرتان وَقَعَّالتان لَسَلُو الأحزان والآلام".

فقهقه بلوتارك قائلاً: "أنت أول شخص يفهم الدَّعابة".

ها هو يعود إلى لعبته المُعتَادَة، ويحاول أن يجعلني أشعر بأنه ينظر إليّ كإنسان. "لماذا جلبتني إلى هنا، يا بلوتارك؟"

لكنني حصلتُ على الجواب من صوت صدر من ورائي: "من أجلي".

لم أُمَيِّز الصوت في بادئ الأمر؛ فقد تلاشت نعومته، وتحوّلت إلى زمجرة مَبْحوحة مُتَّخِنِحَة. وعلى الفور، استدرتُ نحو مصدر الصوت، فوجدت الرئيس سنو مُتَّكِنًا على الباب، يمسح جبينه بمنديل. حضوره وحده أربكني وجعل بدني يقشعر؛ فهذا الرجل ذو نفوذ لا مثيل له، وسجله حافل بالقسوة والوحشيّة، ووجهه وجه الشر ذاته. هل ما فعلته يُعَدُّ حَقًّا جُرْمًا فادحًا يستدعي لقاءً شخصيًا مع الرئيس؟ كان يقف على رجليه بصعوبة؛ مُتَّصِبًا عرقًا، ولاهتًا، ومُنقطع الأنفاس، وشاحب اللون. حتى إنّه تخلّى عن وقفته المُتعالية المُتغَطِّرة، وحنى ظهره، ووضع يده على بطنه. ولأوّل مرة، لم تنجح مساحيق التجميل التي تزيّن وجهه في إخفاء عمره، فبدت عليه سنواته الثماني والخمسون.

قال بلوتارك: "سيدي الرئيس، هل أنت بخير؟ يبدو أنّ الطقس الحار قد أثر عليك. لِمَ لا تجلس قليلًا؟" وأسرع يُهَيِّئُ له كرسيًا بجانب حافة نافورة المياه. "هل تودّ أن تنتقل إلى المكتبة؟ فقد جهّزتها لهذا الاجتماع، والجو فيها أبرد من هنا".

غير أنّ الرئيس سنو كان مُنشغلاً بحالته، فلم يُجِبه، بل تقدّم نحو النافورة بخطى غير مُتزنّة، ثم تشبّع جسده فجأة، وسال الدم من طرف فمه على قميصه الأبيض. وسرعان ما هوى جالسًا على الكرسي.

وقال بلوتارك: "إلامَ تحتاج؟ هل أجلب لك كيس ثلج؟ يوجد حمام خلف هذا الباب..." وإذ بالرئيس سنو ينحني على حافة النافورة ويتقيأ ما في معدته فيها. "لا عليك".

لحسن الحظ، لستُ مسؤولًا عن تنظيف هذه الفوضى المُقرّفة.

كان الرئيس سنو يتصبّب عرقًا، ولكنّه لم يبذُ مُحرجًا من حالته، ولم يُحاول أن يُبَرِّرها أو يُخفيها؛ وكأنّه أرادنا أن نرى حالته. لكن، ما غايته؟ فأنا ذاهب إلى الموت. أتراه يوجّه رسالة إلى بلوتارك؟

ثمّ أسند ظهره إلى ظهر الكرسي لاهنًا وقال: "الطقس حارٌّ جدًّا".

فقال بلوتارك: "حسنًا، فلنذهب إلى المكتبة". ثمّ ساعد الرئيس سنو على الوقوف، ومزّر ذراعه تحت إبط الرئيس ليساعده على المشي، وناداني: "هايميتش" بنبرة تحمل صيغة الأمر لا الطلب والرجاء. عندئذٍ، أمسكُ بالرئيس من الجانب الآخر، كاتمًا أنفاسي كيلا أستنشق الرائحة الكريهة التي تبعث منه، وهي مزيج من القيء السام وعبير الورد. وحين أمسكُ بجسده المُتعب، استمددتُ من ضعفه بعض الشجاعة والجرأة؛ فهو مجرد رجل عادي فانٍ مثلي، ويبدو لي أنّه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

أخذنا الرئيس إلى المكتبة، حيث أجلسناه على أريكة مُطرّزة.

وسأله بلوتارك: "هل أتصل بالطبيب يا سيدي الرئيس؟"

فأمسكُ الرئيس سنو بذراعه، وقال له بصوت أجشّ: "لا، لا أطباء. اجلب لي القليل من الحليب".

"الحليب! أنا أبقى بعض الحليب هنا لإعداد الشراب المَخفوق. تفقّد
صينية الشراب يا هايميتش، والبرّاد أيضًا. إنّه إلى يمينك".

فُرحْتُ أبحث عن الحليب ببطء وتأنٍّ؛ لأنّني لم أكن في عجلة من أمري،
وكنْتُ ألعب دور الأحمق الحائر القادم من المقاطعات الذي لا يعرف يمينه من
يساره، ولا يعرف كيف يفتح باب البرّاد المُغطّى بلوح خشبي. وحين نجحتُ
أخيرًا في فتحه، وجدتُ نصف لتر من الحليب في إبريق صغير من الخزف
الأبيض، يلتفُّ حوله سلّم ذهبي لولبي، وبتربّع نسر على غطاءه. إنّه نُسخة
مُصعّرة من درج المكتبة.

واصلتُ البحث عن الحليب على رفوف باب البرّاد، فيما أُصيب الرئيس
سنو بنوبة سعال قويّة، وبقي بلوتارك بجانبه.

لن أحظى مجددًا بمثل هذه الفرصة لأواجه الرئيس سنو شخصيًا. لأجلِك
يا لويلا. ثمّ فتحتُ غطاء الإبريق، وعَيَّنتُ الحليب عبًّا، وبعد ذلك مسحْتُ آثاره
عن شفّتيّ، وأغلقتُ باب البرّاد رافعًا الإبريق مَغلوبًا على أمري، وقلت:
"الإبريق فارغ".

فانتسعت عينا بلوتارك دهشةً. لا ريب في أنّه يعرف تمامًا ما فعلته.
توقّعتُ أن يشي بي ويفضحني، لكنّه همس بغضب: "آه من الخدم، يُخفقون
في أبسط الأمور!" ثمّ خرج من المكتبة مُسرِعًا، وهو يصيح طالبًا منهم المزيد
من الحليب. ألم أقل إنّه رجل غريب الأطوار، ويصعب توقّع أفعاله وتصرفاته؟

بقيتُ وحدي مع الرئيس المُتقيّئ. ليس من السهل أن تشاهد إنسانًا
على شفير الموت؛ فالمشهد يثير الرهبة. لكنّ ما أرعيني حقًا هو أنّني وقفتُ
هناك، أتفرّج عليه من دون أن أمدّ له يد العون. فلو رأيته في هذه الحالة قبل
يوم الحصاد، لما تردّدت في نجدته ومساعدته. لكنّ موت لويلا غيرني. وإذا
أكملتُ على هذا الدرب، فسأكتسب المقوّمات اللازمة للفوز في مباريات
الجوع.

غصّ الرئيس سنو بالقيء مُختنِقًا، فأفرغ وعاءً بلّوريًا مليئًا بالإجاص المصنوع من الشمع على الطاولة، وتقيأ فيه قبيئًا أسود داميًا. تُرى، ما رأي العجوز تراجان هيفينزبي بهذا المنظر؟ ليس لك إلا أن تبتسم يا تراجان؛ فهذا الرجل الذي تراه أمامك هو نفسه رئيس بانيم. عاد تنفّس الرئيس سنو إلى طبيعته شيئًا فشيئًا. يبدو أنّ حالته قد تحسّنت بعد تقيئه؛ إذ أخذ يجول بنظره في المكتبة، وينظر إلى اللوحة وإليّ أنا بتمعّن، ثمّ مسح فمه بمنديله وأعادته إلى جيبه قائلاً: "إنّ الدواء أحيانًا أسوأ من الداء".

"عن أيّ داء تتحدّث؟"

"انعدام الكفاءة. فإذا لم تجتّه من عروقه، سيتفشّى وينتشر كالعدوى الخبيثة".

في تلك اللّحظة، عاد بلوتارك وهو يحمل إبريقًا من الحليب: "وجدت الحليب في غرفة البلياردو".

فتجرّع الرئيس الحليب دفعة واحدة، ثم مدّ الإبريق الفارغ إلى بلوتارك قائلاً: "اجلب لي واحدًا آخر... وبعض الخبز".

فأجابه بلوتارك وهو ينظر إلى الوعاء المليء بالقيء: "هل أنت مُتأكّد من أنّ هذه فكرة جيّدة يا سيدي الرئيس؟ فبعض أمراض المعدة والأمعاء..."

"لا أعاني من المرض، بل من تسمّم غذائيّ سببه محار فاسد. لكنّ حالي أفضل بكثير من إنسيتاتوس لومي".

فسأل بلوتارك وقد ارتسمت على وجهه تعابير غريبة: "هل تقصد مدير موكب الاستعراض؟"

وقال الرئيس: "أكان إنسيتاتوس مدير الموكب؟" ثم ناوله وعاء القيء وتابع قائلاً: "اجلب لي ما طلبته".

وما إن انصرف بلوتارك، حتى أخذ الرئيس يتأمل رفوف الكتب الممتدة أمامه. "انظر إلى كل هذه الكتب. في الأيام المظلمة، كان كل الناس يحرقون الكتب ليبقوا على قيد الحياة. حتى إن عائلتي أحرقت كتبها. أمّا عائلة هيفينزبي؟ فظلت تسبح في الثراء الفاحش، فيما غرقت العائلات العريقة في الفقر المُدقع". ثم أخرج زجاجة صغيرة من جيبه، وفتح غطاءها، وابتلع محتواها بجرعة واحدة، وارتجف قليلاً عندما استقرّ السائل في جوفه. "كان لديّ زميل في الصف من هذه العائلة اسمه هيلاريوس؛ شاب شكّاء بكّاء عديم الجدوى." ومسح شفّتيه المُنتفختين بكمه، وتابع: "لكنّ بلوتارك مفيد أحيانًا. أليس كذلك؟"

هل يقصد أنّ بلوتارك مفيد لي؟ ماذا يعرف تحديدًا؟

فأجبت: "أعتقد أنّ بلوتارك يؤمن بأنّ استخدام العسل أفضل من الخلّ لاصطياد الذباب".

فقهقه الرئيس: "أرى أنّ الشذرات الحكميّة الشعبية ما زالت رائجة في المقاطعة الثانية عشرة".

لم أفهم ما قصده بقوله "الشذرات الحكميّة"؛ فهل يقصد به الأقوال الشعبية المأثورة؟ لو كانت لينور دوف هنا لشرحت لي معناها. ومع أنني لم أفهم الألفاظ التي استخدمها، إلّا أنّني استشعرتُ في نبرته ما يشير إلى أنّه يسخر من أسلوبه في الحديث ويستهزئ بي.

وأضاف: "يبدو أنّ المقاطعة الثانية عشرة ما زالت على حالها. فما فيها سوى غبار فحم، وعمّال مناجم يمضون أوقاتهم في مقاهي سوق الهوب السوداء، مُسرّفين في احتساء الشراب الرديء، ومُنْتَظرين بفارغ الصبر أن تدقّ ساعتهم في تلك البريّة القاسية".

لم تزعجني إهانته بقدر ما أربكتني معرفته العميقة بالمقاطعة الثانية عشرة. فقد كان وصفه دقيقًا؛ ولو كان ينطبق فقط على المُنحطّين منّا.

"اجلس هنا لأراك جيّدًا".

إنّه لا يدعوني، بل يأمرني بالجلوس. فوضعتُ إبريق الحليب بجانب زجاجة شراب السُّلوان على الطاولة، وجلسْتُ على الأريكة المقابلة للرئيس. كانت الوسادة المُطرّزة التي يتكئ عليها تحمل صورة الدرج الذهبي نفسه الذي يُزيّن الإبريق. لو رأَت مايزيلي هذا التنسيق المُفْرِط لسخرت منه.

أخذ الرئيس يحدّق إلى قدّاحتي؛ تمامًا كما فعل في الليلة الماضية. "يا لها من قلادة جميلة! إنّ عيون الأفعى والطائر تقدح شررًا".

عيون تقدح شررًا... قدّاحة صوّان... يبدو أنّه خَمّن أنّ قلادتي قدّاحة، وسيمنعني من أخذها إلى ساحة القتال.

فمدّ يده نحوي قائلاً: "هل تسمح لي بإلقاء نظرة عن قرب؟"

صحيح أنّي لم أقبل أن أري مايزيلي القلادة، إلا أنّي لا أستطيع أن أرفض طلب الرئيس. ولهذا، فككت رباط الحذاء الجلدي، وضغطت على قدّاحتي بقوة وكأنيّ أودّعها، ثمّ ناولته إيّاها.

مرّر الرئيس سنو إبهاميه على رأسَي الطائر والأفعى. "هذا ثنائي جميل". ثم أدار القدّاحة. "على القلادة كلمات منقوشة".

أهناك كلمات منقوشة على القلادة؟ يبدو أنّي لم أنتبه إليها وسط فوضى يوم الحصاد.

فأخرج نظارته من جيب صدره، وأمال القدّاحة ليراها تحت الضوء من دون أن يستأذني. "آه، العبارة جميلة جدًّا. تحمل توقيع ل. د. من هي ل. د.؟"

لن ينفع الكذب لإخفاء هوية لينور دوف. فحتّى لو لم تُبَيّن الأحداث الفعلية التي جرت في مقاطعتنا خلال الحصاد على الشاشات الوطنية، لا شك

في أنّ الرئيس شاهد نسخة من التسجيلات الأصليّة، ورآني حين حاولتُ إنقاذ شابة من الجنود، كما رأى ردة فعلها حين سُجِبَ اسمي خلال القرعة.

والمقاطعة الثانية عشرة مقاطعة صغيرة. ولو عقد الرئيس العزم على حل لغز ل. د، فلن يصعب عليه العثور على حبيتي.

فأجبتّه: "لينور".

"لكن لينور ماذا؟ تمهّل، لا تخبرني. أريد أن أحمّن بنفسي. اسم يبدأ بالبدال... الدال... هذا صعب. أنا أعرف بعض الألوان التي يوجد في منتصفها حرف الدال، كالوردي والبندقي. لكنّ قلّة منها تبدأ بحرف الدال. ربّما اسمها الأوسط لون مُرتبّط بأحد العناصر الطبيعيّة، كالكهرمان أو العاج. لون الدّفل... أو اللون الدّخاني... لا، لا، لا. حسناً، أستسلم. لينور ماذا؟"

تعكّرت معدتي؛ إذ إنّ تخميناته تدلّ على أنّه يعرف أنّ لينور دوف من شعب كوفي. فلا أحد غيرهم يُسمّي أطفاله باسمين أوّلهما من قصيدة أو أغنية، والثاني من الألوان. حتّى إنّ اللوين اللذين ذكرهما- "الكهرمان" و"العاج"- من أسماء عائلات شعب كوفي الموجودة فعلاً. كيف نبش هذه الحقيقة الغامضة عن مجموعة من الموسيقيين الذين يُقيمون في المقاطعة الثانية عشرة النائية المَنسيّة؟ هل تصله معلومات عنهم من جواسيس الكابيتول؟

فقلتُ له: "دوف".

فهتف: "دوف!" وهو يضرب جبهته براحته. "أعرف أنّ كلمة دوف الإنجليزيّة تشير إلى اللون الرمادي الفاتح وإلى طير اليمام. هذا تلاعب ذكي بالألفاظ؛ اسم يدلّ على الطائر ولونه. وكلانا نعلم كم يحبّ شعب كوفي الطيور".

ثم أعاد إليّ قداحتي. حينئذ، رأيتُ الكلمات المحفورة عليها: إلى هـ. أحبُّك كالنار في الهشيم. ل. د.

"ماذا تعرف عن اليمام، يا هايميتش؟"

"اليمام طائر مُسالِم".

فقال: "إذا كان اليمام مُسالِمًا، فهو لا يُشبه باقي الطيور. فكلُّ الطيور التي صادفتُها ضارية". ثمّ تسرّبت قطرة من اللعاب الممزوج بالدم من فمه. "أنا أعرف يمامتك جيّدًا".

"وماذا تعرف عنها بالضبط؟"

"شابة تأسرك بجمالها، وتخطف أنفاسك بألوانها الزاهية وغنائها العذب الذي يشبه غناء الطائر المُقلِّد. أنتَ تحبُّها، ويبدو أنّها تحبُّك أيضًا. لكنك تشكُّ أحيانًا في صدقِ مشاعرها تجاهك لأنّ أحلامها لا تتسع لك".

لم يُصبِ كبد الحقيقة، لكنّه اقترب منه كثيرًا. فتذكّرتُ كيف لمعت عينا لينور دوف الحالمتان كلّما تحدّثت عن رحّالة شعب كوفي، وعن السفر على الطريق المفتوح، وعن حرّية تنتمي إليها وشعبها ولا تشملني أنا. ولم يسعني إلّا أن أفكّر في الأسرار التي تُخفيها عني وترفض البوح بها؛ كحقيقة ما حدث مع كلاي تشانس، والنار التي اشتعلت تحت المسرح خلال حفل الحصاد. فكلّما سألتها عن الأمر، قالت لي إنّها تحجب الحقيقة عني لتحميني. لكنني أخشى أنّ الحقيقة أبسط من ذلك: فهي على الأغلب لا تثق بي بما يكفي لتشاركني أسرارها.

فألححتُ بإصرار: "إنّها تحبّني بصدق".

"هذا ما تقوله لك. لكن، صدّقني، إنّ مشاركتك في هذه المباريات ستنقذك من عذاب الحب".

"هل تنتظر مني أن أشكرك على ذلك؟"

فضحك الرئيس سنو قائلاً: "نعم. ولو لم يكن السبب مُتعلِّقًا بتفادي عذاب الحب".

"علام سأشكرك إذًا؟ أنت ترسلني إلى الموت في مباريات الجوع".

"أنت ذاهب إلى الموت بسبب سلوكك".

من فم الحاكم صدر الحكم، وقضى على آخر ذرّة أمل في قلبي. أنا ذاهب إلى الموت، وحتى حلفائي لا يمكنهم حمايتي من هذا المصير.

وأضاف: "انظر إلى الجانب المُشرق. إن موتك يمنح لينور دوف وعائلتك الفرصة لعيش حياة طويلة وسعيدة".

أنا مستعد للموت لكي يعيشوا، لكنّ إلحاحه بالقول إنني لن أكون جزءًا من مستقبلهم هو ما تصفه مايزيلي بـ "الوحشية الزائدة".

مسح الرئيس سنو البصاق عن فمه بكم قميصه، وأضاف: "لكنّ الموت في ساحة القتال له وجوه كثيرة. فقد تموت من الطعن أو الخنق أو العطش. والموت على يد الكائنات المعدّلة جينيًا يرسخ في الذاكرة، ويسبّب كوابيس أفظع من غيره. لقد اخترعنا هذا العام كائنات جميلة، كلٌّ منها مُبرمج للهجوم على مجالد مُحدّد. وهي أفظع بكثير من السّناعب".

هذا يعني أنّه شاهد تسجيل جلستنا مع ماغز ووايريس في المطبخ، حين أفصحنا عن أسوأ مخاوفنا. "لِمَ تخبرني كلّ هذا؟ أنا لا أستطيع أن أختار طريقة موتي في ساحة القتال".

"الخيار في يدي أنا، وسأكتب السطور الأخيرة من قصتك بناءً على تصرفاتك وسلوكك. لذا، فكّر مليًّا في ما تريد أن تراه لينور دوف وأمك وأخوك الصغير على الشاشة. هل سيرونك وأنت تموت بطريقة سريعة ورحيمة، أو

بطريقة بطيئة وأليمة؟ أنا أعطيك فرصة الخيار، وانتظر منك أن تشكرني على كرمي".

عندئذٍ، نظرْتُ إلى عينيه الزرقاوين الشاحبتين وقلت: "لقد حشرتني في الزاوية".

"لا تشعر بالسوء؛ فلست أوّل من يخسر ضدّي. حتى إنّ عائلتي لديها شذرة حكّمية عن هذا الموضوع".

"وما هي؟"

"إنّ عائلة سنو فوق الجميع". ثم صاح من دون أن يُشّيح بنظره عني: "لم يعد عليك الاختباء! صار بإمكانك الانضمام إلينا!"

مع من يتحدّث؟ هل ينادي الجلّاد ليؤكّد لي أنّ تهديده جادّ وليس فارغاً؟

وأضاف: "إدّا، لن تسرق أيّ عربة أخرى لتقوم بجولات غير مُصرّح بها، ولن تسخر منّي مُجدّداً، لا على الهواء ولا في الكواليس. آه، لقد جلبتُ لك هدية ذكرى ميلادك، فلا تبخل بالامتنان". وأمال رأسه باتجاه الدفيئة.

فالتفتُ لأرى ما ينظر إليه، ورأيتُ لويلا ماكوي تقف عند عتبة الباب.

القسم الثاني "المشاكيس"



رُفِرَ قَلْبِي أَمَلًا، ثُمَّ سُحِقَ تَحْتَ وَطْأَةِ الْحَقِيقَةِ. فَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَمَةَ لَوَيْلَا
الْمُفْتَنَّةَ بِأَمِّ الْعَيْنِ، وَشَعَرْتُ بِدَمِهَا الدَّافِئِ يَسِيلُ عَلَى يَدَيَّ، وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهَا
الشَّاحِصَتَيْنِ السَّاكِنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ لَا أَثْرَ فِيهِمَا لِلرُّوحِ وَالْحَيَاةِ. كَانَتْ مَيِّتَةً، وَكَانَ
مَوْتَهَا مُؤَكَّدًا، لَا يَتْرِكُ مَجَالَاً لِلشَّكِّ أَوْ الْأَمَلِ.

فَمَنْ تَكُونُ هَذِهِ الْفَتَاةُ الْوَاقِفَةُ عِنْدَ الْبَابِ؟

إِنَّهَا تَشْبَهُ لَوَيْلَا إِلَى حَدِّ مُخِيفٍ؛ فَالطُّولُ هُوَ نَفْسُهُ، وَكَذَلِكَ الْحِجْمُ. وَجْهٌ
عَلَى شَكْلِ قَلْبٍ، وَعَيْنَانِ رَمَادِيَتَانِ وَاسْعَتَانِ، وَضَفِيرَتَانِ دَاكِنَتَانِ طَوِيلَتَانِ،
وَأَظْفَارٌ مَقْضُومَةٌ، وَنَدْبَةٌ عَلَى الْجَبِينِ؛ تَمَامًا مِثْلَ النَّدْبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ عَلَيْهَا لَوَيْلَا
الْحَقِيقِيَّةَ بَعْدَ وَقُوعِهَا مِنْ صَهْرِيحِ الْمَاءِ. حَتَّى إِنَّهَا تَرْتَدِي زِيَّ التَّدْرِيْبِ الْأَسْوَدِ
الْخَاصِّ بِالمَقَاطِعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ، وَكَأَنَّهَا ذَهَبَتْ مَعَنَا إِلَى التَّدْرِيْبِ هَذَا الصَّبَاحِ.
وَقِلَادَةُ الْخَرَزِ الْبِنْفَسْجِيِّ وَالْأَصْفَرِ الَّتِي أَهْدَتْهَا مَايْرِيْلِي لِلْوَيْلَا تَتَدَلَّى عَلَى عُنُقِهَا.
إِنَّهَا تُطَابِقُ كُلَّ الْمَوَاصِفَاتِ، وَتَفِي بِكُلِّ الشَّرُوطِ.

لَكِنَّهَا لَيْسَتْ لَوَيْلَا. الْفَتَاةُ الْوَاقِفَةُ أَمَامِي مَجْرَدُ نَسْخَةٍ خَاوِيَةٍ مِنَ الْأَصْلِ؛
فَهِيَ لَا تَشْبَهُهَا فِي الْجَوْهَرِ وَلَا فِي الرُّوحِ، بَلْ تَشْبَهُهَا فِي الْمَظْهَرِ فَقَطْ. وَأَنَا
أَرَى الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا كَمَا تُمَيِّزُ الْعَيْنُ الْمُجَرَّدَةُ الثَّمْرَةَ الْمُصْطَلَعَةَ عَنِ الْحَقِيقِيَّةِ.

قَالَ الرَّئِيسُ سَنُو: "تَفَضَّلِي بِالدَّخُولِ. أَنْتِ تَعْرِفِينَ هَايْمِيْتِشْ".

فَاقْتَرَبْتُ لَوَيْلَا الْمَزِيْفَةَ مِنْ طَرَفِ الطَّائِلَةِ قَائِلَةً: "مَرْحَبًا يَا هَايْمِيْتِشْ".

النبرة واللكنة شبه مُتَقَتَّيْن، لكنَّ التحيّة فضحتها.

فلويلا تقول لي عادة "مرحبًا يا هاي". ثمَّ إنّ وجنتي هذه الفتاة مُنْتَفِختان بطريقة غير طبيعية؛ كما لو أنّهما مَحْقُونَتان بمادّة حشو. والأهم من ذلك كلّهُ أنّها تتجنّب النظر إلى عينيّ؛ فما كانت حبيبة قلبي لتشيح بنظرها عني ولو لحظة.

فسألْتُ الفتاة: "من أنتِ؟"

"اسمي لويلا ماكوي، وأنا من المقاطعة الثانية عشرة".

"لا، أنتِ لستِ لويلا". ثمَّ التفتُّ إلى الرئيس سنو قائلاً: "إنّها ليست لويلا؛ الفرق واضح، وسيلاحظ الجميع أنّها ليست هي".

"أستبعد ذلك. قد تلاحظ عائلتها وبعض الأصدقاء المقربين الفرق. لكن، لا أحد سوى الجمهور- غير الواعي- على المدرّجات رأى الحادث. لذا، سيصدّق الناس أنّ هذه الفتاة هي لويلا، خصوصًا عندما يرونك إلى جانبها تلعب دور الحليف المثالي، وتدرّبها وتساندها. ستكونان ثنائيًا مثاليًا في ألعاب ربعية مثالية. وأنا مُصمّم على ذلك".

أوضحت الصورة الآن. سيُخبر الكابيتول كلّ من شاهد الحادث أنّ لويلا قد تعافت من جروحها. وسبق أن قتل الرئيس سنو مدير موكب الاستعراض، إنسياتوس لومي، بسبب عدم كفاءته. فقد أطعمه محارًا مُسمّمًا، وأكل معه ونجا من السمّ بطريقة ما. وها هو الآن يُحمّلي ولويلا المُزيّفة مسؤولية إخفاء حقيقة ما جرى تلك الليلة.

دخل بلوتارك مُسرّعًا إلى المكتبة، حاملًا كوبًا من الحليب وصحّتا من الخبز، وتوقّف مُتسمّرًا في مكانه حين رأى لويلا. "هل هذه..."

فقال الرئيس سنو: "نعم، لويلا ماكوي. آه، لقد جلبت لي الخبز". وأخذ قضمة من الرغيف بنهم. "ممم، خبز طازج. لقد انتهى عملي معهما، يمكنك

أن تعيد هذين المجالدين إلى شقَّتْهُمَا. هذا بلوتارك يا لويلا".

"مرحبًا يا بلوتارك".

فردَّ عليها بلوتارك: "مرحبًا". وظلَّ يحدِّق إليها، غير قادر على صرف نظره عنها.

فقال الرئيس سنو: "إنَّها تشبه الأصليَّة كثيرًا. لقد حالفنا الحظ".

"نعم، سيدي الرئيس. إنَّها نسخة طبق الأصل عن لويلا. هيَّا بنا". فسرتُ مع لويلا المزيَّفة خلف بلوتارك بصمت. وبعد أن اجتزنا بضعة أروقة مزيَّنة بصور أسلافه، كسر بلوتارك حاجز الصمت قائلاً: "لم يخبرني بما ينوي فعله. كلُّ ما قاله هو إنَّه يريد التحدث إليك".

"صحيح... مَن هذه؟"

"إنَّها على الأرجح ابنة أحد خونة الكابيتول أو أعدائه. قد تكون من المقاطعات أو حتى من الكابيتول. وقد لا تعرف هي نفسها من تكون. لا شكَّ في أنَّ الكابيتول أعطاهها موادَّ مُخدِّرة تُؤثِّر على وعيها وتصرفاتها وأفعالها".

حينئذ قالت لويلا المزيَّفة: "مرحبًا يا بلوتارك، اسمي لويلا ماكوي، وأنا من المقاطعة الثانية عشرة".

"إدَّا، سيُرسَل الرئيس سنو هذه الفتاة- بصرف النُّظر عمَّن تكون- إلى الموت في مباريات الجوع؟"

"نعم، يبدو أنَّ هذا مُخطَّطه الحالي. لكنني لا أرى أنَّ هذا القرار صائب".

"يا لك من قدوة حسنة! أتمنَّى أن أكون مثلك حين أكبر. آه، لحظة، سأموت بعد بضعة أيام".

كانت شاحنة جنود حفظ الأمن تنتظرنا أمام المدخل، فصعدت إليها قبل أن يتمكنوا من تكبيلي، وتبعني لويلا المزيفة وجلست على الأرض. ثم قالت لي: "مرحبًا يا هايميتش. اسمي لويلا ماكوي، وأنا من المقاطعة الثانية عشرة". فقلت لبلوتارك: "ستبهر الجميع خلال المقابلات". ثم أغلقت باب الشاحنة بنفسي.

لم أكن مرتاحًا طوال طريق العودة إلى الشقة؛ فقد خشيتُ أن تقترب لويلا المزيفة منِّي في الظلام. أكرهها، وأكره ما سيتطلبه منِّي وجودها، مع أنني أعرف أنّ لا علاقة لها بما يحدث لنا.

كان وايات ومايزيلي ومرشدانا ينتظرون عودتي في غرفة الجلوس. وعندما دخلتُ مع لويلا المزيفة، تعالت شهقات الدهشة.

فأشرتُ إليهم واحدًا واحدًا وأنا أقول: "هذه مايزيلي، وهذا وايات، وهاتان مرشدتانا ماغز ووايريس".

فقالت لويلا المزيفة وهي تنظر إلى حذاءها: "مرحبًا يا مايزيلي ووايات وماغز ووايريس".

وتلعثم وايات في كلامه: "كيف...؟ غير معقول... من أنت؟"

"اسمي لويلا ماكوي، وأنا من المقاطعة الثانية عشرة".

وبعد صمت طويل، قالت مايزيلي بصوت بارد: "لن أتشارك غرفتي مع هذا الكائن".

فأسكتتها ماغز بالقول: "صه"، ثم سألت: "اشرح لنا ما حدث يا هايميتش".

"عرّفتني عليها الرئيس سنو في مكتبة بلوتارك هيفينزبي. يبدو أنّ الكابيتول أعطاه موادّ مُخدّرة تؤثّر على وعيها وتصرفاتها وأفعالها أو ما شابه.

لا أعرف هويّتها الحقيقية، لكن يُفترَض بنا أن نتظاهر أمام الكاميرات بأنّها لويلا".

فقالَت مايزيلي: "هذا يعني أنّها قطعة مارشميلو بائنة، وعلينا أن نبيعها كعلكة".

وضعت ماغز يدها على كتف لويلا المُزَيِّفة قائلة: "هل أنتِ جائعة؟" فتراجعت الفتاة، ونظرت إلى ماغز بارتباك. فأضافت ماغز: "فلتتناول طعام العشاء معًا".

جلسنا حول المائدة في المطبخ، وصبّت وايريس لنا الحساء. وحين وضعت ماغز ملعقة في يد لويلا المُزَيِّفة، أحكمت قبضتها عليها، ولقّت ذراعها حول طبقها بطريقة دفاعية، وبدأت تتناول الحساء بسرعة ونهم.

فقالَت وايريس: "يبدو أنّ الكابيتول قد حرّمها من الطعام لتعذيبها. وأعتقد أنّها تعرّضت لأنواع أخرى من العذاب أيضًا".

إنّها مُحِقّة؛ فأنا أستطيع أن أرى عظام معصم لويلا المُزَيِّفة. لا عجب في أنّ الكابيتول اضطرّ إلى نفخ وجهها بمادة حشو. سكن الغضب اللاعقلاني الذي شعرْتُ به تجاه هذه الفتاة، وحلّ محلّه شعور بالشفقة؛ حين رفعت وعاءها وأخذت تلعبه كجرو صغير.

فقالَت لها ماغز: "هل ترغيبين في المزيد؟ لدينا الكثير من الحساء".

ومدّت لها وايريس سلّة مليئة بأنواع مختلفة من الخبز.

حدّقت لويلا المُزَيِّفة إلى السلّة بذهول، ثم تناولت رغيفًا داكن اللون على شكل هلال، مُزَيَّنًا بحبوب مختلفة، ورفعته إلى أنفها، واستنشقت رائحته بأنفاس مُتقطّعة.

فتبادلت ماغز ووايريس نظرة عارفة، ثم سألتها ماغز بحنان: "هل أنت من المقاطعة الحادية عشرة يا صغيرتي؟"

فأجهشت لويلا المزيّفة بالبكاء وهي تضغط الرغيف على شفيتها، وتشدّ أذنها بقلق. فقالت لها ماغز: "لا بأس يا صغيرتي. تعالي معي". ثم أحاطت كتفي لويلا المزيّفة بذراعها، واصطحبتها إلى خارج المطبخ.

"هذه الفتاة- أيّا كانت- صارت واحدة منّا، وفي عهدتنا".

فاجأني وايات بما قاله؛ إذ لم أتوقع هذا القدر من الرقة والحنان من شخص مسؤول عن تخمين الفرص وحساب الاحتمالات. لكنه مُحقّق؛ فجميعنا انتابنا الشّعور نفسه. لذا، لا نستطيع أن نُثقل كاهل لويلا المزيّفة بمزيد من الألم والأذى. سأفعل ما في وسعي لحمايتها، وسأعاملها كإحدى يمامات المقاطعة السادسة.

قلتُ: "أنت مُحقّق. لكنني لا أستطيع أن أناديها لويلا".

فحدّرتنا وايريس: "إذا غيّرت اسمها بالكامل فستربكونها أكثر".

واقترحت مايزيلي: "ما رأيكم بمناداتها لولو؟ كان لديّ طائر كناريّ بهذا الاسم".

أذكر أنّ لينور دوف استشاطت غضبًا عندما عرفت بأمر مايزيلي والكناري. إذ لم ترق لها فكرة حبس طائر في قفص، ولا سيّما أنّ الكناري من الطيور المُغرّدة. لكنّ هذا ليس سببًا وجيهاً لرفض الاسم الذي اقترحته مايزيلي، فقلت: "حسنًا. لولو".

إذ لم يدلّع أحد لويلا ماكوي باسم لولو قط.

عادت ماغز وقد ارتسمت تعابير القلق على وجهها، وقالت: "وضعتها في الفراش لتنام، ورأيثُ جهازًا مُثبّتًا على صدرها. يبدو وكأنّه يضحّ مادة ما في

جسدها. لم أجرؤ على نزعها أو العبث به؛ خشية أن أتسبب بموتها. فقد رأيتُ ما يحصل عند التلاعب بمثل هذه الأجهزة من قبل".

فسألتها مايزيلي: "لماذا سألتِ لولو عمّا إذا كانت من المقاطعة الحادية عشرة؟"

"لأنّها اختارت رغيف الخبر المُزَيَّن بالحبوب؛ وهو الخبز الذي يأكله سكان تلك المقاطعة".

بدأنا نهارنا بشعلة من الأمل والحماسة؛ فقد منحنا تحالف المُستجِدِّين هدفاً مُحدَّداً وواضحاً نسعى إلى تحقيقه. لكنّ هدية الرئيس سنو أخدمت هذه الشعلة، وذكّرنا بالحقيقة المرّة: لسنا ندّاً له، ولا جدوى من مقاومته ومواجهته؛ فهو الذي يُمسِك بخيوط اللعبة. ما عدتُ أتذكّر أصلاً خطّتنا الهشّة، ولا سبب توهّمنا أنّها تستحقّ العناء. تناولنا طعام العشاء بصمت، وكلُّ منّا غارق في أفكاره المَكروبة.

المَكروبة. هذه كلمة علّمتني إيّاها لينور دوف، وهي تَرِدُ في البيت الأول من قصيدتها. كم أتوق لرؤية حبيبتي مرّة أخرى.

حين قال الرئيس سنو إنّهُ جلب لي هديّة ذكرى ميلادي، طننتُ أنّهُ جلب لينور دوف لرؤيتي؛ خصوصاً بعد أن أسهب في الحديث عن قدّاحتي وشعب كوفي. لكنني فرحتُ لأنّهُ لم يفعل؛ فهي أفضل حالاً في "البريّة القاسية" في المقاطعة الثانية عشرة.

ساعدتنا ماغز ووايريس على استعادة تركيزنا. فبعد العشاء، اجتمعنا في غرفة الجلوس وناقشنا أحداث اليوم. سُرّت ماغز عندما أخبرناها أنّنا انضممنا إلى تحالف المُستجِدِّين، وشجّعتنا على البقاء فيه. وارتحتُ أكثر لفكرة التعاون مع وايات ومايزيلي؛ فقد وجدتُ في وايات خصالاً شريفة ومُحترمة تُبرِّئه من صيت عائلته، وكسبت مايزيلي احترام الجميع حين ساعدت حلفاءنا على تجميل تذكاراتهم وتزيينها.

سألنا وايريس عمّا إذا كُنّا قد وجدنا ما يشير إلى طبيعة ساحة القتال خلال التدريب.

فقال وايات من دون تردّد: "القماش المُشَمَّع".

وسألته: "هل تقصد الشرائح الكبيرة التي تبدو كأنّها مصنوعة من البلاستيك؟"

"نعم. رأيت سيّدة في أحد أقسام التدريب تشرح كيفيّة استخدام القماش المشمّع لصنع رداء أو حقيبة ضد الماء، ولجمع مياه المطر. ونحن نستخدم هذا القماش في المناجم لحماية الأغراض من الابتلال. لذا، أظنّ أنّ الطقس في ساحة القتال سيكون ماطرًا أو رطبًا، وستكون ساحة القتال مُبَيَّلة".

فقالت وايريس: "ملاحظة مفيدة". ثمّ التفتت إلى مايزيلي وسألتها: "ماذا عنك يا مايزيلي؟"

"لم أزر العديد من أقسام التدريب، فقد انشغلتُ بتزيين تذكارات حلفائنا وتنسيقها مع أزيائهم. لكنني لاحظتُ أنّ كل مقاطعة ارتدت لوتًا محدّدًا في التدريب وفي موكب الاستعراض؛ كالأحمر للمقاطعة العاشرة، والخوخي للمقاطعة الثامنة. وإذا قرر مصممو المباريات إرسالنا إلى ساحة القتال بالألوان نفسها- وهو احتمال وارد ليتمكّن الجمهور من تمييز مجالدي المقاطعات المختلفة- فسيمنحنا زيّنا الأسود الأفضلية؛ خصوصًا في الليل. إذ سنتمكّن من التنقّل براحة لجمع الطعام أو غيره، فيما سيُضطر الآخرون إلى الاختباء".

فقالت وايريس: "هذه أيضًا ملاحظة مفيدة. وأنت يا هايميتش، ماذا لاحظت؟"

"لاحظتُ الآن أنّ وايات ومايزيلي لديهما بصر ثاقب، وأنّ عليّ أن أبذل جهدًا أكبر". ثم أخبرتهم عن بيتي والبطاطا، وعن إمكانية صنع بطارية من البطاطا من دون الغوص في التفاصيل العلمية. "ما استخلصته من حديثي مع بيتي هو أنّ ساحة القتال ستكون مظلمة على الأرجح، وأننا سنحتاج إلى خضروات جذرية".

فقالت مايزيلي: "وإذا كان الطقس رطبًا وماطرًا كما قال وايات، فلن نتمكن من العثور على حطب جافّ لإشعال نار للإنارة. لذا، سنحتاج إلى بدعة البطاطا".

وأضاف وايات: "وقد يعني ذلك أيضًا أننا سنضطر إلى الحفر لنجد الطعام".

فقالت ماغز: "هذا استنتاج مثير للاهتمام".

فهزّ وايات كتفيه: "إنّه استنتاج بدهي بالنسبة إليّ؛ فالحفر مهنتي".

عندما حان موعد النوم، وقفنا مُتحيّرين عند باب غرفة الفتيات، ورحنا نراقب لولو وهي نائمة.

فقلتُ لمايزيلي: "يمكنني أن أنام مكانك. خذي سريرتي إذا أردت".

"لا، لا داعي لذلك".

فاقترح وايات: "يمكنني أن أنام وهايميتش على الأرض في غرفتكما. إذ إنّنا سننام جميعًا في المكان نفسه في ساحة القتال".

وهذا ما فعلناه. فتساعّدتُ ووايات وماغز في نقل اللحافين من غرفتنا وبعض الوسائد من الأريكة، وصنعنا منها فراشين على الأرض.

وقالت مايزيلي قبل أن نخلد إلى النوم: "هل تتناوب على السهر والمراقبة لنستعدّ للألعاب؟"

فأجبتها: "فكرة جيدة. سأخذ المناوبة الأولى". فجلستُ مُتربِّعًا على الأرض، وغطيتُ رجليَّ بلحافي. أَلقت ما عَزَّ نظرةً أخيرةً على لولو، ثم تمتَّ لنا ليلة سعيدة، وأطفأت الأضواء، وأغلقت الباب خلفها.

بعد فترة، استغرق وايات في النوم وتعالى شخيره في الغرفة. وكانت مايزيلي غائصة في لحافها فلم أعرف إن كانت مستيقظة أو نائمة. آلمتني ضلوعي، فاتكأتُ على سرير لولو، ومددتُ ذراعيَّ على فرشتها.

ثم بدأت لولو تتقلب وتتململ وتتمتم في نومها باضطراب. لم أفهم شيئًا ممَّا قالت، وبصراحة، لا أريد أن أفهم. إذ لا ينبئ كلامها أثناء النوم إلا بمزيد من الألم والأسى. غلبني النعاس نتيجة التعب والإرهاق. لكنني ما إن بدأتُ أغفو حتَّى استفتقتُ على حين غرّة حين شعرت بأصابع صغيرة باردة تتشبّث بيدي. كانت لولو قد استدارت على جنبها وأمسكت بيدي بكل ما أوتيت من قوّة. وكان قلبها يخفق بسرعة كقلب فرخ مذعور.

فتذكّرتُ كيف أمسكت لويلا بيدي في القطار. عندئذ، لم أفلت يد لولو، بل همستُ لها وأنا أربّت على كتفها: "لا تقلقي يا لولو، أنتِ في أمان هنا. لن يؤذيك أحد".

خطر لي أن أغتبي لها تهويدهً تُهدّئها، لكنني لم أريد إيقاظ الآخرين. ولسْتُ مُغنيًا بارعًا على أي حال. كما أنّه يُفترّض بي أن أركّز على حراسة فريقتي وكأنا في ساحة القتال. آه، كم اشتقتُ إلى لينور دوف وغنائها. فأغمضتُ عينيّ مُستحضِرًا صوتها.

[فيما كنتُ] أُنوّد ناعسًا مُنهكًا،⁽⁶⁾ سمعتُ دقًا خفيًّا، كأنَّ أحدًا

يدقُّ ويُدقِّق باب مخدعي، ويُدقِّق ويطلق، فتمتمتُ قائلاً:

"جاعني زائر يزورني، يدقُّ باب مخدعي"،

مجرد زائر يدق باب مخدعي، ليس إلا.

نهضتُ من نومي مذعورًا. هل دق أحد الباب؟

لماذا اختفى الضوء الذي يتسلل عادة إلى الغرفة من تحت الباب؟ ولماذا انطفأت الساعة الإلكترونية الموجودة على المنضدة بجانب السرير؟ حتى إن الوميض الأخضر الذي يُصدره الجهاز الغريب المثبت على الجدار- أهو كاميرا أو كاشف دخان أو مُنظّم حرارة؟- اختفى. ولم يبقَ ما يردُّ عنا الظلمة المُطلقة سوى شعاع خافت يتسرّب عبر شقوق الستائر من الخارج. وعمّ صمت مُطبق في الشقة؛ فلم أعد أسمع هدير الآلات، ولا تيارات هواء المُكيّف الناعمة. ثم شقّ صوت بوق سيارةٍ صادر من بعيد السكون، وحين حَفَّت عمّ الصمت مُجدّدًا. كنت أتصّب عرقًا تحت لحافي، وتغلغلت رائحة الهواء الراكد في أنفي كرائحة خُرّان عفنٍ وعشاءٍ بائٍ.

أنا لا أتوهّم هذه المرّة. هناك من يدقّ باب مَخدعي فعلاً. فقد سمعتُ دقًا خفيًا ناعمًا، تلاه صوت دوران المقبض، وحفيف الخشب على السجّادة. ثم أطلّ شخص من وراء الباب ومعه جهاز يُصدر ضوءًا خافتًا؛ حبّثًا بطاطا موصولتان بمصباح صغير. رفع بيّتي إصبعه على شفّتيه لألتزم الصمت، وأشار إليّ برأسه لكي أتبعه. فسحبْتُ يدي من يد لولو برفق، وتسلّلتُ إلى خارج الغرفة بهدوء، حريصًا على عدم إيقاظ الآخرين. وما إن ابتعدتُ وبيّتي عن الباب، حتى بدأنا نتبادل الحديث همسًا.

"ماذا تفعل هنا يا بيّتي؟"

فقال لي لاهتًا: "صعدت إلى هنا من الطابق الثالث على سلالم النجاة... قطعت وإيريس الكهرباء عن المبنى كلّهُ... الكاميرات مطفأة... لدينا حوالي عشر دقائق فقط... هل تعتزم حقًا تدمير ساحة القتال؟"

"نعم، قل لي ما المطلوب. ما الذي يدّمّر الآلات؟"

"الوقت... فمع مرور الوقت، تعاني الآلات من الإجهاد، وتتآكل أجزاؤها وتحلل، حتى تنهار وتتداعى. لكن هذه العملية تستغرق وقتًا طويلًا. لذا، نحتاج إلى خطة بديلة. لقد رأيت ساحة القتال التي حاربت فيها وإيريس العام الماضي. ألم تتساءل كيف يشغلها الكابيتول ويتحكم بها؟"

"إنّ غرفة التحكم بساحة القتال هنا في الكابيتول، أليس كذلك؟ فبتّ مباريات الجوع يتضمّن مشاهد من غرفة التحكم".

"نعم. يعرض الكابيتول عملية إصدار الأوامر عن بعد للتحكم بساحة القتال. لكنّه أضاف مؤخرًا طابقًا مُخصّصًا لمُصمّمي المباريات تحت ساحة القتال لتنفيذ الأوامر والتعليمات المباشرة. يُعرّف هذا الطابق باسم "الطابق السفلي - ألف"، وهو ليس جزءًا من البث. إذ يبقى الكابيتول طي الكتمان، ولا يريه للجمهور لإيهامه بأنّ ساحة القتال تُدار عن بُعد مئة في المئة. وفي هذا الطابق، تُنفذ المهام اليدوية، كإطلاق الكائنات المُعدّلة جينيًّا في الساحة، أو تجهيز مساعدات الممولين وهداياهم وإرسالها إلى المجالدين. كما يُرَفَع المجالدون إلى الساحة من ذلك الطابق. لكنّ كلّ هذه المهام ثانوية؛ فالهدف الأساسي من الطابق السفلي - ألف هو الإشراف على نظام الحاسوب الميداني الذي يُتيح للكابيتول إدارة المباريات وتشغيل الساحة. وهذا ما يستهدفه فريقنا... نحن نسعى إلى تدمير دماغ الساحة".

شاهدتُ مباريات الجوع طوال حياتي، ولم أتساءل قطّ عن كيفية تحكّم الكابيتول بساحة القتال. كانت خطتي أن أدمر الساحة؛ مع أنّي لا أعرف ما يتطلّب الأمر. فقد ظننتُ أنّ قطع بعض الأسلاك الكهربائية بفأسٍ سيّفي بالغرض، لكنني لم أتصوّر أنّ تدمير الساحة ينطوي على العبث بحاسوب تحت الأرض. وحتى لو استطعتُ الوصول إليه، فلن أعرف كيف أدمره... ما لم ينطو تدميره على التلويح بفأس.

لقد ذكر بيتي أنّ "فريقه" يستهدف هذا الحاسوب. قد أكون أنا العضلات،
وأمبيرت العقل الذي يوجّهني.

"إدّا، سنحاول أن نعثر على هذا الحاسوب، ثم أن نقتلعه من مكانه أو
نعبث بالأوامر التي تُرسَل إلى ساحة القتال".

فهزّ بيّتي رأسه يمينًا ويسارًا: "من المستحيل أن يتمكّن أحدكم من
الوصول إلى الحاسوب. فهو موجود في منطقة محظورة ومُحصّنة ومُجهّزة
بأنظمة أمنيّة متطوّرة. لكنّ الدماغ لا يعمل إذا خذله الجسد. خذ هذا المبنى
على سبيل المثال... حين انقطعت الكهرباء، توقّفت كل الأجهزة والآلات
والأضواء عن العمل".

"إذا، سنقطع الكهرباء عن ساحة القتال".

"لا يا هايميتش، فلا فائدة من ذلك. يوجد مولّد كهرباء بديل في الجزء
الشمالي خارج ساحة القتال".

"ما خطّتنا إدّا؟"

"سنغمر الدماغ بالماء ونغرقه".



"سنغرقه؟" يبدو أنّ وايات كان محققًا. ستكون ساحة القتال مُبلّلة بطريقة أو بأخرى. "وكيف سنغرقه؟"

"يمكن إغراقه إذا تعرّض النظام الداخلي للخلل. فساحة القتال مُجهّزة بأنابيب مياه وإمدادات للكهرباء والتدفئة والتكييف؛ تمامًا كأبي مبنى سكني أو منزل. ولا غنى عن تلك التجهيزات ليتمكن المجالدون من العيش في الساحة طوال مدّة القتال."

"يفتقر منزلي إلى معظم هذه التجهيزات. هل منزلك حقًا مُجهّز بكل تلك الأشياء؟"

"أنا الآن أعيش في قرية الفائزين في مقاطعتي. لذا، يحتوي منزلي على كل تلك التجهيزات."

لدينا في المقاطعة الثانية عشرة قرية للفائزين في مباريات الجوع أيضًا، وهي عبارة عن حيّ فيه اثنا عشر منزلًا فاخرًا يحقّ للفائزين في المباريات أن يسكنوها مدى الحياة. كنتُ أتسلّل إلى ذاك الحيّ مع بوردوك في ليالي الصيف، ونسترق النظر من النوافذ لنرى ما يكشفه لنا ضوء القمر من أثارها، والثّرّيّات المُتدبّية من سقوفها، وأحواضها المشابهة لأحواض الاستحمام في الكابيتول. لكنّ قرية الفائزين في مقاطعتنا بُنيت بعد فوز الفتاة الغامضة من مقاطعتنا. ولهذا لم يسكنها أحد قط.

واصل بيتي كلامه: "ما أقصده هو أنّ ساحة القتال مُجهّزة بكل ما قد يحتاج إليه المجالدون للعيش فيها بضعة أسابيع على الأقل، كما أنّها مُصمّمة لتحمّل الأعباء التقنية اللازمة لتشغيل عناصر بيئة القتال. ومع أنّي لم أرَ مُخطّط الساحة الفعلية، إلّا أنّه طُلِبَ مِنِّي منذ أكثر من عام أن أراجع مُخطّطات "الطابق السفليّ - ألف"، فرأيتُ أنّ في الطابق خزان مياه ضخماً يرقد تحت سطح الجزء الشمالي من الساحة مباشرة. إذ يتطلّب تشغيل ساحة القتال كميات هائلة من الماء لإقامة بحيرات وأنهار اصطناعية، وإطلاق عواصف مطريّة، وإطفاء الحرائق. وبدا لي هذا الخزان كبيراً جدّاً".

"إذا كان الحاسوب دماغَ الساحة، فالخزان مثانتها".

فقهقه بيتي قائلاً: "نعم، هذا صحيح. وإذا انفجرت المثانة، فسيغرق الدماغ ويتعطلّ عن العمل".

وعلى الفور، بدأ دماغي يغرق في وفرة المعلومات والتفاصيل التي تلقّيتها من بيتي. "لكن... إذا كنتُ لا أستطيع الوصول إلى الدماغ، فكيف سأصل إلى المثانة؟"

"توجد بوابات مُنتشرة في ساحة القتال تربط السطح بالأنفاق السفلية المُخصّصة للصيانة والخدمة. ويستخدم مُصمّمو المباريات هذه البوابات لإرسال عناصر جديدة إلى الساحة؛ كالكائنات المُعدّلة جينياً مثلاً. ستدخل إلى الأنفاق عبر إحدى تلك البوابات".

"تريد مِنِّي أن أدخل من البوابات المُخصّصة للكائنات المُعدّلة جينياً".

"نعم، فقد رأيتُ عشرات البوابات المُخصّصة للكائنات المُعدّلة جينياً في المخططات. يبدو أنّ تلك الكائنات ستكون جزءاً أساسياً من المباريات".

فأجبتُ بيتي وأنا أحاول جاهداً أن أطرد صورة السّنايب وأنيابها المسننة من ذهني: "حسناً، سأجد بوابة مُخصّصة للكائنات المُعدّلة جينياً، ثمّ سأنزل إلى

أنفاق الصيانة والخدمة. ماذا بعد؟"

"اعثر على الخزان وفجّره، ودع الجاذبية تتكفل بما تبقى وتُغرق الطابق السفلي - ألف".

"لحظة، كيف تتوقّع منّي أن أفجّر الخزان؟ هل سترسلني إلى ساحة القتال مع متفجّرات؟"

"لن تكون وحدك، سيرافقك أمبيرت". لفظ بيتي اسم ابنه بغصّة، وتشجّج وجهه من الألم.

"لكنّ الخطة تبدو... خطيرة جدًّا. ربّما يمكنني تنفيذها وحدي، من دونه".

ولأوّل مرّة، رأيتُ بيتي يفقد السيطرة على أعصابه: "لقد حصد الكابيتول أمبيرت ليقّته يا هايميتش. سيقتله ليعاقبني، ولا أجد أي خطة أو استراتيجية مفيدة لأنقذه من الموت. كل السيناريوهات التي تدور في رأسي تؤدي إلى موته. أمل فقط أن يموت موتًا رحيماً، وألا يموت عبثاً".

إنّه محق. فقد حُكِمَ على أمبيرت بالموت... مثلي تمامًا. وإذا أفلت من قبضة المجالدين المحترفين، فسيقع بين فكّي مُصمّمي المباريات. فقلتُ لبيتي: "أنا آسف حقًّا... سأحاول أن أحميه خلال المباريات".

فهمس لي بيتي: "لا تدعه يتعدّب".

"أعدك أنّي سأفعل كل ما في وسعي".

فقال بيتي: "شكرًا لك. لقد هدأت من روعي". ثم مسح نظّارته ووضعها مجددًا وقال: "هل تعرف كيف تستخدم المتفجّرات؟"

نعم، أعرف بعض الأساسيات. ففي المقاطعة الثانية عشرة، تعطينا المدرسة دروسًا عن سبل التنقيب عن الفحم واستخراجه بما أنّنا عمّال مناجم بانيم المُستقبليين. وهي دروس تثير الضجر والملل؛ لولا أنّها تتضمّن بعض

الحصص العمليّة التي تتدرّب فيها على حفر حفرة في الصخر، ووضع المتفجرات وكبسولة التفجير الموصولة بفتيل طويل فيها، وإشعال الفتيل. لكننا لا نستخدم متفجرات حقيقية، بل متفجرات خاملة. فالحقيقية قد تفجرنا وتحوّلنا إلى أشلاء إذا ارتكبنا أي خطأ.

فقلتُ: "أعرف الأساسيات ممّا تعلّمته في دروس التنقيب عن الفحم واستخراجه. لكن من أين سأحصل على الفتيل و..."

"نحن نعمل على إيجاد طريقة لتهديب ما نحتاج إليه إلى ساحة القتال. وخلافًا للمتفجرات التي تستخدمونها في مناجمكم، إنّ المتفجرات التي صمّمناها آمنة من حيث التركيب الكيميائي والبنية؛ ما يعني أنّها لن تنفجر عن طريق الخطأ، لا بسببكم ولا بسبب أي عامل خارجي. لن تنفجر إلا إذا ركّبتموها بطريقة صحيحة وأشعلتم الفتيل".

لقد طمأنني بيتي. فتصميمه يعفينا من حصول انفجار مفاجئ قبل أن يحين وقت نسف الخزان. تحسّست أصابعي قدّاحتي، ثمّ تناهى صوت لينور دوف إلى مسمعي من المرج: "لا تحتاج إلى حجر الصوّان لإشعال النار، فأيّ حجر آخر يتطاير منه شررٌ عند قدّحه سيفي بالعرض، كالمرو مثلاً".

"هل سنجد حجارة صوّان أو مرو في ساحة القتال؟"

"ربّما. يمكنني أن أتحرّى عن الأمر. لمّ تسأل؟"

"إذا كان في ساحة القتال حجر صوّان أو مرو، فسنكون قد حللنا مسألة إشعال الفتيل". فرفعتُ رأسي، وأريته قلادتي. "إنّها قدّاحة صوّان".

عندئذٍ، قال بيتي مُنبهراً: "تصميم ذكي. إنّ سكّان المقاطعة الثانية عشرة ممثلون بالمفاجآت، كما أقول دائماً".

"أتقول هذا عن قناعة حقّاً؟" إذ لم نعتد أن تتلقّى المديح وأن يذكرنا أحد بالكلام الطيّب.

"أجل. فأنتم لا تفكّرون مثلنا. وقد نجحتم في الحفاظ على هويّتكم رغم سطوة الكابيتول".

"إنّ الكابيتول يعاملنا كالحیوانات، وهذا یصبّ في صالحنا".

فجأة، أطلّت وايريس قائلة: "أسرعاً. لقد توقّفت شاحنة الصيانة عند مدخل المبنى، ويمكن أن يعود التيار الكهربائي في أي لحظة".

فقال لي بيتي قبل أن يختفي في العتمة: "سنكمل حديثنا لاحقاً. لا تخبر أحداً بما ناقشناه".

وقالت لي وايريس: "من الأفضل أن تعود إلى النوم".

فعدتُ إلى الغرفة لأكمل مناويتي. وبعد بضع دقائق، عادت الكهرباء وهواء المكيف البارد والأضواء المتلألئة في الظلمة. اختلّطت تعليمات بيتي في رأسي وتشابكت. علامّ وافقت؟ بؤابة الكائنات المعدّلة جينيّاً... المثناة... المتفجّرات...؟ كيف سأتمكّن من تنفيذ كل هذه الخطوات؟ الشكّ ينهشني. ربّما من الأفضل أن أكتفي بإشعال الفتيل وأترك مسألة تفجير الخزان لأمبيرت. لكن، هل يمتلك أمبيرت القوة البدنية الكافية لفتح بؤابة الكائنات المعدّلة جينيّاً والنزول إلى الأنفاق والتسلّق للخروج منها؟ وماذا لو نجحتُ حقّاً في تدمير ساحة القتال؟ ماذا سيحصل حينئذ؟

كم ستفرح لينور دوف إذا تغلّبتُ على الكابيتول وأوقفتُ المباريات حتى ولو لعامٍ واحد. فإذا نجحتُ في هذا المسعى سأذوّق طعم المجد والانتصار، وستشاركني لينور دوف هذا النجاح إذا أشعلتُ الفتيل بقدّاحة الصوّان التي أهدتني إياها. سنُحقّق هذا النجاح معاً، وسنرسم مُلصقاً لا يُنسى. سنفوق الكابيتول دهاءً وحيلةً، وسنُجبره على معاملتنا كبشر مثلهم، لا كحيوانات بلا عقل.

ثم سمعتُ مايزيلي تخاطبني: "هايميتش، أخلد إلى النوم. سأتولى الحراسة".

"حسنًا. شكرًا". لم يكن صوتها كصوت مَنْ استفاق الآن من النوم؛ ما يعني أنّها استيقظت على حين غرّة، أو أنّها لم تكن نائمة أصلًا.

"هل أنت بخير؟"

ثُرى، هل رأيتني وأنا أخرج من الغرفة وحاوَلت أن تُنصت إلى حديثي مع بيتي؟ لا يهم، لا يمكنني أن أخبرها بما تناقشنا حوله. فمن الأفضل أن تبقى الخطة سرّيّة. ومع أنّ نظرتي إلى مايزيلي تغيّرت منذ أن وصلنا إلى الكابيتول، إلّا أنّني ما زلت لا أعدّها من المُقرّبين إليّ لأشاركتها أسرارِي.

فقلت لها: "انقطع التّيّار الكهربائيّ منذ قليل، لكن يبدو أنّ فريق الصيانة قد أصلح الخلل. تصبحين على خير". ثم اندسستُ تحت اللحاف، وتظاهرت بالنوم إلى أن غلبني النعاس فعلاً.

وحين استفقتُ في الصباح التالي، أردتُ أن أخبر الآخرين عن خطة بيتي، فضميري يؤبّبني لأنّني أخفي الحقيقة عنهم. لكننا انشغلنا بلولو، فلم أبح بالحقيقة. فقد قرّرنا أنّ أسهل طريقة لشرح عودة "لويلا" المُفاجئة للمجالدين الآخرين هي الادعاء أنّ الكابيتول أنقذ حياتها بأعجوبة، وإنّما لم ينجح في إنقاذ عقلها؛ على أمل أنّهم لم يقضوا وقتًا كافيًا معها ليلاحظوا الفرق بين لويلا الحقيقية والمُزيّفة.

ولم تعد لولو تتفادى النظر إلينا، بل صارت تراقبنا باستمرار؛ وكأنتنا لغز تحاول حلّه. وكانت تشدّ أذنها كثيرًا، كما يفعل أخي سييد حين تؤلمه أذنه. وحين ذهبت إلى الحمام، همست لنا وايريس: "أظنّ أنّ الكابيتول قد زرع جهاز إرسال واستقبال سمعي في أذنها".

فسأل وايات: "لماذا؟"

وأجابته وايريس: "لِيُملِي عليها ما تقوله ويتحكّم بتصرّفاتها".

وأضافت ماغز: "وليستمع إلى ما تسمعه".

لا حاجة إلى التفسير؛ فالرسالة واضحة وضوح الشمس: لا تتحدّثوا عن مسائل حساسة أمام لولو. إنّما يمكننا الاستفادة من هذا الجهاز لصالحنا؛ لتزويد الكابيتول بأكاذيب ومعلومات خاطئة. فخلال الأيام المُظلمة، استخدم الكابيتول طيور "أبو زريق" المُعدّلة جينيًّا للتجسس علينا، وهي طيور تشبه طيور "أبو زريق" العادية في الشكل، وإنّما تختلف عنها بقدرتها على تسجيل الأحاديث وتلوها بحذافيرها. وعندما اكتشفنا سرّها هذا، صرنا نلقّنها معلومات مُضلّلة. وفي نهاية الحرب، أطلق الكابيتول سراح تلك الطيور ظنًّا منه أنّها ستموت في البرّية، إلّا أنّه لم يحسب حساب تزاوجها مع إناث الطيور المحاكية؛ الأمر الذي أدّى إلى وجود نوع جديد من الطيور: الطيور المُقلّدة العزيزة على قلب لينور دوف. وستكون لولو- على ما يبدو- طائر "أبو زريق" الخاص بنا.

حين ذهبنا إلى صالة التدريب، أثارت لولو تساؤلات المُستجِدِّين، لكنّنا نجحنا في إقناعهم بأنّها لويلا، وأنّها فقدت عقلها بسبب الحادث. لحسن الحظ، لم يكن أيّ منهم قد لمح لويلا أكثر من لمحة عابرة.

وحذّرتهم مايزيلي: "انتبهوا إلى ما تقولونه أمامها؛ إذ لم تعد لويلا في كامل وعيها، وقد تکرّر كلامكم أمام أيّ كان".

تطوّع وإيات مشكورًا لمرافقة لولو ومراقبتها أثناء التدريب؛ فلسنّ بحاجة إلى طائر مُحاكٍ في الوقت الحالي.

انعزلت مع أمبيرت عن الآخرين لتتكلّم بحرّيّة. لم أكن أدري مقدار ما يعرفه عن الخطة، لكنّه لم يترك لي المجال لأسأله عن ذلك، إذ بادرنى بالقول: "قال لي أبي إنّنا نحتاج إلى المقاطعة التاسعة في تحالفنا".

ثمّ لمحنّاهم بزيتهم الأصفر في قسم بناء المأوى، فسألْتُ أمبيرت: "لماذا نحتاج إليهم؟ ألا يجب أن نركّز على ضمّ مجالدي المقاطعتين الخامسة والحادية عشرة إلى تحالفنا؟ فهُم أقوى بكثير من مجالدي المقاطعة التاسعة".

"قال أبي إنّنا نحتاج إليهم لتنفيذ الخطة. حاولتُ إقناعهم بالانضمام إلينا في اليوم الأوّل من التدريب، ولكنهم رفضوا عرضي. إنّهم على الأرجح يظنّون أنّني مغرور".

"أنتَ مغرور! ولمَ يظنّون ذلك؟"

"لأنّني من المقاطعة الثالثة، ولديّ مهارات في التّكنولوجيا. فسكّان المقاطعة التاسعة يعملون في الحقول، ولا أعتقد أنّهم يحصلون على تعليم جيّد، على عكس المقاطعة الثالثة؛ والكل يعرف ذلك، حتى إنّنا نُلقب بأبو أو أم العريف".

"ليس لقبًا سيئًا".

"لكنه ليس مديحًا. على أي حال، لم أستطع إقناعهم بالانضمام إلينا. وهم كتومون".

إنّهم مثل أبي. فقد كان رجلًا ذكيًا، إلّا أنّه لم يكن يشارك مَنْ حوله خواطره وأفكاره، ولم يثق بالناس الثّرثارين؛ تمامًا كما لم يثق بهم العديد من عمّال المناجم.

فقلت لأمبيرت: "سأجرب حظّي معهم. لِمَ لا تحاول مع مجالدي المقاطعة الحادية عشرة مجدّدًا؟"

استوقفتني مايزيلي وأنا في طريقي إلى قسم بناء المأوى: "ماذا يحدث؟"

كان بإمكانني تفسير سؤالها بطرائق عدّة؛ خصوصًا إذا استمعت إلى حديثي مع بيتي بالأمس. فقرّرت ألاّ أراوغ، وأجبتها بصراحة: "أنا ذاهب لإقناع مجالدي المقاطعة التاسعة بالانضمام إلينا".

"هل يحتاجون إلى مساعدتي لتجميل تذكاراتهم؟"

فالتفتنا إليهم لنتفقد حالة تذكاراتهم. كان كل منهم يرتدي قلادة من العشب المجدول، تتدلى منها زهرة دوّار شمس بحجم كفّ اليد.

فأجابت مايزيلي عن سؤالها بنفسها: "يا للهول! تلك الأشياء قبيحة للغاية. لا شك في أنّهم يحتاجون إلى مساعدتي. يبدو أنّ المساكين لم يجدوا سوى عجينة من الطحين والملح لصنع تذكاراتهم. لكنهم على الأقلّ حاولوا، وبذلوا جهدهم مُستفيدين ممّا لديهم".

أذكر أنّ أمّ بوردوك صنعت لنا مثل هذه العجينة بالطحين الأبيض والماء والملح حين زرتهم ذات مرّة في طفولتي. فلعبنا بها، وصنعنا منها حيوانات صغيرة ونجومًا وأشكالًا مختلفة. لم تكن عائلتي قادرة على هدر الطحين للتسلية، أمّا عائلة إيفردين، فكانت ميسورة الحال لأنّها تمتهن الصيد؛ مع أنّها لم تصل إلى مستوى عائلة دونر في الترف.

فأجبت مايزيلي ساخرًا: "نعم، يبدو أنّ مخزونهم من الذهب قد نفذ".

ثم حاولت مايزيلي أن تذهب إلى فريق المقاطعة التاسعة، لكنني اعترضت طريقها قائلاً: "توقّف يا مايزيلي، فنحن نحتاج إليهم. أعرف أنّك تريدين المساعدة، لكنني لا أستطيع المجازفة بأن تهينهم بتصرّفاتك. ثم إنّ تذكاراتهم ليست سيّئة إلى هذه الدرجة، بل إنّها...". ولم أعرف كيف أصف تلك الزهور الصفراء الفاقعة والتمكّثلة.

"مُبذلة. رديئة. رخيصة".

"أرأيت ما أقصده؟ لهذا السبب، سأذهب إليهم وحدي".

فهزّت كتفها، واتّجهت نحو قسم إعداد الطعام المُجاور، حيث يتعلّم المجالدون سلخ جلد السناجب، وخبز الخبز على الحطب، وشواء الطعام على عود خشبي؛ وكانهم يستعدّون للذهاب في نزهة في الطبيعة.

وصلتُ إلى قسم بناء المأوى في الوقت المناسب لأشارك في التدريب مع المجالدين الأربعة من المقاطعة التاسعة. ومع أنّ ما عَزَّ حذرتنا من أنّنا سنتنقّل كثيرًا في ساحة القتال، إلّا أنّني أعتقد أنّ هذا الدرس قد يفيدني لصناعة مأوى بسرعة في الليالي الماطرة.

شمل التدريب استعمال أنواع مختلفة من الأقمشة؛ مع أنّ التركيز الأكبر انصبّ على القماش المشمع. إذ يمكننا أن نبني مأوى من القماش المشمع بطرائق مختلفة؛ منها ربط أطراف القماش على الأشجار، أو مدّ حبل بين شجرتين لتعليق القماش عليه وتثبيت أطرافه على الأرض بالصخور، أو العثور على شجرة ساقطة وإسناد بعض الأغصان إليها وتغطيتها بالقماش، أو بناء خيمة من الأغصان وفرش القماش عليها. وإذا كنّا نملك قطعتين من القماش، فبإمكاننا استخدام واحدة للأرضية. كم سيخيب ظنّ المجالدين بعد كل هذا العناء إذا لم يجدوا قماشًا مُشمعًا في ساحة القتال.

ويمكننا أيضًا استخدام بعض الأسلحة، كالفؤوس أو السكاكين مثلًا، لقطع الأغصان والشجيرات. كما نصحتنا المدربة بأن نبني مأوانا على سطح مستوٍ كيلا تجرفه سيول مياه الأمطار مع التربة.

طُلبَ منّا أن نعمل فرادى. لذا، أخذ كلُّ منّا قطعة قماش والتفت إلى عمله. كان هذا القسم يحتوي على مساحة مُجهّزة بالأعمدة المغروسة في الأرض، بالإضافة إلى عمود غليظ مُمدّد على الأرض لمحاكاة الأشجار في الغابة. فربطتُ حبلًا بين عمودين، وبسطتُ قطعة القماش عليه، وأنا أراقب مجالدي المقاطعة التاسعة وهم يؤدّون عملهم بإتقان. كانت وجوههم تتعافى من لفحة الشمس الأخيرة التي تعرّضوا لها في حقول ديارهم، وكانت أيديهم

خشنة قديرة، وأذرعهم رشيقة ومفتولة. ففهمتُ السبب الذي جعل بيتي يرغب في ضمّهم إلى تحالفنا. من الواضح أنّهم سيكونون حلفاء جيّدين.

ما إن اقتربتُ من كومة الصخور لأنضمّ إلى اثنين منهم حتى ظهر باناش مُختللاً كعادته، فالتقطَ قطعة قماش وبعض العصيّ- كما لو أنّه حضر الدرس من أوّله وسمعَ التعليمات- ثمّ احتلّ وسط الغابة الاصطناعية. لم تُخفِ المدرّبة امتعاضها منه؛ وتجهّم وجهها كأنّها كرهته من النظرة الأولى. كما أنّ مجالدي المقاطعة التاسعة غيّروا أماكنهم كيلا يكون باناش في مرمى أنظارهم.

أمّا أنا فتجاهلته نهائياً، وحملتُ الصخور إلى خيمتي لأثبتّ أطراف القماش بالأرض. ثمّ لمحتُ باناش يتوجّه نحو أضخم شاب في فريق المقاطعة التاسعة، مُفترِصاً أنّه قائد الفريق بسبب حجمه، وحاصره قرب العمود المُمدّد على الأرض قائلاً: "قررتُ وزملائي أن نسمح لكم بالانضمام إلى فريق المحترفين".

فأجابه الشاب من دون أي انفعال: "لا".

لم يشكره على عرضه، ولم يقل له حتى إنّهُ سيفكّر في الأمر ويناقشه مع رفاقه، بل اختصر جوابه بكلمة واحدة حاسمة: "لا"، ثمّ عاود صفّ الأعصان على العمود المُمدّد على الأرض.

لم يرق هذا الردّ لباناش الذي كان واثقاً من أنه قدّم لهم عرضاً لا يُفوّت على طبق من الذهب، فقال: "لا!" وتقدّم غاضباً نحو الشاب، خطوةً تُنذر بالتصعيد، لكنّه كبح جماحه حين لمح جنديّاً يضع يده على صاعقه الكهربائي مُهدّداً، والتفت نحو الفتاة الأصغر حجماً بين مجالدي المقاطعة التاسعة قائلاً: "إلامَ تُحدّقين يا هذه؟" مع أنّها لم تكن تنظر إليه حتى، بل كانت مُنشغلة بصنع فراش من ورق الصنوبر. وظلّت تتفادى النظر إليه، ففقد أعصابه واستشاط غضباً: "كما تشاؤون، سنقتلكم أنتم أوّلاً!" ثم اندفع إلى الفتاة، وانتزع زهرة دوّار الشمس المُتدليّة من عنقها ورماها على الأرض، فتكسّرت وتشرذمت.

بعد ذلك، توَعَّل باناش بين مجموعة من المجالدين، وتواری عن الأنظار قبل أن يتمكن الجندي من التَدخُل.

فصاحت الفتاة من شدَّة الحزن، وارتمت على ركبتيها لجمع شظايا تذكّارها المكسور. يبدو أنّ زهرة دوّار الشمس أكثر من مجرّد تذكّار من الديار. أظنّ أنّ شخصًا مُقربًا منها صنع لها القلادة؛ كأمّها أو أبيها أو أختها أو أخيها. إنّ الشخص الذي أهداها هذه القلادة شخص تحبّه، وأراد أن يعطيها هديّة ليُبعد عنها الوحشة، ويُدكِّرها بأنّها عزيزة على قلبه، ويمنحها شيئًا تتشبّث به في أيّامها الأخيرة إذا سُحِبَ اسمها في القرعة. ومع الأسف، تحطّمت هديّتها، ولم يبقَ منها سوى قطع من العجين المملّح المطليّ باللون الأصفر.

تجمّع مجالدو المقاطعة التاسعة الآخرون حول زميلتهم الباكية، وأخذوا يحدّقون إلى بقايا التذكّار المُحطّم.

ماذا أفعل؟ أردتُ أن أواسي الفتاة، لكنني لا أعرف اسمها حتى. ولا أظنّ أنّ طرح مسألة التحالف عليها وعلى زملائها وهي في هذه الحالة يُعدُّ تصرّفًا لائقًا؛ رغم إلحاح بيتي، وتأكيديه على أهمّيّة انضمامهم إلينا. وفيما كنتُ أفكّر في تصرّف يليق بالموقف، ظهرت مايزيلي فجأة، وجلست أمام الفتاة وهي تخلط مادة بيضاء لزجة على ورقة شجر باستخدام عود صغير. لم تطلب إذنًا منها، بل أخذت تُرتّب القطع المُحطّمة بعناية، وتمسح حوافّها بالمادة اللزجة، ثمّ تُلصقها بعضها ببعض لتعيد تشكيل زهرة دوّار الشمس. فوقف مجالدو المقاطعة التاسعة يشاهدونها بانبهار.

لاحظتُ قطعة صغيرة من العجين الأصفر قرب قدمي، فانحنيت والتقطتها، ثمّ اقتربتُ من مايزيلي لإكمال أحجية دوّار الشمس. فجلستُ القرفصاء إلى جانب مايزيلي وسألتها: "ما هذه المادة اللاصقة؟"

فأجابتنني: "هذا غراء صنّعه بنفسه من الطحين والماء والملح في قسم إعداد الطعام. هذا كلّ ما أستطيع فعله بما وجدته". ثم التفتت إلى الفتاة

وقالت لها: "عليك أن تتوخي الحذر عندما أنهي لصقه. سيفي غرائي بالعرض في الوقت الحالي، لكن ينبغي تسخينه ليقسو، ونحن لا نملك أي وسيلة لتسخينه. لذا، حاولي أن تطلبي المساعدة من مرشدك عندما تعودين إلى الشقة، علّهم يساعدونك في العثور على بعض الغراء الحقيقي".

مسحت الفتاة دموعها، وأومات برأسها إيجابًا. وعندما طال الصمت، انتهزت الفرصة لأفتح بابًا للحوار: "هذه زهرة دوّار الشمس. أليس كذلك؟" فأومات برأسها مرة أخرى. "أنا أحب هذه الزهور. كانت أمي تحاول أن تزرعها في حديقتنا كل عام. إنّما لا شك في أنّ زهوركم أجمل؛ لأنّها تتعرّض للشمس أكثر في المقاطعة التاسعة".

التزمت الفتاة الصمت فترة طويلة، فظننت أنّ محاولتي باءت بالفشل، وبعد قليل قالت: "عندنا حقول كبيرة من زهور دوار الشمس".

فقلت لها: "أحقًا؟ أعتقد أنّ منظرًا كهذا سيخطف الأنظار". وتظاهرت كأني أتخيّل الحقول في ذهني. "حبيبتي التي تنتظرنني في الديار تغني أغنية قديمة عن دوّار الشمس". وحين شعرت أنّهم مهتمّون بالأغنية، قرّرت أن أجرب حظّي وأغنيّ لهم مقطعًا منها، حتى لو كان غنائي نشارًا.

آه يا زهرة دوّار الشمس، ضاق بك طول الزمان،
وأنت تحصين خطوات الشمس، رافعة رأسك إلى السماء،
وتتبعين درب النور الذهبيّ للوصول إلى ذاك المكان،
حيث تنتهي رحلة الحياة، ويكتنفك الفناء.

حسناً، يبدو أنّ غنائي كان نشازاً بامتياز؛ إذ رأيت مايزيلي تضمّ شفيتها بقوة كآبها تحاول جاهدة ألا تنفجر ضاحكة. أمّا مجالدو المقاطعة التاسعة، فلم ينبس أحد منهم ببنت شفة. يبدو أنّ آمبيرت كان مُحِقّاً؛ إنهم لا يحبّون الثثرة. فقلتُ: "صوت حبيبتني أعذب من صوتي الأَجَش". فقهقهت الفتاة، وانفرجت أساربرها. حينئذ، قلت: "أنا هايميتش، وهذه مايزيلي".

"وأنا كيرنا. أنتما مع آمبيرت".

فأجبتها كأنّ الموضوع لم يخطر قبل ذلك على بالي: "نعم، نعم، هذا صحيح. لقد شكّلنا تحالفاً اسمه تحالف المُستجدين". لكنني لم أعرض عليهم الانضمام إلينا مجدداً؛ إذ أردت منهم أن يأتوا إلينا من تلقاء أنفسهم.

"لقد عرض علينا آمبيرت الانضمام إلى تحالفه أيضاً، لكننا رفضنا عرضه".

"أنا أيضاً رفضتُ عرضه حين طرح عليّ الفكرة أوّل مرّة. لكن، هناك قول شائع مفاده: كلّما زاد عدد العاملين خفّ الحمل". شكراً يا جدّتي لأنك علّمتني هذه الشذرة الحكمية. لم يستخفّ مجالدو المقاطعة التاسعة بكلامي كما توقّعتُ، بل أخذوه على محمل الجدّ.

ثمّ قالت مايزيلي وهي تلتصق القطعة الأخيرة في مكانها. "لقد اكتملت الزهرة". لقد أعادت الزهرة إلى شكلها الأصلي، ثمّ ربطتها بالسلسلة العشبية بعناية، وعلّقتها على عنق كيرنا. "لا تنسي أن تطلبي المساعدة من مرشدك في الشقّة لتدعيم الزهرة باستعمال بعض الغراء الحقيقي".

"شكراً يا مايزيلي".

في تلك اللّحظة، أعلنت المدرّبة نهاية الدرس، وطلبت منّا أن نُفسيح المجال لمجموعة أخرى، فاستجبنا لطلبها. إذ أنهيتُ حديثي مع مجالدي

المقاطعة التاسعة، وأعرف أنهم حتى لو بدأوا يفكرون جديًا في الانضمام إلى تحالفنا، فسيودون أن يتناقشوا في ما بينهم قبل أن يبلغونا بقرارهم.

أجهت ومايزيلي نحو مجالدي المقاطعة الحادية عشرة في قسم ربط العقد، حيث بقيت أحاول وأفشل في عقد العقدة المرعبة، فيما أتقنت مايزيلي كل العقد والفخاخ التي عرضها علينا المدرب من المحاولة الأولى؛ فقلت لها مُتَأَقِّفًا: "كفي عن التباهي بمهاراتك".

عندئذٍ، قلبت مايزيلي عينيها ساخرة: "يا لها من مهارات قيّمة! ألا ترى المحترفين يرتعدون رعبًا من العقدة التي عقدتها؟ هيا نتدرب على رماية الفؤوس".

في وقت الغداء، انضم إلينا "كتاكي" المقاطعة التاسعة الأربعة. وجلب أمبيرت معه مجالدي المقاطعة الحادية عشرة أيضًا، فصار تحالفنا يضم ثماني مقاطعات. وفي الطرف الآخر من المدرجات، انضمت المقاطعة الخامسة ذات الزي البرتقالي إلى تحالف المحترفين؛ فتحدت الولاءات واتضح. ومع أنّ المجالدين المحترفين مدربون ومجهزون للقتال أكثر منّا، إلا أنّ عددنا أصبح ضعف عددهم. فبدأوايات يحسب الفرص والاحتمالات بحماسة. كما رأيت مصممي المباريات يناقشون التطورات الأخيرة، وتأثير التحالفين القائمين على المباريات وهم يشيرون إلينا.

بعد أن أنهينا شطائرنا، اجتمعنا ومايزيلي ووايات ولولو في قسم إعداد الطعام الذي بدا مليئًا بأنواع الفطر السام. وظلت لولو تضع الفطريات في فمها، ما أربك المدربة.

قال وايات: "لا أعرف ما الذي ستفعله لولو في مقابلتها الشخصية مع مصممي المباريات؛ على الرغم من أنني لا أظنهم يعلقون آمالًا كبيرة عليها. كما أنني لست متأكدًا مما سأفعله أنا أيضًا".

فاقترحت مايزيلي: "أنت خبير في حساب الفرص والاحتمالات. لذا، اعرض عليهم مهارتك في حساب بعض الاحتمالات المُتعلِّقة بمباريات الجوع؛ فهي تثير الإعجاب أكثر من مهاراتي".

وقلتُ لها: "عليك أن تريحهم مهارتك في عقد الحبال وضفرها. أنت تستخفين بها لأنك بارعة فيها، لكنني أعتقد أنّ ما تفعلينه رائع حقًا".

"إنّها فكرة جيدة تميّزني عن الآخرين. وماذا ستفعل أنت، يا هايميتش؟ هل سترمي السكاكين؟"

"ربما. إمّا السكاكين أو الفؤوس".

أخذت كلّ مجموعة من المجالدين إلى غرفة تبديل الملابس الخاصة بها، وبدأ مُصمّمو المباريات بالمقابلات الشخصية. إنّ هذه المقابلات هي فرصتنا الأخيرة لترك انطباع جيّد لدى مُصمّمي المباريات والحصول على علامة عالية تشجّع الجمهور على تمويلنا. استنفر عدد كبير من الجنود في الأنحاء؛ للتدخل بسرعة في حال نشب عراك بين المحترفين والمُستجدين. ولا أنكر أنّني شعرتُ بالأمان وأنا محاط بحلفائي؛ خلافاً للمرة الأولى التي جئنا فيها إلى هنا.

لحسن الحظّ، ستكون مقابلتي هي الأخيرة. فأنا لا أعرف كيف سأتعامل مع مُصمّمي المباريات. لا شك في أنّهم شاهدوا تسجيلات الحصاد والقرعة، ورأوني "أهاجم" جندي حفظ الأمن، وعرفوا أنّني هنا عقابًا على تصرّفاتي. كما شاهدوا أعمالى التخريبية خلال موكب الاستعراض مباشرة. لكنني لا أعرف إذا كانوا على علم بلقائي مع الرئيس سنو؛ حين وجّه لي إنذاره الأخير في مكتبة بلوتارك. وحاولتُ أن أتجنّب التفكير في ذلك اللقاء، وفي وعيد الرئيس سنو بأنّه سيحرص على أن يكون موتي بطيئًا ومؤلمًا ليرسخ في أذهان أحبائي. لذا، سأحسن التصرف، ولن أقدم على أي تصرّف يُغضبه أو يُغيظه قبل بداية المباريات؛ فقط لأنني أصبحت جزءًا من الخطة الموضوعة لتدمير ساحة القتال، وأريد أن أبقى حيًّا لأتمكن من تنفيذ مهمّتي.

فكيف أقنع مُصممي المباريات بأنني لم أعد أشكّل خطرًا على الكابيتول؟ لن يصدّقوني إن بدأت أتصرّف فجأة كمجالد مُطيع. كما أنّ عندي مشكلة أخرى: لولو. فأنا مُتأكّد من أنّ مُصممي المباريات يعرفون أنني أميّز لويلا الحقيقية عن المزيفة، ولا سيّما أنني كنتُ أقدرّ لويلا كثيرًا؛ لدرجة أنني حملتُ جثتها إلى الرئيس.

لعل لولو هي المفتاح. يمكنني أن أدّعي أنّ لويلا كانت الشخص الوحيد الذي يهمني في مباريات الجوع، وأنتني لم أعد أفكر إلا في نفسي بعد وفاتها... وأنتني سأستغل هذا التحالف لغرض واحد لا غير: لأفوز بالمباريات وأعود إلى حبيتي التي خاطرتُ بحياتي لإنقاذها، وإلى عائلتي التي ودّعتها بدموع القلب. سأقنعهم بأنني أريد أن أكون أول فائز يسكن في قرية الفائزين في المقاطعة الثانية عشرة. لن يروا إلا شابًا مُتهوّرًا حاول الفرار من الجنود، وواجه الرئيس سنو، وبصق على الجمهور، ولا يهتمّ إلا بمصلحته. فالحلّ الأمثل لأريح مُصممي المباريات من دون أن أثير شكوكهم أو ألفت نظرهم إلى خطّتي الحقيقية هو أن أتصرّف كشاب أنانيّ شقيّ يسعى إلى الفوز بالمباريات، ليعود إلى دياره ويعيش حياة الثراء والشهرة.

حين حان دوري، تردّد صدى خطواتي في الصالة الرياضية التي لم يكن فيها أحد غير مُصممي المباريات الجالسين على المدرّجات. كانت فاوستينا غريبير- رئيسة مُصممي المباريات- امرأة قصيرة، شعرها قصير فيه مزيج من الخصلات الرمادية والذهبية، تضع فوق رداؤها الأبيض الناصع طوقًا من الفرو الأرجواني يميّزها عن نظرائها. تفحّصتني، ثمّ قالت: "أخبرنا عن نفسك".

فأملتُ رأسي جانبًا بلامبالاة، ونظرتُ إلى عينيها مباشرة قائلاً: "اسمي هايميتش أبرناثي، وأنا من المقاطعة الثانية عشرة. ما كان ينبغي أن أكون هنا لأنني حُصِدْتُ بطريقة غير قانونية. إنّما يبدو أنّ لا أحد يكثر لهذا الأمر. كانت جارتني لويلا ماكوي هي الشخص الوحيد الذي يهمني في هذا المكان، لكنكم

قتلتموها وأحضرتم فتاة تشبهها لتحل محلها. وقد حرّرتني موت رفيقتي، ومنحني القوة لمحاولة الفوز بهذه المباريات".

"وما الذي يجعلك واثقًا من أنك قادر على الفوز؟ فنحن لم نر فيك أي خصال أو مهارات استثنائية تميّزك عن الآخرين".

فقلتُ وأنا أبتسم بسخرية: "أأنتِ متأكّدة من أنني لستُ مميّزًا؟ فحسبما أذكر، لقد نجحتُ في حشد واحد وثلاثين مجالدًا لحمايتي في ساحة القتال. لكن، يبدو أنّ استراتيجيتي قد فاتتكم لأنكم لا تعرفون القراءة ما بين السطور".

فقطّبت حاجبيها قائلة: "هل تنوي حقًا أن تتركهم يموتون من أجلك؟"

"لم لا، يا سيّدتي؟ أليس هذا ما تفعلونه أنتم بنا؟"

عندئذٍ، انتهت مقابلتي، وطلّبت منّي المغادرة. آمل أن أكون قد نجحت في إقناعهم بأنني شخص بغيض ومهووس بالفوز. فإذا حصلتُ على علامة متوسطة، فقد أنجح حينها في الحصول على بعض الممولين.

وفيما كنتُ أغادر الصالة، طلب منّي جنود حفظ الأمن أن أعطّيهم قلادتي لفحصها، فمرّرت أصابعي على الكلمات المحفورة عليها، وقبّلتُ الطائر قبل أن أضعها في سلة صغيرة تحمل اسمي. لم أرغب في إعطائهم قلادتي لأنّ لها مكانة خاصّة في قلبي. ففي حال اكتشفوا أنّها قدّاحة، سيُفكّرون في أنّها تُعطّيني أفضلية على الآخرين وسيتخلّصون منها. ثمّ إنّ فقدان القدّاحة سيُشكّل عقبة في الخطة؛ الأمر الذي سيتطلّب منّا العثور على وسيلة أخرى لإشعال الفتيل. لكننا في الكابيتول، ما يعني أنّ من سيفحص القلادة لن يدرك على الأرجح أنّها قدّاحة. ما باليد حيلة؛ فقد أخذوا القلادة وانتهى الموضوع. غير أنّني شعرتُ بالنقص من دون قلادتي على عنقي.

ركبُ في الشاحنة مع وايات ومايزيلي ولولو، لكننا لم نتحدث كثيرًا في طريق العودة إلى الشقة. وبعد أن تناولنا بعض الدجاج المشوي والبطاطا المهروسة على العشاء، اجتمعنا كلنا في غرفة الجلوس لمشاهدة فقرة الإعلان عن علامات المجالدين على التلفاز. حصل معظم المحترفين على علامات تتراوح بين 8 و11. وحاز مجالدو المقاطعة الحادية عشرة على علامات مُماثلة، بينما تراوحت علامات باقي المُستجدين بين 4 و7. أُعلِنَ عن علامتنا في النهاية: 6 لوايات ومايزيلي، و3 للولو.

أمّا أنا، فحصلتُ على 1.

أظنني المجالد الوحيد في تاريخ مباريات الجوع الذي حصل على العلامة 1، حتى إنني أتذكر بصعوبة مجالدين نالوا العلامة 2. والعلامة 3 نادرة أيضًا، ولا تُمنح عادة إلا للأشخاص الميؤوس من أمرهم كلولو. ماذا سيقول الجمهور عني؟ هل سيراني ضعيفًا؟ أو وحيدًا من دون أصدقاء؟ أو جبانًا؟ مهما كان انطباع الجمهور عني، فالنتيجة واحدة؛ لن تساعدني هذه العلامة في الحصول على ممولين. سأكون وحدي في ساحة القتال، ولن أحصل على أي مساعدات أو هدايا.

قالت لي مايزيلي برضا: "يبدو أنّ تصرّفاتك أثّرت فيهم وتركت انطباعًا راسخًا في أذهانهم. لن ينسوا ما فعلته في حفل الحصاد، ولا ما فعلته في حادثة لويلا، ولا بصاقتك على الجمهور".

"يا سعدي!"

فقالت ماغز: "قد تكون مايزيلي على حقّ يا هايميتش. فعلامتك تميّزك عن المجالدين الآخرين، وستلفت انتباه الناس إليك. ولا شك في أنّ سيرتك ستكون على كل لسان. إنّ عدد المجالدين كبير هذا العام، ولهذا إن علق اسمك ووجهك في ذاكرة الجمهور لأي سبب كان، فستكون قد حققت إنجازًا كبيرًا".

هزّ وايات رأسه يمينًا ويسارًا، ثمّ قال: "لا أعرف حتى كيف ستؤثّر علامتك على فرصتك في النجاة. ماذا فعلت في المقابلة بالضبط؟"

سؤال وجيه. "المُلخّص المُفيد هو أنّني... انهمتُ مُصمّمي المباريات... بطريقة غير مباشرة... بأنهم يقتلوننا".

فهمت لولو: "أجل!" وهي تحدّق إليّ بعينين ثاقبتين. ثمّ تأوّهت فجأة، وأخذت تضرب أذنها براحتها، فسمعنا طنينًا خافتًا حادًا يصدر منها. لا شك في أنّه يصمّ أذنيها. وحين خفّ الصوت، صارت لولو تلهث ودموعها تسيل على وجنتيها، فوضع وايات إصبعه على شفتيه لنتزم الصمت، ثم غمرها بذراعيه وحصنها.

تولّيت مناوبة الحراسة الأولى مرة أخرى، فقد كان رأسي يعجّ بالخطط والاستراتيجيات. أنا متأكد من أنّ مُصمّمي المباريات يعملون تحت توجيهات الرئيس سنو ليجعلوا منّي عبءًا، وسيواصلون ألعيبهم في ساحة القتال. إنهم على الأغلب ينوون قتلي في بداية المباريات، وهم يُخطّطون لموت بشع ودام. مددْتُ يدي إلى عنقي باحثًا عن قذّاحتي لتمدّني ببعض الأمان والسكينة، فلم أجدها. فقد أخذوا مني آخر ما يربطني بليينور دوف. ترى، كيف كانت ردّة فعلها حين أُعلّنت علامتي الليلة؟ لعلها تلوم نفسها على كل ما يحدث لي بسبب ما حصل في القرعة؛ لأنّها لم تشهد تصرّفات المتهورّة هنا. لكن، كيف بإمكانها أن تعرف أنّ ما رأته في القرعة لم يكن سوى غيض من فيض أخطائي؟

أشعر بأنني أصبحت أشكل خطرًا كبيرًا على الخطة، وأظنّ أنّ بيتي وصل إلى الاستنتاج نفسه. بقيتُ مستيقظًا طوال ثلاث مناوبات حراسة، علّه يزورني مرّة أخرى. لكنّ النعاس أثقل جفوني، فأيقظتُ وايات وسلمته مسؤولية الحراسة.

تركنا مُرشدتانا ننام حتى وقت مُتأخّر، وشعرتُ بتحسّن كبير حين استيقظتُ ووجدتُ قلاذتي العزيزة تنتظرنني على طاولة المطبخ. لقد اجتازت

تذكاراتنا الأربعة الفحص، فمددنا أيدينا بلهفة لاسترجاعها.

حينئذ، سألتني مايزيلي: "هل تسمح لي برؤية قلادتك الآن بما أنّها ليست على عنقك؟"

ماذا عساي أن أقول؟ لا، لأنّ حبيتي تكرهك؟ لا أستطيع أن أرفض طلبها لأنّها صارت حليفتي. وعلى أي حال، لا أظنّ أنّ لينور دوف ستعرف أنّني أريتها مايزيلي القلادة. فناولتها إيّاها.

تفحّصت مايزيلي القلادة باهتمام، وأخذت تتأمل كل تفاصيلها، حتى إنّها لاحظت الكلمات المحفورة عليها والتي غابت عنيّ أوّل مرّة. "يتميّز شعب كوفي بنظرة فنيّة وذوق راقٍ".

"سمعتُ أنّ لديك دبوسًا من تصميم تام أمبر".

فارتسمت على وجهها ملامح الاشمئزاز، وأجابت: "آه، ذاك الدبوس. لا أنكر أنّ تام أمبر أتقن صنعه، لكنني لا أحبّ الطيور المقلّدة؛ فهي من سلالة طائر مُعدّل جيّنًا".

لم أفكّر في الأمر من هذا المنظور من قبل. "البعض يرى أنّ قصّة هذه الطيور رمز للانتصار... لأنّها أفلتت من قبضة الكابيتول ونجت".

"أحقًا؟ حسنًا، إذا نجوت من هذه المباريات وأفلتت من قبضة الكابيتول، فسأحاول أن أعطي الدبوس فرصة أخرى".

"إذا لم يرق لك، فأنا واثق من أنّ لينور دوف ستفرح به".

عندئذ، ابتسمت مايزيلي ابتسامة عارفة وهي تقول: "لينور دوف... حبيبتك لا تحبّني. والسبب ليس مجرد دبوس".

فسألتها ببراءة مُصطنعة: "تري، هل السبب أنّك تعاملين الجميع بلؤم؟"

فضحكت مايزيلي: "نعم، هذا أحد الأسباب. لكنّ السبب الأساسي هو أنني أعرف سرّها، وهي لا تحب أن تكون تحت رحمتي".

سرّها! "أيّ سرّ؟"

"سرّ طلاء أظفارها البرتقاليّ يوم عزّفت على البيانو في حفلة ذكرى ميلاد العمدة". ثم أعادت إليّ قلادتي قائلةً: "اسألها عن الموضوع إذا عدت إلى المنزل".

فنظرْتُ إلى القلادة بحيرة وارتباك، ولاحظتُ أنّ بعض أرياش الطائر ملطّخة باللون البرتقالي. ربما كانت لينور دوف تساعد تام أمبر فتلطّخت أظفارها والقلادة، أو ربما كانت تحاول أن تلوّن أظفارها بالطلاء البرتقالي ليتناسب مع لون شفيتها. ويبدو أنّ مايزيلي سخّرت من أظفار لينور دوف وقالت لها إنّها قبيحة. لكنّ هذا لا يضع لينور دوف تحت رحمة مايزيلي. فماذا حدث؟ إنّ طلاء الأظفار مكلف. هل تلمّح مايزيلي إلى أنّ لينور دوف قد سرّفته؟

"أخبريني الحقيقة".

"قلْتُ لك إنّهُ سرّ، وأنا أحترم الأسرار". ثم أخذت ترتّب قلاندها على عنقها، وبعد ذلك ربطت قلادة الزهور الخرزية البنفسجيّة والصفراء حول عنق لولو. يبدو أنّ مُصمّمي المباريات عدّوا أنّ قلاند مايزيلي كلّها تذكّار واحد. "لن أبوح لك بالسرّ إلّا إذا كان لديك سرّ تبوح لي به في المقابل".

فقال وايات وهو يضع قلادته: "لا تحاول عبثًا أن تفهم شؤون الفتيات، فهي غير منطقية".

"صدقت". وشردتُ وأنا أنظر إلى قلادة وايات. لقد صمّمتها له مايزيلي بحيث يسهل عليه فكّ عملة "السكريب" من السلسلة وإعادة ربطها بها. إذ إنّ تقليب العملة بين أصابعه يساعده على التفكير.

ثم سألتُ وايات: "مهلاً، مِمَّ صُنِعَت هذه العملة؟ أهي من النيكل؟"
"أظنُّ أنّها من الزنك".

"هذا جيّد، فقد نحتاج إليها لصنع بطارية البطاطا. يلزمنا بعض النحاس
أيضًا".

فأمسكت مايزيلي بميدالية على شكل زهرة تتدلّى على عنقها من إحدى
قلائدها وقالت: "أعتقد أنّ هذه ستفي بالغرض".

"أنت عبقرية يا آنسة دونر. يبدو أنّ مُصمّمي المباريات سمحوا لكما
بالاحتفاظ بهاتين القطعتين لأنّهم يأملون أن تستخدماهما في ساحة القتال".

في تلك اللّحظة، ظهرت دروسيللا، وطلبت منّا اللحاق بها إلى غرفة
الجلوس لتساعدنا في الاستعداد للمقابلات التلفزيونية. فبعد فضيحة الحصاد
وموكب الاستعراض، بدأت تتعرّض لضغوط كبيرة. كما أنّ علاماتنا في التدريب
لا تساعدنا أبدًا. لذا، إنّ هذه المقابلات هي فرصتها الأخيرة لقلب الموازين
وتحسين صورتها في المباريات الربعية.

"اسمعوني جيّدًا يا أنتم. يوجد بين الجمهور بعض الحمقى الذين تحرّكهم
العاطفة لا العقل، والذين يُرسلون المساعدات والهدايا إلى من يتعاطفون
معهم من المجالدين البائسين أمثالكم. وفي الوقت الحالي، إنّ هايميتش هو
الوحيد بينكم الذي يحظى ببعض الشهرة؛ لأنّ الجميع يحاول أن يفهم كيف
حصل على علامة متديّة إلى هذه الدرجة، ولأنّ تصرّفه الفظ مع الجمهور
خلال الموكب لفت الأنظار أيضًا. أما بقيتكم، فلا أحد يعرف بوجودكم أصلًا. لذا،
ستكون المقابلات المتلفزة فرصتكم الأخيرة لتتركوا انطباعًا لدى الجمهور
قبل بداية المباريات. يجب أن تميّزوا عن المجالدين الآخرين. فكل ما يميّزكم
سيكون نقطةً لصالحكم. اجعلوني أتذكركم. أخبروني: من أنتم؟ ولماذا عليّ أن
أمولكم وأراهن على فوزكم؟"

وعلى الفور، أخلينا مساحة في غرفة الجلوس، وحاولنا أن نحاكي ظروف المقابلات المتلفزة. فمئّلت دروسِلا دور سيزار فليكرمان؛ المضيف معسول اللسان، وأجرت مقابلات معنا؛ واحدًا تلو الآخر، فيما لعب الآخرون دور الجمهور مع ماغز ووايريس. وسرعان ما نفذ صبر دروسِلا على لولو التي ظلّت تكرّر الجملة نفسها: "اسمي لويلا ماكوي، وأنا من المقاطعة الثانية عشرة".

فقالت دروسِلا: "ما هذا الأداء المُزري؟! سينتقدك فليكرمان بقسوة ويقضي عليكِ خلال المقابلة! ما مشكلتك؟ عودي إلى رشدك!" ثم أمسكت بكتفي لولو وأخذت تهزّها.

ويبدو أنّ دروسِلا حرّكت صدمة دفينة في نفس لولو عندما لمستها، فبدأت لولو تصرخ وتصيح: "أنتم تقتلوننا! أنتم تقتلوننا!"

عندئذ، شهقت دروسِلا ورفعت يدها لتضربها، لكننا تدخّلنا سريعًا لمنعها، وأخذت ماغز لولو إلى غرفة النوم.

حينئذ، قالت مايزيلي لدروسِلا: "لقد ماتت لويلا ماكوي. هذه الفتاة مجرد طفلة صغيرة عدّبتها الكابيتول حتى نسيت اسمها الحقيقي، ثم أرسلها إلينا لتلعب دور لويلا. وعلى الرغم من كل ما تعرّضت له، ما زالت ترى الحقيقة: أنتم تقتلوننا".

فنظرت دروسِلا حولها بحثًا على بعض الدعم، لكنّها أدركت أنّ جنود حفظ الأمن لم يرافقوها إلى الشقة. ولم تحرّك وايريس ساكنًا لمساعدتها. وحين لم تجد دروسِلا من يساندها في مواجهة "أبغال المقاطعات"، ولا سيّما مايزيلي التي تردّ الإهانة بالإهانة والصفعة بالصفعة، سيطرت على نفسها وقالت: "هذا خارج نطاق مسؤوليتي. أنا مسؤولة فقط عن إعدادكم للمقابلات". ثم أشارت إلى وايات: "حان دورك".

فتبادلت معه بعض المجاملات، وسألته عمّا يميّزه عن الآخرين.

فأجابها من دون تردّد: "أنا مُقيّم احتمالات".

"مُقيّم احتمالات؟ لم أفهم. ما الذي تفعله بالضبط؟"

"أنا أتوقّع النتائج المُمكنة للأحداث؛ انطلاقًا من المعطيات المتوافرة، وأقدّر احتمال حصولها. حتى إنني أحسب فرص المجالدين في الفوز بمباريات الجوع".

"أحقًا؟"

"حقًا".

"إدًا، من المجالد الذي تنصح الجمهور بالمراهنة عليه؟"

فأخذ وايات نفسًا عميقًا، ثم سرد عليها كل توقّعاته: "يميل الجمهور عادة إلى اختيار المتنافسين المحترفين؛ لأنّ فرصهم في الفوز مرتفعة. أذكر باناش على سبيل المثال. فهو من المقاطعة الأولى، وهو أضخم مجالد بيننا من حيث الحجم والبنية، وقد تلقى تدريبًا مكثفًا على القتال، وسجّل علامة عالية في التدريب. حسب تقديراتي، تبلغ فرصته في الفوز 11 إلى 5؛ أي ما يعادل نسبة 31.25%. كما أنّ ماريتي، المجالدة الرشيقة من المقاطعة الرابعة، مُنافسة قوية من دون شك. فقد أعطاهَا مُصمّمو المباريات العلامة 11، ما يدلّ على براعتها في استخدام الرمح ثلاثي الشعب. وتبلغ فرصتها في الفوز 6 إلى 1، ما يعادل نسبة 14.29%".

فقالت له دروسيلًا: "هه، قد تكون بارعًا في الحساب، لكنك لم تأتِ لنا بجديد. فالجميع يعلم أنّ المحترفين هم الرهان الأفضل".

"من دون شك. لكن ما يميّز هذه الدورة عن كل الدورات السابقة هو أنّ جميع المجالدين انضمّوا إلى أحد التحالفين قبل بداية المباريات. ولم يبقَ أي مجالد مُستقلّ. إذ لم يحدث شيء كهذا من قبل. وصحيح أنّ المحترفين أقوباء وأنهم الرّهان المُعتاد، لكنهم ليسوا بالضرورة الرهان الأفضل. فعدد

المُستجدين ضعف عددهم. وإذا اتحد الحلفاء حقًا ودافعوا عن بعضهم بعضًا حتى الرمق الأخير، فسنملك كلنا فرصة للفوز. وإن كنتم من محبي المخاطرة، أنصحكم بالمراهنة على أحد المُستجدين. فكلما قلّت فرصة المجالد الذي تراهنون عليه في الفوز، زادت مكاسبكم إذا فاز."

"أعطني اسمًا."

"هايميتش أبرناشي."

"لكنّه حصل على العلامة 1".

"بالضبط. لقد حصل على العلامة 1 مع أنّه لا يعاني من أي مشكلات صحية أو جسدية. فهو يتمتع بقوة جسدية، ويبدو أنّ تصرفاته الجريئة تسبب الإزعاج لمُصممي المباريات".

فاجأني بجوابه، فقلْتُ مندهشًا: "ليس عليك تحسين صورتني أمام الجمهور يا وايات".

"لم أقل إلا الحقيقة، يا هايميتش. هذا رأيي الصريح عنك. ومايزيلي أيضًا رهان جيّد".

فقالَت دروسيلًا: "وماذا عنك؟"

"ما كنت لأراهن على نفسي. فأنا مجرّد..."

فقاطعته وايريس: "لا، يا وايات! لا تقلل من شأنك. فلا أحد من المجالدين يستطيع أن يفعل ما فعلته الآن. شدّد على أهمية الذكاء للفوز في المباريات، ويمكنك أن تدكّرني لدعم هذه الفكرة. قل إنّ وايريس فازت في المباريات العام الماضي من دون أن تسفك قطرة دم واحدة. فالذكاء مهمّ".

ففكّر وايات في كلامها قليلًا، ثمّ التفت إلى دروسيلًا قائلاً: "سأكون صريحًا معك. خلال مباريات الجوع، سأكون المجالد الوحيد الذي يعرف فرص

الجميع واحتمالات حصولهم على الهدايا والمساعدات. كما أنني الوحيد الذي يستطيع مُقارنة هذه الفرص والتصرّف على أساسها؛ ما يعطيني الأفضلية، ويساعدني على تفادي الأخطاء الغبية. هذه هي الحقائق والوقائع. أنا الخيار الأنسب لمن يملك الفطنة لفهم الحسابات والأرقام".

فقلت وايريس: "أحسن. رُوِّج لنفسك كَرِهان للأذكاء، وسيراهن عليك مَنْ يفتخر بذكائه".

ثم جاء دور مايزيلي، فتبادلت السيّدتان نظرات ملؤها الغضب والعدوانية، لكنّهما لم تشتبكا بالأيدي.

"ما رأيك بالكابيتول يا آنسة دونر؟"

"سكّان الكابيتول لغز لا أقدر على حلّه. فكيف يمكن لأشخاص يتمنّعون بهذا الثراء أن يكون ذوقهم سيئاً؟ أين الأناقة؟ قلناخذك أنتِ على سبيل المثال، هل هذه حقاً أفضل ثياب تستطيعين شراءها بأموالك الطائلة؟" ثم نظرت مايزيلي إلى بذلة دروسلا المخططة بالأحمر والأبيض، وقبعتها المخططة بالألوان نفسها، وأضافت: "إنك تشبهين وحشاً مصنوعاً من حلوى العيد يزور الأطفال في كوابيسهم".

"لن تكسبي أي أصدقاء بأسلوبك الوقح، أيّنها الشابة سليطة اللسان".

"ومن قال إنني أبحث عن الأصدقاء؟ أنسيت أنّ الهدف هو تقديم عرض يرسخ في ذاكرة الجمهور؟ وأنا لا أهاجمك أنتِ وحدك. إذ إنّ كلّ الأشخاص الذين رأيتهم على المدرّجات خلال موكب الاستعراض لا يعرفون شيئاً عن الأناقة. فقد كانوا يرتدون ألواناً صارخة، وملابس لا تليق بهم. كما رأيتُ بعض الخيارات الجريئة التي سيندم عليها أصحابها. لا أعرف السبب الذي يجعل أحدكم راغباً في التّشبه بحيوانات المزرعة، لكنني آمل حقاً أن تكون قرون الماعز قابلة للإزالة. وما خطب المرأة التي غرست الألماس بين أسنانها؟

فالناس يشيخون، ولا عيب في التقدّم في السن، فهذه سنّة الحياة. ستعدّها هذه الأحجار في الأكل عندما تنحسر لثتها".

"ما الذي تقترحينه علينا إذًا؟ أن نتّبع موضة سكان المقاطعة الثانية عشرة؟"

"قطعًا لا! إذ إنّ سكّان المقاطعة الثّانية عشرة لا يملكون المال، فكيف يتأثّقون؟ ومع ذلك، إنّ عمّال مناجمنا جميعهم يتمنّعون بلياقة بدنية يحلم بها أمثالكم. ومهما حاولتم تحسين مظاهرهم بعمليات التجميل- كما رأيتُ خلال الموكب- فلن تتمكنوا من تغيير هذا الواقع".

"ماذا...؟"

"من الواضح أنّ حسن الدّوق وحس الأناقة لا يمكن شراؤهما بالمال. فدوق بعض سكّان المقاطعة الثانية عشرة أرقى بكثير من الأذواق التي رأيته هنا".

"هل أنهيت كلامك؟"

"أنهيت كلامي؟ بصعوبة بدأت".

"عودي إلى مكانك".

فاختتمت وإيريس مقابلة مايزيلي قائلة: "استراتيجيتك فيها مخاطرة. إنّما لا شك في أنّ الجمهور سيتذكرك بعد هذا الأداء".

حينئذ، عادت ماغز إلى الغرفة ومعها منديل ملطّخ بالدم. "نامت لولو، لكنّ أذنها بدأت تنزف بسبب الجهاز الذي غرسه الكابيتول فيها".

فلوّحت دروسيلًا بيدها مُنزعة من مقاطعة ماغز وقالت: "لا تدرج هذه المسألة ضمن مسؤولياتي. دورك يا آبرناني. إذًا، يتألّف فريق المقاطعة الثانية

عشرة من فتاة مجنونة، وحاسوب بشري، وشابة سليطة اللسان. وأنت، من تكون؟"

"أنا شاب شقي؛ لهذا السبب حصلتُ على العلامة 1 في التدريب".
فقالت ماغز: "نعم، هذا جيد! افتح موضوع علامتك بنفسك. وتملك الموقف".

وسألت دروسيلًا: "وكيف حصلت على هذه العلامة؟"
"حصلتُ عليها بجدارة؛ حين تعاركتُ مع جندي من جنود حفظ الأمن خلال حفل الحصاد".

فاعترضت دروسيلًا: "لا يمكنك أن تقول أيًا ممّا قلته؛ لأنك حينها ستُفسد العمل الرائع الذي قمّت به للتسرُّ على أعمال الشغب".

"أيّ أعمال شغب؟ لقد حاول وُدباين الفرار فأطلق عليه الجنود النار".
"أعرف أعمال الشغب حين أراها! على أي حال، ممنوع أن تذكر أيّ شيء يتعلق بحادثة الحصاد، ولن تنفَعك تلك الحادثة في كسب مودّة أحد أصلًا. إذ إنّ محبوب الجماهير هو الشاب المشاكس، لا المُتمرّد الخطير. سأعطيك مثالًا: في العام الماضي، صبغ أحد طلاب الأكاديمية كل النوافير باللون الورد في ظلّ أزمة نقص كريمات الوجه، فكان تصرّفه جريئًا ولفت أنظار الجميع!"

شعرت بأنّها تحاول أن تساعدني، لكن... "حسنًا، لكنني مجالد في مباريات الجوع. ولا أعتقد أنّ اتّخاذ موقف من أزمة كريم الوجه سيفيدني في هذه الحالة. هل يمكنك أن أذكر أنني بصقتُ على الجمهور؟"

"لا، وألف لا! ماذا سيفعل الجمهور بتلك المعلومة؟"
"ما دمّت لا أستطيع أن أذكر الحصاد ولا البصق على الجمهور، فعمّ سأحدث؟"

ففكرت دروسيلًا في الموضوع قليلًا، ثم قالت: "حافظ على الغموض. لمّح إلى تصرّفاتك الجريئة، وإلّا من دون أن تُعطي أي تفاصيل. فمّن شاهد موكب الاستعراض بدأ يثرثر وينشر الشائعات عنك. دع مُحَيِّلة الجمهور تملأ الفراغات".

فكثرت كلماتها: "يجب أن أكون مُشاكِسًا لا يُشكّل أي خطر".

"بالضبط. كن شابًا مشاكِسًا فاتنًا يأسر القلوب".

شقيي. هكذا كانت جدّتي تصف السنجاب الجريء الطريف الذي يتسلل لسرقة المكسّرات منها وهي تقشّرها، غير آبه أنّها تراه. "حسنًا، سأحاول".

لكنني لم أخطأ بفرصة للمحاولة. فما إن هممت بالكلام، حتى دخلت بروسربينا وفايتوس الشقة في حالة من القلق والتوتّر.

وقالت بروسربينا: "لقد ذهبنا إلى شقّة ماغنو لإلقاء نظرة على الأزياء التي أعدّها للمقابلات المتلفزة لنصمّم تسريحات الشعر وننسق مساحيق التجميل على أساسها..."

فقاطعتها فايتوس مُوضّحًا: "يحقّ لنا أن نفعل ذلك، لا بل يُلزمنا منهجنا الدراسي بفعل ذلك... أي أنّنا لا نحشر أنفسنا في ما لا يعيننا، ولا نحاول استراق النظر..."

وأكملت بروسربينا: "وكان باب شقّته مفتوحًا. وجدناه في الداخل يصطدم بالجدران؛ وكأنّه مريض أو مصاب بالدوار..."

فأضاف فايتوس: "وكان يتقيًا في كل مكان، ويتمتم كلامًا غريبًا غير مفهوم كالمجنون و..."

وقالت بروسربينا: "نعتقد أنّ الشائعات المنتشرة عنه وعن الضفادع قد تكون صحيحة!" ثمّ وضعت يديها على فمها وكأنها باحت بسير رهيب.

حينئذ، قالت دروسيلًا مُتذمِّرة: "ليتها شائعات فقط! فهذا الرجل يلحق الضفادع السامة منذ أيام الحرب! أيعقل أن يخاطر ويقوم بهذا التصرف خلال فترة مباريات الجوع؟ هه، ما الذي أقوله؟ بالطبع سيخاطر! فهو لا يفوت أيّ فرصة للقضاء على حياتي المهنية!"

فسألها وايات: "ولمّ يلحق الضفادع؟"

"لأنه رجل معتوه ومهووس بالزواحف، كما أنه يفعل كل ما في وسعه للقضاء عليّ!"

وشرح فايتوس: "يقال إنّ بعض أنواع سم الضفادع تسبّب الهلوسة؛ إذا لم تقتلك أوّلًا. لذا، يجربها بعض الناس من باب المتعة. لكنّ الأمر مُقَرَّر ومقرّف".

فقالت دروسيلًا: "سأرفع عليه شكوى رسمية أمام مُصممي المباريات!" ثم نهضت وأمسكت حقيبتها وخرجت غاضبة، فانتهت جلسة تدريبي على المقابلة المتلفزة.

سألت وايريس بروسربينا وفايتوس: "هل لديكما أيّ ملابس سوداء بإمكانكما أن تعيراهم إيّاها للمقابلات؟"

فأجابها فايتوس مندهشًا: "نحن! نحن لا نرتدي الأسود على الإطلاق!"

وأجهشت بروسربينا بالبكاء، فتراقص شعرها الأرجواني المائل إلى الأحمر على رأسها، ثمّ قالت: "هذا الوضع مُحِيط جدًّا! يجب أن أهاتف أختي". ثمّ ارتمت على كرسي بجانب طاولة عليها هاتف برتقالي غامق، وضغطت على بعض الأزرار، ثم بدأت تنتحب قائلة: "سأرسب! سأرسب!"

عندئذ، جمعتنا ماغز جميعًا، واصطحبتنا- نحن وفايتوس- إلى المطبخ لتناول بعض المثلّجات بنكهة الفراولة.

وبعد بضع دقائق، انضمت إلينا بروسرينا قائلة: "قالت لي أختي إنّ الذنب ليس ذنبنا، وإنّ علينا أن نقوم بواجبنا على أكمل وجه". وأضافت وهي تضع ملعقة كبيرة من المثلّجات في فمها، فيما سألت دمعتان أخيرتان على خديها المتورّدين: "ولو أرسبنا الأستاذ، فبإمكاننا الطعن في العلامة أمام مجلس إدارة الجامعة. إذ تعرف أختي كلّ أعضاء المجلس؛ لأنّها كانت المسؤولة عن تخطيط الفعاليّات الطلابية الاجتماعية، وكانت تحصل على موافقتهم على كل خطوة تخطوها".

فقال فايتوس: "أختها مذهلة".

فردّت بروسرينا: "بالفعل. كانت رئيسة مجالس الطلاب في الأكاديمية، كما أنّها ابتكرت الاحتفال الربيعي في عامها الجامعي الأول".

فأضاف فايتوس: "إنّ الاحتفال الربيعي أروع حفل في السنة، وهو أفضل بكثير من هذه المناسبة القديمة المملة".

فردّت بروسرينا وراءه: "أفضل بكثير". ثم أضافت: "طمأننتي أختي، وقالت لي إنّنا سنكون على ما يرام. فهي تقول دائماً: تفاءلوا بالخير تجدوه، لأنّ التفاؤل أقوى سلاح".

ما هذه الأنانية؟ نحن منجّهون إلى الموت، وهي تتكلّم عن الحفلات والتفاؤل. لكنّ الكلمات خانتني، ولم أجد ما أقوله لها.

غير أنّ مايزيلي قالت من دون تردّد: "سأذكّر هذه النصيحة في ساحة القتال. هل ترغبين في المزيد من المثلّجات؟"

ونظرت ماغر إليّ وقد تسلّلت ابتسامة إلى محيّها رغماً عنها.

لكنّ بروسرينا لم تفهم تلميح مايزيلي وسخرتها، فمدّت لها الصحن بسذاجة وقالت: "إنّ التفاؤل يصنع المعجزات حقّاً".

وحين وصلت باقي فِرَق التجميل، تناوبتُ ومايزيلي ولولو ووايات على الحمام للاستحمام، ثم على غرفتي النوم للتزُّين والاستعداد للمقابلات. طلبتُ الحصول على بعض الوقت الإضافي في حوض الاستحمام، علّني أجد فكرة جيّدة لأمثّل دور الشاب المشاكس ببراعة. إنّما لم يخطر على بالي إلاّ سرقة المكسّرات كالسِنجاب. عندي شعور بأنّ الجمهور لن يراني كشاب مُشاكس، بل كمصدر إزعاج.

وبما أنّنا استحمنا بصابون عاديّ هذه المرة بدلاً من مبيدات الحشرات التي ينبغي فركها مطوّلاً لإزالتها عن الجلد، تمكّن أعضاء فرق التجميل من تجهيزنا في مهلة أقصر وبجهد أقل. ومع أنّهم تفوّقوا على أنفسهم في تسريحات الشعر والزينة مقارنة بالمرّة الماضية، إلاّ أنّ مظهرنا لم يكتمل من دون الأزياء. فقد حصلنا على بعض الجوارب والملابس الداخلية، لكننا كنّا لا نزال نرتدي أزياء التدريب نفسها التي ارتديناها طوال الأيام الثلاثة الماضية. كان زي لولو مجعّداً كحبة الزبيب لأنّها تنام فيه أحياناً، أمّا وايات فلطّخ زبّه بالبطاطا المهروسة، ثم حاول أن يمسحه فزاد الأمر سوءاً. في حين تمرّق كتف قميصي عندما هاجمني باناش. ومع أنّ زي مايزيلي أقلّ تجعّداً من أزيائنا، لكنّه كان مُلطّخاً ببقع من الغراء الذي صنعه لتجميل تذكارات حلفائنا. ثمّ إنّ قماش أزيائنا الرخيص عابق برائحة العرق الذي تصبّب من أجسادنا من جرّاء الخوف طوال الأيام الماضية، الأمر الذي تبطّ معنوياتنا؛ على الرغم من أنّنا كنّا نعرف أنّ الجمهور لن يشم رائحتنا عبر الكاميرات.

غير أنّني حاولتُ أن أتفائل بالخير لأجده، وقلتُ لنفسي إنّنا على الأقل نرتدي ملابس سوداء تناسب مقاسنا، وإنّ تذكاراتنا ما زالت معنا. لكنّ الحقيقة هي أنّ مظاهرنّا تُجسّد حالتنا: فنحن رهانات خاسرة ومُهَمّلة ومَنسِيّة، ولا نستحقّ الحصول على مُصمّم أزياء مُحترِف. مَنْ الذي سيموّل أمثالنا؟

وما زاد الطين بلّة هو أنّ نصف أعضاء فرق التجميل أجهشوا بالبكاء وهم يفكّرون في تأثير حالتنا المزرية على علاماتهم الدراسية، وفرصهم الوظيفية

في المستقبل. ثم عادت دروسيا إلى الشقة غاضبة؛ لأنها لن تتمكن من رفع شكوى رسمية ضد ماغنو إلا بعد نهاية مباريات الجوع. وحين فشلت محاولتها في رفع الشكوى، خطر لها أن تعرّج على شقة ماغنو لتوقظه، لكنه لم يفتح لها الباب، فاستنتجت أنه مات على الأرجح. ويبدو أن موت ماغنو المُحتمل هو ما يبقيها مُتمايكة... أعني موته... بالإضافة إلى الشراب الذي تعبّه عبًا في المطبخ. حاولت ماغز ووايريس أن تساعدانا في التركيز على مقابلاتنا. لكن، هل يستطيع أحد منّا التركيز وسط هذه الفوضى؟

لم نسمع صوت المصعد وسط الضجيج والضوضاء، فتفاجأنا حين رأينا شابة تقف أمامنا وكأنها ظهرت من العدم. كان شعرها بنفسيًا، وفستانها يشبه زهرة المونردة المزروعة البنفسجية. وكانت ترتدي زوجًا من الجوارب الخضراء المزينة بنقوش مربّعة، وتعتمر أربع قبعات سوداء مُكدّسة فوق بعضها بعضًا، وتحمل أكياسًا مليئة بالملابس، وتجرّ عربة تعجّ بالأحذية المُزينة بالأشواك. وبعد أن أدخلت العربة إلى وسط غرفة الجلوس قالت: "هل أنتم مُستعدّون للحصول على إطلاعات أنيقة وباهرة وساحرة؟"

صاحت بروسرينا: "إيفي!" وارتمت بين أحضان الشابة.

فقال إيفي وهي تُرَبِّتُ على ظهر بروسرينا: "لن أدع أختي الصغيرة وأصدقاءها يرسبون بسبب شخص مُتخادِل لم يَقم بعمله".

وعلى الفور، احتشد أعضاء فرق التجميل حول إيفي، وتعالَت هتافاتهم. ومنهم مَنْ صَفَّق، وَمَنْ بكى، وَمَنْ صَفَّق وبكى في آن واحد. رَحَّبَ إيفي بعبارات المديح والإطراء بابتسامة عريضة، ثم قالت بجديّة: "اسمعوني جميعًا، ليست مباريات الجوع مجرّد ألعاب عادية، بل هي طقسٌ مهمٌ يُخلد ذكرى شهداء الحرب الذين ضحّوا بأنفسهم خلال الأيام المُظلمة لبناء السلام وتحقيق الازدهار في بانيم، ومن واجبنا تكريم شهدائنا!"

يبدو أنّ إيفي قد ابتلعت طعم الكايبيتول، والخُطّاف والخيط والصنارة بكاملها. لكنّها على الأقل جلبت لنا معها بعض الأحذية الملائمة للمقابلات. وأضّقت وهي تفتح أكياس الملابس: "عندما اتصلت بي يا بروسبي، ارتبكتُ قليلاً ولم أعرف ما ينبغي لي فعله، ثمّ تذكّرتُ عمّتنا الكبرى ميسالينا ووجدتُ الحلّ!"

فقال بروسرينا: "بالطبع! فعمّتنا الكبرى ميسالينا لا ترمي أي شيء!"

"أجل. إنّ معظم الملابس التي وجدتها قديمة جدًّا، ويعود تاريخها إلى زمن الحرب. لكنّ الحظّ حالفنا؛ لأنّ أزياء زمن الحرب أصبحت رائجة مُجددًا،

وصارت آخر صيحة في عالم الأزياء". ثم حملت فستانًا أسود مُخَرَّمًا، وزوجًا مُتناسفًا من القفّازات وأضافت: "كما أنّ معظم الملابس التي وجدتُها سوداء بسبب كثرة الجنازات في تلك الفترة".

فقال فايتوس مُهَجَّنًا كلامه كلمة كلمة: "أنتِ... رائعة... يا... إيفي... ترينكت!"

"تخطر على بالي أفكار عبقرية أحيانًا! ولا تقلقوا، وجدتُ أيضًا ملابس مناسبة لهذين الشابين؛ فقد كان عمنا الأكبر سيليوس فارسَ الأناقة في شبابه".

يبدو أنّ العم سيليوس كان بالفعل فارس الأناقة في عصره. ولحسن الحظ، كان مَقاسه مُماثلًا لمَقاسي ومَقاس وايات، فلم نحتج إلا إلى بعض التعديلات الطفيفة. ارتدى وايات بذلة توكسيدو. أما أنا فلبستُ بذلة أنيقة مُؤَلَّفة من ثلاث قطع، مع سترة تُقَشَّت عليها كؤوس صغيرة؛ بذلة تليق بشاب مُشاكس مثلي، يُتاجر بالشراب بطرائق غير قانونية. وعندما انتعلتُ حذاءً جلديًا أسود، ووضعتُ أزرارًا على شكل كرة البلياردو السوداء رقم 8 على كم قميصي الحريري الأبيض، اكتمل مظهري، وشعرْتُ كأنتي عارض أزياء.

فقلت لي إيفي وهي تُرَبِّت على كتفي بإعجاب: "الملابس تصنع الرجل". يبدو أنّ إيفي وبروسربينا مُنقَصِلتان عن الواقع، لكنَّهما على الأقلّ ألطف بكثير من دروسيلا وماغنو. كانت زميلتان أنيقتين أيضًا. فقد ارتدت لولو الفستان الأسود المخرّم الذي عُذِّلَ مَقاسه بإتقان ليلائم قوامها. في حين لبست مايزيلي ثوبًا مُخَمَلِيًّا مَكشوف الكتفين، مع شالٍ من الريش، وزوج من القفّازات المُخَرَّمَة السوداء. أدرك تمامًا أنّهم يزيتوننا كما تُرَبِّين الخراف في طريقها إلى الذبح، لكننا على الأقل سنحظى بفرصة للحصول على بعض الممولين".

قال فايتوس لإيفي: "من يراهم لن يصدق أنّهم من المقاطعة الثانية عشرة! ما أكرم عمك الكبرى وألطفها! لقد سمحت لكما باستعارة كل هذه

الملابس".

فأجابته إيفي وهي تعقد حاجبيها: "لم يكن الرفض خيارًا تملكه؛ فقد جلبت العار لعائلة ترنكت، وسيستغرق محو آثار فضائحتها سنوات... حتى لو كان نصف ما يُقال عنها فقط صحيحًا".

عندئذٍ، لفّ فايتوس ذراعه حول كتفها ليواسيها، وهمس قائلاً لها بخجل: "لا يختار المرء أسلافه... كان جدي... من المُتعاطفين مع الثوار ضد الكابيتول".

فقالت إيفي: "حسنًا، لقد ربحت. ما فعله جدّك أسوأ ممّا فعلته عمّتي الكبرى. لكن، عليك أن تفتخر بنفسك لأنك لم تحدّ حذوه!"

عندما خرجت دروسيلا من المطبخ، صُدّمت حين رأت أزياءنا، وأخذت تحدّق إليها بدهشة: "ماذا حدث هنا؟ من أين أحضرتهم هذه الأزياء؟"

فأجابتها بروسربينا بفرح، وهي تدفع أختها إلى الأمام: "من أختي!"

وقالت إيفي بتواضع: "شرف لي أن أساعد هؤلاء المجالدين من أجل بانيم".

تتالت على وجه دروسيلا تعابير الحيرة والارتياح والإعجاب، قبل أن تطغى عليها أخيرًا تعابير الاستياء. "لن أدع ماغنو يأخذ الفضل على هذه التصاميم! أنت... ثمّ أمسكت بذراع إيفي وتابعت: "... ستأتين معنا. وسأقول للجميع إنّك من صمّمت أزياء مُجالدي المقاطعة الثانية عشرة الليلة".

فقالت إيفي مُعترضة: "لكن، ليس لديّ تصريح للذهاب إلى خلف الكواليس!"

وأجابتها دروسيلا: "سأتكفل بالأمر". ثم أشارت لنا بيدها نحو الباب قائلة: "هيا بنا يا أنتم. فلنحاول الوصول إلى فعّالية واحدة على الأقل في الميعاد!"

وعلى الفور، وضعت بروسرينا علبة من مساحيق التجميل في يد إيفي
قائلة: "يجب أن نضع اللمسات الأخيرة على مظاهرهم!"

وقالت لها إيفي: "دعي الأمر لي!" ثم نظرت بقلق إلى لولو التي كانت
تكشّر عن أنيابها. "أظنّ أنّ أحمر الشفاه الفاتح سيليق بكِ أكثر".

حينئذٍ أضافت مايزيلي: "ويجب تفتيح لون مساحيق التجميل التي تغطّي
وجنتيها".

فقالت إيفي: "أوافقك الرأي". ولوهلة، حُيِّلَ إليّ أنّهما شابتان في مهمة
لتجميل العالم. ثم رفعت إيفي علبة بودرة صغيرة، وطلبت رأي مايزيلي: "ما
رأيك باللون الخوخي؟"

"هذا أفضل بكثير!"

"مهلاً! لا تتحرّكي". وانتزعت إيفي ريشة مكسورة من شال مايزيلي.
"هذا أفضل. أنتِ الجمال بعينه!"

"هل أفسدت طلاء رموشي؟"

"لا، لا تقلقي. لكنّ رموشك طويلة وقد تلطّخ أجفانك". وأخذت إيفي
تبحث في علبة التجميل، ثم سحبت منها إسفنجة صغيرة وقالت: "استخدمي
هذه الإسفنجة إذا لطّخ طلاء رموشك أجفانك".

ثمّ سحبت دروسيلا إيفي وجرّتها نحو المصعد، فسقطت علبة التجميل
أرضًا، وتناثرت محتوياتها على السجادة البرتقالية الغامقة. فجمعت أدوات
التجميل، ولممتها عن الأرض، ثم ناولتها إلى إيفي، فنظرت إليّ مُتفاجئة.

"شكرًا لك يا هايميتش على مساعدتي رغم الظروف التي تمر بها".

"شكرًا لك على إحضار هذه الملابس الأنيقة".

"أنتم تستحقون أن تظهروا في أبهى حلّة الليلة! وأنتم برأيي في غاية الشجاعة".

لا خيار أمامنا سوى التحلي بالشجاعة؛ لكنني أقدّر أنّها لاحظت ما نتعرّض له.

في الشاحنة، قرّرت الاستفادة من سترة العم سيليوس، وتسليط الضوء على عملي غير القانوني كتاجر يبيع الشراب. إذ أعتقد أنّ الكابيتول يُصنّف صنع الشراب وبيعه بطرائق غير قانونية ضمن الأنشطة المُشاكِسة غير الخطيرة. كما أتوقّع أنّ الجمهور- إذا كان هو نفسه جمهور موكب الاستعراض- سيتعاطف مع الشاب الذي يُخالف القانون لمساعدة أبناء مقاطعته في الاستمتاع ببعض الشراب. هذه أفضل فكرة خطرت على بالي حتى الآن، وهي قائمة على الحقيقة. إنّما سأتظاهر بأنني أعمل وحدي؛ كيلا أسبّب المتاعب لهاتي.

بدأ القلق يعتريني؛ فما زلتُ لا أعرف أيّ تفاصيل عن خطة تدمير ساحة القتال، ولا عن عملية تهريب القطع التي نحتاج إليها إلى ساحة القتال. لكن، بما أنّ ماغز ووايريس أدنّ لهما بمرافقتنا إلى مقابلاتنا، أظنّ أنّ بيتي سيرافق مجالدي مقاطعته أيضًا.

تُصوّر المقابلات المُتلقّزة في مسرح يتسع لجمهور يتألّف من آلاف الأشخاص. ونبّهتنا دروسيلّا إلى أنّ البث سيكون مباشرًا؛ لأنّ جمهور الكابيتول لن يتمرّد أو يُسبّب أي أعمال شغب مثلما يحصل في المقاطعات، ونصحتنا بالأّ نرتكب أي أخطاء أو نتصرّف تصرّفات غير لائقة؛ لأنّها لن تستطيع أن تُنقذنا هذه المرّة. أضحكنتني بكلامها، وبدا لي كما لو أنّ شيطانًا يعظنا. وبعد أن حصلت دروسيلّا على جدول المقابلات الرسمي، ذهبت لتتحدّث إلى سيزار فليكرمان وتُعطيه بعض التوجيهات ونقاط الحوار الأساسية لمقابلاتنا. ثم

سمعتها تهمس له وهي تتعد عنه: "شابة وقحة، وآلة حاسبة، وفتاة مجنونة، وشاب مُشاكِس".

اصطُحِبنا إلى قاعة انتظار خلف الكواليس تُعَرَف باسم "الغرفة الخضراء"؛ على الرغم من أنّ جدرانها بيضاء كالثلج. وكانت الغرفة تعج بالمرشدين والمرافقين والمصممين المنشغلين بوضع اللمسات الأخيرة على مظاهر مجالديهم الذين كانوا يرتدون أزياء أنيقة بألوان مقاطعاتهم المميّزة. حتى إنّ مجالدي المقاطعة الأولى الذين ظهروا بفساتين سهرة وبذلات رسمية في موكب الاستعراض قرّروا أن يتباهوا أكثر الليلة، فلبسوا أزياء لونها أخضر مخاطي، بذيول منسدلة، ومعاطف من الريش تحتلّ مساحة أكبر بثلاثة أضعاف من أزياء باقي المقاطعات.

قالت إيفي وهي تتفحّص أزياء المجالدين الآخرين: "ياه! من حسن حظنا أنّ لون مقاطعتكم هو الأسود؛ فما كنتُ لأعثر لكم على ثياب بلون الزبرجد بهذه السهولة! يا لها من ضربة حظ!"

بصراحة، يبدو مظهرنا باللون الأسود أكثر أناقة وشراسة من الآخرين. وكانت سترتي وصدّرتي فيهما جيوب خفيّة، وحزامي عليه حلقات ناتئة أخبرتني إيفي أنّها لحمل أسلحة "تزيينيّة". ههه، تزيينيّة. كما استبدلت إيفي القميص الأول الذي جرّبته؛ لأنّ عليه لطفة دم مُجمّد لم تُرَل بالغسيل. تُرى، هل فضيحة العمّة ميسالينا والعم سيليوس مُرتبطة بالقتل؟ أشعر وكأنيّ رجل خطير وأنا أرتدي ملابس العمّ سيليوس.

لمحتُ بيتي في بحر من الزرقة الكهربائية يشير إليّ برأسه نحو مائدة الطعام. وبما أنّ دروسيّلا كانت مُشتمّة الانتباه ومُنشغلة بإخبار الجميع أنّ إيفي هي من صمّمت أزياءنا الليلة، تذرّعتُ بالعطش، وذهبتُ لأصّب نفسي كوبًا من العصير. كانت المائدة مُزيّنة بأصناف غريبة عجيبّة؛ كأخذية ذات كعوب عالية مصنوعة من الحلوى، وكافيار مُقدّم في أصداف البحر، وحيوانات صغيرة

مصنوعة من اللحم المفروم المُتَبَّل. لم أتعرف على نصف الأصناف الموجودة، لذا راقبتُ السيدة الواقفة أمامي وقلّدتها؛ فدهنتُ قطعة من جبن الماعز على مربعٍ من حلوى الفول السوداني المقرمشة وأكلتها. ممم، لم أتوقّع أن يكون طعم الجبن مع الفول السوداني لذيذًا إلى هذه الدرجة.

اقترب منّي بيتي وأنا أصب لنفسي كوبًا من العصير، فتناول مِلْقَطًا فصّيًا وأخذ ينتقي الخضروات المصفوفة على شكل باقة ورود في طبق كبير، ويضعها حبة حبة في صحنه. كان منظره مثيرًا للسخرية!

فقلتُ له ساخرًا: "هل من خطب في أصابعك؟"

فردّ عليّ بصوت خافت: "أنا أحاول ألا ألفت الأنظار إليّ".

فجِلتُ بنظري في الأنحاء، ولمحتُ عددًا من الجنود يراقبوننا من كتب. وما إن بدأ جنديّان بالاقتراب منّا، حتى سمعنا جلبة عند الباب. ثمّ دخل ماغنو ستيفت إلى القاعة، حاملاً على رأسه قفصًا مليئًا بالزواحف وهو يصيح: "مَن منكم مستعدٌّ للمشاركة في احتفال لا يُنسى؟"

عندئذٍ، عدّل الجنديان مسارهما واتّجها نحو ماغنو. واستفاد بيتي من هذه الجلبة؛ فالتقط حبة فجل صغيرة بالملقط، وهمس لي بسرعة وبصوت خافت: "اتّجه شمالًا في ساحة القتال، وسيلاقيك أمبيرت بعد أن يحصل على المتفجّرات. يمكنك أن تلحق بالكائنات المُعدّلة جينيًّا بعد نهاية هجومها على المجالدين، للعثور على إحدى البوابات. وبعد أن تلتقي أمبيرت، انزل إلى خزّان المياه في الطابق السفلي - ألف. لقد استبدلنا الحبل الأسود في تذكّار أمبيرت بفتيل، وأخفينا فيه كبسولة التفجير".

فشربتُ جرعة كبيرة من العصير، وأنا أحدّق إلى تذكّار أمبيرت بطرف عيني. إنّه نسخة طبق الأصل عن القلادة المصفورة التي صنعتها له مايزيلي؛ ولا يمكن رؤية كبسولة التفجير المُخبّأة فيه. لم يقل لي بيتي كيف استطاع أن يهرّب الفتيل والكبسولة عبر نقاط التفتيش، وكيف تمكّن من استبدال التذكّار

الأصلي، غير أنني حزرْتُ أنّ لدى الثوار عميلاً في صفوف الكابيتول يساعدهم في القيام بتلك الأمور.

وأضاف بيتي: "لقد وضعنا معجونة مُتفجّرة في كل زهور دوار الشمس التي يرتديها مجالدو المقاطعة التاسعة".

"لكنّ زهورهم صلبة. وقد تحطّمت زهرة كبرنا عندما وقعت على الأرض".

"هذا صحيح. لكننا استبدلنا زهورهم بأخرى مَصنوعة من المعجون المُتفجّر المُغطّى بطبقة من الصمغ الطبيعي. بلّل الزهرة بالماء، وافركها بيدك لإذابة طبقة الصمغ عن المعجونة كي تتمكن من عجنها".

"هل يعرف مجالدو المقاطعة التاسعة شيئاً عن الخطة؟"

"لا. سينتشل أمبيرت إحدى الزهور منهم". يقصد أنّ أمبيرت سيأخذ إحدى الزهور عندما يموت أحدهم في ساحة القتال؛ على الأرجح خلال المعركة الأولى التي تحصل في العادة أمام "قرن الوفرة". "وسيحاول انتشار أكثر من واحدة إن استطاع. فلا ضير في الحصول على قطع بديلة. وإذا لم يستطع أمبيرت أن يلقاك في شمال الساحة..." وغصّ بيتي وهو يقول الجملة الأخيرة؛ فكلانا نعرف السبب الذي قد يمنع أمبيرت من الوصول إليّ. ثم شرد في حبة طماطم صغيرة في صحنه قبل أن يُضيف: "... لقد استبدلنا أيضاً..."

حينئذ، شعرْتُ بحفيف بعض القماش الحريري على مرفقي، فالتفتُّ لأجد يمامات المقاطعة السادسة الأربع واقفات أمامي بأزياء رمادية برّاقة. فابتعد بيتي عنّا مُتّجّها نحو هرم من كريات اللحم من دون أن يكمل جملته أو يودّعني أو يتمنّى لي الحظ.

همست لي ويلي: "قال أمبيرت إنّ علينا أن نتجمّع فور دخولنا ساحة القتال".

يبدو أنّ آمبيرت يخطّط على الأرجح للبقاء مع الآخرين حتى يسهل عليه أخذ زهور دوار الشمس من مجالدي المقاطعة التاسعة حين يسقطون صريعين في ساحة القتال. أمّا أنا، فلديّ مهمّة أخرى لا تشمل حماية هذا السرب.

فقلتُ لويلي: "هذه خطة جيّدة".

"وقال أيضًا إنّه يجب على المجالدين الأكبر حجمًا أن يحاولوا الحصول على بعض الأسلحة قبل أن ينضمّوا إلينا".

"سأحاول". لكنني في الحقيقة لن أتمكّن من حمايتهم في ساحة القتال؛ فعليّ أن أصبّ كامل تركيزي وجهدي على تفجير خزان المياه. سأفعل كل ما في وسعي للنجاح في أداء هذه المهمّة، أو سأموت وأنا أحاول. "سأكون وقرًا خلال مُقابلتني، وسأقول أشياء لا أعنيها يا ويلي. فهذا جزء من العرض الذي اتّفقتُ عليه مع رفاقي في المقاطعة الثانية عشرة. لكنني أعدك بأنني لن أؤذيكِ أو أيًّا من المستجدين أبدًا".

فقالت لي ويلي وهي تنظر إليّ بعينين ملوّهما الثقة: "لا شك لدينا في أنّك لن تؤذينا".

إنّهم يثقون بي أكثر ممّا ينبغي. يجب أن أبتعد عنهم من أجل مصلحتهم.

فأضفتُ: "ثمّة أمر آخر أريد أن أخبرك إياه. كما تعلمون، لقد حصلتُ على علامة 1؛ ما يعني أنّ مُصمّمي المباريات يستهدفونني على الأرجح، وأنّ وجودكم معي في ساحة القتال سيضعكم في خطر. لذا، أنا أفكّر في خوض المباريات وحدي".

"لكنّهم يستهدفوننا جميعًا، ونحن بحاجة إليك".

"لن أجلب لكم سوى المتاعب إذا أرسل مُصمّمو المباريات كائنات مُعدّلة جينيًا لقتلي أو لمطاردتي إلى أن أقع بين أيدي المُجالدين المُحترفين.

لذا، أخبرني الآخرين بضرورة الابتعاد عني. هل اتفقنا؟"

في الجهة المقابلة من الغرفة، كان منظر ماغنو يوحى بأنه ما زال تحت تأثير سم الضفادع. وبعد أن حاصره الجنود في زاوية، أطلق سراح ثعبان طوله ست أقدام من القفص، وراح يلوح به في الهواء لإجبارهم على التراجع، وهو يصيح: "أين مجالدو المقاطعة الثانية عشرة؟ عليّ أن أجهّزهم!"

فبدأ الناس يصرخون من الخوف، واحتشد جنود حفظ الأمن للتشاور حول أفضل طريقة للقبض على ماغنو والثعبان، فيما ارتسمت تعابير الفرح والبهجة على وجه دروسيللا وهي تصيح قائلة لهم: "اطرحوه أرضًا! اطرحوه أرضًا!"

وما إن أخرج الجنود صواعقهم الكهربائية ليهاجموا على ماغنو، حتى ذهبت إليه لولو، ومدّت يدها لتأخذ الثعبان منه قائلة: "هذا لي!"

فابتسم ماغنو ابتسامة عريضة، ووضع الثعبان على كتفَي لولو، ولفّ الذيل حول عنقها قائلاً: "هكذا نرتدي الثعابين".

فشبكت لولو الثعبان على ذراعها، بحيث استقرّ رأسه على يدها، ثم رفعتة عاليًا، فانحنى ماغنو وقبّل الثعبان. لو أردت أن ترى صورة صارخة للجنون، فما عليك إلا أن تنظر إلى تلك الطفلة الصغيرة المكسورة التي تنهادر بثعبان، وإلى مُصمّمنا المَعْتوه المُتَسَمِّم.

فاقترب وايات من لولو، ووضع يده على كتفها لاصطحابها إلى فريق مقاطعتنا. ويبدو أنّ الثعبان قد منح لولو شعورًا بالقوّة، فمرّت بين مُجالدي المقاطعات الأخرى الذين يفوقونها حجمًا بثلاثة أضعاف، وهي ترفع الثعبان في وجههم وكأنّه سلاح، وتفحّ بتحدّ.

عدتُ إلى فريق مقاطعتي في اللحظة التي أضاءت فيها شاشة التلفاز في الطرف الآخر من القاعة، وظهرت عليها يد خفيّة ترسم الرقم "50" على خلفية

صورة المسرح، فيما أعلن أحد: "سيّداتي سادتي، مرحبًا بكم في مقابلات الدورة الخمسين من مباريات الجوع! وها هو مُضيفكم المُفضَّل، حبيب الجماهير، سيزار فليكرمان".

نزل سيزار إلى المسرح من السقف وهو يجلس على هلال، ولمعت وراءه نجومٌ على خلفية سماء قاتمة. وكان يرتدي بذلة زرقاء داكنة مائلة إلى السواد، ومُرصَّعة بمصايح صغيرة براقية. إنَّه يرتدي البذلة نفسها كل عام، ويُغيّر لون شعره وحاجبيه وشفتيه. وقد اختار الليلة صبغة خضراء غامقة. قد يرى بعض النَّاس أنَّ لون شعره أو حاجبيه خيار جريء مُبتكَّر، لكنَّه يبدو كالغيلان بشفتيه الخضراوين. إنَّما لا تدع مظهره يخدعك؛ فحين ابتسم للجمهور ابتسامة عارِفة تعرض أسنانه البيضاء الناصعة، عرفتُ أنَّ تحت كل هذه الزينة يكمن عقل فدّ. وما إن ترجّل سيزار عن القمر، حتى فتح ذراعيه باتجاه الجمهور وهتف: "مساء الخير، يا سكاّن بانيم! هل أنتم مستعدون لبعض المرح والتسلية؟" فردّ عليه الجمهور بعاصفة من التصفيق والهتاف.

في الغرفة الخضراء، صفتُ مُصمِّمة مباريات شابة مُجالدي المُقاطعتين الأولى والثانية، وشرحت لهم ترتيب ظهورهم على المسرح، ثم أخذتهم إلى الكواليس.

وعلى الشاشة، كان سيزار يقدم موجزًا سريعًا عن دورات مباريات الجوع التسع والأربعين السابقة؛ بدءًا من الدورات البدائية المُبسّطة التي نُظمت في السنوات الأولى بعد الحرب، والتي كان المجالدون يُرمون خلالها في صالة رياضية قديمة مُهدّمة ليتقاتلوا حتى الموت ببعض الأسلحة. وحين وصل إلى الدورة العاشرة وقال إنَّها كانت نقطة محورية في تاريخ المباريات، تحمّست؛ فهذه هي الدورة التي فازت بها الشابة الغامضة من المقاطعة الثانية عشرة. لكنّ سيزار لم يذكر الشابة قطّ، بل ركّز على أنَّ مُصمِّمي المباريات استحدثوا في هذه الدورة فكرة المراهنة على المجالدين وتمويلهم، وإرسال طائرات مُسيّرة مُتداعية تحمل لهم المياه والطعام إلى ساحة القتال.

منذ ذلك الحين، تحوّلت المباريات من عقاب صارم للمقاطعات، إلى وسيلة ترفيهية لجمهور الكابيتول. فهجر مُصمّمو المباريات الصالة الرياضية الأصلية التي كانت تُستخدَم كساحة قتال، وصاروا يبحثون عن مواقع مناسبة للقتال في البرية أو في المدن المُدمّرة، ويعطون المجالدين تشكيلة مُتنوّعة من الأسلحة، ويُرسلون مختلف أنواع الكائنات المُعدّلة جينيًا لمطاردتهم.

وكانت الدورة الخامسة والعشرون- أي الدورة الأولى من المباريات الربعية- من أفضع الدورات؛ إذ أُجبرت المقاطعات على ترشيح مجالديها بنفسها بدلًا من الاعتماد على حفل الحصاد. آنذاك، كان المضيف فردًا آخر من عائلة فليكرمان اسمه لافي، وكانت ترافقه امرأة مسنة اسمها غول، تُقدّم تعليقات على المباريات والمجالدين، حتى إنّها هي التي ابتكرت عبارة "أتمنى أن يتسم الحظ لكم دائمًا!" بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين من مباريات الجوع. فشاع استخدام هذه العبارة لتمني الحظ، إلّا أنّها تحمل دلالة سادية حين تُقال للمجالدين؛ لأنّ ثلاثة وعشرين من أصل أربعة وعشرين منهم سيلقون حتفهم في المباريات.

كما كانت المباريات الربعية الأولى هي المرّة الأولى التي يُقدّم فيها مُصمّمو المباريات المجالدين للكابيتول في موكب من العربات التي تجرّها الخيول في الشوارع، وفي أزياء تعكس هوية كل مقاطعة. وبدلًا من البحث عن موقع جديد للألعاب في البرية أو المدن المدمرة كالسابق، شيّدوا ساحة قتال مُعدّة للاستخدام مرة واحدة فقط، واستحدثوا الهيكل الذي يشبه قرن الماعز، وملأوه بالأسلحة والمؤن؛ ما أدّى إلى اندلاع أول مجزرة دامية في تاريخ مباريات الجوع بغرض الحصول على الأسلحة والطعام.

وخلال السنوات الأربع والعشرين الماضية، صار مُصمّمو المباريات يتكرون ساحة قتال جديدة كل عام، ويستلهمون من بيئات أو مواضع مختلفة، تتراوح ما بين الصحاري القاحلة والبراري الجليدية القاسية، وصولًا إلى ساحة الانعكاسات التي حاربت فيها وايريس العام الماضي، والتي سُمّيت

باسم "عش المرايا". فصار سيزار يُلمَّح للجمهور بأثمه سمع بعض الشائعات التي تفيد بأنَّ ساحة قتال الدورة الثانية من المباريات الربعية ستكون أكثر إبهارًا من كل الساحات السَّابقة. هل يستطيع الجمهور تخيُّل ساحة القتال؟ بالطبع لا. وهل ستخطف الساحة الأنظار؟ بكل تأكيد.

تعرَّرت معدتي، فشعرْتُ بالارتياح لأنني لسْتُ مُضطَرًّا إلى اعتلاء المسرح أوَّلًا. كما فرحتُ لأنَّ مُجالدي المقاطعة الأولى هم من سيفتتَحون المقابلات. وعندما نادى سيزار سيلكا إلى المسرح، اعتلَّت المسرح بخطى واثقة، وهي تجرُّ خلفها ذيل فستانها الأخضر المخاطي الذي يبلغ طوله خمس عشرة قدمًا.

فقالت مايزيلي بصوت مرتفع: "يعمع، تبدو كالبرّاقة". فتعالت بعض الضحكات المُتوتِّرة في الغرفة الخضراء. لكنَّ ما كان يدور حقًّا في أذهاننا هو أنَّ طول سيلكا يتجاوز ست أقدام من دون كعب عالٍ، وأثَّها تستطيع أن تصيب قَلْبَ دمية بفأس من مسافة خمس عشرة قدمًا؛ وهذه مهارة لا يُستهان بها.

وبما أنَّ عدد المجالدين كبير هذا العام، سيحظى كلُّ مُجالد بدقيقتين فقط على المسرح. وبين كل أربع مقاطعات، سنأخذ استراحة ترفيهية قصيرة.

فأخذت سيلكا تتفاخر بطولها وقوَّتها ومهارتها في رمي الفؤوس، كما تباغت بحصولها على علامة 10. ولم تُكَلِّف نفسها بذكر تحالفها مع المحترفين، حتى إنَّها عندما سألتها سيزار عنهم، قالت ببساطة: "من المفيد أن يكون معك أشخاص يساعدونك على التخلُّص من الأعداء".

بعدها، حان دور باناش فاعتلى المسرح، وتوقَّف ثلاث مرَّات ليأخذ وضعية استعراضية ويتباهى بعضلاته المفتولة أمام الجمهور. فصاح سيزار: "أقدِّم لكم باناش من المقاطعة الأولى!" ثم سأله: "إدَّا، أخبرني عن مواهبك يا باناش. لماذا ينبغي للجمهور أن يدعوك؟"

فأجابه باناش: "لأئني المجالد الأضحم والأقوى والأفضل!" ثم أخذ وضعية استعراضية أخرى.

حينئذ، قال سيزار ساخرًا: "يا للعجب! كلُّ هذا اللحم يصلح للشواء!"
فربت باناش على رأسه بغطرسة قائلاً: "هذا صحيح. كُلِّي لحم وعضلات، أيها القصير".

كم هو شخص مقيت. لا شك في أنّ إهاتته جرحت سيزار، لكنّ هذا الرجل مُحترِف، فردّ على باناش بدهشة مُصطَنعة: "أأنت حقا لحم وعضلات فقط؟ أما عندك أي ذكاء وفطنة؟"

فتعالت قهقهات الجمهور. عندئذ، قطب باناش حاجبيه حائرًا، ثم تبدلت تعابير وجهه، وقدحت عيناه شررًا. "بالتأكيد عندي... فرأسي مليء بالمادة الرمادية".

فأوما سيزار برأسه بجديّة؛ كما لو كان يحاول أن يستوعب ما قاله باناش، فانفجر الجمهور ضاحكًا، واستشاط باناش غضبًا. فتذكّرت نافذة القطار التي وقعت ضحية لغضبه، وتهيأ لي لهنيهة أنّه سيهجم على سيزار على الهواء، غير أنّه تمالك نفسه في اللحظة الأخيرة، وصرخ على الجمهور: "علام تضحكون؟"

فقال سيزار: "أعتقد أنّ المادة الرمادية قد نفدت عنده".

فتعالت ضحكات الجمهور الهستيرية، وضحكُ معهم إلى أن تذكّرت أنّ السخرية لا تطال باناش وحده، بل تطال جميع المجالدين. فبالنسبة إلى الكابيتول، إنّهم أبغال المقاطعات التي لا تستحق الحياة؛ الألعاب التي يتسلى بها الكابيتول لفترة قصيرة ثم يتخلّص منها عندما يسأم منها. فعَلقت الصّحكة في حلقي.

هدأ سيزار الجمهور واستأنف المقابلة: "كنت أمارحك يا باناش، فقد رسبت في مادة علوم الأحياء. إذًا، لنعد إلى موضوعنا، ما سلاحك المفضل؟"

فقال باناش: "قبضتاي"، وهو يرفع قبضته في وجه سيزار.

فترجع سيزار خطوة صغيرة إلى الوراء، وأدار وجهه إلى الجمهور هامسًا: "كلّ شبر منه لحم وعضلات".

وهكذا، انتهى أمر باناش. وعُرِضَتْ لقطات من الجمهور وهو يضحك بقوة، ودموع الجميع تسيل من فرط الهستيريا. وتظاهر سيزار بأنه يُحاول مُتابعة المقابلة، ثم صار يتراجع مُدَّعِيًا الخوف كلما اقترب باناش منه. ومع أنّي لا أطيق باناش، إلا أنّي لا أظنه يستحق هذه المعاملة. وحين فُرع الجرس مُعلِنًا انتهاء وقته على المسرح، غادر مُغتاظًا بعد أن مُسِحت بكرامته الأرض أمام الجميع.

يبدو أنّ بقية مجالدي المقاطعتين الأولى والثانية أدركوا أنّهم مُعرّضون أيضًا لوصمة الغباء والوحشية، فبادروا إلى استعراض مهاراتهم القتالية ومزايا عضويتهم في تحالف المحترفين. لكنّ باناش ألحق ضررًا بالغًا بصورتهم؛ فكلّمًا تباهى أحدهم بعضلاته، رمقه سيزار بنظرة تهكميّة جانبية تُضحك الجمهور. فتذكّرُ ما كان والدي يقوله دائمًا: "الضحك على شخص يقضي على هيئته، ويُسقط الأقوياء عن عروشهم". ومع أنّه كان يتحدّث عن قيادات الكابيتول، إلا أنّي أظنّ أنّ مقولته تنطبق على المحترفين أيضًا.

وكان التركيز مَصبوبًا على المحترفين؛ إلى أن اعتلى ديو المسرح، واستهلّ مقابلات المقاطعة الثالثة مُعلِنًا عن اسم تحالفنا، وذاكرًا أسماءنا ومهاراتنا واحدًا واحدًا. أما آمبيرت، فشرح نظريته القائمة على أنّ المجالدين في مباريات الجوع الماضية كانوا يؤمنون بأنّ المحترفين أفضل منهم وأكثر استعدادًا بكثير؛ ما أتاح للمحترفين أن يُحقّقوا عددًا كبيرًا من الانتصارات. ثمّ شدّد على أنّ كل ما يلزم لقلب الموازين هو إقامة تحالف يفوق عدد أعضائه

عدد المحترفين. ومع أنه لم يتحدّث عن مهاراته الشخصية، إلا أنّ حديثه كان ينمّ عن ذكاء فائق؛ لدرجة أنّ سيزار أثنى عليه على الهواء. في الواقع، كان مجالدو المقاطعة الثالثة أذكيا ومُنسّقين ومُتعاونين؛ في تناقضٍ صارخ مع المحترفين، فنالوا تصفيقًا حارًّا.

ثم جاء دور مجالدي المقاطعة الرابعة، فاعتلوا المسرح ومعهم رماح وشباك لاستعراض مهاراتهم البدنية، إلا أنّهم لم يكونوا مُستعدّين لمناقشة استراتيجيتهم القتالية ضدّ المُستجدين. وحين بدأ سيزار بطرح أسئلة عليهم حول هذا الموضوع تلعثموا في الإجابات، وبدأت ابتساماتهم تتشقق. "يبدو أنّ المُستجدين أذكيا حقًّا! أليس كذلك؟"، "ثرى، ماذا يحملون في جعبتهم غير الذكاء؟"، "ما رأيكم بعددهم الكبير؟"، "وما خطة المحترفين لمحاربة المُستجدين؟"

وبحلول الاستراحة الأولى، كانت سيرة المُستجدين على كل لسان في الكابيتول. وفيما كان الجمهور يُشاهد مقتطفات من أزياء المجالدين التي تركت بصمتها عبر تاريخ مباريات الجوع، عقد مجالدو المقاطعة الخامسة اجتماعًا طارئًا في الغرفة الخضراء؛ إذ لم يبقَ لتحالف المحترفين إلا مقاطعة واحدة للترويج لقوّتهم ضدّنا. فما تبقى من الأمسية مُخصّص للمستجدين.

وعلى الرغم من التزام المقاطعة التاسعة بتحالف المستجدين، بقي مجالدوها مُنعزلين عنّا؛ إمّا لأنهم خجولون أو لأنهم ببساطة ليسوا اجتماعيين. فذهبتُ لألقي التحية عليهم، مُننّهزًا الفرصة لأتفحص تذكاراتهم خلسة. ولاحظتُ أنّ تذكاراتهم المُزيّفة صُنعت بالدقة والحرفية نفسيهما اللتين صُنعت بهما نسخة تذكارات أمبيرت. حتى إنّ الشقوق الصغيرة في زهرة كيرنا تبدو واقعية؛ لدرجة أنّني شككتُ في ما إذا كانت الأصلية أو المزيّفة. لا أريد أن يقبض عليّ الجنود وأنا أحاول تفجير الخزان بعجينة من الطحين والملح، لكن عليّ أن أثق بيّتي؛ فلا شك في أنّه يثق بي.

وبعد الاستراحة، بذل مجالدو المقاطعة الخامسة جهدهم لتسليط الضوء على نقاط ضعف المستجدين؛ فتكلّموا عن صغر أحجامنا وقلّة خبرتنا القتالية، ولكنّهم لم يملكو خطة مُتماشكة لقتالنا- ربما لأنّهم يستحقّون بنا- فتناقضت إجاباتهم مع بعضها بعضًا. وكان من الواضح أنّهم لم يتناقشوا في ما بينهم حول بعض المسائل المهمّة: هل سيبقون معًا أو سيفترقون في ساحة القتال؟ هل سيتشاركون الطعام والماء؟ من قائدهم؟ وهل سيُطيعونه؟ وحين عجزوا عن تقديم إجابات مُقنعة، غلبتهم رغبتهم في الترويج لأنفسهم وإنقاذ سمعتهم الشخصية.

شعرثُ ببعض القلق عندما حان دور يمامات المقاطعة السادسة. لكن، ما إن وقفت ويلي أمام الميكروفون، حتى انتهى دور المحترفين رسميًا، واستولى المستجدون على المسرح. وحين أخذت ويلي تجيب من دون تردّد عن الأسئلة التي استصعبها مجالدو المقاطعة الخامسة، غدا صغر حجمها تفصيلًا ثانويًا تافهًا: "سنبقى معًا في ساحة القتال، لكننا قد نشكّل مجموعات- إن دعت الحاجة- لمطاردة المحترفين".

"سنتقاسم المؤن من دون شكّ. فهذا هو التصرف المنطقي".

"ليس لدينا قائد، وهذا أفضل لأننا سنخسر بعضًا من رفاقنا في القتال. لذا، جميع المستجدين مُلتزمون بإنجاح التحالف. لكن أمبيرت هو صاحب الفكرة؛ وهو من جمعنا. وقد أقسمنا جميعًا على التمسك بخطّته، وحماية بعضنا بعضًا حتى الرمق الأخير".

ربّما قرّر أمبيرت ألا يخبرني عن خطته للمقابلات المتلفزة لأنّه يعرف أنّني سأكون مُنشغلًا بالجزء المُتعلّق بالتخريب، إنّما من الواضح أنّ المُستجدين على أتمّ الاستعداد للمقابلات. لم يتكلّم أحد منهم عن نفسه أكثر من اللازم، بل شدّدوا على أنّ قوّتنا تكمن في تحالفنا، وسلّطوا الضوء على مزاياها التي تعطينا أفضلية في ساحة القتال؛ إذ إنّ صغر حجمنا يسهّل علينا

تسلّق الأشجار والتخفي والاختباء، وأجسادنا الصغيرة لا تحتاج إلى الكثير من الغذاء للنجاة، وثقتنا بعضنا ببعض تعطينا فرصة للنوم فيما يحرسنا حلفاؤنا؛ ما يعني أنّ المحترفين لن يغمض لهم جفن في ساحة القتال، وذكاؤنا الجماعي الفائض- فأعضاء تحالفنا أذكىء للغاية- سيُفيدنا في التخطيط والابتكار والعتور على الطعام. وحين سنحت لهم الفرصة للتحدث عن مهاراتهم الشخصية، لم يتباه أيّ منهم بنفسه، بل تحدّثوا عن سُبُل توظيف مهاراتهم لخدمة المجموعة.

قد لا يكون الفوز في المباريات من نصيبنا، لكنني مُتأكد من أنّ أهلنا وأحباءنا يفتخرون بما نفعله.

وبعد الاستراحة الثانية التي عُرِصَت فيها مقاطع عن أفضع الكائنات المُعدّلة جينيًّا في تاريخ مباريات الجوع، واصل المستجدون تعزيز موقفنا. وبلمح البصر، حان دور المقاطعة الثانية عشرة.

رغم كلّ ما أثاره المُستجدّون من إعجاب، أظن أنّ سيزار بدأ يسأم من قصص التضحية والعزم والوقار؛ فتلك الأشياء لا ترقّه عن جمهور الكابيتول. لذا، بعد أن سألنا بضعة أسئلة سريعة عن تحالف المُستجدين، انتقل بحماسة إلى الصيت الذي اكتسبناه في الأيام الماضية.

فظلّ يُلجّ على مايزيلي حتى أمطرت الناس الجالسين في الجزء الأوسط من الصف الأمامي بوابل من التعليقات الساخرة على ذوقهم السيئ، وحصدت ضحكات هستيرية. فقالت لرجل يرتدي بذلة مصنوعة من الأوراق النقدية من فئة 100 دولار: "ياه، لقد ارتديت كل أصدقائك الليلة!" وخاطبت أيضًا امرأة على رأسها أدنا قطعة مَزروعتان جِراحِيًّا: "هل معك دواء للبراغيث في حقيبتك؟"

ثمّ استعرض وايات مهاراته في حساب احتمالات مُعقّدة، فأخرج أحد مُصمّمي المباريات آلة حاسبة ليؤكّد صحتّها. واندهش سيزار عندما حسب وايات المبلغ الذي سيصرفه أحد المُموّلين إذا أراد أن يُرسِل طائرًا محشوًّا إلى

مجالد في ساحة القتال بعد أسبوعين من بداية المباريات؛ مع مراعاة تضخم الأسعار التي تزيد بنسبة ثمانية وثلاثين في المئة يوميًا. فقال سيزار مُنبهراً: "رستُ في العلوم، ولم أكن بارعًا في الحساب أيضًا! لا أعلم إذا كان الحظُّ سيُحالفك في ساحة القتال يا وايات. لكن، إذا قُزّت، فساخذك معي إلى الكابيتول!"

وتألقت لولو على المسرح وهي تحمل ثعبانها وتكشّر عن أنيابها أمام الجمهور. وعرّفت عن نفسها بجملتها الشهيرة المعتادة، ثم صارت تفتح في وجه سيزار كلما طرح عليها سؤالاً. وحين علت ضحكات الجمهور، جلسَت القرفصاء على طرف المسرح، وأخذت تلوّح بالثعبان في وجه الجالسين في الصف الأول، فتظاهر بعضهم بالخوف وتراجعوا مازحين، فيما مدّ الجريئون منهم أيديهم للمسّه. كانت لولو تستميل الجمهور إلى صفّها وتأسر قلوبهم شيئًا فشيئًا، إلى أن طرح عليها سيزار سؤالاً جريئًا لم يطرحه على أيّ من المجالدين الآخرين الليلة؛ ومن الممكن أن يكون قد استلهمه من جرأتها: "ماذا سيفعل المستجدّون إذا نجحوا في القضاء على المحترفين يا لوبلا؟"

ففتح الثعبان في وجه امرأة مُرصّعة بالجواهر، فيما بدأت لولو تصيح: "ستقتلوننا! ستقتلوننا!"

أضحكتهم الطفلة الغريبة التي لفت ثعبانًا على كتفيها، إنّما تحوّلت ضحكاتهم إلى شهقات وأصوات تُعرب عن الاستياء والاستهجان حين بدأت الطفلة بمهاجمة الكابيتول. لكنها لم تتراجع.

إذ ظلّت تكرر: "ستقتلوننا! ستقتلوننا!" ونبرتها تعلو وترتفع مع كل كلمة، حتى أصبحت حادة تقشعّر لها الأبدان. "ستقتلوننا!"

ثم بدأت لولو تزحف على طرف خشبة المسرح، وتشير إلى الجالسين في الصفوف الأولى واحدًا واحدًا صارخةً: "أنت! وأنت! وأنت! وأنت! كلّكم ستقتلوننا!"

عندئذٍ، تبخّرت برودة أعصاب سيزار المعهودة، فأخذ يتراقص خلفها ويحاول أن يعيدها إلى رشدها لمتابعة المقابلة: "لويلا... يا لويلا... مع الأسف، لا يمكن إلاً لمجالد واحد الفوز في مباريات الجوع. هل تسمعيني يا لويلا؟ إنَّها حقًا عنيدة! لو سمحتم، هل من أحد يساعدي؟!"

ثمّ خفت صوتها فجأة، وانقلبت مقلتها إلى الأعلى، وبعد ذلك هَوّت على أرض المسرح الخشبية هامة.

فقال سيزار: "لقد أُغمي عليها من فرط الانفعال!" لكنني مُتأكّد من أنّ مُصممي المباريات لهم علاقة باغمائها. يبدو أنّهم دسّوا لها مادة مُهدّئة من خلال الجهاز المغروس في صدرها. سُمِحَ لوايات بالعودة إلى المسرح لأخذ لولو، فيما سارع سيزار إلى تقديمي للجمهور: "سيّداتي سادتي، أقدم لكم آخر مجالد معنا هذا المساء، هايميتش آبرناثي، القادم من المقاطعة الثانية عشرة!"

أخذتُ وقتي، واعتليتُ المسرح ببطء؛ فلا أظنّ أنّ رجلاً يرتدي سترة عليها كؤوس شراب سيكون على عجلة من أمره. وكان سيزار لا يزال يحاول تدارك ما حدث مع لولو، فدخل مباشرة في صلب الموضوع: "تضاعف عدد المجالدين في ألعاب هذا العام. كيف سيؤثّر هذا على فرصتكم في الفوز يا هايميتش؟"

هذه هي المرة الأولى التي أتحدّث فيها أمام الجمهور، وأريد أن أترك لديهم أثرًا لا يُنسى. لذا، قرّرتُ ألاّ أحتذي بالعمّ سيليوس، بل أن أتصرّف كؤدباين تشانس، الذي كان ينبغي له أن يقف مكاني الليلة. فعلى الرّغم من أنّه كان يثير المتاعب، إلاّ أنّه كان محبوبًا بين الناس؛ ولا سيما الفتيات، لأنّه شقي صغير لم يُحسب له حساب بسبب صغر سنّه.

فهزرتُ كتفيّ، وتعمّدتُ أن أظهر في كلامي بعضًا من الشقاء الذي اشتهر به وُدباين. "لا أظن أنّ زيادة عدد خصومي ستحدث أي فرق؛ ما دام

الغباء مُتَفَشِّيًا في صفوفهم".

فقهمه الجمهور مُوَافِقًا.

حينئذ، ابتسمت ابتسامة ساخرة وأضفت: "وأنا أقصد غباء المحترفين بالطبع".

"يُقال إنك واجهت بعض المتاعب مع أحد المحترفين... أظنّ مع باناش، أليس كذلك؟"

"سمعتُ أنك احتككت به أيضًا!" فضحك سيزار مع الجمهور. "صحيح ما يُقال، فليست على وفاق مع أيّ من المحترفين. لكن، لا تقلقوا! فالمستجدون فائقو الذكاء، وهُم في أمان تامّ معي".

فقال سيزار ساخرًا: "أجل، من الواضح أنّ الجميع بأمان تامّ برفقتك. ألم تحصل على علامة 1 في التدريب؟" فأطلق الجمهور "أوووه" مُوَحِّدة ذكّت نيران السخرية.

"عملتُ جاهدًا لأحصل على هذه العلامة، وأنا أعدّها وسام شرف. فعندي واحد وثلاثون حليفًا يساندني، وجسد مفتول العضلات، وذكاء يفوق ذكاء كل المحترفين أجمعين. أتعرف ما عندي أيضًا؟ الجرأة. فأنا لا أخشى مُوَاجَهة مُصمّمي المباريات!"

ثمّ فتحتُ ذراعَيّ، وتمشّيتُ على طرف خشبة المسرح وسط هتافات الجمهور قائلاً: "يفتخر المجالدون الآخرون بحصولهم على 10! ولا أعرف سبب فخرهم بأنفسهم! إذ يُمكن لأيّ شخص الحصول على 10. إنّما العلامة 1 مُخصّصة للأشخاص المُميّزين الذين يُثيرون المتاعب. ألا توافقونني الرأي؟" فتعالت هتافات التأييد في القاعة. "أرى أنّ بعض الحاضرين مثلي!" وأشرتُ إلى رجل يعتمر مُكعّبًا زجاجيًا مليئًا بالنحل قائلاً: "أنت يا سيّدي!" فأوماً بحماسة، ثم انحنيتُ أمام السيدة ذات أدتي القطة قائلاً: "وأنت يا عزيزتي!" فاحمرّ وجهها خجلًا.

"لِمَ لا نضع قائمة بالأشخاص الذين احتككت بهم؟ فمئذ ووصولك إلى الكابيتول، واجهت باناش، والمحترفين الآخرين، ومُصممي المباريات. وفعلت كل هذا خلال بضعة أيام. فهل وقعت في أي متاعب في المقاطعة الثانية عشرة قبل المجيء إلى هنا؟"

"نعم، مع جنود حفظ الأمن". فعمّ الصمت القاعة. "لأنهم يتضايقون عندما أتأخر في تسليمهم ما يطلبونه من شراب!" وضحك الجمهور مُتفاجئًا.

"يطلبون الشراب! ما الذي تفعله بالضبط بعد المدرسة يا هايميتش؟"

فحرصت على عدم ذكر هاتي. "فلنقل إنني أقوم بمشروع علمي في أوقات فراغي؛ منذ أن اكتشفت أنني ماهر في صنع الشراب يا سيزار. قد لا تملك المقاطعة الثانية عشرة الكثير، لكننا نضع أفضل شراب في بانيم. وأنا مُتأكد من أن قائد جنود حفظ الأمن في مقاطعتنا سيوافقني الرأي!"

"أليست التجارة بالشراب مُخالفة للقانون؟"

فقلت: "أحقًا؟ أنت جاد؟" ثم التفتُّ إلى رجل طويل الشارب يحمل كأسًا من الشراب وأضفت: "يبدو أن قائد الجنود نسي أن يخبرني بذلك!"

حينئذ، دق الجرس، فوضع سيزار يده على ظهري قائلاً: "هذا الشاب مُشاكس حقًا! سيّداتي سادتي، تصفيق حار لهايميتش أبرناثي من المقاطعة الثانية عشرة. أتمنى أن يبتسم له الحظ دائمًا!"

حيّاني نصف الجمهور بالوقوف والتصفيق، وغمزتُ للسيدة ذات أذني القطة، فانبسّطت أساريها. ثم غادرتُ خشبة المسرح. ومع أنني شبه مُتأكد من أن دروسيلاهي التي زرعت لقب "المُشاكس" في ذهن سيزار، إلا أنني شعرتُ بأنني استحققتُ اللقب.

كانت ماغز ووايريس بانتظاري في الكواليس. فعانقتني ماغز، فيما أومأت لي وايريس برأسها قائلة: "لقد حصلت على بعض الممولين".

سمعتُ سيزار يختتم الأمسية ونحن نمشي بسرعة عبر الأروقة نحو المخرج للحاق بباقي الفريق. وظننتُ أننا عائدون إلى الشقة، إنّما كان بلوتارك بانتظارنا حين وصلنا إلى الشاحنة.

فخاطب دروسيلًا: "عمل رائع! أتعلمين؟ لم يحصل الشباب على جلسة تصوير لائقة. ما رأيك في أن نعرج على بيتي لالتقاط بعض الصور والفيديوهات عالية الجودة للفريق؟ يُستحسن أن نحصل على بعض الموادّ الإعلانية لنعرضها على الجمهور إذا صمد مجالدونا في ساحة القتال. فإذا لم يكن لدينا ما نعرضه، سنبدو وكأننا تخاذلنا في عملنا".

فكرت دروسيلًا في اقتراحه، ثم أجابته: "لا مانع عندي، شرط ألا يذكر أيّ منكم ماغنو ستيفت".

فقال بلوتارك: "بالطبع. لن نذكر ذاك الذي لا يُسمى". وركبت دروسيلًا سيارتها الخاصة بغضب.

حينئذ، همست إيفي: "لا أعرف كيف تزوّج هذان الاثنان".

فقلتُ مُتَعَجِّبًا: "هل دروسيلًا وماغنو كانا مُتزوّجين؟"

وردّ عليّ بلوتارك: "ثلاثون سنة والعد جارٍ. فما زال متزوجين لأسباب ضريبية. على الأقل، هذا ما تزعمه دروسيلًا. هيّا نذهب".

لم تُدعَ ماغز ووايريس للانضمام إلينا. ذهبنا إلى منزل بلوتارك، واجتمعنا في المكتبة تحت إشراف تراجان هيفينزبي. كنّا نبدو وكأننا ننتمي إلى عالمهم في الثياب التي استعرناها من عائلة ترنكت. فأعدت إيفي ضبط مساحيق التجميل على وجوهنا، ووضعت زهرةً في سترتي من مزهريّة موجود في المكتبة على شكل الدرج الذهبي.

واقترح بلوتارك أن يُجهّزنا لتصوير الفيديوهات في الدفيئة الزجاجية، كُلبُ على حدة. وقال بحماسة: "ما عدتم نكرات. فقد أصبحت محطّ إعجاب

الممولين الجريئين. وهذا إنجاز كبير! علينا الآن أن نستميل باقي الجمهور إلى صفنا". ذهبْتُ معه أوَّلًا، فيما أشرفت دروسيا على جلسة تصوير مايزيلي، وراقب وايات لولو وهي تحدِّق إلى شمعدان بإعجاب وتحتضن ثعبانها.

لم يدخل جنود حفظ الأمن معنا إلى منزل بلوتارك؛ فقد قال لهم إنَّ حرَّاسه سيراقبوننا في الداخل. لذا، كنَّا على سجيَّتنا، وتصرَّفنا بحريَّة كما فعلتُ خلال زيارتي السابقة.

إنَّما يبدو أنَّه مُستعجِل، فقد كنتُ أجري وراءه للحاق به، وقلتُ له: "كنت أفكر في ما قلَّته عن الأشخاص الذين يعتبرون أننا مخاطرة كبيرة، و..."

غير أنَّه قاطعني قائلاً: "اسمع يا هايميتش، أعرف أنَّك لا تستلطفني ولا تثق بي. إنَّما يجب أن تعلم أنَّ المقاطعات ليست الوحيدة التي ترغب في الحرية؛ على الرغم ممَّا توحى به المظاهر. ولا يحق لك أن تفترض ذلك بسبب تجاربك الشخصية في الحياة. آمل أن تُعيد النظر في هذه المسألة بعد ما سيحدث الليلة".

لا أعرف عمَّا يتحدَّث. "ماذا؟"

هبَّت نسمة هواء دافئة على وجهي عندما دخلنا الدفيئة، وتوجَّه بلوتارك نحو هاتف البجعة ثمَّ رفع السماعة وقال: "نحن جاهزون". وأبقى السماعة على أذنه بعض الوقت، ثم ناولني إياها قائلاً: "ثمة من يريد أن يتحدَّث إليك". وابتعد عني ليعطيني بعض الخصوصية.

أوووه. لقد اتُّضحت لي الصورة الآن. الرئيس سنو على الخط. يبدو أنني تماديتُ خلال المقابلة، فطلب أن يتحدَّث إليَّ ليخبرني عن تفاصيل موتي الدامي. وإنَّ بلوتارك- الذي يظنُّ نفسه رجلاً نزيهاً- يشعر بالضيق لأنَّه رمانى للذئاب مرة أخرى. فأخذتُ السماعة مُتردِّداً، ورفعتها إلى أذني، وأنا أحاول أن أستجمع شجاعتي: "نعم؟"

وسمعتُ صوتًا مَبْحُوحًا من أثر البكاء: "هايميتش؟ أهذا أنت؟" هذا صوت
لينور دوف.

أغمضتُ عينيّ، وشددتُ قبضتي على السّماعة. عدتُ إلى الجبال، وكانت لينور دوف تبكي بين أحضانها، ورائحة أزهار العسلة تفوح من شعرها. لكنني لم أكن سبب بكائها، وإيّا الجنود الذين أجبرونا على مشاهدتهم وهم يشنقون رجلاً ذاك الصباح. جلسنا في أعالي الجبال، نتفرّج على قوسَي قزح يزيّنان السماء. كانت لينور دوف تبكي أحياناً؛ تبكي لأنّ العالم مليء بالجمال، والبشر لا ينفكون يشوّهونه. فكل الدمار الذي نشهده في العالم من صنع البشر.

"هايميتش؟"

"نعم، أنا معك على الخط. من أين تتصلين بي؟"

"من قاعدة جنود حفظ الأمن، لقد اعتقلوني."

فانتزعتني كلامها من الحلم، وأعادني إلى أرض الواقع. ما هذه الرائحة؟ لم أعد أشمّ عبير العسلة، بل رائحة الورد واللحم المتعفنّ التي تعفّ من نبتة السلوى. أنا عاجز عن حماية لينور دوف، حتى إنّني لا أستطيع أن أحتضنها وأواسيها. "ألقوا القبض عليك! متى؟ ولماذا؟"

هل أنا السبب؟ هل قبضوا عليها لأنّني أعلنت للكاييتول أنّ الجنود يشتررون مني الشراب؟ هل يُصفّون حساباتهم معي عن طريق حبيبتني؟

"اعتقلوني الليلة الماضية. فقد خرجتُ عن طوري حين أعطاك مُصمّمو المباريات علامة 1 في التدريب، وأخذتُ صندوق ألحاني وذهبت إلى قصر العدل. وبما أنّ الجنود لم يفكّوا مسرح الحصاد بعد، اعتليته وعزفتُ بعض الأغاني".

كنتُ أعرف الأغاني التي عزفتها من دون أن أسألها. فلا شك لديّ في أنّها عزفت كل الأغاني التي تُمتّع من أدائها علنًا: "الإوزة والمراعي"، و"متجر الكابيتول"، و"شجرة الشنق". لا شك في أنّ كليرك كارمين وتام أمبر يفقدان صوابهما الآن. ولا ألومهما، فأنا أشاركهما القلق والخوف على لينور دوف. "هل أنت بخير يا لينور دوف؟ هل أدوك؟"

"لا. أخذوني إلى القاعدة. لم يعتقلوني بسبب ما عزفته، بل بسبب تأثير الأغاني على الحشود؛ فالجميع مستأوون لأنّ الكابيتول حصد عددًا كبيرًا من الأطفال والشباب هذا العام، وكانوا بحاجة إلى مكان يعبرون فيه عن مشاعرهم ويساندون بعضهم بعضًا. فبعض الأوجاع لا تُحتمل إن لم يكن لديك كتف تسندك".

إدّا، لم تكن تعزف وحدها بكل جوارحها أمام قصر العدل، بل اجتمع الناس حولها، ورافقوها في غناء الأغاني المحظورة. "وَبِمَ ائْهَمُوكِ؟"

"بالإخلال بالنظام العام، أو شيء من هذا القبيل. وأنت تعرف شعارات الكابيتول المحبوبة التي تُذكّرنا دائمًا بأننا سنخسر كل شيء إذا غاب السلام".

تضاربت الأفكار في رأسي. لا يُعدُّ الإخلال بالنظام نوعًا من التمرد والتحريض؛ فهو يُلصق بالأشخاص الذين يُسرفون في احتساء الشراب، ويُحطّمون بعض الزجاجات؛ وهو أمر شائع في المقاطعة الثانية عشرة. ولا تشارك لينور دوف في أي مؤامرة. لذا، لن يستخدم الجنود أيّ وسائل مشبوهة للحصول على اعتراف منها، بل سيعتبرون أنّها شابة عاطفيّة في السادسة عشرة من عمرها، ما زالت تحاول استيعاب حقيقة أنّ حبيبها صار مُجالِدًا في

مباريات الجوع. وقد يصادرون صندوق ألحانها لفترة من الزمن، أو يحتجزونها حتى نهاية المباريات لتهدأ الأوضاع. لكنني آمل ألا يُقَيِّدوا يديها أو رجليها في الدهق⁽⁷⁾ في وسط الساحة أمام قصر العدل. فهذا ما هددوها بفعله حين كان عمرها اثني عشر عامًا. وإثما انقضت أربع سنوات منذ ذاك الحين. كما أنّ لدى شعب كوفي بعض المعجيين الذين قد يساعدونها في صفوف جنود حفظ الأمن. سترتبط حدّة عقاب لينور دوف ارتباطًا وثيقًا بمستوى الفوضى التي أثارها الجمهور، وبانطباع قائد القاعدة عنها. وأعتقد أنني وضعتها في موقف صعب حين تباهيتُ الليلة بأني أبيع الشراب، لذا قد يقسو عليها بسببي.

"هل نشب قتال أو نزاع؟ هل تكسّر أو تحطّم أي شيء في الساحة؟"

"أوه، لا يهم. سيُطلقون سراحي صباح الغد. لكنك ذاهب إلى ساحة القتال". هذا جيد. سيُطلق سراحها، هذا يعني أنّ عقوبتها خفيفة. "كل ما حدث معي غير مُهمّ. ولا أرغب في إضاعة لحظّاتنا الأخيرة في الحديث عمّا انكسر... إلّا إن كان الموضوع قلبي".

يبدو أنّها غاضبة وعلى وشك البكاء، فقلتُ لها: "أنا آسف يا لينور دوف، لقد أفسدتُ كل شيء". فما كان الجنود ليستهدفوها لو لم أتدخّل حين كانت تحاول أن تساعد أمّ وُدباين. فما من قانون يحظر علينا مساعدة والدة تنعى طفلها.

"أنت! لم تفعل شيئًا. لقد اختاروك لتحلّ محل وُدباين بسببي أنا! وأعرف أنّي سبب حصولك على علامة 1 في التدريب. أنت ذاهب إلى الموت بسببي، ولا يمكنني أن أعيش مع هذا الذنب".

والحل برأيها أن تفعل ما في وسعها لتموت؟ غضبتُ بدوري. "يجب أن تكفّي عن لوم نفسك على ما حدث. فلا ذنب لك! فلو تمالكك نفسي ولم أتدخّل، لبقينا معًا في المقاطعة الثانية عشرة؛ مع أنّك كنت ستحصلين على بعض الكدمات بسبب ذاك الجندي".

"لا، يا حبيبي، ليس هذا ما حدث. أنا من تجاوز حده كالعادة. فقد فقدت أعصابي وبدأت أصرخ، والآن أنت... أوه، يا هايميتش... لا أريد أن أعيش من دونك".

"وهل تحاولين أن تمنحي الجنود سببًا لتعليق حبل المشنقة؟ أهذا هو الحل برأيك؟ إذا كان هذا ما تسعى إليه، فأقسم إنني س... س... ماذا سأفعل؟ سأموت قريبًا. لا أستطيع أن أفعل شيئًا. شعرتُ بعجزٍ مُطلق؛ إنما عليّ أن أفنعه بالعدول عمّا تعزم فعله. وأخيرًا، قلت لها: "كما تقول إحدى أغانيك... سيلاحق شبحي شبحك، ولن يتركه وحده أبدًا".

فسمعتُ في صوتها بصيصًا من الأمل وهي تقول: "أتعدني بذلك؟ فلو أكّدت لي أننا سنلتقي بعد الممات، فقد أتحمل فراقنا الآن. لكن، ماذا لو لم نجتمع مجددًا؟ لن أتحمل ذلك".

فقلت لها بحزم: "سنبقى معًا دائمًا. لا أعرف كيف سنفعل ذلك، ولا أين سنكون، لا أعرف شيئًا من هذا... لكنني في قرارة نفسي أعرف أننا سنكون معًا، وسنجد بعضنا بعضًا؛ مهما كلف الأمر، ومهما طال الزمن".

"أحقًا تؤمن بذلك؟"

"نعم. لكن الأمر لن ينجح إذا أقدمت على أي فعل مُتهوّر يودي بحياتك. فقد تُخِلّ مثل هذه الأفعال بتوازن الكون، وتمنعنا من الالتقاء. عيشي حياتك، ولا تضيّعي منها أي لحظة، واعزفي ألكانك وأغانيك، واغمري أحياءك بالحبّ والحنان. وسأكون بانتظارك في المرج. هذا وعد. هل اتفقنا؟"

فهمست: "اتفقنا. أعدك بأنني سأحاول".

في تلك اللّحظة، لوّح بلوتارك بيده لجذب انتباهي، وأشار إلى ساعته. لقد نفذ الوقت. "أحبك كالنار في الهشيم يا لينور دوف دائمًا وأبدًا".

"وأنا أحبك كالنار في الهشيم أيضًا، ولن أحبّ أحدًا سواك. فأنا كإورّي
أختار شريكًا واحدًا وأبقى معه إلى الأبد".

أردتُ أن أقول لها ألاّ تحدّ عليّ طويلًا، وأن تحب من تشاء، مع أنّي لا
أتقبّل فكرة أن تواعد شابًا غيري. فاستجمعتُ شجاعتني لأقول لها تلك
الكلمات، لكنّ الخط انقطع فجأة.

"لينور دوف؟ لينور دوف؟"

لقد ذهبت. إلى الأبد هذه المرة. لكنها بأمان. فأرجعتُ السماعة إلى
مكانها برفق، وكأني أضع طفلًا صغيرًا في مهده لينام. وداعًا يا حبيبتي.

مهلاً، كيف سُمِحَ لي بإجراء هذه المكالمة من الأساس. فحسبما أعرف،
لا يُسَمَح للمجالدين عادة بأن يتصلوا بأي شخص من مقاطعتهم. فنظرتُ إلى
عينَي بلوتارك وسألته: "هل أنت وراء هذه المكالمة؟"

فهزّ كتفيه: "عندي صديق قديم في المقاطعة الثانية عشرة".

وسألته في حيرة وارتيابك: "ولماذا تساعدني؟ لماذا رتبت أمر هذه
المكالمة؟ ألن تتورّط في متاعب إن كُشِفَ أمرُك؟"

"بلى. إن كُشِفَ أمرِي، ستكون وجبتي التالية طبقًا فاخرًا من المحار
المُسَمَّم. لكنني خاطرتُ لكي تثق بي يا هايميتش... والأهم من ذلك... لكي
تثق بالمعلومات التي سأشاركك إياها الآن".

أنا في حيرة تامّة. "أي معلومات؟"

"المعلومات التي ستساعدك على تدمير ساحة القتال".

انقطعت أنفاسي. كيف عرف بلوتارك عن خطة تدمير ساحة القتال؟ إنّه
محق. أنا لا أثق به، ولم أعد أثق بالخطة الملعونة. هل سُجِّلَ لقائي مع بيتي
تلك الليلة بشكل ما حين انقطع التيار الكهربائي وانطفأت كاميرات المراقبة؟

فليس من الصعب تخبئة أجهزة تنصت في الشقة. هل أخفيت ميكروفونات في صينية الخضار على مائدة الطعام في الغرفة الخضراء أيضًا؟ قد يكون بلوتارك عميلًا للكابيتول، يحاول أن يستخرج مني المزيد من المعلومات، ليقضي على كل الأطراف المعنية بالخطة. ويبدو أنه رتب أمر هذه المكالمة مع لينور دوف ليكسب ثقتي ويشجّعني على إفشاء ما أعرفه.

"لا أعرف ما تتحدّث عنه".

"حسنًا، هذا تصرّف ذكي. لا تثق بي. لكن، أصغِ إلى ما سأقوله، وعندما تجد نفسك في ساحة القتال، ستعرف ما إذا كانت معلوماتي مفيدة".

فرفعت يديّ مُرتبكًا: "أأنت متأكد من أنك تتحدّث إلى الشخص الصحيح؟"

"حسنًا، اسمعني. ليست لديّ أيّ صلاحيات أمنية. لكنّ قريبي يعرف شابًا تخرّج مؤخرًا من الأكاديمية، ويعمل مع مُصممي المباريات، ويرغب في ترك البرنامج للعمل في محطة التلفاز. وقد أنفقتُ ثروة منذ ليلتين لأشجعه على الإسراف في احتساء الشراب، فأخبرني أنّ شمس ساحة القتال مُتزامنة مع الشمس الطبيعية".

فقلْتُ له بدهشة: "أليست الشمس في ساحة القتال مُتزامنة دائمًا مع شمسنا؟"

"لا. فالأمر يرتبط بتصميم الساحة. ففي بعض الأحيان، يُصمّم مُصممو المباريات ساحة القتال بشمسين أو من دون أيّ شمس. على أيّ حال، إنّ هذه المعلومة مهمة؛ لأنّ الشمس تشرق من الشرق، ما سيساعدك على تحديد الاتجاهات أثناء مباريات الجوع".

قال بيتي إنّ خزان المياه يقع في الشمال، وسُسهّل عليّ معلومة بلوتارك- لو كانت صحيحة- العثور عليه. إنّما لم أخبره بذلك، بل تظاهرتُ بأنّ

ما قاله ليس جديرًا بالاهتمام. "كنتُ سألاحظ هذا الأمر بنفسى فى ساحة القتال".

"لدىّ معلومة أخرى لك: قبل عام أو عامين، طلبت لجنة من مُصممي المباريات مني أن أجولهم فى هذه الدفيئة وحدائق منزلى. فعائلة هيفينزى معروفة بمجموعتها النادرة من النباتات المزهرة. فأخذتهم فى جولة، ثم تركتهم بضع دقائق لأطلب لهم الشاي، وسمعتهم يتحدثون عن حفر خنادق".

"خنادق!"

"أترى ذاك المكان المرتفع؟ الربوة الصغيرة؟" وأشار من النافذة إلى ربوة مُزهرة تضيئها أنوار كروية مُعلّقة، وتابع: "تزرع على هذه الرّبى شجيرات وورود. وإذا كان مُصممو المباريات يخطّطون لحفر خنادق فيها، فهذا يعنى أنهم ينوون أن يفتحوا ممرات لإرسال أشياء إلى ساحة القتال وإخراجها منها".

يقصد الكائنات المُعدّلة جينيًّا. إنّ بلوتارك يحاول أن يخبرني أنّ بوابات الكائنات المُعدّلة جينيًّا ستكون مُخبّأة فى الرّبى المزهرة. لكننى تظاهرتُ بأننى لم أفهم، وقلت: "لم أفهم ما تقصده يا سيّدي".

فقال لي مُتهكّمًا: "بالطبع لم تفهم". ثم أضاف: "نصيحة أخيرة. إنّ مباريات الجوع أقوى أداة دعائية يملكها الكابيتول؛ فهو يستخدم المجالدين لنشر دعاياته. إنّما لن ينجح فى مسعاه إلّا إذا سيطر على مجرى الأحداث. لذا، لا تدع له المجال للسيطرة عليه". ثمّ أمسك بلوتارك بكتفيّ وهزّني. "لا مزيد من الخضوع الضمنى، يا هايميتش آبرناشي. فجرّ الخزان، وليتردّد صدى الانفجار فى كل أنحاء بانيم؛ فمصير البلاد بين يديك".

عندئذٍ، تذكّرتُ ما قاله أبى لسارشي ويتكومب. إنّهم يلقون بمسؤولية كبيرة على كاھلى. أصلح هذه الفوضى من أجلنا، وإلا...

دخلت إيفي على عجلة وقالت: "يا سيّد هيفينزبي، آه، ها أنت ذا. دروسيلا تريد مساعدتك لتصوير لويلا. فالأفعى تُشئت الانتباه عنها".

فضحك بلوتارك وقال: "لا تعلمي مع الأطفال أو الحيوانات أبدًا، يا آنسة ترنكت. هيا بنا، يا هايميتش".

وتابعت إيفي: "وربّما لا يحق لي أن أتدخّل، لكنّ دروسيلا تقسو كثيرًا على مايزيلي".

"لا أستغرب هذا؛ فمايزيلي شابة جميلة في السادسة عشرة من العمر. وتقاسيم وجهها تدل على الحسن والجمال. والشباب والجمال أمران لن تقدر دروسيلا على تحقيقهما أبدًا".

فقالت إيفي: "أعرف، وهذا محزن. لكنني أهنتها على المحاولة". ثم وضعت يديها على وجهها وأضافت: "أعتقد أنّ عليّ أن أبدأ بالمحاولة أنا أيضًا".
"لا تتعجّلي. ما زلتِ شابة".

"بدأت كل صديقاتي بعلاجات تجديد الشباب... لكنني أكره الإبر".

تبعث بلوتارك وإيفي إلى المكتبة. وفيما كان يحاول طمأنتها، حاولت أن أفهم نواياه الحقيقية. فإن كان يعمل لحساب الكابيتول، لا أظنني أفضيئت له عن أي معلومة يمكنه أن يستخدمها ضدنا، ولم أقل: أعترف بأنني متورّط في الخطة. لكنّه يعرف عن الخطة. وإن لم يكن يعمل وفق تعليمات الرئيس سنو، فلماذا يحاول أن يساعدنا؟ وما الذي يسعى إليه؟

تردّدت في رأسي الكلمات التي قالها لي قبل دقائق: "يجب أن تعلم أنّ المقاطعات ليست الوحيدة التي ترغب في الحرية؛ على الرغم ممّا توحى به المظاهر". هل كان يُلمّح إلى أنّه لا ينعم بالحرية على الرغم ممّا يملكه من ثروة ونفوذ وامتيازات؟ وممّ يريد أن يتحرر؟ يبدو أنّه لا يريد أن يعيش في خوف دائم من إمكانية التّسمم من طبق محار.

وتذكّرْتُ كم خجل فایتوس من تعاطف جدّه مع الثوار. يبدو أنّ ردة فعله طبيعية في الكابيتول، لكن جدّه كان مواطنًا في الكابيتول اختار أن يقف إلى جانب المقاطعات. كما أنّ مواطنًا آخر في الكابيتول ساعد بيتي في تبديل تذكارات المجالدين. لذا، من المحتمل أن تكون نيّة بلوتارك صافية. لكنني لن أتأكّد من ذلك إلا عندما أذهب إلى ساحة القتال، وألقي نظرة جيّدة على تلك الربي؛ إذا وُجِدَت في الساحة.

في المكتبة، كانت لولو تطفئ الشموع وتستنشق الدخان المتصاعد منها. أعادتني الرائحة إلى منزلي... إلى ليالي الشتاء المعتمة... إلى ذلك الشعور الذي كان يخالجنني قبل أن أغفو تحت لحافي الدافئ الآمن. هل تُعيد رائحة الدخان للولو ذكريات جميلة يا ترى كما فعلت قطعة الخبر المُزيّنة بالحبوب؟ هل تُنعش في أعماقها ذكريات قديمة من حياتها السابقة؛ كمنزلها في المقاطعة الحادية عشرة حيث كانت محبوبة وفي أمان؟ نجح وايات في إقناعها بالجلوس أمام الكاميرا، ثم حان دوري بعدما أنهت جلسة تصويرها. كانت هذه الصور أفضل بأشواط من تلك التي التُقطت لنا في زيّ عمال المناجم ونحن مُقيّدون في الشاحنة. والفضل يعود إلى بلوتارك؛ فقد وضع لمسته الخاصة كما فعل في فيديو موجز حفل الحصاد.

ثمّ قرّر بلوتارك أنّ يجهّزنا معًا لتصوير المقاطع الدعائية التي ستُعرض خلال مباريات الجوع؛ كيلا يُضطرّ إلى تكرار التعليمات نفسها، فقال: "سألخص لكم ما ناقشته مع هايميتش".

نعم، من الأفضل أن تقول لي ما يُفترض أنّك ناقشته معي.

فأكمل بلوتارك كلامه: "فلنبدأ بالأساسيات. يتفاعل الجمهور مع ما يحرك مشاعره من الناحية العاطفية أوّلًا، ثم يجد الحجج المنطقية التي تُبرّر ردود فعله وتصرفاته".

حينئذ، قال وايات: "لا أعتقد أنّ هذا التصرف ذكي". إذ يبدو أنّ الفكرة لم ترق له؛ فهو يتبع العقل والمنطق.

"لم أقل إنّه تصرف ذكي، لكنّ هذا هو واقع الحال. فإذا تعاطف الجمهور معكم، سيجد الحجج المنطقية التي تُبرّر رغبته في تمويلكم ودعمكم بنفسه".

فقال وايات: "لكن سكان الكابيتول- أي الجمهور- يكرهوننا. ألا تراهم يستمتعون بمشاهدتنا نقتل بعضنا بعضًا؟"

فهزّ بلوتارك رأسه يمينًا ويسارًا: "إنّهم لا ينظرون إلى الأمر بهذه الطريقة. فبالنسبة إليهم، إنّ دعم مباريات الجوع واجب وطني".

وقالت مايزيلي: "لا يهمّ. إنّ سكان الكابيتول يُعدّوننا أعداءهم".

وردّ عليها بلوتارك: "هذا صحيح. إنّما عليهم أن يشجّعوا أحد المجالدين، فلمّ لا يشجّعونكم أنتم؟ لقد رسّخ المستجدون مكانتهم كخصم جدير ضد المحترفين الليلة. وأظن أنّكم تثيرون اهتمام سكان الكابيتول وفضولهم لأنكم لا تحاولون التشبّه بهم".

فقال مايزيلي: "تقصد لأننا لا نتملّق للكابيتول".

"نعم. إذ لا ينفكّ قلق سكان الكابيتول إزاء رغبة سكان المقاطعات في الانخراط في عالمهم يزداد، ولا سيما في ما يتعلق بسكان المقاطعتين الأولى والثانية الذين يتخصّصون في السلع الفاخرة والقوات العسكرية على التوالي، ويعملون معنا من كذب في هذين المجالين. فقد أرسلَ بعض سكان الكابيتول للعمل في هاتين المقاطعتين، فتزوّجوا أشخاصًا من السكان المحليين، وأسسوا عائلات معهم؛ وهُم الآن يرغبون في العودة مع عائلاتهم إلى الكابيتول. أمّا أنتم، فتفتخرون بانتمائكم إلى مقاطعاتكم، ولا تخفون هويتكم. وكل ما عليكم فعله لينفر الجمهور من المحترفين هو أن تظهروا له أنّهم يُبالغون في التشبّه بالكابيتول وتقليده".

من وقت إلى آخر، تقع شابة في السيم في حب أحد جنود حفظ الأمن وتنجب منه طفلاً، فتتعرض لرفض اجتماعي في المقاطعة الثانية عشرة. إنّما لا أحد يتوقّع أن يذهب الطفل إلى الكابيتول. ففي أغلب الأحيان، يتبرأ الأب من الطفل، ويُنقل إلى مقاطعة أخرى.

قالت مايزيلي: "لكنّ لقب المحترفين ما زال يوحى للجمهور بأنهم أفضل منّا. يجب أن نُطلق عليهم لقبًا سخيًّا يُقلّل من هيبتهم".

حينئذ، هتف بلوتارك: "نعم! التنازير بالألقاب استراتيجية دنيئة، غير أنّها فعّالة!"

هايميتش القرد الحكّاء. نعم، استراتيجية دنيئة، غير أنّها فعّالة.

وأضاف بلوتارك: "يجب أن يكون اللقب مُهيئًا وليس سخيًّا. يمكننا أن نخلق لقبًا يعلق في الذهن فيه لعب على الكلمات، أو جناس، أو قافية رنانة. لكن، تجنّبوا الكلمات البذيئة؛ فالبرنامج مُوجّه للعائلات".

فاقترحنا بعض الألقاب: المتملّقون، المُتزلّفون، المدّعون، الغدّارون، المُزيّفون، الانتهازيون، المنافقون. إنّما لم يحمل أي منها الأثر المطلوب.

وقالت مايزيلي: "يجب أن نجد لهم لقبًا مُستمدًّا من الحياة الواقعية؛ كما فعلنا عندما أسمينا تحالفنا. فاسم تحالفنا المستجدين. يجب أن تكون للقبهم دلالة سيئة تشير إلى أنّهم نسخة رديئة من سكان الكابيتول، مثل السكر الصناعي الذي نستخدمه أحيانًا لصنع الحلوى في متجرنا عندما يغلو ثمن السكر النباتي".

فاقترح وايات: "الحليب المجفف".

وتلّته إيفي: "الجلد الصناعي".

فخطر على بالي الشراب الذي يُباع في متجر الكابيتول في مقاطعتنا، وهو شراب مشعشع ومرّ ومحمّض يُعدُّ تقليدًا رديئًا للشراب الحقيقي.

فاقترحُ لقب: "المحترفين في التقليد".

وضحك الجميع لأنّ هذا اللقب يحوّل اسم المحترفين إلى مَهزلة.

فقال وايات: "تحالف المحترفين في التقليد لقب له وقع ساخر وجميل".

وقال بلوتارك: "أعتقد أنّنا وجدنا ضالّتنا. فلنصوّر المشهد الأوّل معك يا هايميتش. فقد خطفت الأضواء وأبهرت الجمهور حين تحدّثت عن تجارتك غير القانونية بالشراب".

فحصّرتنا فقرة صغيرة يسألني فيها بلوتارك عن رأيي بخصوصنا، فأجيبه: "في المقاطعة الثانية عشرة التي تتميز بصناعة أفضل أنواع الشراب"، حينئذٍ أشرتُ إلى الكؤوس المرسومة على سترتي ثم أكملتُ: "تُطلق على المحترفين لقب "المحترفين في التقليد"؛ لأنّهم كالشراب المشعشع الرديء، كثير الرغوة قليل الطعم".

وبعد أن قمنا ببعض التعديلات الطفيفة لتحسين النص، ابتكرنا بعض التعبيرات المختلفة على نسق عبارة "كثير الرغوة قليل الطعمة" لباقي الفريق. فاخترت مايزيلي أن تستخدم تعبيرًا مُتعلّقًا بالموضة فقالت: "كثير الزينة، قليل القيمة". أمّا وايات، فاخترت تعبيرًا يليق بمقيّم احتمالات فقال: "كثير البهرجة، قليل الحظ". وبما أنّ حالة لولو لا تسمح لها بصياغة عبارتها الخاصة، اخترنا لها عبارة: "كثير النباح، قليل العض". واستطاع وايات إقناعها بقول العبارة مرّة واحدة أمام الكاميرا. وما إن لفظت لولو كلمة "العض" حتى فحّ الثعبان وحصلنا على اللقطة التي نحتاج إليها.

بدا بلوتارك سعيدًا بالنتائج وهو يقول إنّه سيحرّر الفيديوها لينتج مقاطع دعائية مميزة. وتنهّد وهو يتحدّث عن الأدوات التي كانت متاحة لهم في

ما مضى، والتي حُظِرَ استخدامها لأنها قادرة على تدمير البشرية من خلال تركيب فيديوها لأي شخص في سيناريوهات مختلفة "في لمح البصر!"، وطقق بإصبعيه في إشارة إلى سرعة الأدوات ثم أضاف: "أعتقد أنّ قرار الحظر كان في محله؛ فقد كاد البشر يقضون على البشرية بأكملها- بسبب طبيعتهم- من دون استخدام هذه الأدوات. أتخيّلون مستوى الدمار الذي كان من الممكن أن نتسبّب به لو استخدمناها؟ مع أنّها تتمتع بإمكانات إبداعية جبارة".

لا أدري كيف نجا البشر حتى الآن، فطبيعتنا وحدها كفيلة بإبادتنا.

ثم اختفى ثعبان لولو، فبدأنا بالبحث عنه، عندئذ نظر بلوتارك إلى الساعة الموجودة فوق المدفأة، وانتبه إلى أنّ الوقت قد تأخّر، فأشار لنا نحو الباب قائلاً: "لا بأس، لا بأس، دعكم من الثعبان. عليكم أن تخذوا إلى النوم. فغداً، سيبدأ العرض". ورافقنا في الأروقة بين لوحات عائلة هيفينزبي، وهو يحدّثنا عن أهمية الاستفادة من إعجاب الجمهور بنا لاستمالته إلى صفّنا. وعندما وصلنا إلى الشاحنة التي كانت تنتظرنا أمام المدخل، تمّنى لنا بلوتارك التوفيق.

ما زلتُ لا أعرف إذا كان بإمكانني الوثوق بهذا الرجل أم لا، لكنّه خاطر بحياته لأتمكّن من سماع صوت لينور دوف مرّة أخيرة. وقد أستفيد من المعلومات التي أعطاني إياها في ساحة القتال. ومن يدري؟ قد يساعدي بطرائق أخرى حين يبدأ "العرض". وما زلت مُصرّاً على رأيي: يُستحسن أن أبقى على علاقة جيّدة به وألا أعاديه.

فمددْتُ له يدي قائلاً: "شكراً على ما فعلته لمساعدتنا يا بلوتارك".

فصافحني سعيداً وقال: "لا أنكر أنّني شخص دنيء من نواحٍ عدّة، لكنني في صفّك في ما ناقشناه".

ستظهر الحقيقة عاجلاً أو آجلاً.

حين عدنا إلى الشقة، كانت ماغز ووايريس بانتظارنا. وقد طلبتا من الطباخ أن يُعدّ لنا لحمًا مَشويًا دسمًا مع خضار على العشاء. لكنني فقدت شهيتي من فرط التوتر. أشادت مُرشدَتانا بأدائنا خلال المقابلات، وبالعمل الرائع الذي أنجزناه مع المُستجِدِّين، إلّا أنني لم أشعر بأنني فعلت شيئًا يستحق المديح؛ إذ يعود الفضل في ما أنجزناه لغيري. غير أنني ارتحتُ لأنني على الأقل لم أفسد الأمور.

كنتُ على ما يرام بقية الأمسية، إلى أن سألتني مايزيلي ونحن نخلد إلى النوم: "هل صحيح ما يُقال؟ هل ستقاتل وحدك في ساحة القتال؟"

يبدو أنّ ويلي قد نشرَت الخبر، فأجبتُ: "لقد أعطاني مُصمّمو المباريات علامة 1 في التدريب يا مايزيلي. إنهم يستهدفونني مباشرة. لذا، ستكون فرصتكما- أنتِ ووايات- في النجاة أفضل من دوني". لم أذكر لولو لأنني أعرف أنّها لن تنجو.

فأوماً وايات برأسه، وهو يحسب الاحتمالات، ثم قال: "تؤكّد حساباتي ما قُلتَه.. لكن..."

فقاطعته قائلاً: "ثق بحساباتك. سأجلب لكم المتاعب إذا بقيتُ معكم". تُرى، كيف كنت سأتصرّف لو لم أكن جزءًا من خطة تدمير ساحة القتال؟ هل كنتُ سأضحّي بنفسي كما أفعل الآن؟ أم سأبقى مع المجموعة للحصول على الحماية؟ كل ما أعرفه هو أنني لسْتُ سعيدًا بالافتراق عنهم. "لا تتشاءم؛ فقد نلتقي مصادفة في ساحة القتال. لكنني لن أدعكما تدفعان ثمن قراراتي".

حينئذ، قالت مايزيلي: "إدّا، عدنا إلى ما كُنّا عليه في القطار؛ حين عارضتُ فكرة التحالف معنا".

فأوضحْتُ لها: "لم أقل إنني لن أتحالف معكما، بل إنني لن أتحالف مع أحد".

الوحدة قاسية. كم وددتُ أن أبوح لهما بكل شيء- عن الخطة، ومكالمتي مع لينور دوف، والتهديد الذي تلقّيته من الرئيس سنو، ونظرية بلوتارك عن الشمس في ساحة القتال- لكنني لا أستطيع؛ لأنّ إخبارهما بالحقيقة سيثير الأسئلة ويجلب المتاعب. لذا، التزمْتُ الصمت. لا أريد أي حليف. انطفأت الأضواء.

استسلمت لولو للنوم على الفور. أما نحن، فتقلّبنا على أسرّتنا طويلاً. لم أنفكُ أغوص في أحلام عن لينور دوف، وأستفيق مضطرباً على حين غرّة وقلبي يخفق. كانت قصيدتها تُعبّر عن حالتي؛ فهي تحكي عن رجل فقد حبيبته، لينور، وفقد صوابه من الشوق والفراق، ثمّ ظهر أمامه غراب عجوز، ومكث عنده رافضاً الرحيل. وكلّما سأل الطير سؤالاً، أجابه بعبارة واحدة: "لا، وألف لا دائماً وأبداً". فجنّ جنون الرجل أكثر فأكثر.

قل لهذي الروح الحزينة الشجيّة،

ستحتضن الحسناء الطاهرة النقيّة.

قل لها على الفور: هل ستحتضن يوماً الحسناء الجميلة البهيّة لينور؟

فنطق الغراب: "لا، وألف لا دائماً وأبداً".

ثرى، هل سأعيش حياتي الأخرى بعد الموت مع لينور دوف في الجنّة؟ كم وددتُ أن أعرف الجواب، كالشاعر في القصيدة. لكن الغراب لم يمنحنا الجواب الذي تشتهيهِ نفسانا.

طال الليل، لكنّ الوقت انقضى بسرعة. كنتُ مُستيقظًا ومُتعبًا حين جاءت ماغز لتوقظنا في الصباح، فنهضنا واغتسلنا ولبسنا زيّ التدريب لأننا لن نحصل على زيّ القتال إلّا في حجرات الانتظار في ساحة القتال. وكانت مايزيلي غاضبة مني لأنني تخلّيت عن المُستجدين؛ فحاولتُ أن أراضيهَا، ودسستُ في يدهَا الهدية التي أعطاني إياها بيتي بمناسبة ذكرى ميلادي، فوضعتُ مايزيلي الكيسَ الصغير الذي فيه عدّة تحويل البطاطا إلى بطارية في جيبها من دون أن تنبس ببنت شفة.

وجدنا فطورًا ساخنًا ولذيذًا بانتظارنا في المطبخ، لكنني ووايات أكلنا بصعوبة بضع لقمات؛ لأنّ الطعام علق في حلقينا من شدّة التوتر، فيما اكتفت مايزيلي باحتساء القهوة. أمّا لولو، فالتهمت كومة كبيرة من الفطائر واللحم المقدد؛ ما أكّد لي أنّها مُنفصلة تمامًا عن الواقع، ولا تدرك ما تخبئه لها الأيام القادمة. وهذا أفضل؛ فهي فريسة سهلة من دون ثعبانها.

أعطتنا وايريس بعض التوجيهات الأخيرة، ثمّ انزوت عتًا. وعانقتنا ماغز واحدًا تلو الآخر، وقالت لنا إنّها سُرت بمعرفتنا. ماذا عساها تقول غير ذلك؟ فهي تعرف أنّ ثلاثة منّا على الأقل سيلقون حتفهم في المباريات.

لم يعد لدينا مجال لإنكار ما يحدث لنا والتظاهر بأننا على ما يُرام؛ فنحن نُساق نحو ساحة القتال بخطى متسارعة. وما كانت التحضيرات التي شاركنا فيها حتى الآن من تجميل، وتدريب، ومقابلات سوى وسيلة لصرف انتباهنا عن

واقعنا المرير. فاليوم، عندما يُقرَع الجرس الذي يُعلن بداية مباريات الجوع، سيلقى بعضنا حتفه.

جاءت دروسيلّا إلى الشقة للإشراف على الجنود الذين سيفتّشوننا ويأخذوننا إلى الشاحنة، وهي آخر مهمة منوطة بها بوصفها مرافقتنا. لا أعرف أين خبّأت مايزيلي الكيس الذي ناولثها إياه، لكنّ الجنود لم يجدوه أثناء التفتيش. وبعد أن كبّلنا الجنود بالأصفاد والسلاسل، اقتربت منّا امرأة ترتدي معطفاً أبيض، وتحمل مجموعة من المحاقن وحقنّت كلّاً منّا في ساعده. لا داعي لنسألها عمّا في الحقنة؛ فالجواب واضح. لقد زرعت في أذرعنا جهاز التعقب الذي يُتيح لمصممي المباريات تتبّعنا ورصد مواقعنا في ساحة القتال.

فسأل وايات: "هل ستزيلون جهاز التعقب إذا فزنا؟"

وردّت عليه المرأة: "نسترجع الأجهزة من جميع المجالدين، سواء أكانوا أحياء أم موتى، ونعيد استخدامها كل عام. إلّا أنّنا احتجنا إلى أربعة وعشرين جهازاً إضافياً لهذه الدورة".

شكراً على تذكيرنا بهذا الأمر.

وقفت دروسيلّا أمام باب الشاحنة وقالت: "حسناً يا أنتم. حاولوا ألا تُخرجوني".

فلم تتردّد مايزيلي في إغاضتها مرّة أخيرة: "ولم نكلّف أنفسنا بالمحاولة وأنّ تُسبّبين الإحراج لنفسك من دون مساعدة؟"

فأغلقت دروسيلّا باب الشاحنة في وجوهنا بعنف وغضب.

أخذنا الجنود إلى مدرج فيه ست طائرات، فركبنا إحدى الطائرات، وثبتّونا في مقاعدنا مُقابل مُجالدي المقاطعة الحادية عشرة في حجرة بلا نوافذ. كان حلفاؤنا خائفين؛ مثلنا تماماً. أما لولو، فما كانت قلقة أو خائفة؛ حتى إنّها حين لمحت تذكّار الزهرة العشبية الذي تضعه تشيكوري- إحدى مجالديّتي

المقاطعة الحادية عشرة- حول عنقها، حدّقت إليه مليّاً، ثم بدأت تحرّك يديها
وأناملها وهي تُغني بصوتٍ مبحوح ومُتقطّع:

أيتها الزهرة الصغيرة التي
أزهرت في حقل السنابل الذهبية،
ها قد اقتربت الحصاد، فاحني رأسك
احني رأسك
احني رأسك
ها قد اقتربت الحصاد، فاحني رأسك
لُتبصري فجرًا جديدًا.

تفاجأت تشيكوري عندما سمعت الأغنية، فسألتنا لأنّ حالة لولو العقلية
لا تسمح لها بالإجابة: "كيف تعرف صديقتكم هذه الأغنية؟ هل هي أغنية شائعة
في المقاطعة الثانية عشرة؟"

لقد اكتسبتُ معرفة واسعة عن أغاني المقاطعة الثانية عشرة بفضل
لينور دوف، لكنني لم أسمع هذه الأغنية من قبل، لذا هزرتُ رأسي يمينًا
ويسارًا.

فأضافت تشيكوري: "هذه أغنية للأطفال عن موسم الحصاد، وهي من
أغاني مقاطعتنا". ثم حدّقت إلى لولو، وتبادلت نظرةً مع زملائها من المقاطعة
الحادية عشرة، وبدأت بالغناء:

أَيُّهَا الطَّائِرُ المَقْلُدُ الَّذِي

فَتَابَعْتَ لَوْلُو الأَغْنِيَةَ مِنْ دُونِ تَرَدُّدٍ:

عَشَّعَشَّ عَلَى شَجَرَةِ التَّفَاحِ

لَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ القِطَافِ، فَطِرَّ سَرِيعًا

طِرَّ سَرِيعًا

طِرَّ سَرِيعًا

لَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ القِطَافِ، فَطِرَّ سَرِيعًا

طِرَّ بَعِيدًا عَنْ أَشْجَارِ التَّفَاحِ.

وَسَأَلْتَنَا تَشِيكُورِي: "إِذَا، كَيْفَ تَعْرِفُ أَغَانِينَا؟"

فَأَجَابَتْهَا مَايْزِيلِي: "إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ مَقَاطِعْتَنَا. لَقَدْ أَرْسَلَ لَنَا الكَابِيْتُولُ هَذِهِ الفَتَاةَ لِتَحْلُ مَحَلَّ صَدِيقَتِنَا الَّتِي مَاتَتْ. وَتَعْتَقِدُ مَرشِدَتَانَا أَنَّهَا مِنَ المَقَاطِعَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ". يَبْدُو أَنَّ مَايْزِيلِي لَا تَهْتَمُّ أَبَدًا بِأَنَّ الكَابِيْتُولَ يَصْغِي إِلَيْنَا.

فَقَالَ تَايْل، أَضْخَمَ مَجَالِدَ مِنَ المَقَاطِعَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ: "وَلِمَ لَمْ تَخْبِرُونَا بِذَلِكَ قَبْلَ الآن؟"

فَأَجَابَهُ وَايَات: "لَأَنَّنا لَمْ نَكُنْ مَتَأَكِّدِينَ مِنَ الأَمْرِ، وَحَمِينَاهَا كُلُّ هَذِهِ المَدَّةِ. مَا الفَرْقُ إِنْ أَخَذَهَا الكَابِيْتُولُ مِنَ المَقَاطِعَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ أَوْ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ؟ أَلَسْنَا جَمِيعًا فِي فَرِيقٍ وَاحِدٍ؟"

تَجَاهَلْتَنَا لَوْلُو، وَحَاوَلَتْ التَّمْلِصَ مِنْ حَزَامِ الأَمَانِ الَّذِي يَثْبِتُهَا فِي مَقْعَدِهَا. فَسَأَلْتُ حَلْفَاءَنَا: "هَلْ تَعْرِفُونَ مِنْ تَكُونُ؟"

عندئذٍ، هزّت تشيكوري رأسها نافية وقالت: "إنّ مقاطعتنا كبيرة. ومن يدري متى وقعت في يد الكابيتول؟" ثم شدّت على حزامها لتقترب من لولو قدر استطاعتها وسألتها: "ما اسمك يا صغيرة؟ قولي لنا ما اسمك لنخبر عائلتك إذا نجا أحدنا".

فتردّدت لولو قليلاً. وما إن حاولت أن تجيب عن السؤال، حتى أمسكت أذنها بيدها، وصرخت صرخة حادة. فأمسك وايات بيدها الأخرى وحاول أن يهدئها.

وقالت مايزيلي: "نظنّ أنّ الكابيتول قد زرع جهازًا في أذنها للتحكّم بها".

حينئذٍ، قالت تشيكوري، وقد بدأت تستوعب ما يجري: "لهذا السبب طلبتم منّا أن ننتبه إلى ما نقوله أمامها... إنّ الكابيتول يسمع ما تسمعه". ثم أسندت ظهرها إلى ظهر مقعدها، وقد ارتسمت تعابير الحزن على محياها. "ربما سيتعرّف أهلها عليها عندما يرونها على الشاشة خلال المباريات".

لم أقل شيئًا للآخرين؛ إنّما أظنّ أنّ أهل لولو قد فارقوا الحياة منذ زمن طويل. وحتى لو كانوا أحياء يرزقون، فسيكتشفون أنّها حيّة بعد طول غياب، ثم سيشاهدونها وهي تموت أمامهم. ما أفضع هذا القدر! لن تكون نهاية قصّة لولو سعيدة.

أقلعنا. ولو اختلفت الظروف، لآستمتعُ بركوب طائرة، إلّا أنّ هذه التجربة عكّرت معدتي وأشعرتني بالغيثان. ثم عمّ الصمت لفترة، فحظيْتُ ببعض الهدوء لأستجمع أفكاري. كان عليّ أن أستفيد من هذا الوقت لأضع خطة للنجاة في ساحة القتال، لكنّ بالي منشغل بـلينور دوف. هل أُطلقَ سراحها وعادت إلى منزلها؟ ماذا تفعل الآن؟ وكيف حال أمّي وسيد، وبوردوك وبليز، وهاتي. لقد غرقتُ في أفكاري لدرجة أنني لم أشعر بالوقت يمضي. وسرعان ما بدأت الطائرة بالهبوط.

رافقنا الجنود مباشرة من منصة الهبوط المسقوفة إلى ممر طويل. ومع أنني لا أستطيع أن أرى ما يوجد خارج هذه الغرفة، إلا أن حدسي كان يخبرني بأننا تحت الأرض. وأنا واثق من أننا في الطابق السفلي - ألف. فتلقَّتُ بوجهي يمينًا ويسارًا لأحفظ كلَّ تفاصيل هذا المكان، ونحن نسير على أرضية خرسانية دائرية. فرأيتُ إلى يميني بعض الأنايب، وإلى يساري أبوابًا متفرقة. وكانت كل أربعة أبواب تحمل رقمًا واحدًا بدءًا من الرقم 6. وتتوالى الأرقام صعودًا: 7، 7، 7، 7، ثم 8، 8، 8، 8، وهكذا دواليك. مشينا مسافة طويلة حتى وصلنا إلى الأبواب التي تحمل الرقم 11. فأدخل الجنود تشيكوري من الباب الأول، وباقي مجالدي المقاطعة الحادية عشرة واحدًا واحدًا من الأبواب الثلاثة الأخرى. ثم فتح أحد الجنود أول بابٍ يحمل الرقم 12.

ففتحتُ ذراعَيَّ، واقترب وايات ومايزيلي مَنِّي بصمت لعناق جماعيٍّ. وتسلَّلت لولو بيننا، فتعانقنا بقوة أكبر، حتَّى شعرنا بنبض بعضنا بعضًا وعرقنا وبشرتنا. تُرى، هل سيبقى لدى أحدنا نبض بعد عشر دقائق؟

ثم قال أحد الجنود: "هذا يكفي".

فافترقنا، وذهب كلُّ منَّا إلى غرفته. وقبل أن أجتاز عتبة الباب الأخير الذي يحمل الرقم 12، لاحظتُ أن الباب التالي يحمل الرقم 1، ما يعني أن المجالدين سيكونون في دائرة في بداية مباريات الجوع.

كنتُ وحيدًا في غرفتي الدائرية، وكان في وسطها أنبوب شفاف سيرفعني إلى ساحة القتال. ووجدتُ زيَّ القتال مطويًا بعناية على كرسي وحيد في الغرفة. زيُّنا أسود كما توقَّعت مايزيلي.

رَحَّب بي صوت عبر "الإنترفون": "مرحبًا بك في منصة الانطلاق الخاصة بك". يلقَّب سكان مقاطعتي هذه الغرفة بالحظيرة؛ لأنها تشبه المكان الذي تنتظر فيه الماشية دورها للذبح. وتابع الصوت: "على المجالدين ارتداء الزيِّ الجديد الذي يُقدِّمه الكابيتول".

تقدمة الكابيتول، فتذكرتُ سروالي القصير المصنوع من كيس طحين الكابيتول، وأمي وسيد.

خلعتُ زيَّ التدريب وألقيته على الأرض. كان زيُّ القتال- وهو يتألف من ملابس داخلية، وقميص فضفاض طويل الكُمين، وسروال- مَصنوعًا من قماش رقيق وبارد وناعم الملمس شبيه بالأوشحة الحريرية التي تزيّن بها لينور دوف أرياءها. ثمّ حملتُ الحزام المصنوع من مادة مطاطية، ومزّرتة في الحلقات القماشية الموجودة على خصر القميص- لأثني لم أجد أي حلقات على السروال- وشبكتُ الحلقتين المعدنيتين الموجودتين على طرفي الحزام بعضهما ببعض لتثبيتته. ما أسهل شبك حلقتي الحزام وفكّهما! وبعد أن ارتديتُ زيِّي، ارتعشت رجلاي، فهويتُ إلى الكرسي وتسارعت دقات قلبي. سيبدأ القتال بعد بضع دقائق، وقد نسيْتُ كل ما يفترض بي فعله. ثم تذكرتُ أغنية وايريس...

ابدأ بالفرار، ثمّ ابحت بالترتيب،

عن سلاح يقيك وماءٍ يرويك،

الماء. هذا صحيح. يجب أن أغرق دماغ ساحة القتال. مهلاً، ماذا؟
اختلطت عليّ الأمور.

أصدر الصوت عبر "الإنترفون" تعليمات إضافية: "يرجى من المجالدين دخول الأنايب".

نهضتُ، وبصعوبة حملتني رجلاي. ثم أدير مقبض الباب، واقتحمت إيفي ترنكت الغرفة مُصفرةً الوجه، وهتفت: "لحظة! لا تذهب! يجب أن أفحص زيّك! لقد اكتشفتُ أنني كُلفتُ بهذه المهمة هذا الصباح أثناء الفطور". وهمست: "لم

يمكن أحد من العثور على ماغنو". وراحت تتفحص زبي على عجل، وتعذل الحزام. ثم أشارت إلى إحدى جيوب سروالي، وقالت: "هل رأيت هذا؟" كان في جيبى منديل صغير.

قلتُ لها: "شكرًا".

وعلا الصوت عبر "الإنترفون" قائلاً: "لديكم 30 ثانية. سيُعاقب المجالدون الذين لا يدخلون أنبوبهم في الوقت المناسب".

فقلت إيفي: "هيا أسرع!" وهي تُوجّهني نحو منتصف المنصة المستديرة الموجودة في الأنبوب، وتُخرج تذكاري من تحت ياقة قميصي.

كانت يداها ترتجفان، فتحليْتُ بالشجاعة لأطلب منها خدمة: "هل يمكنك أن تحرصي على إعادة تذكاري إلى حبيبتى؟"

فأومأت إيفي برأسها إيجابًا، ووضعت يدها على قداحتي قائلة: "سأفعل كل ما في وسعي لتحقيق رغبتك". ثم تراجعت خطوة إلى الوراء، فيما بدأ الباب يغلق تلقائيًا. وصاحت لي: "تذكّر يا هايميتش، لا تنزل عن منصتك قبل مرور ستين ثانية!" وقبل أن يُغلق الباب بالكامل، لوّحت بقبضتها في الهواء وأضافت: "وتفاءل بالخير!"

ثم بدأت المنصة برفعي، فثبّتُ نظري على إيفي إلى أن غمرتني الظلمة، وما عدتُ أرى شيئًا، فوضعتُ يديّ المُتعرّقتين على الأنبوب الزجاجي لأحافظ على توازني. ثم اختفت جدران الأنبوب فجأة، فتمايلت قليلًا على منصّتي. وهبّت نسمة هواء على وجهي، وأعماني نور ساطع. وما إن تأقلمت عيناى مع النور، حتى ارتفع حاجباى من الدهشة والذهول، وأنا أبصر ساحة القتال للمرة الأولى.

خطف جمالُ الساحة أنفاسي.

وأعلن صوت المذيع: "سيّداتي وسادتي، يسرّني أن أعلن بداية الدورة الخمسين من مباريات الجوع!"

تسلّل الشكّ إلى نفسي، فتجهمّ وجهي وعبستُ؛ فهذا الجمال المُفرط لا يبشّر بالخير. فالمرج الخضراء النضيرة تمتدّ في كل الاتجاهات، والطيور الملوّنة تحلّق فوقنا، وألوانها مُتناسقة مع أزبائنا ومع الزهور المُتناثرة حول منصّاتنا، والسماء زرقتها ناصعة تؤلم العين، والغيوم ناعمة ومُنْتَفِشة كحلوى غزل البنات. وما هذه الرائحة؟ الهواء عابق برائحة الرّهور؛ وكأنّ مُصمّمي المباريات جمعوا عبير أجمل أيّام الربيع في قارورة كبيرة، وأفرغوها في ساحة القتال من أجلنا.

فتنقّستُ من فمي كيلا أصاب بالدوار بسبب الرائحة القويّة، وحاولتُ أن أركّز نظري على قرن الوفرة الذهبي اللامع المليء بالأسلحة والمؤن في وسط المرج على بُعد خمسين ياردة منّي تقريبًا. إنّما هبّت نسمة هواء عليّلة، وشتّتت انتباهي زقزقة العصافير التي ذكّرتني بـلينور دوف. ثم رأيتُ إلى يساري غابة في الأفق تُشبه غابات مقاطعتي، وإلى يميني جبل صغير تكتسي قمّته بالثلوج. هل الخزان تحت الجبل يا ترى؟

اقترب منّي أرنب صغير، أشبه بكتلة من الزغب، وأخذ يأكل العشب أمام منصّتي. كان فراؤه رماديًّا فاتحًا مائلًا إلى البنفسجي، كلون اليمامة. وما إن مددتُ يدي نحوه، حتى جفل فجأة وقفز مُبتعدًا، فعدتُ إلى رشدي.

رُكّز يا هايميتش. تذكّر ما عليك فعله.

ابدأ بالفرار، ثمّ ابحث بالترتيب،

عن سلاح يقيك وماءٍ يرويك،

هذا صحيح. عليّ أن أجد سلاحًا، وأبتعد عن قرن الوفرة. لكن، إلى أين سأذهب؟ إلى الشمال. طلب منّي بيتي أن أتجه إلى الشمال. وقال لي بلوتارك إنّ شمس ساحة القتال مُتزامنة مع الشمس الطبيعية. هل أثق بكلام بلوتارك؟ لقد سمح لي بتوديع عائلتي، ولم يخبر الرئيس سنو عمّا فعلته بإبريق الحليب، وسمح لي أيضًا بإجراء مكالمة هاتفية مع لينور دوف... حسنا، سأصدّقه وأثق به! فقد نصحتنا وايريس بالوثوق بحدسنا وغرائزنا، وحدثني يخبرني أنّ بلوتارك كان صادقًا معي. سأحاول العثور على بوابات الكائنات المُعدّلة جينيًا تحت ربي صغيرة، وإن لم أعثر عليها فسيفقد بلوتارك ثقتي به.

الساعة الآن التاسعة صباحًا. وها هي الشمس تشرق أمامي من خلف القرن؛ ما يعني أنني واقف باتجاه الشرق، والغرب ورائي، ما يعني أنّ الشمال إلى يميني. لا! إلى يساري. الشمال إلى يساري باتجاه الغابة لا الجبل. وهذا نبأ سار؛ لأنّ معظم المجالدين الواقفين إلى يميني من تحالف المحترفين. فسيلكا تقف على المنصة المجاورة لي، وباناش على المنصة التي بعدها، يليه المجالدون الآخرون من المقاطعة الأولى، ومجالدو المقاطعة الثانية. أمّا المجالدون الواقفون إلى يساري، فهم حلفائي من تحالف المُستجدين. ومع أنّ قرب مُجالدي المقاطعة الأولى منّي إلى هذه الدرجة مُزعج وبثير القلق، إلا أنّهم سيحاولون الحصول على بعض الأسلحة، وسيقتلون من يصادفهم قبل أن يلاحقوني؛ خصوصًا إذا كنتُ مسلحًا. رأيتُ أمبيرت ورفاقه من المقاطعة الثالثة واقفين على منصّاتهم بين المجالدين المحترفين من المقاطعتين الثانية والرابعة، فكبحتُ رغبتني في الركض نحوهم لحمايتهم؛ إذ لن يودّ أمبيرت أن أساعده، بل سيُفصّل أن أهرب لأعثر على بوابات الكائنات المُعدّلة جينيًا في الشمال، وسيلحق بي قريبًا.

ركّزتُ نظري على حقيبة خضراء مرميّة على الأرض وراء قرن الوفرة. يمكنني أن أركض صوبها، وألتقط بعض الأسلحة المُتناثرة في طريقي إليها- كسكين على الأقل- وأبتعد عن الآخرين قبل أن يلاحظني أحد. هذه خطة جيّدة؛

إذ يبدو أنّ المجالدين الآخرين مشوّشو الذهن. فقد رأيتُ باناش يدير رأسه لينظر إلى عصفور أصفر حطّ على كتفه مُزقِرًا.

ثم فُرع الجرس مُعلِنًا بداية المباريات، فأطلقتُ رجليّ للريح على عشب المرج الأخضر، وانحنيتُ لألتقط رمحًا بيدي اليسرى، وسكيتًا باليمنى من دون أن أخفّف سرعتي، وشبكتُ حزام كتف الحقيبة الخضراء بذراعي اليمنى وحملتُها معي. حينئذ، سمحتُ لنفسي بإلقاء نظرة خاطفة ورائي، فاطمأنّ بالي حين أدركت أنّ المحترفين لا يلحقون بي. فما زال بعضهم واقفًا على منصّته، فيما بعضهم الآخر يجمع أسلحة من الأنحاء. تلاقى عيناى بعيني كيرنا وهي تتّجه نحو سلاح، ثم نظرتُ نظرة خاطفة إلى زهرة دوّار الشمس على عنقها، وتابعتُ الجري نحو أشجار الغابة البعيدة.

وبعد بضع لحظات، بدأت الصرخات تتعالى، لكنني أجبرتُ نفسي على مواصلة الركض باتجاه الغابة. فلو رأيتُ أحدًا من مقاطعتي أو من المُستجديين على شفير الموت، فسأنضمّ إلى المعركة التي اندلعت أمام قرن الوفرة. هل هذه صرخة لولو؟ أنا متأكّد من أنّني سمعتُ صرخة فتاة صغيرة. فقلتُ لنفسِي: *إيّاك أن تلتفت. إيّاك أن تنظر ورائك.*

ألمتني ذراعي بسبب ثقل الحقيبة، فتوقّفتُ ووضعتها على ظهري، وعلّقتُ السكين بحزامي، وحملتُ الرمح بيدي اليمنى، ثم واصلتُ الركض بوتيرة أظنني قادرًا على الحفاظ عليها حتى أصل إلى شمال ساحة القتال. كان العشب قصيرًا ومُتساويًا أمام قرن الوفرة، لكنني كلّما توعلّلتُ في المرج، طال العشب أكثر فأكثر حتى صار يعلق في حذائي ويعرقل خطواتي، فَرُحتُ أرفع قدميّ عاليًا وأنا أجري. وبقيتُ مُتيقظًا لتجنّب الثعابين. لكنني لم أر إلاّ زهورًا، وعصافير مُغرّدة، وأرانب تمرّ قربي بين الفينة والفينة. ولم أجد أثرًا لأيّ مخلوق أو نبات سامّ أو قاتل.

فراجعتُ قائمة وايريس:

ابدأ بالفرار

ها أنا أفرّ الآن.

ثم ابحث بالترتيب

عن سلاحٍ يقينك...

تمّ. فقد وجدتُ سلاحًا.

... وماءٍ يرويك،

لن أبحث عن الماء الآن، فعليّ أن أصل إلى الغابة أولاً لأحتمي بين
الأشجار. ثمّ سأبحث عن الماء وأنا أتجه شمالاً. حسناً، ماذا بعد الماء؟

وزادٍ يُغديك وظلٌّ يأويك،

لا، لم يحن الوقت للعثور على الطعام والمأوى. فما زالت المعركة الأولى جارية، وأنا أحاول أن أتفادها. عليّ أن أقرب قدر المستطاع من الخزان، وأن أعثر على إحدى بوابات الكائنات المعدّلة جينيًا. لكنني راضٍ عن التقدّم الذي أحرزته حتى الآن.

ركضتُ حتى تعبتُ، فخففتُ سرعتي، ومشيتُ مُتَّكِنًا على الرمح فوق العشب الذي صار يصل إلى خصري. ورأيتُ في الأفق أطراف الغابة التي تحيط بالمرج وكأَنَّها تبسط ذراعيها لتحتضنه، وأشجارًا مُزهرة مُثمرة وارفة، بدرجات مُتعدّدة من الخضرة الممزوجة مع الأصفر والبرتقالي تُؤمّن لي كل ما أبحث عنه من ظلٍّ يحميني من الشمس الحارقة، وطعام يسدّ جوعي، ومأوى يحجبني عن عيون المحترفين. فاحت رائحة الصنوبر والزهور من الغابة، فهدأت دقات قلبي المُتسارعة. يا لها من رائحة ساحرة! لا، بل آسرة... آه، تعجز الكلمات عن التعبير عن طيبها السحري الذي يبعث في النفس شعورًا بالأمان؛ وكأنني إذا دخلتُ إلى أحضان الغابة، فلن يصيبني أي مكروه. أليس هذا ما تشعر به الحشرات التي تحطُّ على نبتة السلوى قبل أن تغرق في سائلها وتموت؟ سيكون مصيري كمصير تلك الحشرات على الأرجح، حين أفجر الخزان.

حين بلغتُ تخوم الغابة، كنتُ قد اجتزتُ ميلين تقريبًا، فتسلقتُ صخرةً كبيرة لألقي نظرة على المرج بحثًا عن مجالدين آخرين في الأنحاء، غير أنني لم أجد صديقًا أو عدوًا في الأفق. ثم سمعتُ صوت مدفع يدوي؛ ما يعني أنّ المعركة الأولى أمام قرن الوفرة قد انتهت. ففي العادة، يضرب المدفع كلما مات أحد المجالدين، إلّا خلال المعركة الأولى التي يُصرَع فيها عدد كبير من المجالدين بسرعة، والتي ينتظر مصمّمو المباريات نهايتها لضرب المدفع لكل الضحايا؛ واحدة تلو الأخرى. فتوالت الضربات، وارتعشت عظامي مع كلِّ ضربة. لقد ضرب المدفع ثماني عشرة مرّة، أي مات ثمانية عشر مجالدًا. ولن أعرف مَنْ مات قبل أن يحلّ الليل وتُعَرَّض صور الموتى في السماء. لكنّ عدد

المحترفين لا يتجاوز ستة عشر مجالدًا. لذا، أظنُّ أنّ المُستجِدِّين تعرَّضوا لخسائر أكبر منهم.

أحاول عبثًا عدم التّفكير في الأمر. تُرى، مَن مات؟ أهى مايزيلي؟ أو وايات؟ أو لولو؟ أو رينجينا؟ أو آمبيرت؟ هل كان آمبيرت من ضحايا المعركة الأولى؟ وماذا سيحدث للخطة إذا مات؟ فقد كان فريسة سهلة نظرًا إلى كونه مُحاصرًا بين مجالدين محترفين من الجهتين. لا! لم يمّت آمبيرت. فهو ذكي، ولا بد من أنّه هرب وسيعثر عليّ قريبًا. عليّ أن أوّدي مهمتي كما اتفقنا.

جلسْتُ على صخرة لألتقط أنفاسي، واستفدتُ من هذه الفرصة لأتفحّص محتويات الحقيبة التي تزن حوالي خمسة وعشرين رطلًا؛ كأكياس الحبوب التي أنقلها لهاتي. وكانت مصنوعة من قماش سميك وقاسٍ، ولديها حزامان مبطنان. ولم يكن لونها الأخضر فاقعًا ولافتًا للنظر، بل مُتناسفًا مع لون الأشجار المتناثرة حولي. تردّدتُ قبل أن أفتح الحقيبة، فمصري مرتبط بمحتوياتها. ثم فتحتها، وأخرجت ما فيها من مؤن وأدوات:

سرير قماشي يُعلّق بين شجرتين لونه كلون الحقيبة، ومنظار، و"غالونان" من الماء- هُما غالبًا سبب ثقل الحقيبة- ووزينة من التفاح، وعلبة كرتونيّة فيها اثنتا عشرة بيضة؛ أدت إحداها في يدي لأتأكّد من أنّها مسلوقة، وستّ حبات كبيرة من البطاطا. كم قَرِحْتُ عندما رأيتُ البطاطا، إنّما لم تدم فرحتي طويلًا، فقد تذكّرتُ أنّني أعطيت مايزيلي كيس العملات والمسامير. لا بأس، فهي ووايات أقلّ عرضة لإثارة الشكوك إذا رآهما أحد مع أغراض بيتي؛ بما أنّ معهما أصلًا عملة معدنية من الزنك، وميدالية نحاسية. آمل أنّهما حصلتا على بعض البطاطا أيضًا؛ فالحبات التي معي ستذهب إلى معدتي.

بصراحة، توقّعتُ أن تكون محتويات هذه الحقيبة أفضل من ذلك؛ لأنّ حجمها كبير، ولأنني وجدتها قرب قرن الوفرة. فتشّنتُ الحقيبة مرّة أخرى بعناية لأتأكّد من أنني لم أغفل شيئًا؛ فوجدتُ في الجيب الخارجي كيسًا كبيرًا

فيه أقراص سوداء صغيرة. تُرى، هل ستتحول هذه الأقراص إلى وجبة فاخرة من اللحم الطري إذا بللتها بالماء؟ فعرضتُ أحد الأقراص، واكتشفتُ أنّ نظريّتي خاطئة مع الأسف. أظنّ أنّ هذه الأقراص هي نفسها أقراص الفحم المُنشّط التي كانت جدّتي تشتريها من متجر عائلة مارش لعلاج عسر الهضم الناتج عن الإفراط في الأكل. يبدو أنّ مُصمّمي المباريات يعبثون معنا؛ فليس الإفراط في الأكل خيارًا واردًا في ساحة القتال. ولا شك في أنّهم ضحكوا على ردّة فعلي حين اكتشفتُ فائدة الأقراص. لا بأس، سأجد لها نفعًا. يمكنني مثلًا أن أستخدمها للتمويه.

شربتُ جرعة كبيرة من الماء، ثم أعدتُ كل الطعام والأغراض إلى الحقيبة. لن أكل شيئًا من مؤن حقيبتني قبل أن أكوّن فكرة عمّا تخبئه الغابة من خيرات. فالتفتُ لتأكد من أنّ الجبل ورائي، وأنني أسير في الاتجاه الصحيح، ودخلتُ الغابة.

كم ارتحتُ حين تخلّصتُ من عشب المرج العالي، ووطئتُ أرض الغابة الترابية المُغطّاة بإبر السنوبر والطحالب والسرخسيات الملوّنة بألوان قوس قزح. مشيتُ بضع دقائق قبل أن ألمح أوّل ربوة صغيرة ناعمة مكسوّة بزهر الحودان. يبدو أنّ بلوتارك كان مُحققًا في هذه النقطة. تُرى، هل تُخفي هذه الربوة بوابة كائنات مُعدّلة جينيًّا؟ لا وقت للتأكد من ذلك الآن. والجواب لا يهم على أي حال؛ فأنا لم أصل إلى وجهتي بعد.

كانت الغابة-كما المرج- كحلّم جميل مرسوم بريشة فنان، إلّا أنّني كلّما توعلّلتُ فيها، استشطتُ غضبًا أكثر فأكثر. فهذه الشجرة التي أمامي مُثقلّة بالتفاح الناضج، وتلك الأعشاش التي هناك مليئة بالبيض، وهذه الجداول تتدفّق منها مياه نقية صافية. ما نفع حقيبتني إذًا؟! فكلّ ما فيها مُتاح في مُتناول اليد في الغابة. وأراهن أنّني إذا حفرتُ في التربة فسأجد بعض البطاطا. هل يعبث مُصمّمو المباريات معي؟

حملتُ خمسةً وعشرين رطلاً معي كل هذه المسافة كالأحمق. فكّرتُ في التخلّص من محتويات الحقيبة على الأرض لأخفف الحمل، لكنني سرعان ما عدلت عن الفكرة لأنني سأضطر إلى إضاعة الوقت في جمع غيرها. فواصلتُ السير وأنا أراقب الربي الصغيرة التي أمرّ بها، ثم سمعتُ المدفع يضرب مرّتين. لقد بلغ عدد القتلى عشرين قتيلاً. لو كانت هذه الدورة من دورات مباريات الجوع العادية، لَبَقِيَ الآن أربعة مُجالدين فقط في ساحة القتال. لكنّ عدد المجالدين تضاعف هذا العام، ما يعني أنّه ما زال في الساحة ثمانية وعشرون مُجالداً.

حين جفّ حلقي، توقّفتُ عند جدول صغير، وأسندتُ حقيبتني إلى جذع شجرة، وغرقتُ بعض حفّات من الماء البارد المنعش بيدي ورويتُ عطشي. كان طعم الماء معدنيًا، إنّما لم يكن بحدّة ماء البئر في مقاطعتي. تروّيتُ في الشرب؛ لأنّ عبّ الماء البارد في يوم حار يسبب ألمًا في المعدة.

ثمّ اتّكأتُ على حقيبتني، ورأيتُ أرنبًا بلون اليمام يقفز إلى الضفة المقابلة ويتجرّع الماء بسرعة. وحين ارتوى، جلس على الضفة، وأذناه ترتعشان؛ فتذكّرتُ أنّني كنت أساعد بوردوك على نصب الفخاخ أحيانًا. لكن، كيف أنصب الفخّ من دون أسلاك؟ وهل حقًا سأقتل مخلوقًا لونه كلون حبيبتني المفضّل؟

وفيما كنتُ غارقًا في التفكير، بدأ الأرنب يئنّ، وتشجّج جسده الصغير فجأة، ثم سقط على الأرض ميتًا، وتلطّخ فراء ذقنه بالدم.

سمّ. ماء الجدول مُسمّم! ضغطتُ على بطني بيدي. ليس ما أشعر به مَغصًا ناتجًا عن شرب ماء بارد في طقس حارّ، بل إنّه ألم حادّ وحارق. وضعتُ إصبعي في فمي وأجبرتُ نفسي على التقيؤ، ثم تذكّرتُ أنّ التقيؤ ليس الحلّ الأمثل للتخلّص من السموم. فقد يسبب لي السّم ضررًا أكبر وهو يخرج من حلقي. أحتاج إلى ترياق كذلك الذي شربه الرئيس سنو عندما تسمّم. إنّما ليس معي مثله.

بحثتُ في حقيقتي عن شيء يمتصّ السّم ويخفّف أثره، كقطعة خبز مثلاً، فلم أجد ما يفيدني. لا أعرف أصلًا إذا كان الخبز يجدي نفعًا في مثل هذه الحالة. ثمّ اشتدّ الألم، فشربتُ بعض الماء من أحد "الغالونين" في محاولة يائسة لتخفيف أثر السّم. إنّما لم أشعر بتحسّن، بل على العكس، صرّتُ أواجه صعوبة في التنفّس وبدأتُ أتعرّق. هل كُتبتَ لي أن أموت قبل أن أضع حدًّا لمباريات الجوع؟ أهكذا سأموت؟ كجرذ مُسمّم ومُتكوّر في التراب؟ قلبتُ الحقيبة، وأفرغتُ محتوياتها على الأرض، ثمّ أخذتُ حبة بطاطا نيئة؛ لأنّها أقلّ ضررًا من البيض والتفاح. وما إن كدشتُ قطعة منها، حتى وقعت عيناي على كيس أقراص الفحم المنشّط.

فتذكّرتُ ما قالته جدّتي في يوم خريفيّ منذ بضع سنوات، وهي تمضغ بضعة أقراص من الفحم المنشّط بعد أن أفرطنا في تناول حساء الفلفل الحار: "هذه الأقراص هي الدواء لكل داء في المعدة؛ سواء أكان حرقه أو

غازات أو تسمّمًا". ظننتُ أنّ مُصمّمي المباريات وضعوا هذه الأقراص في الحقيبة للعبث مع المجالدين. أيعقل أن تكون هي الترياق الذي أحتاج إليه؟

وعلى الفور، بصفتُ قطعة البطاطا، ثمّ مرّقتُ الكيس وحشوْتُ فمي بحفنة من الأقراص. طحنتها بأسناني، وابتلعتها مع جرعة من الماء، ثمّ انتظرتُ قليلاً، إلّا أنّني لم ألاحظ أيّ تحسّن، فابتلعتُ نصف دزينة إضافية من الأقراص. حينئذٍ، شعرتُ ببعض الارتياح، غير أنّني تقيأتُ كلّ ما أكلته منذ البارحة في الجدول. فجتوتُ على ركبتيّ ويديّ لاهتًا، والعرق يتصبّب من وجهي، واللعب يسيل من فمي. وعلى الرّغم من أنّ ألمي سكن وتلاشى، إلّا أنّني ما زلت أشعر ببعض الغثيان، فوضعتُ قرصًا إضافيًا في فمي من باب الحيلة، وتركته يذوب على لساني ببطاء، ثمّ أسندتُ ظهري إلى شجرة، وجلستُ في ظلّها مُنتظرًا أن تهدأ دقات قلبي وتعود إلى إيقاعها الطبيعي.

عندي فرصة للنجاة. لن أموت. لم تدقّ ساعتني بعد. لا يمكنني أن أموت قبل أن أفجّر الخزّان. والآن، وقد أفلتُ من براثن الموت، حاولتُ أن أستعيد تركيزي. كانت كل أغراضني مُتناثرة على الأرض أمامي. وبا لها من أغراض سخيفة وتافهة يمكنني أن أجد مثلها في أي مكان في الغابة...

... ثمّ اعتدلْتُ في جلستي، وتبادرت إلى ذهني نصيحة ماغرّ: "ابحثوا عن أدلّة تساعدكم على فهم ما ينتظركم في ساحة القتال. ففي بعض الأحيان، يُخبئ مُصمّمو المباريات في اختياراتهم للتدريبات أدلّة مهمّة تشير إلى طبيعة ساحة القتال".

ماذا تكشف لي محتويات الحقيبة عن ساحة القتال؟ لماذا ملأ مُصمّمو المباريات حقيبتني بمؤن متاحة بوفرة ويسهل جمعها؟ حدّقتُ إلى جثة الأرنب على الضفة المقابلة... ماذا لو كانت سهولة العثور على الطعام والشراب في ساحة القتال فحًا؟ ماذا لو كانت كل لقمة طعام وشربة ماء في حقيبتني كنزًا ثمينًا لأنّ نظيراتها في الساحة سامّة؟

لا شك في أنّ نظريّتي صحيحة. فتلك التفاحات الناضجة المُتدلّية فوق رأسي سامة كماء الجدول. تُرى، هل كل الطعام والشراب الموجود في ساحة القتال مُسمّم؟ نعم، على الأرجح. ما يعني أنّ المؤن الموجودة في الحقائب المُتناثرة في قرن الوفرة وحوله هي الوحيدة التي تصلح للأكل والشرب.

نفضتُ أغراضي وطعامي، وأعدتُ توضيبها في الحقيبة بعناية، وأنا أفكر في ضربَي المدفع الأخيرين. هل مات أحد المحترفين وأحد المستجدين من جرّاء التسمم؟ وهل أندر موتهما بقية المجالدين بأنّ ساحة القتال سامة؟ تذكّرتُ طيور الكناري التي تُفلتُ في المناجم في مقاطعتي لضمان سلامة العمّال. فإذا اختنقت هذه الطيور وماتت، أُنذرت العمّال بوجود تسرب غازات سامة في المناجم. أو هل مات مجالدان مُحترقان يا ترى؟ فأنا واثق من أنّ أمبيرت وويلي فهما بسرعة أنّ حقائب الطعام لا تحتوي على مؤن فحسب، بل أيضًا على دليل من مُصمّمي المباريات على أنّ ساحة القتال سامة. ولولا التحالفات التي أقمناها، لمات عدد أكبر من المجالدين. تُرى، هل هذا ما خطّط له مُصمّمو المباريات؟ وهل أفسدت تحالفاتنا خطتهم؟

وبما أنّ كل لقمة صالحة للأكل كنز في هذه الساحة، فكرتُ في الاحتفاظ بلحم الأرنب. فمع أنّ تسمّمي قضى على شهيتي الآن، إلّا أنّني أعرف أنّ الجوع سيغلبني لاحقًا، ولم يعد يهمني إذا كان لون الأرنب الرمادي يُذكّرني بحبيبتي. غير أنّني عندما أنظر إلى الدم المُتخثر على ذقنه أنفر منه. فأخر ما أحتاج إليه الآن هو جرعة إضافية من السم. يجب أن أتابع السير شمالًا. لكنني عندما وقفتُ على رجليّ اجتاحتني موجة من الغثيان، فتمسّكتُ برمحي لأحافظ على توازني. هل سيبقى هذا السم في جسدي طويلًا؟

أخذتُ أنفاسًا عميقة من الهواء المركّب. لقد فقد سحره تمامًا. فمع أنّه ليس سامًا، إلّا أنّني لا أظنّه نقيًا على الإطلاق. ثمة شيء مُريب يختبئ وراء تلك الرائحة العطرة؛ فقد رأيتُ تعابير الذهول التي ارتسمت على وجوه المجالدين الآخرين ونحن نقف على منصاتنا بانتظار قرع الجرس في بداية

المباريات. هل في الهواء مُخَدَّر؟ ألهذا السبب خارت قواي وشعرْتُ بالغثيان؟ أم بسبب الماء؟ ليس في اليد حيلة إذا كان الهواء هو السبب؛ إذ لا يمكنني أن أحبس أنفاسي حتى نهاية المباريات. فمشيْتُ ورجلاي تحملانني بصعوبة نحو الشمال.

أشعر بتوعُّك. وبصعوبة اجتزت بضع مئات من الأمتار قبل أن أهوي على الأرض مُتَقَيِّئًا القرص الأخير، ثم تكوَّرتُ على نفسي، وأصابتنِي رعشة هزَّتْ جسدي بعنف، واصطكَّتْ أسناني بقوة شديدة؛ لدرجة أنني خفتُ من أن تتكسَّر. ليتني كنتُ في سريري في المقاطعة الثانية عشرة، وأمي بجانبني تسقينِي مرق الدجاج بالملعقة، وتغطِّيني بكل اللُّحْف التي نملكها، وتضع وسادة ريش الإوز تحت رأسي. لا بد من أن أُمي تشاهدني الآن، ولا تستطيع أن تصل إليَّ لتساعدني. حاولتُ أن أستجمع قوَّتي من أجلها، وأجبرتُ نفسي على الجلوس، ومسحتُ والعرق عن وجهي بمنديل جيبي.

سأكون فريسة سهلة إذا رأني أحد من المحترفين. يجب أن أختبئ. إنَّما ليس في الغابة أيُّ مسارات مَحْفورة في التراب لنسير عليها، أي لا يوجد مسار أخرج وأحيد عنه لأتوَعَّل في الغابة حيث لا يجدني أحد. يمكن أن يأتي إليَّ المحترفون من كل مكان واتِّجاه. وإذا كان أحدهم قد تبعني عبر المرج، فسأصبح فريسة مينة قريبًا. فاستحضرتُ أغنية وايريس لأسترشد بها:

ثم ابحت بالترتيب عن [...]

زادٍ يُغَدِّيكَ وظلُّ ياؤبِكَ،

ونار تدفِّئكَ وصديقٍ يحميك.

لم يعد الوصول إلى شمال ساحة القتال أولويتي الآن. إذ يجب أن أجد مكانًا آمنًا أختبئ فيه وأتعافى في أسرع وقت. وسأفكر في الأصدقاء والنار لاحقًا. انتصبت واقفًا. وخطر لي أن أتسلق شجرة، لكنني متأكد من أنني سأسقط أرضًا إذا حاولت التسلق في حالي الراهنة. يجب أن أستلقي في مكان يحبني عن الأنظار، فمشيت مُتثاقلاً مُنحرفًا نحو الشرق، حتى عثرت على مجموعة من الشجيرات الكثيفة المتقاربة المُثقلة بالتوت الأزرق. لا أستطيع أن أكل أيًا من تلك الثمار، إلا أنني أستطيع أن أختبئ بين تلك الشجيرات وأغضانها الملساء غير الشائكة. فزحفت على بطني، وجررت حقيقتي ورائي إلى وسط الشجيرات. ثم فرشْتُ السرير القماشي على الأرض، وتمددت على طرف منه، وتغطيتُ بالطرف الآخر للحصول على بعض الدفء. هذا جيّد. لا أستطيع أن أرى ما يوجد في الخارج، وآمل ألا يستطيع أحد المارّة أن يراني هنا. وحتى لو لم يكن مخبئي جيّدًا، فلا حول لي ولا قوة لأغادر مكاني.

بقيت أقاوم رعشات عيفة وحمى، وأتصّب عرقًا ساعاتٍ عدّة. كان الألم ينهش عظامي، وشعرْتُ وكأنّ رأسي محشور في منجلة، كتلك التي يستخدمها تام أمبر. تُرى، هل يعاني أحد من رفاقي العذاب نفسه؟ لم يضرب المدفع منذ الضربين الأخيرين اللذين عزوتهما للموت بالتسمم. إنّما يمكن أن يكون بعض المجالدين الآخرين مطروحين أرضًا مثلي، ينتظرون خروج السمّ من أجسادهم. ولا يبدو أنّ مُصممي المباريات يُطلقون كائنات مُعدّلة جينيًا لمطاردتنا، أو يحاولون أن يدفعونا للاشتباك بعضنا ببعض... أقلّه ليس بعد.

وحين حلّ الليل، علا صوت نشيد بانيم في ساحة القتال، فاستجمعتُ ما يكفي من القوة لأرحف نحو أطراف شجيرات التوت الأزرق وأرفع نظري إلى السماء، ورأيتُ صورة علم بانيم؛ حيث سُعرّض صور المجالدين الذين ماتوا اليوم بعد قليل. سقط عشرون ضحية اليوم. ففردتُ أصابعي على التراب

لأستعدّ للعدّ. بعد أن أمرّ على كل إصبع مرّتين، سأعرف حال المستجدين
وحجم الخسائر التي تكبّدناها.

ظهرت الصورة الأولى في السماء. إنّها شابة في زيّ أخضر مخاطي من
المقاطعة الأولى. أعتقد أنّ اسمها كارات. ثم اختفت صورتها، وحلّت محلها
صورة أورتشين؛ وهو شاب من المقاطعة الرابعة. كم ارتحّ حين اكتشفت أنّ
مُجالدي المقاطعة الثالثة كلّهم أحياء يُررّقون، ولا سيما منهم آمبيرت. وبعد
المقاطعة الرابعة، جاء دور الخامسة التي خسرت شابًا وشابّة، فارتفع مجموع
خسائر المحترفين إلى أربعة أعضاء. وحين رأيتُ صورة مايلز- الفتى المصاب
بالربو من المقاطعة السادسة- تمزّق قلبي. كانت المقاطعة الخامسة آخر
مقاطعة مُنتسبة إلى تحالف المحترفين؛ ما يعني أنّ الصّحايا الست عشرة
الباقية كلّها من تحالف المستجدين. فشاهدتُ صور حلفائي الصريعين تتوالى
في السماء واحدة تلو الأخرى: فيلو وهي مجالدة من المقاطعة السادسة،
والشابان من المقاطعة السابعة، وكلّ مُجالدي المقاطعتين الثامنة والتاسعة،
وكلتا مجالدي المقاطعة العاشرة، وتايل وهو شاب من المقاطعة الحادية
عشرة. بقيت ضحيّة واحدة. هل خسرت المقاطعة الحادية عشرة مجالدين أم
أنّ الضحية الأخيرة من مقاطعتي؟

إنّّه وايات. لا أصدق أنّ وايات قد مات! وكم ألمني خبر وفاته. فمع أنّي
لم أكن أريد أن أتخالف معه منذ أيام معدودة، إلّا أنّه تبين لي لاحقًا أنّه ليس
شخصًا سيئًا، وإنّما هو روح طيّبة تنحدر من عائلة فاسدة. ومع الأسف، لن
يذرف عليه أحد من المقاطعة الثانية عشرة دمعة.

قل لي يا سيد كالو: هل كسبت مالاَ وفيرًا من موت ابنك اليوم؟ هل
يستحق المال والثراء التضحية بحياته؟

لا يجرؤ معظم سكان المقاطعة على مخاطبة السيد كالو بهذه الطريقة؛
مهما كان سلوكه مُقَرَّرًا ومُنْفِرًا. إنّما لن يقفوا في وجه أحد يواجهه ويضعه عند

حدّه.

تُرى، كيف مات وايات؟ لا شك في أنّه كان يحمي لولو؛ فهو لم يتخلّى عنها كما تخلّى عنه الجميع، فحتى أنا تركته وحده. تركت كل المستجدين يتدبرون أمرهم وحدهم وهربوا. أعرف أنّني كنت مُضطراً إلى الافتراق عنهم لأتمكّن من تنفيذ خطة بيتي، إلّا أنّني ما زالت أشعر بالذنب إزاء تركهم وحدهم.

غلا الدّم في عروقي حين فكّرت في تضحية وايات، وفي دور الكايتول في موت المجالدين في هذه الساحة ذات الجمال السّامّ الفئّاك. يجب أن نضع حدّاً لهذه المباريات. هنا. الآن. فكلّ حياة يحصدها الموت في ساحة القتال تزيدني عزماً على إنجاح خطتنا. حاولتُ أن أستعيد تركيزي. لقد مات جميع مُجالدي المقاطعة التاسعة. ترى، هل تمكّن آمبيرت من أخذ زهور دوار الشمس قبل أن تجمع الطائفة جثثهم وتخرجها من ساحة القتال؟ ماذا سنفعل إذا لم ينجح في الحصول على زهور دوار الشمس؟ كيف سنفجّر الخزان من دون متفجرات؟ قد تكون فرصتنا في تنفيذ هذه الخطة بنجاح ضئيلة، لكن من دون المُتفجّرات، ستندم فرصتنا نهائياً.

انتهى عرض الصّور وأظلمت السماء، فزحفْتُ إلى سريري القماشي واحتضنتُ حقيبتني، وظللتُ أرتجف إلى أن غرقت في النوم.

استيقظتُ في وقت مُتأخّر من الصباح. وما إن فتحتُ عينيّ، حتى وجدتُ عينيّ خضراوين صافيتين تُحدّقان إليّ. يبدو أنّ أحد الأرنب الرمادية قرّر الاختباء بين هذه الشجيرات، واستقر على بُعد بضعة أقدام منّي. يمكن أن يكون الأرنب مجرّد أرنب عادي ألقي به في ساحة القتال ويشعر بالرعب مثلي في هذا المكان المخيف. ومن الممكن أن يكون قد اعتاد على البشر لأنّه تربى على أيديهم، فعثر عليّ بدافع الجوع، بعد أن أدرك أنّ كلّ الطعام والشراب في هذه الساحة مُستَمَم. وبما أنّني لستُ في غنى عن صديقٍ ذكيّ في هذا المكان، أخرجتُ تفاحة، وقضمتُ منها قطعة صغيرة ووضعتها أمام صديقي

الجديد، فاقترب الأرنب منها وشمّها ثم بدأ بالأكل. حينئذ، أدركتُ أنّ إطعام الأرنب قبل أن آكل وسيلة فعّالة للتأكّد ممّا إذا كان التفاح في حقيبتني سأمًا. لكنني شعرتُ ببعض الذنب لأتني مدين لها؛ ولا سيما الأرنب الذي أيقظني من حالة الذهول عندما كنت على منصّتي، والآخر الذي ضحّى بنفسه عند النهر لينبّهني إلى أنّ الماء مُسمّم. مهلّا، هل قلتُ الآن إنّ الأرنب يعرف أنّ الماء مُسمّم، وضحّى بنفسه ليحميني؟! وهل أوّمن حقًا بأنّ هذا الأرنب الجالس أمامي سيُضحّي بحياته أيضًا من أجلي؟ حسنًا، يبدو أنّني أبالغ في تقدير نوايا الأرنب وتضحيتهم. ومع ذلك، لا أرغب في أن أتسبّب بموت أحد حلفائي في آخر أيّامي، ولا سيما إذا كان لونه كلون اليمام.

لم يمت الأرنب لحسن الحظ، فالتهمتُ تفّاحتي اللذيذة بنهم. وحين انقشعت الغشاوة عن ذهني قليلًا، أخذتُ أقيّم أحداث البارحة. سقط عشرون مجالدًا: أربعة محترفين، وستة عشر مُستجِدًّا. ليست الأرقام في صالحنا. وأنا لا أحتاج إلى قدرة وايات الرهية في الحساب لأعرف أنّ التحالفين صارا شبه مُتعادليْن من حيث العدد بعدما كان عدد المُستجدين ضعف عدد المحترفين في بداية المباريات. وعلى الرّغم من أنّنا نفوق المحترفين ذكاءً، إلّا أنّهم يجتاحون صفوفنا ويقضون علينا بقوة غاشمة. أخشى أنّ نظرية أمبيرت لن تجتاز مرحلة التطبيق. إنّما يمكن لذكاء المُستجدين وتضامنهم معًا أن يمنحهم أفضلية على المحترفين الآن وقد انتهت المعركة الأولى.

"اعثري على هايميتش!"

"آه!" خبطتُ رأسي ببعض أغصان التوت الأزرق عندما سمعتُ هذا الهمس العجيب.

"اعثري على هايميتش!"

ثم التفتت ذراعان صغيرتان حول حذائي، وأطلت وجه لولو من فوقهما مغطّى بالتراب والدم الجاف.

"وجدته".

فهرب الأرنب بعيدًا. ولو لم أضبط نفسي لهربثُ معه. لولو؟
ليست لولو جزءًا من الخطة. كيف عثرت عليّ؟ هل تعقبها أحد ما إلى
هنا؟

لم تعد شجيرات التوت الأزرق تبدو آمنة على الإطلاق، فقلت لها وأنا
أحاول أن أكون هادئًا: "مرحبًا يا لولو، هل أنت وحدك؟ هل رافقك أحد إلى
هنا؟"

"الجبيل".

إدًا، أنا ولولو وحدنا؛ فقد اتجه الجميع إلى الجنوب، فيما ذهبنا أنا إلى
الشمال.

شدت لولو رجلي لأتبعها، ثم زحقت إلى الوراء لتخرج من بين
الشجيرات، فلحقتُ بها زحفًا. وبما أنني لا أعرف ما ينتظرنني في الخارج،
حملتُ سكينتي ورمحي في يديّ مُستعدًّا للمواجهة. إنّما كانت الغابة ساكنة،
وليس فيها أحد غيرنا. ربما اتجه كلا الفريقين فعلاً نحو الجبل.

وما إن رأيتُ حالة الرقعة التي اختبأتُ فيها حتى فهمتُ كيف عثرت لولو
عليّ بسهولة. إذ يبدو أنني كسرتُ بعض الأغصان وأنا أزحف إلى وسط
الشجيرات؛ حتى إنّ منديلي علق بأحد الأغصان، وراح يرفرف في الهواء وكأنه
لافتة ترحيب. لا أصدّق أنني ظننتُ أنني اختبأتُ جيّدًا. من حسن حظي أنّ
المحترفين لم يمرّوا من هنا. لكنّ وجود لولو معي هنا يُربكني ويُفسد دور
الشاب المُشاكس الذي عقد عزمه على الفوز. وفي الوقت نفسه، لا يمكنني
الافتراق عنها، فقد قلتُ في مقابلي مع سيزار إنّ المستجدين في أمان معي.
كما أنّ لولو بالنسبة إلى الجمهور من مقاطعتي. أظن أنني سأعتني بها إلى أن

ألتقي آمبيرت وبحين موعد تنفيذ المهمة، فحينئذ، سيكون تفجير خزان المياه أولويتي الوحيدة.

كانت لولو تحدّق إلى شجرة تفاح، وتغني لنفسها بصوت خافت:

أبيها الطائر المقلّد الذي

عَشَعَشَ على شجرة التفاح،

لقد حان موعد القِطاف، فطِرَ سريعًا

طِرَ سريعًا

طِرَ سريعًا

لقد حان موعد القِطاف، فطِرَ سريعًا

طِرَ بعيدًا عن أشجار التفاح.

ثم مدّت يدها لتقطف تفاحة فأمسكها قائلاً: "لا، لا تأكلي من الشجرة. فهذا التفاح فاسد. معي تفاحة لذيذة في حقيبتني". ثمّ أجلسَتْ لولو على الأرض، وأعطيتها تفاحة حمراء لامعة من حقيبتني. لم تكن معها حقيبة أو أيّ مؤن أو أغراض. وكالعادة، انقضّت على طعامها تلتهمه بنهم. سأضطر إلى مراقبتها كالصقر على مدار الساعة؛ كيلا تأكل ثمارًا مُسمّمة من ساحة القتال. لا أعرف كيف قطعت كل هذه المسافة وصمدت حتى الآن. كان المرج آمناً، وليس فيه أي خطر عليها، ويبدو أنّها لم تر الثمار في الغابة في ظلمة الليل. وثيابها المُتسخة تدلّ على أنّها نامت على الأرض.

قشّرْتُ بيضتين مسلوقتين وأنا أفكّر في أن أسأل لولو عمّا حصل لوابات. إذ إنّني أعتقد أنّها شهدت موته. وقد يكون الدم الذي يغطيها هو دمه. لكنني لا أريد أن أضايقها، ولهذا قلتُ: "من قال لك أن تبحتني عني يا لولو؟"

فأشارت إلى أذنها التي تؤلمها في العادة قائلة: "اعثري على هايميتش".
مهلاً، هل تقصد مُصممي المباريات؟ ولماذا طلبوا منها العثور علي؟
مهما كان السبب، فلن يكون لصالح أبيّداً.

وأضافت لولو: "قاتلون"، وهي تحفّ الدم الجافّ على خدّها.

أكلت لولو بيضتها، ثم أخذت مني بيضتي وأكلتها من دون أن تستأذن، ثم راحت تعبت بحقييتي وأخرجت منها حبة بطاطا. فأمسكتُ يدها بلطف، وأخذت منها البطاطا قائلاً: "سنأكلها لاحقاً... على العشاء". إنّما تركتها تشرب وتروي عطشها من "الغالون" كيلا تحاول أن تشرب من الجداول. عليّ أن أعتني بها؛ فهي مُخدّرة ومغسولة الدماغ، ولا ينقصني أن تمرضَ وتتسمّم. لقد أفسد حضورها خطّتي كلّها. ولا أعلم إذا كنتُ سأستطيع أن أوّدّي مهمتي وهي معي، إنّما لا يمكنني أن أتركها وحدها في الغابة؛ كما لو أنني أقدمها للمحترفين على طبق من ذهب. فكما قال وايات سابقاً، صارت لولو واحدة منّا وفي عهدتنا، ما يعني أنّها صارت أيضاً جزءاً من خطة تدمير ساحة القتال.

بللّ منديل لولو ونظّفتُ به وجهها، ثم قلت لها: "هيا بنا نبحث عن شعبانك".

فلمعت عيناها من شدّة الفرح، ونهضت عن الأرض بحماسة. استرشدتُ بموقع الشمس لتحديد وجهتي، وانطلقتُ مع لولو شمالاً. عندي مهمّتان يجب أن أنجزهما قبل أن ألتقي أمبيرت الذي قد يأتيني في أي لحظة. إذ عليّ أوّلاً أن أجد حجراً يُطلق شرراً عند قذحه لأتمكّن من إشعال الفتيل، ثم أن أعثر على إحدى بوابات الكائنات المعدّلة جينيّاً تحت الرّبي لأنزل إلى الأنفاق.

بحثتُ عن حجارة مناسبة ونحن سائران. سيكون من الجيد أن أعثر على حجر الصوّان؛ لأنّه الخيار الأفضل في القذح، إلّا أنّ لينور دوف أكّدت لي أنّ أي حجر يُحدّث شرراً عند قذحه سيفي بالعرض. لكنني لم أجد في الغابة أي

حجرة؛ مع أنني مُتأكد من أنني رأيت أحجارًا في الغابة... وكانت ملوَّنة... وتتلاًأ
تحت أشعة الشمس... الجدول!

في تلك اللحظة، تذكّرت أنني رأيت تلك الأحجار في الجدول؛ حين كنتُ
أتقيًا فيه. لكن، كيف سأخرجها من الماء السام. هل أخطر وأغطس يدي في
الجدول لألتقط بعض الحجارة؟

حين أبدت لولو اهتمامًا زائدًا بشجيرة توت العليق، شئتُ انتباهها بتفاحة
أخرى، وتسلّلتُ إلى جدول قريب. وصرْتُ أبعد الحجارة بطرف رمحي وأدفعها
إلى الضفّة، ثم أمسحها بأوراق الشجر، وأرشّ عليها بعض الماء النظيف من
"الغالون". وأخيرًا، عُذْتُ إلى لولو حاملًا الحجارة في الوقت المناسب لأمنعها
من أكل التوت. فأعطيُّها قطعًا من حبة البطاطا النيئة التي قضمْتُها بالأمس،
وتناولتُ بعضًا منها بنفسني لأسكّن اضطراب معدتي. وما هي إلا لحظات حتى
أنهينا حبة البطاطا كلُّها.

جفت الحجارة بسرعة تحت شمس الظهيرة، فأعطيتهما للولو، وطلبتُ
منها أن تحملها لألهيها وأبقيها مُنشِغلة. ثم فككتُ قلاذتي، وحملتُ القداحة في
يديّ؛ فصارت أشعة الشمس تتراقص على رأسي الطائر والأفعى المنقوشين
عليها. فجأة، شرد ذهني، وظهرت أمامي صورة لينور دوف في المرح وسط
سرب الإوز، ثم تخيلتها تشاهدني الآن على التلفاز العتيق الذي يبقيه تام أمبر
شغلاً بأنامله الذهبية في بيت شعب كوفي المائل الغريب، وليس في الساحة
أمام قصر العدل، حيث تُعرّض مباريات الجوع على شاشات ضخمة. فأغلب
الظن، منعها خالها من مغادرة البيت، فجلستُ تشاهد المباريات مُنهارًا، وإِثما
أمنة؛ حيث لن يراها الجنود ولن يؤذوها.

خطر لي أن أظهار بأبني اكتشفْتُ الآن أنّ معي قدّاحة صوّان، لكنني
سأثير الريبة؛ لأنّه سبق لي أن جمعتُ الحجارة المناسبة للقدح. لذا، قرّرتُ أن
أصرّف كالشباب المُشاكس الذي هزّب قدّاحة إلى ساحة القتال من دون علم

مُصمِّمي المباريات. فَلَئِمَّ الجمهور شَابًا مُشَاكِسًا مُحتَالًا فاق مُصمِّمي المباريات ذكاءً، ويحاول جهده أن يربح مباريات الجوع.

فقلتُ للولو: "انظري إلى هذه القداحة يا لولو، ستساعدنا على إشعال النار لطهي الطعام. فَلَئِمَّ إن كان بإمكاننا أن نشعل نارًا باستعمال الحجر الوردى".

فتناولت لولو الحجر الوردى من الكومة ووضعتَه في يدي، ففدحتُ الحجر بالحافة الفولاذية للقداحة. لا نتيجة. وبعد أن حاولتُ ثلاث مرّات إضافية، قرّرتُ أنّ هذا الحجر لا يُطَلِق شررًا، فقلتُ للولو: "فلنجرّب الأخضر". فناولتني الحجر الأخضر، ولكنه كالوردى ليس قدّاخًا. وظللنا نحاول بالحجارة؛ الواحدة تلو الأخرى. ومع كل محاولة فاشلة، يتسوّت أكثر فأكثر. أيعقل ألاّ أجد حجرًا قدّاخًا في ساحة القتال؟ حين سألتُ بيتي عن الأمر، قال إنني قد أعثر على بعض أنواع الحجر القدّاح في الساحة، وإنّه سيتحرّى عن الموضوع ليتأكّد. وافترضتُ أنّه لم يفتح معي الموضوع مُجدّدًا لأنّه تأكّد من أنّ جوابه الأوّل صحيح. ماذا سنفعل إذا لم أجد حجرًا قدّاخًا في ساحة القتال؟ ستنهار الخطة كلّها، ولن يبقى أمامي إلّا أن أنتظر حتى يجهز الرئيس سنو عليّ.

وضعت لولو الحجرة الأخيرة أمامي، وهي حجرة طويلة ورمادية تشبه البلّور. أعتقد أنّ هذا هو المرو. فضربتُ الحجر على القداحة بقوة، وإذ بالشرر يتطاير في الهواء مُعلِنًا أنّنا عثرنا على الحجرة المنشودة. فصققت لولو، وتنقّستُ أنا الصعداء؛ لأنني وجدتُ ضالّتي أخيرًا. حينئذ، وعدتُ لولو مُبتسِمًا: "سنأكل بطاطا مشويّة على العشاء".

وبما أنّ مُصمِّمي المباريات لم يطلقوا علينا كائنات مُعدّلة جينيًّا بعد أن كشفتُ عن قدّاحتي، أعتقد أنّهم قرّروا التغاضي عن تصرّفِي المُشَاكِس؛ لأنّه يضيفي على المباريات إثارة وتشويق. وأراهن على أنّ الممولين بدأوا بإرسال

المال إلى ماغز ووايريس من أجلي. آمل أن يكون المبلغ كافيًا لترسل لي مُرشِدتاي طعامًا لذيذًا نأكله مع البطاطا.

بدأت لولو تتشاءب، ثم تكوّرت على الأرض مثل هِرّة صغيرة وغفت. وحين رأيتها تستغرق في النوم بسرعة فائقة، شككتُ في أنّ مُصممي المباريات خدّروها. لكن، من الممكن أيضًا أنّها لم تتلّ قسطًا كافيًا من الراحة في ساحة القتال. حاولتُ إيقاظها، فهزرتُ كتفها برفق، لكنّها عبست في وجهي، وتمتعت بكلمات غير مَفهومة. ماذا سأفعل الآن؟ لا أستطيع أن أحملها وأنا في هذه الحال، ولا أستطيع أن أتركها هنا وحدها. من الأفضل أن أستفيد من هذا الوقت لأشوي البطاطا...

عليّ أولًا أن أشعل نارًا. فتجوّلتُ في الأنحاء من دون أن أبتعد كثيرًا عن لولو، وجمعتُ بعض إبر الصنوبر اليابسة والأغصان الصغيرة والحطب الجاف؛ مُتجنّبًا الإبر الخضراء والحطب الرطب لكي أقلل من تصاعد الدخان. هاتي هي من علّمتني هذه الحيلة المفيدة كيلا نعلن للجميع أنّنا نرتكب مُخالفة؛ حتى لو كان الجميع يعلم ذلك.

استفدتُ من الفرصة لأتفقدُ الرّبي المجاورة وأنا أجمع الخشب للنار. كانت كلُّ الرّبي دائريّة الشكل، ومُتشابهة في الحجم: يصل قطرها إلى حوالي ثماني أقدام، ويبلغ علوّها عن الأرض قدمين. وكانت كلُّ واحدة منها مَكسوّة بنوع مختلف من الزهور، وعلى سفحها لوحة صغيرة من النحاس الأصفر-كتلك التي رأيتها في قصر بلوتارك- مكتوب عليها اسم الزهور. لكنني لا أثق بما كُتِبَ على تلك اللوحات؛ فهذه الساحة من تصميم مُصممي المباريات، وليس من الحكمة الوثوق بهم. ومع ذلك، قرأتُ اللوحات على أمل العثور على دليل مفيد: الزعفران... الزنبق... البنفسج... وحاولتُ ألا أفكر في ما يقبع تحت الرّبي مُتربّصًا، ومُتحيّيًا الفرصة للهجوم عليّ.

لفتت إحدى اللوحات انتباهي: "نبته الغاز". في حديقة بيت شعب كوفي مجموعة من الزهور العجيبه التي جُمعت من غابات المقاطعة الثانية عشرة على مرّ السنين، وُزرعت أمام البيت عشوائياً. تزهت تلك الزهور في الفترة بين أواخر شهر آذار وتشرين الثاني، وتزيّن لينور دوف شعرها بها في الحفلات التي تعزف فيها. إلا أنّها لم تتزيّن قطّ بزهور نبته الغاز. فقد قالت لي ذات مرّة إنّ تلك الزهور "خطيرة جدّاً"، ثم قرّبت عود ثقاب مُشتعلًا من الزهور البنفسجية الباهتة، فاشتعلت شعله نار مُفاجئة، ثمّ خمدت سريعًا من دون أن تصيب الزهور بأذى. حينئذ قالت لي لينور دوف وهي تضحك: "أتخيّل ماذا سيحصل لو اشتعلت هذه الزهور على رأسي!"

استخدمتُ قطعًا من علبة البيض لأشعل شعله صغيرة، وغدّيتها بإبر الصنوبر والأغصان حتى كبرت بصعوبة، وأصبحت نارًا كبيرة يتصاعد منها الدخان. وصرّت أضيف إليها قطع الحطب بين حين وآخر لأبقّيها مُشتعلة. مرّت ساعة تقريبًا قبل أن تتكوّن كومة كافية من الفحم لشوي البطاطا، فوضعتُ ثلاث حبات منها بين قطع الفحم، وجلستُ أنتظر نضوجها.

فجأة، ضرب المدفع مُعلِنًا موت مجالد آخر، فارتفع عدد الموتى إلى واحد وعشرين مجالدًا، وما زال في ساحة القتال سبعة وعشرون مجالدًا على قيد الحياة. هل مات أحد المحترفين أو المستجدين؟ لن أعرف إلى أن يحلّ الليل.

عندما نضجت البطاطا، أيقظتُ لولو، وكانت قد ازدادت حيوية ونشاطًا بعد قيلولتها. فالتهمنا حبات البطاطا بنهم مع بيضتين، وشعرتُ بتحسّن ملحوظ. أعتقد أنّني تخلّصتُ من آخر آثار السم. فكّرتُ في إطفاء النار قبل أن نمضي في سبيلنا، غير أنّني لم أشأ أن أهدر الماء العذب، فتركّث الفحم يخبو وحده. لو كانت هاتي هنا لما سمحت لي بترك النار موقدة، ولقالت لي: "لا يمكنك أن تترك النار مشتعلة؛ فهي تنتشر بسرعة وتأكّل كل ما في طريقها".

لكنني لن أمانع إذا أحرقت النار ساحة القتال بكاملها، ولن أشعر بالأسف عليها.

كم فرحتُ وتفاءلتُ حين أشعلتُ نارًا باستخدام قذّاحتي. حان الآن وقت العثور على بوابة الكائنات المعدّلة جينيًّا المناسبة لأنزل إلى الأنفاق، ومن ثم إلى الطابق السفلي - ألف. إنّما توجد في الساحة ربي كثيرة، ولا يُعقل أن تكون تحت كلّ منها بوابة للكائنات المعدّلة جينيًّا. أذكر أنّ بيتي قال لي: "يمكنك أن تلحق بالكائنات المعدّلة جينيًّا بعد نهاية هجومها على المجالدين، للعثور على إحدى البوابات". وبما أنّنا لم نُصادف أيّ كائنات مُعدّلة جينيًّا حتى الآن، واصلنا السير شمالًا بحثًا عنها.

تظن لولو أنّنا نبحت عن ثعبانها؛ ما يبقيها مُنشغلة، ويشجّعها على السير أمامي بسرعة معقولة. لكنني سرعان ما نسيت أنّها معي، فقد كنتُ أحاول أن أبقى مُتيقظًا لما قد يتربّص لنا في الغابة من أخطار، وأن أراجع خطوات تفجير المتفجرات التي تعلمتها في مقاطعتي: يجب أن أغرس كبسولة التفجير في المادة المتفجرة، وأشبك الفتيل بالكبسولة، وأشعل الفتيل...

فجأة، سمعتُ صرخة فرح وابتهاج أعادتني إلى الواقع. ورأيتُ لولو تركض نحو إحدى الرّبوات الصغيرة المغطاة بأزهار قرمزية. لا أدري ما الذي جذبها إلى هذه الربوة بالذات، فقد تجاهلت الرّبي الأخرى ولم تكثر لها. ركضتُ وراء لولو، لكنني لم ألحق بها؛ فقد ارتمت على سفح الربوة، وسحقت حفات من الأوراق، ومرّغت وجهها بالزهور. اطمأنّ بالي حين رأيتُ اللوحة المعدنية. فأنا أعرف هذه النبتة وأميّز رائحتها النعناعيّة الخفيفة. إنّها نبتة المونردة؛ وهي نبتة علاجية تنمو في البرية في جبال مقاطعتي. وقد كنتُ أساعد بوردوك على جمعها لتستخدمها أستريد في تركيب الأدوية في الصيدلية. ويبدو أنّ لولو تعرفها أيضًا.

لا بد من أن هذه النبتة- مثل الخبز المُزَيَّن بالحبوب، ودخان الشموع- تذكّر لولو بموطنها. كانت جدّتي تقول إنّ الروائح تترسّخ في الذاكرة أكثر من الأصوات أو الصور. وهي مُحَقَّة. ألم تذكّرني رائحة شوربة الفاصولياء واللحم بالمقاطعة الثانية عشرة؟

ثمّ ثقل تنفّس لولو حتى صار لهاثًا، فقرّرتُ أن أبعدها عن الزهور، حتى لو كانت تعيد إليها ذكريات جميلة. ألقىتُ أغراضي على الأرض، ولففتُ ذراعي حول خصرها فيما بدأتُ تسعل. ثم سحبْتُها بعيدًا عن الربوة، فصارت تصدُرُ أنينًا مبحوحًا كمن يختنق. كانت مُغطّاة بغبار أصفر من رأسها إلى أخمص قدميها، فظننتُ أنّها تعاني من حساسية من المونردة، وبلّلتُ منديلها ومسحتُ الغبار عنها.

وقلتُ لها وأنا أحاول أن أهدّئها: "تنفّسي يا لولو، هذه مجرد زهور". لكنني أعرف أنّ المظاهر غدّارة في هذه الساحة. وهذا ما اتّضح لي حين بدأ الدم يسيل من عيني لولو وأنفها وفمها؛ فتذكّرتُ رئيسنا العزيز.

"لولو، لا تستسلمي يا لولو. ابقِي معي".

انهارت بين ذراعيّ، وبدأ جسدها الصغير يتشجّج، فضممتُها إلى صدري. لا يسعني إلّا أن أشاهدها وهي تتعدّب وتحتضر عاجزًا عن مساعدتها بأي شكل؛ تمامًا كما حدث مع لويلا. عندما أنظر إلى لولو الآن أرى لويلا، فقد غدت الطفلة التي احتضنتُها الآن هي نفسها الفتاة التي عرفتها منذ نعومة أظفارها. وأنا مُستعدّ لفعل كل ما في وسعي لأجيبها العذاب.

حين بدأ لون بشرتها يميل إلى الأزرق، خاطبتُ مُصمّمي المباريات: "هذا يكفي". إذ يمكنهم أن يضعوا حدًا لعذابها بكبسة زرّ. يمكنهم أن يُخدّروها عبر الجهاز الموصول بصدرها كما فعلوا في المقابلة، وأن يعطوها جرعة قاتلة هذه المرة ليعفوها من هذا العذاب. وعندما استمرّ عذابها، استشطتُ غضبًا وصرختُ: "هذا يكفي! إنّها ليست دُميتكم!"

ثمّ بحثُ عن الجهاز الموصول بصدرها بيدي، وأمسكُ به، وانتزعتَه عن
جسدها بحركة واحدة، وحزّرتها.



ضرب المدفع مُؤكِّدًا موت لولو، فيما ارتخى جسدها الهزيل المُرهق بين ذراعيّ. مهما كان أصلها وفصلها، لقد فارقت هذه الحياة وذهبت إلى حيث لن تطلها يد الكابيتول. فانحنيتُ وهمستُ في أذن لولو التي فيها جهاز التنصت مُخاطبًا مُصممي المباريات:

"لقد قتلتموها. أنتم سبب موتها. أنتم قاتلون".

في تلك اللّحظة، ظهرت طائرة في السماء، وانتظرت منّي أن أتحنّى جانبًا لكي تأخذ لولو بعيدًا.

لكنّ لولو لن تُدفن في مقبرة المقاطعة الثانية عشرة على التلّ معي ومع لويلا. إذ لا يمكن للكابيتول أن يعيد جثتين باسم لويلا إلى المقاطعة من دون أن يفصح قلة كفاءته. إلى أين ستذهبين يا صغيرة؟ هل سيعيدك الكابيتول إلى المقاطعة الحادية عشرة أو سيدفنك في تربته أو سيحرق جسدك كيلا يبقى لك أثر؟ أيًا كان ما سيحل بك، سأكون آخر من يعاملك بحنان.

لم أتقبّل فكرة أن يتخلّص منها الكابيتول. لا أستطيع أن أسلمها إلى الطائرة من دون قتال. سأدافع عنها كما دافعتُ عن لويلا. فحملتها، واتّجهتُ إلى أعماق الغابة حيث الأشجار كثيفة. هل يشاهدني الجمهور الآن على الشاشات؟ هل يشاهد أنّي أرفض أن أعطي لولو للكابيتول؟ لقد هرب الشاب المُشاكس مُجددًا حاملًا صديقه! سيرغم المُشاكس مُصممي المباريات على

مطارده! أتخيل الناس يضحكون على المشهد، ويتصلون بأصدقائهم قائلين:
"هل تشاهدون ما يحدث؟"

كانت لولو أخفّ ثقلاً بكثير من لويلا. عثرتُ على مجموعة من أشجار الصفصاف، وجلستُ في وسطها أنظر من بين الأغصان إلى الطائرة المُحلّقة فوقنا وهي تحاول أن تُنزل مَخلَبًا معدنيًا إلينا لحمل لولو. إنّما تشابك المخلب بالأغصان، فسحبته الطائرة إلى الأعلى، وحاولت إنزاله من جديد. هذا جيد، لا يمكنهم الوصول إلينا. لولو بأمان في الوقت الراهن.

عندما هدأ تنفّسي، أدركتُ أنّي وقعتُ في الفخ الذي نصبه الرئيس سنو. فما فعلته الآن يندرج ضمن التصرفات التي حدّرتني منها الرئيس. ولا شك في أنني سأواجه عواقب أفعالي قريبًا، وستكون تلك العواقب قاتلة، وستضيق مني فرصتي في تفجير الخزان. كيف أنقذ الموقف؟ هل أخرج من بين الأشجار لأعيد لهم لولو بنفسي وألّوح لهم قائلاً: "كنت أمارحكم"؟ هل أضع لولو على الأرض وأهرب وأختبئ؟ هل أبقى في مكاني وأنتظر حتى تنجح الطائرة في إنزال المخلب من بين الأشجار لأضع لولو بين فكّيه بنفسي؟

جلستُ مُتسمّرًا في مكاني مُحترًا، لا أعرف ما ينبغي لي فعله. ويبدو أنّ مُصممي المباريات احتاروا في أمري أيضًا؛ فالطائرة ما زالت مُعلّقة في الهواء وقد سحبت مخلبها. نحن في مواجهة صامتة. كلُّ منّا ينتظر من الآخر أن يستسلم. ولولا شعوري بخطر مُحديق، لبعث هذا السكون في نفسي السلام والسكينة. إنّما أخشى أنّ ما أعيشه الآن هو الهدوء الذي يسبق العاصفة.

تجسّد الخطر على هيئة فراشة، لونها أزرق كهربائيّ زاہ كزيّ مُجالدي المقاطعة الثالثة، رفرقت بجناحيها بين أغصان شجر الصفصاف، وحتّ على غصن قريب. ما أجمل الصواعق الذهبية الصغيرة التي تزيّن جناحيها! ثمّ حطّت فراشة ثانية على رأسي، وثالثة على يدي التي تحتضن وجه لولو المُلطّخ بالدماء، ورأيتهَا تُنزل إبرتها ببطء حتى لامست جلدي وأصدرت شرارة صغيرة،

فأعْمانِي الِوَجْعَ وَالْأَلْمَ، وَصَرَخْتُ صَرَخَةً حَادَّةً مُفْلِتًا لَوْلُو، فَهَوَتْ عَلَى الْأَرْضِ. اسْتَعَدْتُ بِصَرِي لِبِضْعِ ثَوَانٍ، رَأَيْتُ خِلَالَهَا فِرَاشَةً أُخْرَى تَحَطُّ عَلَى وَجْهِي؛ وَسُرْعَانَ مَا انْتَشَرَ أَلْمٌ حَادٌ فِي وَجْنَتِي. يَبْدُو أَنَّ إِبْرَةَ الْفِرَاشَاتِ تَعْمَلُ كَصَاعِقِ كَهْرِبَائِي. لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ أَحَدُ ابْتِكَارَاتِ الرَّئِيسِ سَنُو الْخَبِيثَةِ.

تَمَلَّكَنِي الذَّعْرُ، وَسَيَّطَرَتْ عَلَيَّ فِكْرَةٌ وَاحِدَةٌ لَا غَيْرَ: لَا أُرِيدُ أَنْ أُتَعَرَّضَ لِلْسَّعِ مَرَّةً أُخْرَى، فَرَكَضْتُ بَعِيدًا عَنِ أَشْجَارِ الصَّفْصَافِ تَارِكًا لَوْلُو وَرَائِي. وَإِذْ بِمِائَاتِ الْفِرَاشَاتِ تَسْتِيْقِظُ مِنْ سِبَاتِهَا عَلَى الْأَشْجَارِ، وَتَهَاجِمُنِي. لَمْ تَكُنِ الْفِرَاشَاتُ تَرْفَرُ بِجَنَاحِهَا مُتَمَايِلَةً وَمُتَرَجِّحَةً فِي الْهَوَاءِ كَالْفِرَاشَاتِ الَّتِي أَرَاهَا فِي مَقَاطِعْتِي، بَلْ كَانَتْ تَنْهَالُ عَلَيَّ كَالسَّهَامِ. فَصَرْتُ أَرَاوِغٌ وَأَتَمَايِلٌ فِي الرِّكْضِ لِأَتَمَلَّصَ مِنْهَا، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَسْلَمْ مِنْ لَسْعَاتِهَا الصَّاعِقَةِ. لَمْ تُرْسَلْ هَذِهِ الْفِرَاشَاتُ لِتَجْبِرَنِي عَلَى إِفْلَاتِ لَوْلُو فَحَسَبَ، بَلْ أَيْضًا لِتَعْدِّبَنِي. هَذَا عِقَابِي عَلَى مَا فَعَلْتَهُ. يَرِيدُ الْكَابِيتُولُ أَنْ يِعَاقِبَنِي عَلَنًا، وَأَمَامَ مَرَأَى الْجَمِيعِ.

لَا أَعْرِفُ كَمْ اسْتَمَرَّ هَذَا الْعَذَابُ، فَقَدْ بَدَأَ لِي أَنَّ الْفِرَاشَاتِ سَتَطَارِدُنِي إِلَى الْأَبَدِ، وَبَدَأْتُ أَفْقِدُ صَوَابِي. وَإِذْ بِي أَقْعُ فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ الزُّهُورِ بِجَانِبِ رِبْوَةٍ، فَفَقِزْتُ مَذْعُورًا بَعِيدًا عَنْهَا، وَأَخَذْتُ أَمْسَحُ وَجْهِي بِسُرْعَةٍ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْتَهِيَ بِي الْحَالُ كُلُّو. ثُمَّ انْتَبَهْتُ إِلَى أَنَّنِي لَمْ أَقْعُ عَلَى زُهُورِ الْمُونِرَةِ الْقَاتِلَةِ، بَلْ عَلَى زُهُورِ نَبْتَةِ الْغَازِ. حِينَنُذْ، خَطَرَتْ لِي فِكْرَةٌ. وَفِيمَا نَزَلَ عَلَيَّ سَرَبُ الْفِرَاشَاتِ، أَمْسَكْتُ بِقِدَاحَتِي، وَأَخْرَجْتُ الْحَجْرَ مِنْ جَيْبِي وَبَدَأْتُ أَقْدَحُهُ، فَتَطَايَرَتْ الشَّرَارَاتُ مِنْ بَيْنِ الزُّهُورِ، وَأَشْعَلَتْ الْغَازَ، فَتَعَالَتْ أَلْسِنَةُ لَهَبٍ طَوَّلَهَا خَمْسَ أَقْدَامٍ التَّهَمَّتِ الْفِرَاشَاتِ، وَغَلَّفَتْ صَدْرِي ثُمَّ خَمَدَتْ. تَوَهَّجَ قَمِيصِي بِضَعِّ لِحْظَاتٍ كَطَبِيقَةٍ مِنَ الْجَمْرِ الْمَوْقَدِ، ثُمَّ اسْتَعَادَ لَوْنُهُ الْأَسْوَدَ. يَبْدُو أَنَّ أَرْبَاعَنَا مُضَادَّةٌ لِلْحَرِيقِ. وَرَأَيْتُ بَعْضَ الْهَيَاكِلِ الْعَظْمِيَةِ الْمُحْتَرِقَةِ تَتَسَاقَطُ حَوْلِي، فِيمَا حَلَّقَتْ الْفِرَاشَاتُ الْمُتَبَقِّئَةُ الْمُشْتَنَّةُ بَعِيدًا بِرَاءَةً؛ وَكَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَطَارِدُنِي وَتَعْدِّبُنِي مِنْذُ لِحْظَاتٍ.

استلقيتُ على الأرض لاهتًا، وأخذتُ أتفحص جسدي بحثًا عن أي جروح أو حروق. ومع أنني لم أجد أي بثور أو خدوش، إلا أنني ما زلتُ أشعر بالألم الفظيع الذي اختبرته منذ قليل. قبلتُ قداحتي، مُتمنيًا أن تراني لينور دوف، وأن تُدرك أنني أوجه لها تحية شكر؛ لأنها أنقذتني من تلك الكائنات المعدلة جينًا.

مهلاً، الكائنات المعدلة جينًا هي الحل. هذه فرصتي لأتبعها إلى بوابتها! لكنني لم أتهوّر هذه المرّة؛ فالعقل زينة، وفي التأني السلامة. وفكرت في سرّي: تصرّف بذكاء ولو لمرة في حياتك يا هايميتش. افعل ما تنوي فعله من دون أن تُعزّض خطة تدمير الساحة للخطر. يجب أن أجد سببًا لا يثير الشكوك لمطاردة الفراشات المعدلة جينًا. وما لي إلا سبب واحد: الانتقام.

وعلى الفور، كسرْتُ غصنًا اشتعل حين نفّثت السنة اللهب من نبتة الغاز، وركضتُ به في الاتجاه الذي هربت فيه الفراشات. وما إن لمحتُ بضعة أجنحة زرقاء في الأفق، حتى أيقنتُ أنني على المسار الصحيح. فركضتُ عشرين ياردة إضافية، ثم وجدتُ نفسي أمام ربوة مكسوّة بنباتات مُزهرة، ورأيتها تنقسم إلى نصفين، وتُفتّح وكأَنَّها على سكة حديدية، ثم ظهرت تحتها فتحة دائرية قطرها ست أقدام نزلت فيها الفراشات. فأقمتُ عرضًا لخاطر مُصممي المباريات، وصرتُ أصيح بغضب وأنا ألوح بالغصن المُشتعل في كل الاتجاهات، وأحرقتُ نصف دزينة من الفراشات. وحين رأيتُ أنّ الربوة بدأت تُغلق، اندفعتُ نحو آخر فراشة مُلوّحة بالغصن المُشتعل، ومُتظاهريًا بأنني أقدم على محاولة أخيرة يائسة للانتقام، فأغلقَت الربوة على الغصن، وعلق بين درفتيها تاركًا فتحة صغيرة عرضها ثمن بوصة. بعد ذلك، تظاهرتُ بأنني لم أنتبه إلى الفتحة، وجلستُ على الأرض مُنهكًا أمام الربوة. "نبات القَسور" هذا ما كُتِبَ على اللوحة المعدنية المعلقة على الربوة. سيبقى هذا الاسم محفورًا في ذاكرتي.

خطر لي أن أعود إلى لولو، لكنني أعلم في قرارة نفسي أنني لن أجد لها
حيث تركتها. فلا شك في أنّ الطائفة قد أخذتها بعيداً. لذا، عدتُ إلى ربوة زهور
المونردة لأجمع أغراضي، آخذاً حذري كيلا أستنشق الرحيق القاتل. وما كان
أحد غيري في الأنحاء.

ما زلتُ أرتجف من ألم الصعقات الكهربائية، مع أنّ بشرتي مَلْسَاء
صافية كبشرة الرُّصَع، وليس عليها أيُّ أثر للعذاب الذي ذقته. لقد استنزفت
أحداث اليوم طاقتي كلّها، لكنني أنجزتُ مهمّتي الأساسيتين: فقد جمعتُ ما
يلزمني لإشعال الفتيل، ووجدتُ إحدى بوابات الكائنات المعدّلة جينياً. وعندما
بدأت الظلال تطول، بدأتُ أبحث عن مأوى جديد للنوم؛ مُدْرِكاً أنّ عليّ أن أجد
مكناً أفضل من المخبأ البائس الذي نمتُ فيه الليلة الماضية. وبما أنني لم أعد
أشعر بالغثيان والدوار، قرّرتُ أن أرتجل بطريقة لم يتطرّق إليها التدريب؛
فاخترتُ أن أتسلّق شجرة ضخمة كثيفة الأغصان قرب ربوة نبات القسور،
ونصبتُ سريري القماشي على علو ثلاثين قدماً بين غصنين متينين تحتها
أغصان مُتشابكة تلتقطني، وتخفّف أثر وَقْعتي إذا انكسر أحدهما. فأنا لا أشعر
بالأمان للمبيت على الأرض مرة أخرى. وحين بدأت عصافير بطني تزقزق من
الجوع، التهمتُ ثلاث بيضات وتفاحتين؛ آملاً أن يمنح الممولون ماغز ووايريس
تمويلًا كافيًا لتجديد مؤونتي قريبًا. تسلّلت أشعة شمس الغروب من بين
الأغصان كخيوط ذهبية، فبرتقالية كالجمر المُتقد، ثم خفتت شيئًا فشيئًا،
وأسدل الليل ستاره الأسود.

ما إن علا صوت النشيد في ساحة القتال، حتى غيّرتُ وضعيتي لأرى
السماء بوضوح. فظهرت صورة أوّل ضحية وقعت اليوم: شابٌّ في زيّ أخضر
مخاطي، لكنه ليس باناش. والضحية الثانية لولو. عُرِصت صورتها في السماء
مع ثعبانها. ترى، هل لديها أي أصدقاء أو أصدقاء في أي مكان في بانيم يتعرّفون
عليها من صورتها؟ فلا بدّ من أنّ أهل لويلا أدركوا أنّ هذه ليست ابنتهم. ولا

شك في أنهم سيكون ويتساءلون عمّا حصل لطفلتهم. على الأقل، لن أضطرّ إلى إخبارهم بحقيقة ما حدث لها.

مات حتى الآن خمسة محترفين وسبعة عشر مُستجِدًّا، وبقي ستة وعشرون مُجالِدًا على قيد الحياة. عمّ الصمت في الغابة، وتسَلَّل ضوء القمر الأصفر الصافي من بين الأشجار. أعتقد فعلاً أنّي الوحيد في هذا الجانب من ساحة القتال، لكن لا سبيل للتأكد من ذلك. تُرى، كيف حال مايزيلي؟ نحن آخر مجالدين من المقاطعة الثانية عشرة. هل سأراها مرة أخرى؟ هذا أمر عجيب. لم أتوقّع قطّ أن أشتاق إلى مايزيلي دونر، لكنني أفقدتها.

ثمّ غططت في نومٍ عميقٍ خالٍ من الأحلام، مُمتنًا لأنني لا أشخر في نومي.

نهضتُ من نومي على حين غرّة، ورأيتُ مظلةً صغيرة عالقة على الأغصان فوق رأسي، ومربوطة بحزمة كبيرة. لقد حصلتُ على أوّل هدية من الممّولين. فككْتُ الحزمة من المظلة، ووضعتها على ركبتيّ، وأخذتُ نفسًا عميقًا مُتخيّلًا ما تحتوي عليه؛ فالاحتمالات كثيرة. ثم فتحتها، ووجدتُ فيها اثني عشر رغيف خبز ساخنًا من الفرن مباشرة، وقالب جبن برتقالي، وزجاجة عصير فاخرة، معها كوب طويل من الكريستال. فابتسمتُ أمام هذا المشهد. بعدها، فتحتُ الزجاجة واستنشقتُ رائحة محتواها. عصير العنب. يبدو أنّ ممّولي أنفق مبلغًا كبيرًا لإرسال هذه الهدية إليّ. ليتني حصلتُ على بعض الماء بدلًا من العصير؛ لأنني على وشك إنهاء "غالوني" الأول. لكنني لا أتذمّر. فعصير العنب يُعدُّ لذة نادرة في مقاطعتي، لا نسمح بها إلا في المناسبات المهمّة وحفلات الزفاف. تساءلتُ عمّن أرسل لي العصير. أتراها السيدة ذات أذني القطّة؟ أو الرجل الذي بصقتُ عليه؟ أو العمة ميسالينا؟ إنّما بصراحة، لا يهمني الأمر. فلا فرق.

صبتُ بعض العصير في الكوب الفاخر وأنا أتأمل بإعجاب السائل وهو يسيل من الزجاجة إلى قعر الكوب ويملأه. فوجّهتُ للجمهور ابتسامة، ورفعْتُ كوبي قائلاً: "شكراً لكم، يا رفاقي المشاكسين من الكابيتول!" ثم ارتشفتُ رشفة صغيرة بلّلتُ بها حلقي الجاف. طعم العصير لذيذ، وقد أعاد إليّ ذكريات سعيدة؛ حتى إنني تمالكْتُ نفسي بصعوبة كيلا أتجرّعه كلّ دفعة واحدة. ثم أكلتُ رغيفين من الخبز الطازج، وقطعة من الجبن الدسم، فاستعدتُ نشاطي لمواجهة اليوم.

وفيما كنتُ أتناولُ طعام الفطور، فكّرتُ في الأسباب التي دفعت الممولين إلى منحي هذه الهدايا الباهظة. في بادئ الأمر، نجحتُ في تفادي المعركة الأولى الدامية، وهربتُ بعيداً عنها مع مؤن وسلاح، ثمّ نجوتُ من حالة تسمّم، ووجدتُ طريقة لإشعال النار وطهوئ الطعام، وحرقتُ بعض الفراشات، وتسلّقتُ على شجرة آمنة للنوم. الملخّص المفيد هو أنّني شخص واسع الحيلة وأنااني ليضع الفوز فوق كل شيء.

هل كوّن سكان المقاطعات انطباعاً سيئاً عني لأنني تخلّيتُ عن المستجدين؟ أعتقد أنّني عندما حاولتُ أن أنقذ لولو حسنتُ انطباعهم عني قليلاً. وإن نجحتُ في تفجير ساحة القتال، أظنّ أنّ سكان مقاطعتي سيستقبلونني وسيرحّبون بي عندما أعود إلى البيت؛ إلّا أنّ لا أمل لي بالعودة إلى البيت. ومع ذلك، أريد أن يمشي سيد بين الناس مرفوع الرأس، لا أن يطأئ رأسه من العار بسببي طوال حياته.

لقد استقررتُ بالقرب من ربوة نبات القسور. لذا، لا جدوى من التنقل في الساحة. كلّ ما عليّ فعله هو أن أنتظر مجيء أمبيرت ومعه الفتيل والمادة المتفجّرة التي ينبغي أن يأخذها من تذكارات مجالدي المقاطعة التاسعة. أنهكني اليومان الأولان من مباريات الجوع، فبقيتُ في سريري المتأرجح، وراقبتُ الأنحاء بحرص بحثاً عن أي فراشات متوحّشة. وبحلول الظهر، مللتُ وضاق صدري من الانتظار. كان علينا أن نتفق على نقطة لقاء مُحدّدة؛ فالغابة كبيرة،

ولن يكون من السهل أن نصادف بعضنا بعضًا. كما أنني قد أكون بعيدًا عن أقصى الشمال، ما يعني أنه قد يتعيّن عليّ أن أقطع مسافة طويلة حين أنزل إلى الأنفاق لأصل إلى الخزان.

أخيرًا، قرّرتُ أن أبحث عن آمبيرت.

وفيما كنتُ أوصِّبُ أغراضي في الحقيبة، وألفُ سريري القماشي حول كوب الكريستال، رأيتُ منظاري بين حاجياتي فجرّيته، ثم خطر لي أن أتسلَّق إلى أعلى الشجرة لأرى ما حولي وما في الأفق. كانت شجرتي تعلو معظم الأشجار المجاورة، فاستطعتُ أن أراقب مسافة شاسعة. أسرتني ساحة القتال مرة أخرى بجمالها، وغابتها الشاعرية، والمرج الأخضر المنبسط كبحر من الخضرة، وقمّة الجبل المغطاة بالثلوج تحت قوس قزح زاهي الألوان. أظنّني أبعد حوالي خمسة أو ستة أميال عن الجبل؛ حيث يُطارِد باقي المجالدين بعضهم بعضًا ويتقاتلون في المرتفعات. كم يختلف وضعهم عن وضعي. إذ إنَّهم يتواجهون في ما بينهم، في حين أنني هنا وحدي، وخصمي الوحيد هو مُصمِّمو المباريات. ثم التفتُّ إلى الورا، ورأيتُ بحرًا من الأشجار الكثيفة على امتداد كبير ينحصر شيئًا فشيئًا. إنَّما يصعب عليّ تقدير المسافة بدقة، إذ يغدو كل شيء ضبابيًا ومغشى في الأفق. تُرى، هل هذا يعني أنّ طرف الساحة هناك؟

والتفتُّ نحو المرج مجددًا، فلمحتُ شخصًا في زي أزرق كهربائي يمرُّ بقرن الوفرة ويّجّه نحو الغابة. أهذا آمبيرت؟ خفتُ أن أفقده بين الأشجار، فنزلتُ عن الشجرة، وتوجّهتُ نحو المرج لألقاه قبل أن يدخل الغابة. ورحتُ أضع علامة صغيرة بسكيني على جذوع الأشجار التي أمّر بها لأجد طريق العودة إلى بوابة الكائنات المعدّلة جينيًا بسهولة. كلُّما اقتربتُ من آمبيرت ابتعدتُ أكثر فأكثر عن البوابة، لكنني أحتاج إليه لتنفيذ الخطة.

وعندما وصلتُ إلى تخوم الغابة، تسلَّقتُ صخرة وراقبتُ المرج بمنظاري. هذا أمبيرت! إله على بُعد ميلٍ واحد، وهو يتَّجه نحوي بخطى مُثاقلة. وحين رأيتُ تعابير الكآبة والحزن المرتسمة على وجهه خلال الأيام المروعة الماضية التي قضاها في ساحة القتال، تذكَّرتُ أنّ ما واجهته حتى الآن لا يرقى إلى ما خاضه الآخرون. ولمحتُ حول عنقه زهرتي دوار الشمس؛ إحداهما ملطَّخة بالدم. على الأقل، لم يشاهد رفاقه من مقاطعته وهم يموتون أمام عينيه؛ إذ لم أرَ صور أيِّ منهم في السماء. ويبدو أنّه قضى الأيام الأخيرة جائعًا. إنّما يجب أن يكون مُتنبِّهًا ونشطًا لتفجير الخزان... هل أعدّ له بعض الشطائر؟

مهلاً، ما الذي أفعله؟ كيف سأبُرّر أنّني بعد أن تركتُ المستجدين وحدهم، ركضتُ مُتحمسًا إلى تخوم الغابة حين رأيتُ أمبيرت؟ فمن المفترض أن أكون شابًا شقيًا. كان لقائي بلولو مختلفًا؛ فقد بحثت عني ووجدتني بنفسها. أمّا الآن، فأنا من يذهب للقاء أمبيرت، وهذا التصرف مُريب وبشير الشكوك. إذ يبدو وكأنّني كنتُ أنتظره هنا كل هذا الوقت. وفي حين أنّني لا أظن أنّ الجمهور سيهتم كثيرًا بهذا التفصيل الصغير، كيف سيُفسَّر مُصمّمو المباريات هذا التصرف؟ فقد قلتُ لهم إنّني لا أهتمّ إلاّ بنفسي. فلماذا إدّا هرعْتُ للقاء أمبيرت؟ لا يمكن أن يكون السبب هو تفجير الخزان. أحتاج إلى سبب يخدم مصالح الشخصية وفرصي في النجاة. لكن، معي طعام وماء وسلاح، وأقراص الفحم تقيني من السم. فما الذي يمكن لأمبيرت أن يقدمه لي؟

الشيء الوحيد الذي ينقصني هو المعلومات. أعرف من مات، لكن من قتلهم؟ وكيف؟ وما الأسلحة التي يحارب بها المحترفون؟ وهل عثر أحد على طعام وشراب صالحين للأكل والشرب في ساحة القتال؟ فأنا وحدي منذ أن دخلنا الساحة، ولم ألتق إلا بلولو التي لا يمكن الحصول منها على أي معلومات. حسنًا إدّا، هذا الشاب المُشاكِس يبحث عن أحد يخبره بأخر الأخبار.

حسناً، يجب أن أمثّل الدور على أكمل وجه. وفيما كنتُ أستعدُّ لأقْدّم للجمهور شخصية مُتماسِكة، وأنتحل شخصية شاب مُتغَطِّرس، وأناي، ومُتهكّم، يعامل المُستجِدِّين الآخريين بلطف، وصل أمبيرت إليّ وارتمى بين أحصاني، فعانقته قائلاً: "مرحبًا يا بطل". وتفاجأتُ حين لاحظتُ كم هو صغير بين ذراعَيّ. إذ لم أنتبه إلى صغر حجمه من قبل؛ لأنه فتى واثق من نفسه، ويسيطر على زمام الأمور. إلّا أنّهُ في الحقيقة بحجم سيّد تقريبًا، والخوف ظاهر عليه بوضوح. فحتى أذكي العقول ترح تحت وطأة ضغوط ساحة القتال.

ثم قال أمبيرت: "يحتاج المُستجِدُّون إليك، وقد أرسلوني لأجدك".

هذا جيّد، سيظنّ مُصمّمو المباريات أنّه قصدني لهذا السبب.

فقلتُ: "لقد سبق لنا أن ناقشنا هذه المسألة. أنا أشكّل خطرًا على من حولي لأنني حصلتُ على علامة 1 في التدريب". تفوّهتُ بهذا الكلام لأبّرر أفعالي للجمهور؛ فأنا لا أريد أن يتوقّف مموّلي عن إرسال الهدايا إليّ لأنّه يظنّ أنّني أتهرّب من مسؤولياتي تجاه المُستجِدِّين. كما أنّني أريد أن يفهم سيّد الدوافع التي دفعتني إلى ترك حلفائي.

"لقد هربت لولو، ثم رأيناها في السماء".

فابتعدتُ عن أمبيرت خطوة وأنا أقول: "وهذا بالضبط ما أقصده. لقد ماتت لولو بعد أن وجدتنني. لم تنتبه إلى أنّ الزهور سامة".

"حتى الزهور سامة؟"

"نعم، أقلّه زهور المونردة. أما نبتة الغاز، فقد كانت مفيدة لشواء بعض الفراشات المعدلة جينيًّا التي أطلقها مُصمّمو المباريات عليّ. هل أنت جائع؟"

فهزّ رأسه إيجابًا بحماسة. "ما رأيك بأن نتقايس؟ سأطعمك إذا أخبرتنني بما يحدث على الجبل".

ثم حَصَّرْتُ وليمة صغيرة على الصخرة؛ إذ فرشتُ عليها بضعة أرغفة من الخبز، وقطعة من الجبن، وبضع بيضات، وبضع تفاحات، وصبيْتُ لآمبيرت كوبًا من عصير العنب. لم أقاطعه وهو يلتهم الطعام بنهم؛ فأنا واثق من أنه لم يأكل شيئًا يُذَكِّر منذ دخولنا إلى ساحة القتال، حتى إنّه لا يحمل معه حقيبة مؤن ومعدّات. ليس معه سوى فأس مُعلَّقة في حزامه، وقبعة شمسية مصنوعة من أوراق الشجر. وحين أنهى طعامه، مسح فمه مُتَنَهِّدًا: "ليتني أستطيع أن أشارك هذه الوجبة مع الآخرين، فقد استولى المحترفون على معظم الطعام".

"كيف حالكم؟ هل تتدبّرون أموركم؟"

"بصعوبة. فقدنا سبعة عشر مجالدًا حتى الآن. ماتوا جميعهم في المعركة الأولى، ما عدا لولو".

"ألم يتسمّم أحدكم؟"

"بلى، تسمّم الكثيرون منّا. لكنّ ويلي أدركت بسرعة أنّ كل ما في ساحة القتال سامّ، ووجدنا زجاجة كبيرة من الترياق في حقيبة هال، فشربنا منه ولم يمِت أيّ منّا من جرّاء التسمّم".

"هل معكم ترياق سائل؟ أنا معي هذه الأقراص". وأخرجتُ الأقراص لأريه إيّاها. "لولاها، لكنّك قد لقيتُ حتفي".

"يبدو أنّك خضت أيامًا قاسية لأنك وحدك، وما من أحد يعتني بك".

فرفعتُ كتفَيّ وكأنتي أقول له لا بأس، ثم سألته السؤال الذي حيّرني: "ماذا حصل لوإيات؟"

حينئذ، مدّ آمبيرت يده إلى جيبه، وناولني تذكّار وإيات قائلاً: "باناش هو من قتله وخمسة آخرين باستعمال سَيْفٍ. أمّا ماريتي، فتحارب بشراسة بالرمح ثلاثي الشعب، في حين تستخدم سيلكا فأسًا حادة، ورأيتُ أيضًا..." ثم غصّ وانقطع صوته.

"لا عليك، اتضح الصورة. وماذا عن مايزيلي؟ هل هي بخير؟"

"لا أعرف. فقد افترقت عنا أثناء المعركة الأولى. لكنني لم أر صورتها في السماء بعد. لذا، أظن أنها ما زالت على الجبل، مثل باقي المستجدين. حاولنا أن نبقي معًا كما اتفقنا، إنما لحق بنا المحترفون".

تسللت إلى رأسي فكرة بغیضة: أيعقل أن تكون مايزيلي قد انضمت إلى المحترفين؟ إنما سرعان ما تذكرت عداوتها مع سيلكا منذ لقائهما الأول، وخرجت من نفسي. وحدقت إلى القلادة التي نسجتها مايزيلي ليعلق وايات عليها عملته النقدية، متذكراً أنها اختارت أن تقضي معظم ساعات التدريب وهي تعمل على تجميل تذكارات المستجدين وتزيينها ليرتدوها بفخر، بدلاً من الاستفادة من الوقت لتعلم مهارات تساعد على حماية نفسها. ومع أن مايزيلي دونر لديها العديد من العيوب، إلا أنها ليست بخائنة.

فقلت لأمبيرت: "لا شك في أن مايزيلي- أينما كانت- تثير المتاعب للمحترفين". ثم ربطت تذكارات وايات حول عنقي، فشعرت وكأنني أحمل معي قطعة من وايات ومايزيلي.

جلست وأمبيرت بصمت بعض الوقت، وصبيحت كوبًا آخر من العصير شربناه معًا؛ ونحن ننعيم بالنسيم العليل، ونتفرج على المرح الساحر، ونتنشق أريج الأزهار، ونستمتع بزقزقة العصافير. إن ساحة القتال مضممة بكل تفاصيلها لإرخاء الأعصاب وتدليل الحواس؛ وكأننا نواجه الموت في النعيم.

ثم سألت أمبيرت: "إدًا، أنت مُصرّ على البقاء وحدك".

"لن أفيدكم إلا في جذب الكائنات المعدلة جينياً. كما أنني لا أستطيع التمييز بين الزهور السامة وغير السامة".

"هل يمكنك على الأقل أن تأخذني قليلاً في جولة في الغابة؟ فنحن نحتاج إلى النزول من الجبل، لكننا لا نعرف إذا كانت الغابة آمنة أو لا".

"لا مانع عندي. لكنني لن أستطيع أن أحميكم من مُصممي المباريات".
فضحك أمبيرت قائلاً: "لا تقلق، فما من أحد يستطيع أن يحمينا من
مُصممي المباريات".

وبعد أن أنهينا عصيرنا، أخذته إلى الغابة وأنا أوّدي دور المرشد لأتمكّن
من أخذه إلى بوابة الفراشات من دون إثارة الشبهات، إلاّ أنّه لم يحصل منّي
على الكثير من المعلومات الشيّقة: "انتبه من الجداول فالماء سامّ، والفاكهة
سامة أيضاً، وتلك الأزهار كذلك". في الواقع، كان في وسعي أن أختصر كلامي
وأقول: انتبه، فكل ما تراه في ساحة القتال سامّ. لكنني أردتُ أن أوّدي دور
المرشد السياحي بجدارة. ثم أريته الرّبوتين المكسوّتين بزهور المونردة ونبته
الغاز، تاركاً ربوة نبات القسور إلى نهاية الجولة.

"هربت الفراشات التي لم أستطع أن أحرقها من هنا".

ولاحظتُ عينيه تركّزان على الغصن العالق في البوابة، إلاّ أنّه لم يقل إلاّ:
"أعتقد أنّه بإمكاننا أن نقرب من بيتها بأمان؟"

هل أطلق أمبيرت الآن على بوابة الكائنات المعدّلة جينياً لقب "البيت"
لأنه مُشتاق إلى بيته؟ عمره اثنا عشر عامًا فقط... ولا يتجاوز طوله خمس
أقدام... وصوته ما زال يحمل في نبرته براءة الطفولة. إذا كان الحنين إلى
البيت يعتصر قلبي، فما حال هذا الطفل الصغير؟

"لم يبقَ إلاّ القليل من الفراشات. وإذا حاولت إيداعنا مجدّدًا فبإمكاننا
مواجهتها بسهولة. ولساعاتها لا تقتلك، بل تصعقك صعقة كهربائية مُزعجة. فقد
لسعتني عشرات المرّات وما زلتُ بخير. لذا، قد يكون هذا المكان أكثر أمانًا
من غيره؛ لأنّ مُصممي المباريات يوزّعون الكائنات المعدّلة جينياً على
مسافات مُتباعدة". لا أعرف إذا كان ما قلته صحيحًا، لكنه على الأقلّ يبرّر
بقاءنا قرب ربوة نبات القسور.

سألني أمبيرت: "أتمنع لو ارتحُ هنا قليلاً؟"

فأجبتُه وأنا أنظر إلى عينيه المنتفختين: "بالأكيد لا أمانع. أنا متفرغ هذا المساء". فهَيَّأْتُ له سريري القماشي على الأرض، فتقلَّب فيه قليلاً ثم غفا.

تأمَّلتُه وهو نائم. يبدو أنّ كل الأطفال الصغار- لوبلا، ولولو، وآمبيرت- يأتون إليّ، وأنا لا أستطيع أن أحمي أيّاً منهم. لماذا يقصدونني؟

حين استغرق أمبيرت في نوم عميق، بدأت تحضيراتي للتفجير؛ فجمعتُ ضعف كمية الخشب وإبر الصنوبر التي جمعتها البارحة. فنحن سننقذ المهمة في الليل، وأنا مسؤول عن إشعال النار للإنارة والتفجير. وبما أنّ الغصن الذي أحرقتُ به الفراشات بقي مشتعلاً فترة طويلة، كسرتُ أغصاناً من الشجرة التي بدا لي أنّها من الفصيلة نفسها. حَصَّرتُ الحطب، إلّا أنّني لم أشعل النار كيلا أهدر أي موارد، حتى إنّني لن أشوي بطاطا الليلة. سأتركها لأمبيرت؛ ففرصته في النجاة من مهمّتنا أفضل من فرصتي.

لو نَقَذْتُ المهمة كما يجب وفجَّرتُ خزان المياه لإغراق الطابق السفلي - ألف، فسأغرق معه. إذ لا تمنحني ست أقدام من الفتيل مُتَسَعّاً كافياً من الوقت لأبتعد عن مكان الانفجار والفيضان. وإذا لم أُمْتُ بسبب قوة الانفجار، فسأموت بسبب تدفق الماء القوي. وأنا أفصّل أن أموت بأيّ من تينك الطريقتين على أن أعاني من المصير الجهنمي الذي سيبتكره الكابيتول لي في حال خرجتُ حيّاً من الطابق السفلي - ألف.

من الخطير أن آمل بنتيجة أفضل. فهذا الأمل قد يعمي بصيرتي عن الواقع. أذكر أنّ جدّتي كانت تقول: "طالما أنّ القلب ينبض، لا ينقطع الأمل". لكنني أرى أنّ الأمل في حالتي يوهمك بأنّ الأمور على ما يرام، ويجعلك تتفائل بالخير لفترة قصيرة، إلّا أنّك ستدفع الثمن مُضاعفاً حين تصحو من الوهم وتواجه تبعاته.

حين حلّ المساء، أشعلتُ الحطب. وعندما استيقظ أمبيرت، حمّصنا بضع شطائر من الجبن على النار، وأكلناها مع بعض التفاح. قال أمبيرت إنّه لا يريد أن يعود إلى المستجدين في الظلام، فاتفقنا على أن يمكث معي الليلة. وفيما كنا جالسين أمام النيران المتراقصة، ذكرْتُ أنّ قميصي لم يحترق أو يتضرّر حين أشعلتُ غاز نبتة الغاز. فنزع أمبيرت جوربه وحمله فوق اللهب، فتوهّج قليلاً ثم بدأت أطرافه تذوب. أعتقد أنّ هذا دليل. ربّما كانت جواربنا وقائية، لكن ممّ تقينا؟ لم أر سوى ربوة واحدة من نبتة الغاز، إلّا أنّ زبّنا يوحى بأننا سنواجه أشياء كثيرة قابلة للاشتعال.

بعدها قال أمبيرت إنّه يودّ أن يجرب اصطياد حيوان يؤكل ليشكرني على الطعام الذي تشاركته معه. وكانت قلاذته قد تشابكت مع قلاذتي المقاطعة التاسعة حول عنقه، فنزع الثلاث دفعة واحدة ووضعها على الأرض، وأمسك طرف الفتيل من قلاذته وهو يقول: "ربما أستطيع أن أصنع فخاً من هذه السلسلة. لكن، هل تظن أنّ الحيوانات سامة أيضاً؟"

"قد تكون الأرانب صالحة للأكل، فقد رأيت أرنباً يشرب من الجدول. إنّما قد تحمل تلك المخلوقات الثولاريمية."

"وما هذه؟"

"إنَّها مرض يُعرَف أيضًا باسم حمى الأرانب. لكن إذا طهونا الأرانب جيدًا، فقد تصبح آمنة للأكل". كل هذا الحديث ثرثرة بلا معنى لتضليل مُصممي المباريات. فنحن لا ننوي أن نصب فخاخًا للأرانب، ولا أن نطهو لحمها، حتى إننا لن نبقى هنا لتناول الفطور. "الأمر يستحق المحاولة".

وعلى الفور، بدأ أمبيرت يفكُّ صغيرة قلادته، ويلفُّ الفتيل الأسود حول يده. وعندما وصل إلى الطرف الآخر، أخفى غرضًا- كسبولة التفجير على ما أعتقد- بخفة في السلك الملفوف. وقال: "سأجرب حظي في الصباح، ويمكنك أن تحتفظ بأي فريسة تعلق بالفخ". وأضاف وهو ينظر إلى زهرتي دوّار الشمس: "أتريد واحدة؟ أظنّ أنّ مجالدي المقاطعة التاسعة كانوا سيودّون أن تتزيّن بإحدى تلك الزهور. فأنت من أقنعهم بالانضمام إلى تحالفنا".

"في الحقيقة، مايزيلي هي التي كسبت ثقتهم. كان يجب أن ترى كيف تصدّوا لباناش. ظنّ أنّه يُقدّم لهم معروفًا كبيرًا عندما سمح لهم بالانضمام إلى المحترفين، لكنهم أوقفوه عند حدّه من دون تردّد". وابتسمت حين تذكرت ما حدث، وتابعت: "نعم، سأرتدي واحدة. فقد كان مجالدو المقاطعة التاسعة حلفاء رائعين". ثم علّقت زهرة دوّار الشمس الملطخة بالدماء حول عنقي.

وعلا صوت النشيد كالعادة، إنّما لم تظهر أي صور في السماء الليلة.

فقلتُ: "ما زال عددنا على حاله. ستة وعشرون مجالدًا".

ضمّ أمبيرت ركبتيه إلى صدره وهمس: "هل يمكننا البقاء قرب النار؟ أنا لا أحب الظلام".

نحن نحتاج إلى ما جمعته من حطب لتنفيذ خطتنا، لكنني أتفهم وضعه. فمع أنّ أمبيرت يتظاهر بالشجاعة، إلا أنّني أعتقد أنّه يرى كوايبس عمّا حصل خلال المعركة الأولى. فقلتُ له: "يمكننا أن ننام هنا إذا أردت، فلا أظن أنّ الغصن سيحمل كلينا معًا. وستتناوب على الحراسة. لِمَ لا ترتاح قليلًا؟"

"هل يمكنني أن أشرب بعض الماء؟"

فناولته "الغالون" الممتلئ، وأخذ منه بضع جرعات.

ثم قال آمبيرت: "أيقظني عندما تتعب. سأكون جاهزًا". وأخذ جرعة أخيرة من الماء ثم تمدد على السرير.

إِنَّهُ يطلب مَنِّي أَنْ أتولَّى زمام الأمور. "حسنًا، ليلة سعيدة". ولستُ مُتأكِّدًا مِمَّا إذا كان آمبيرت قد استغرق في النوم فعلاً أو إذا كان يتظاهر بذلك. فتولَّيت الحراسة، ورمحي في حصني، مُنتظِرًا اللحظة الحاسمة التي سأستخدمه فيها لفتح البوابة. أنا سعيد لأنَّ فائدة الرمح في مهمَّتنا تقتصر على فتح بوابة بدلاً من سلب الأرواح. فإذا استطعتُ أن أتجنَّب قتل أي أحد خلال المباريات، سأعدُّ أنني انتصرتُ.

بدأتُ أوَدِّعُ أحبائي: بوردوك، وبلير، وهاتي، وأمي، وسيد، وحببتي الجميلة البهية لينور دوف. وحاولتُ ألاَّ أسمح للخوف بأن يتسرَّب إلى قلبي، فذكرتُ نفسي بأنَّ كل إنسان مُقدَّر له الموت، وأنَّ ساعتني قد دقَّت. ووجدتُ عزاءً في فكرة لقاء أحبائي الذين ماتوا قبلي؛ كأبي، وجدتي، وشقيقتي التوأم، ولويلا، ووايات، ولولو، والمستجدين. آمل أن أجتمع بهم جميعًا- وبلينور دوف أيضًا- في الجنَّة.

صار الظلام حالكًا، وبرد الطقس. وحين قدَّرتُ أننا تجاوزنا منتصف الليل، وأنَّ الجمهور قد ذهب إلى النوم، ولا أحد يشاهدنا أو يراقبنا سوى مجموعة من مُصمِّمي المباريات، أشعلتُ غصنًا لنستخدمه كمشعل، وانحنيتُ أمام آمبيرت وأيقظته مُربِّتًا على كتفه: "هيا بنا يا بطل!"

فنهض آمبيرت على الفور، وناولني الفتيل الملفوف وهو يهمس: "يمنحك الفتيل ستين ثانية للهرب قبل أن ينفجر الخزان". ثم أعطاني المادة المتفجرة التي لم تعد على شكل زهرة، بل صارت مستطيلًا ليِّنًا ودبقًا كالعجين. يبدو أنَّ آمبيرت قد استخدم آخر جرعة شربها من الماء بحكمة.

فوضعتُ الأغراض في جيبِي، واتَّجَّهنا إلى الربوة بصمت مطبق. أمسك أمبيرت بالمشعل، فيما غرزتُ طرف رمحي في الفتحة التي تركتها مفتوحة في البوابة أمس. وشددتُ على الطرف الآخر من الرمح بكل ثقلي، ففُتِّحت البوابة، وسرعان ما بدأت تغلق مجدِّدًا، فوضعتُ الرمح بين درفتيها لأبقيها مفتوحة على مصراعِيها. ورأيتُ على أحد جوانب الفتحة سلَّمًا يؤدِّي إلى الطوابق السفلية.

علا في الأسفل طنين ميكانيكي؛ وكانَّ البوابة تحتجُّ على العائق الذي وضعته فيها. وناولني أمبيرت المشعل قائلاً: "سأكون هنا".

كان أمبيرت يقف في ضوء النيران المتراقصة، ومعه فأس لا أظنُّ أنَّه يملك القوة البدنية الكافية لاستخدامها. فوضعتُ سكينِي في حزامه، وبعثرتُ شعره بيدي كما أفعل في العادة مع سيِّد، وقلتُ له: "أنت أفضل حليف أحظى به". فردَّ عليَّ بابتسامة، ونزلتُ السلَّم مُمسيكًا المشعل في يدي. شعرتُ وكأنَّ خطواتي خرقاء ومُتَيَّبِّسة على الدرجات المعدنية الرقيقة، فصرتُ أرشد قدميَّ في ذهني: "يمين، يسار، يمين، يسار..." نزلتُ خمس أقدام، فعشر أقدام، فعشرين قدمًا، إلى أن حططتُ على أرضية خرسانية في ممر ضيق، فاستدرتُ إلى اليمين- أعتقد أنَّ الشمال إلى يميني- وركضتُ مُسترشِدًا بنور المشعل، وأنوار الإضاءة التي تتوهج على جانبي الأرضية.

لم أبتعد كثيرًا قبل أن أدرك أنَّ الجدار إلى يساري ليس جدار الممر. فقد كان معدنيًا مُضَلَّلًا، تُقَشَّت على امتداده قطرات ماء مُتباعدة على مستوى الرؤية. أعتقد أنَّ هذا جدار خزَّان المياه. وما أكبره! إذ إنَّ ارتفاعه عشرون قدمًا، فيصل إلى سقف الممر. وعندما أجول بنظري يمينًا ويسارًا أرى أنَّ القطرات المنقوشة عليه تمتدُّ على امتداد نظري في كلا الاتجاهين. تُرى، لماذا يحتاج مُصمِّمو المباريات إلى هذا الكم الهائل من الماء؟ هل ينوون أن يحوِّلوا الساحة إلى بحيرة كبيرة؟ حاولتُ أن أجد أفضل مكان لزرع المتفجرات، ثم استسلمتُ وزرعتها تحت قطرة المياه المنقوشة أمامي مباشرة. هل موضع

المتفجرات يصنع فرقًا؟ وأخذتُ أفرد الفتيل بأصابعي التي تلطخت باللون الأسود، إلى أن وجدتُ كبسولة التفجير. يبدو أنّ التركيز في الصف له فوائده. فغرستُ الكبسولة في المادة المتفجرة على الخزان، وهيأتُ نفسي للتفجير، ثم قَرَّبْتُ المشعل من طرف الفتيل، وراقبتُ النار تلتهم بضع بوصات منه تاركَةً خلفها آثارًا من الرماد يمكن رؤيتها بصعوبة، ثمّ أطلقتُ رجليّ للريح. معي ستون ثانية. بدأ العد الآن.

مئة وواحد، مئة واثنان، مئة وثلاثة... عدتُ الثواني في رأسي وأنا أركض. وما إن رأيتُ السلم أمامي حتى ألقى المشعل على الأرض لأتّه يبطئني. كما أنّني واثق من أنّ أمبيرت ينتظرنني في الأعلى مع مشعل آخر. وفي وضع كهذا، قد يكون الخيار الأكثر حكمة هو أن يُسلم الإنسان بالأمر الواقع ويستسلم للموت، لكنّ الإنسان بطبيعته يتمسك بالحياة، ويتشبّث بها حتى لو لم يبقَ له منها إلاّ بضع ساعات... مئة وعشرون، مئة وواحد وعشرون... ثم إنّ أمبيرت ينتظرنني. وإذا خرجتُ من هنا قد أتمكّن من حمايته.

سمعتُ أصواتًا رقيقة أشبه بزقزقة مع زقزقة عصافير. ومع أنّني لم أرَ مصدر الأصوات، إلاّ أنّه لم يبدو لي أنّ الصّوت يُشكّل خطرًا عليّ. فليست تلك الأصوات مُخيفة بقدر ما هي مُربكة. ربّما هرب سرب من الطيور المُغرّدة من قفصه، وهو يحلّق بحرّيّة في الطابق السفلي - ألف؛ كالطيور في إسطنبول الخيول خلال موكب الاستعراض. وحين وضعتُ يديّ على درجة السلم، رفعتُ ناظريّ في اللحظة المناسبة، فلمحتُ وجه أمبيرت مُضاءً بضوء المشعل، قبل أن يختفي وراء دوّامة من الألوان التي نزلت عليّ في حركة حلزونية.

وسرعان ما خفقت فوق رأسي أجنحة شقّافة مُلوّنة بكل أطياف قوس قزح، تعكس وهج النار، وتلمع كما تلمع قطع الحلوى القاسية التي تُزيّن واجهة متجر عائلة دونر تحت أشعة الشمس. كان من الممكن أن أتأمل منظر هذه الكائنات بإعجاب لو لم يكن طول أجنحتها ثلاث أقدام، ووجوهها وحشيّة

شرسة، ومخالب ساقها مَعقوفة ومُسِنَّة طولها أربع بوصات. إنّها خفافيش مُعدّلة جينيًّا، صُمِّمت خصيصًا لتقطيعي إربًا إربًا.

لم تهرب تلك الكائنات من قفصها، وإّما أرسلها إليّ الكابيتول كهدية.
... مئة وستة وثلاثون، مئة وسبعة وثلاثون...

سمعتُ أمبيرت يصرخ لي: "التقط المشعل يا هايتمش!"

وأفلت المشعل، فتفرّقت الخفافيش مُبتعدة عنه وهو ينزل باتجاهي، ثم احتشدت مُجددًا. وتمكّنتُ بشكل ما من التقاط المشعل بيدي، وأخذتُ ألّوح به فوق رأسي وأنا أتسلّق السلم باليد الأخرى. لكنني هذه المرّة لا أواجه فراشات هشة يسهل إحراقها وإبادتها، وإّما ثدييات قويّة سريعة الحركة والالتفاف والمناورة. فصارت تتفادى مشعلي، وتنقضّ عليّ وتهاجمني بمخالبها، وتخدش كتفيّ وظهري، فسال دمي. لكنني لا أستطيع أن أتوقّف، عليّ أن أستمّر في التسلق. فالوقت يداهمني، وإذا لم أصل إلى السطح سريعًا، فسأغرق حتمًا.

لن أصل إلى السطح في الوقت المناسب. لقد نسيْتُ إلى أين وصلتُ في العدّ، وقد ينفجر الخزان في أي لحظة، ويُغرق الممر بالماء. فلوّحْتُ بالمشعل مرّة أخيرة، وأصبْتُ الخفاش الذي غرز مخالبه في فخذي، ثم رميتُ المشعل على الخفافيش المُحلّقة حولي، وبحثتُ عن حزامي بأصابعي، ففككتُ حلقتيه المعدنيّتين، ومررتهما حول أحد قضبان السلم وأحكمتُ إغلاقهما. بعدها، لفتتُ ذراعيّ حول السلم، وثبّتُ ساقِي على درجاته مُتشبّهًا به بكل ما أوتيتُ من قوة، وأخذتُ أنفاسًا عميقة لأملأ رئتيّ بالأوكسجين. وبقيتُ هكذا لخمس ثوانٍ، حصلتُ خلالها على ثلاثة خدوش إضافية من الخفافيش التي وطوطت وصرخت وصمّت أذنيّ. ثمّ تسلّل الشكُّ إلى نفسي؛ هل ارتكبتُ خطأ في إعداد المتفجرات؟ هل كبسولة التفجير مُعطّلة؟ هل

تدخّل أحد مُصمّمي المباريات في الوقت المناسب لينتزع الفتيل من المادة المتفجّرة قبل أن تنفجر؟

فجأة، دوّى صوت انفجار قويّ كاد يسقطني من السلم، ثم طوّقتني الظلمة، وابتلعتني المياه الباردة كالثلج، وأفلتت إحدى يديّ السلم من جِراء قوّة التيار.

ولولا الحزام لكنث الآن في عداد الموتى. غير أنّني استجمعتُ قوّتي لأستعيد توازني على السلم، وتمسّكتُ به بكل أطرافِي، مُغمِصًا عينيّ لحمايتهما من السيل الجارف. وبعد مرور ما تهياً لي أنّه دهر من الزمن، خفّ التيار، ففككتُ حزامي وواصلتُ التسلق. لكنني شعرتُ وكأنّ رتنيّ تحترقان بسبب نقص الأوكسيجين؛ فسيطر عليّ الخوف من الاختناق، وطمغى على كل مخاوفي الأخرى، فصرّتُ أتسلّق السلم بيديّ، وأجرّ ساقيّ خلفي. كنتُ على وشك الإغماء حين اخترق وجهي سطح الماء، فبدأتُ ألهتُ بحثًا عن الهواء، وأسعل وأفرغ رتنيّ من الماء. يبدو أنّني ابتعلتُ ما يُعادل دلوًا من الماء، مع أنّني بذلتُ قصارى جهدي لحبس أنفاسي. يجب أن أنظر إلى الجانب المُشرق؛ فقد اختفت الخفافيش. وآمل أن تكون الماء قد جرفتها وأغرقتها. كما أنّ مياه الخزان ليست معدنية الطعم كمياه الجداول، ما يعني أنّ مُصمّمي المباريات لم يكلّفوا أنفسهم عناء تسميم مياه الخزان الضخم، بل قصدوا كلّ الجداول وسمّموا مياهها، كلاً على حدة. وهذا من حسن حظّي؛ لأنّ جراحي عُسلت بماء نقي.

عندما استعدتُ أنفاسي وتوقّفتُ عن الارتجاف، ناديتُ أمبيرت، ورفعتُ ناظريّ إلى الأعلى. إلّا أنّني لم أر في ضوء القمر المُزيف الخافت غير الرمح الذي يُبقي البوابة مَفتوحة. ثمة أمر مريب. فأنا لا أرى أمبيرت، وأنا مُتأكّد من أنّه لن يتركني أواجه مصيري وحدي. هل استطاعت الخفافيش بشكل ما أن تهرب من البوابة حين طاف الممر وتهاجمه؟ أستبعد أن تكون قد طارت بهذه السرعة؛ فقد كان تدفّق الماء قويًّا جدًّا، حتى إنّ الممر طاف بالتزامن مع

الانفجار تقريبًا. ثرى، ماذا حصل له؟ هل تعرّض لهجوم من المحترفين أو مُصمّمي المباريات؟

تسلّقت السلم بما تبقى لي من قوة في أطرافى المتجمدة. وحين بلغت السطح، راقبتُ محيطي المُضاء بضوء القمر ووهج المشعل. كان مخيمنا على حاله؛ فحقيبتى والسرير القماشي في مكانيهما على الأرض كما تركتهما. لكنني لم أرَ أي أثر لأمبيرت، أو ما يشير إلى وقوع معركة هنا. إذًا، ما الذي دفعه إلى ترك موقعه؟

سحبْتُ الرمح من البوابة، فبدأت درفتاها تُغلقان، ثم توقفتا فجأة بسبب الضرر الذي ألحقه بهما الرمح، فبقيت البوابة نصف مفتوحة. ناديتُ صديقي همسًا: "أمبيرت؟ أمبيرت؟" لا جواب.

ومع أنّ سمعي مُشوَّش- إمّا من صوت الانفجار أو من الماء- إلا أنّي واثق من سماعي صوتًا دخيلاً على السيمفونية المألوفة التي تملأ الغابة ليلاً. أعتقد أنّه صوت حيوان، غير أنّ ما أسمعه ليس صوت الخفافيش، بل ثرثرة فوضوية مُتداخلة. حملتُ السرير القماشي ولففته حول ساعدي الأيسر؛ فقد أحتاج إلى شبكة لحبس الكائنات التي سأوجّهها، وتبعثُ الصّوت بحثًا عن مصدره. علّت الثرثرة أكثر فأكثر أثناء تقدّمي، فاقشعرتُ بدني، لكنني لم أراجع، بل واصلتُ التقدّم إلى أن وصلتُ إلى فسحة دائرية صغيرة في الغابة لا تغطيها أشجار.

كانت الأشجار المحيطة بتلك الفسحة تفيض بالحياة البرّية. فقد رأيتُ على أغصانها المئات من المخلوقات الشبيهة بالسناجب. بدت لي هذه المخلوقات ظريفة جميلة بفروها الذهبي وعيونها اللامعة في بادئ الأمر، لكنّ نشاطها المُفترط وهي تقفز في كل اتجاه بين الأغصان، وتصلُّ أسنانها الأمامية المُستطيلة مُضطربةً، يُنذر بالخطر. إنّها سناجب مُعدّلة جينيًّا. ولا يبدو أنّها تتوقّف عن الحركة إلا لتصرخ صراخًا حادًا على مجموعة مُحتمّلة في كومة

في وسط الفسحة؛ حيث كانت السناجب الأكثر جرأة وشجاعة بينها تخوض معركة ضارية، فتقفز على أعلى الكومة وهي تركز بأطرافها الخلفية، حتى إنّ أحدها قُذِفَ في الهواء وسقط عند قدمي. وقبل أن يعود إلى خصم المعركة، لمحتُ بين أسنانه الأمامية قطعة قماش دامية لونها أزرق كهربائي. حينئذ، استوعبتُ ما كنتُ أشاهده: هذه السناجب المعدّلة جينيًّا من آكلات اللحوم، وهي تُمزَّق أمبيرت إربًا.

لقد وعدت بيتي أنني لن أترك أمبيرت يتعدّب. وعلى الفور، فردتُ سريري القماشي فانسدل من ساعدي إلى الأرض بكامل طوله، وصرخت بأعلى صوتي وأنا أركض إلى وسط الفسحة. مرّرت السرير على الكومة فالتقطتُ عددًا من السناجب، ثم سحبتها إليّ بعنف وقذفتها بعيدًا عنه. بعد ذلك، قلبتُ رمحي لأستخدمه كمضرب، وأخذت ألوح به على الكومة مرارًا وتكرارًا؛ فأكنس السناجب يمينًا ويسارًا. وهيأتُ نفسي لهجومها عليّ، لكنها لم تنهش لحمي بأنيابها ومخالبها، حتّى إنّها لم تقترب مني. فكلّما قذفتها بعيدًا عن أمبيرت، راحت تندفع عائدة إليه وتغوص في الكومة مجددًا. إنّ هذه السناجب مُبرمجة للهجوم على هدف واحد فقط. أمبيرت. وقد حفظت ملامحه ورائحته، وهي تشتهي طعم لحمه.

أنا أقاتل في معركة خاسرة. أعرف أنني سأخسر وسأفقد أمبيرت. ومع أنني لم ألمح بعد في كومة الفراء المتلوّية التي تتنازع على التهام ما تبقى منه، إلاّ أنني ظللتُ ألوح بالرمح وأبعدها عنه. فجأة، رفعت كل السناجب رؤوسها في انسجام تامّ، وكأنّ أحدًا صفر لها بصفارة على تردّد لا يسمعه سواها، والتفتت نحو سيدها الخفيّ، ثمّ اندفعت في هرولة مسعورة، واختفت خلال ثوانٍ بين الأشجار.

راقبتها لاهتًا وهي تختفي في ظلمة الليل، ثمّ التفتُّ لأرى المشهد الذي تركته لي وراءها: هيكل عظمي صغير أبيض، لم تبقَ عليه أي قطعة لحم أو ملابس، وإلى جانبه الأيمن فأسّ، وإلى جانبه الأيسر سكين. علقت الكلمات

في حلقي، وغصّ صوتي وأنا أقول: "يا بطل"، وتعثّرتُ، فلمحتُ جهاز تعقّبه مَغرُوسًا تحت مرفقه. لقد التهمت سناجب الكابيتول آمبيرت، ولم يبقَ منه جسد أضّمّه ولا روح أواسيها وأخفف عنها سكرات الموت. لم يبقَ منه سوى هذه العظام البيضاء الناصعة كاللؤلؤ التي ستوضع في نعش وتُدقن.

صُرب المدفع.

أعرف أنّ قلب بيتي قد انفطر وتفتّت إلى شظايا صغيرة لن يلامها الزمن أبدًا. أمّا قلبي فدقّ كالطبل، واجتاحته موجة غضب عارمة. فرفعتُ رأسي إلى السماء، وأطلقت صراخًا حادًا ارتدّ صداه في ساحة القتال. أريد أن أقتلهم جميعًا: الرئيس سنو، ومُصمّمي المباريات، وكل شخص في الكابيتول له يد في هذه الجريمة. لكنني لا أستطيع أن أطال أيًّا منهم. لذا، ألقى رمحي على الأرض، وأخذتُ الفأس، وبدأتُ ألوح بها وأضرب أرض الساحة، عازمًا على تحطيمها بكل ما فيها من أشجار وشجيرات وأعشاش، وأنا أزمجر وأصدر أصواتًا وحشية.

وفيما كنتُ أهاجم على ربوة من زهور العنصل وأقطعها وأحطمها، اهتزت الأرض فجأة بعنف، فهويتُ على فراش من الطحالب، وغرستُ أصابعي فيها مُتشبّثًا في مكاني ريثما تتوقّف الأغصان والحطام عن التساقط في الأنحاء كالمطر. وحين هدأت الأرض، رفعتُ رأسي وصرختُ: "هاه! لم تصيوني!" ثم نهضتُ وركضتُ بين الأشجار كالمجنون وأنا أصرخ: "ما زلتُ حيًّا! ما زلتُ هنا!"

عندما عدتُ إلى مخيمنا لاهتًا، أدركتُ أنّ ما يحدث في ساحة القتال لا علاقة له بمُصمّمي المباريات ومحاولتهم لاستهدافي. فالأمر أكبر من ذلك بكثير؛ إذ كانت بوابة الفراشات تُفتح وتُغلق بشكل هستيري، نافثةً ما يكسوها من زهور إلى السماء. ورأيتُ قطيعًا من الغزلان الصغيرة الطريفة يركض بين الأشجار بهلع، ويشبّ ويضرب الهواء بوحشية بحوافره الأمامية المُسنّنة. كما

تحوّلت شجرة تفاح إلى نافورة من الشرر الأزرق، وتصاعد البخار من جدول قريب. يبدو أنّ الساحة تحوّلت إلى عالم خيالي ينبع من حلم يقظة. لا بدّ من أنّ ما يحدث نتيجة واحد من خيارين لا غير: فإمّا أنّ الساحة تنهار... أو أنّي كنت ألعق ضفادع سامة.

خفت من التّشبّث بآمال كاذبة، فرفعتُ نظري ببطء نحو سماء ساحة القتال، ورأيتهُ تختفي وتظهر من جديد؛ كما لو أنّها شاشة تلفاز إرسالها مُتقطّعة. ثمّ تشوّش الإرسال فجأة، ووجدتني أهدق إلى السماء الحقيقية وأتنسّق هواءً عليلاً. وانسكب شعاع القمر على الخراب من حولي، كاشقاً الفوضى العارمة. لقد نجحنا! أنا وآمبيرت وبيتي ومجالدو المقاطعة التاسعة ومجموعة من الناس الذين لا أعرفهم! لقد أغرقنا دماغ ساحة القتال، فدمّرناها!

هذا مُلصّقي. كلّ ما حدث في الساحة الآن مُلصّقي. أطلقتُ صيحة انتصار هوجاء، وصرت أدور صارحاً: "ألا تريدون أن تحتفلوا؟ سأقيم لكم حفلة!"

فبرقت السماء ورعدت، ورحضُ أرقص حول الربوة، وأغنيّ أوّل أغنية خطرت في بالي ليسمعاها كل سكان بانيم، وهي أغنية غناؤها مَحْظور.

يعاقب القانون سارق الوزه من المراعي المشاعة النضيرة،

فيشنيق الرجال ويجليد النساء بالسياط المريرة،

ويترك المجرم الأكبر، سارق المراعي من الوزه الفقيرة،

حرّاً طليقاً يرفل في غنائمه وثرواته الوفيرة.

ثم فتحتُ ذراعَيَّ، ورفعتهما نحو النجوم التي يحبُّها سيد وتابعت:

يرمي القانونُ سارقَ الوزِّ وراءَ القضبان،

ويُبقِي الوزِّ بلا مرعى ولا أمان.

لن يستردَّ الوزُّ حقه إلا إن ثارتِ الجَنان

واستعاد أرضه المنهوبة بالقوة بعد طول حرمان.

وقفزتُ ونططتُ وأنا أصيح: "لقد استعدناها! لقد استعدناها!"

وأخيرًا، جثوتُ على الأرض، وقوَّستُ ظهري إلى الورا، ومددتُ ذراعَيَّ لأحتضن السماء. فجأة، عمَّ الظلام؛ وكأنَّ أحدهم ضغط على زر لإطفاء الأضواء. ثمَّ سمعتُ طنينًا مُنخفصًا يصدرُ من أرض الغابة. ما الذي يُطنطن؟ فانتابني شعور سيئ. ويا لصدمتي حين رأيتُ سماء ساحة القتال تعود تدريجيًّا كما كانت!

صرختُ بملء رئتي: "لا... لا!" فمع أنَّ بوابة الفراشات لم تتوقَّف عن الفتح والإغلاق بعنف، وشجرة التفاح ما زالت تُطلق شررًا أزرق، استعادت الغابة سكونها وسكينتها. لكن، قد تكون هذه الظواهر جزءًا من عملية وقف تشغيل الساحة. يجب أن أتأكَّد. فتشيتُ في حقيبتني عن المنظار، وعلَّقته حول عنقي، ثم ركضتُ نحو الشجرة التي نمتُ عليها، وتسَلَّقْتُها كالسناجب المعدِّلة جينياً. وحين وصلتُ إلى قَمَّة الشجرة، نظرتُ إلى ساحة القتال عبر عدستي المنظار بحثًا عن إجابة. هل نجحتُ حقًّا في تدمير ساحة القتال؟ هل انتهت مباريات الجوع؟

في الأفق البعيد، وراء المرج، ثار الجبل نافثًا شلالات ذهبية قاتلة. حينئذ،
حصلتُ على الإجابة التي كنتُ أبحث عنها. لقد انتهت حفلي.

القسم الثالث
"المُلصَق"

لقد أخفقتُ، لم أنجح في تدمير ساحة القتال. كلُّ ما استطعتُ فعله هو أن أتسبب ببعض الأضرار. إنّما ما زالت مباريات الجوع مُستمرّة.

نحن نتعلّم عن الجبال في المقاطعة الثانية عشرة، لكنّ مُعظم دروسنا تقتصر على الجبال الغنية بالفحم؛ مصدر رزقنا الوحيد. أمّا البراكين، فلا تُذكر إلّا في الهوامش. غير أنّ ما تعلّمته يكفي لأعرف أنّ هذا الجبل الذي ينفث سيولاً من الحمم المُشتعلة يُشكّل سحُبًا دخانيّة رماديّة خانقة تبتلع كل ما يصادفها. تبادرت إلى ذهني صورة المجالدين- كوبيلي، وهال، ومايزيلي- وهم يواجهون صعوبة في التنفّس، ويختنقون من الدخان، فوقع المنظار من يدي. ومع أنّي لم أرهم بأمّ عينيّ، إلّا أنّ ما أراه أمامي يكفي ليزرع في رأسي أفكارًا سوداوية عن مصائرهم المُفزعّة.

هبت في وجهي نسمة هواء مُثقلّة بغبار لاسع ورائحة خانقة، وجعلتني أرغب في التقيؤ، وأصبث بالدوار، ففقدت توازني ووقعت عن الشجرة، وتلويث في الهواء مُحاولًا التشبّث بأيّ بشيء. ولو لم تمسكني بعض الأغصان المُتشابكة وتوقف سقوطي، لكنت الآن جثة هامدة على أرض الغابة. فأغمضت عينيّ، ورفعت ياقة قميصي الفضفاض على وجهي لأحمي نفسي من الهواء السامّ. فقد اكتشفتُ عندما أشعلتُ جدارًا من النار أمام ربوة نبتة الغاز، وعندما حاول أمبيرت أن يشعل جوربه، أنّ زينا يُشكّل درعًا واقئيًا يحمينا من الاحتراق. ولا بدّ من أنّ مُصمّمي المباريات حرصوا على إضافة هذه الميزة الوقائيّة إلى أربائنا

بسبب البركان. فأنا لا أرى لها سببًا آخر؛ مع أنني لا أعتقد أنها ستقذ المجالدين العالقين على الجبل الذين سيتحمّلون الوطأة الكبرى لثوران البركان والهواء السامّ.

هل هذا يعني أنني المجالد الوحيد الذي بقي على قيد الحياة؟ هل فزت في المباريات الربعية؟ لا سبيل إلى معرفة ما إذا كان مُصمّمو المباريات يضربون المدفع لإعلان الوفيات؛ فالأصوات النَّاجمة عن الانفجار والرياح القوية تصمّ الآذان. ووفق ما عرفته من أمبيرت، كان جميع المجالدين الآخرين على الجبل. فإذا كان بعضهم مُتموِّضًا على السّفح، فمن الممكن أن يكونوا قد نجحوا في الوصول إلى برّ الأمان. لا أعرف. ففي حين أنهم قد ينجحون في الفرار من سيول الحمم المُشتعلة، إلّا أنني لا أظنهم سيسبقون السُّحب الدخانية السامة. ولا يسعني إلّا أن أتساءل عن مدى نجاح مُصمّمي المباريات في مُحاكاة البراكين الحقيقية وثورانها. هل ستحرق تلك الحمم البركانية ساحة القتال كلها؟ ماذا لو كان الغرض من الخزان العملاق إخماد الحرائق النَّاجمة عن البركان؟ وماذا لو كنت قد قضيتُ على فرصة الهاربين من الجبل في النجاة حين فُجّرَت الخزان؟

إنّ موقعي على الشجرة مكشوف، وأكثر عرضة للرياح. وما إن سنحت لي الفرصة، حتّى نزلتُ إلى الأرض، وارتميتُ على فراش من إبر الصنوبر، مُسندًا ظهري إلى جذع الشجرة لأحتمي من الرياح. وضعتُ رأسي داخل قميصي؛ فأنا لا أستطيع أن أرى شيئًا حولي لأنّ السحب الدخانية السمكة حجبت ضوء القمر. وحتّى لو كان بإمكانني رؤية ما حولي؛ فماذا عساي أفعل؟ إلى أين أذهب؟ إن وصل إليّ الحريق فليصل؛ لا مهرب من النار.

لقد أخفقتُ بشدّة. مَنْ أظنّ نفسي؟ لماذا ظننتُ أنني قادر على إحداث فرق أو تغيير؟ كيف أقنعتُ نفسي بأنني أستطيع أن أتحدّى الكابيتول بعظمته، وأضع حدًّا لمباريات الجوع؟ أنا مُجرّد شاب مُتكبر سليط اللسان، في

السادسة عشرة من العمر، يعيش في أفقر مقاطعة في بانيم، ويفتقر إلى العلم والمهارة. أنا كالشراب الرديء قليل الطعم.

تردد صدى صوت بلوتارك في ذهني مُستهزئًا بي: "لا مزيد من الخضوع الضمني، يا هايميتش آبرناشي. فجر الخزان، وليتردد صدى الانفجار في كل أنحاء بانيم؛ فمصير البلاد بين يديك".

لقد اخترت الشخص الخاطئ يا بلوتارك! إذ يبدو أنني مُبرمج على الخضوع الضمني قلبًا وقلبًا.

وضعت راحتي على وجهي وضغطت عليه. يا لي من أحق مُتَعَطِّرس أناني، لا يستطيع حتى أن ينقذ نفسه. فأنا لا أعرف أصلًا إذا كان بلوتارك حقًا من الثوار، أو مجرد وحش من وحوش الكابيتول التي تضحك عليّ ساخرةً من غبائي وحمالتي.

لكنني لا أعتقد أن بلوتارك أحد عملاء الكابيتول؛ لأن هذا غير منطقي. فمع أن المعلومات التي أعطاني إيّاها لم تساعدني في وضع حدّ لمباريات الجوع، إلا أنها ساعدتني على وضع عُصيّ في دواليب الكابيتول، وتخریب نظام ساحة قتاله العزيزة، وقلبه رأسًا على عقب. لكن هذا لا يكفي، فما فعلته مجرد عمل تخريبي صغير ليس له أي أثر حقيقي. لم أفعل ما يستحقّ الذكر.

آخر مرّة رأيتُ فيها أمبيرت كان يتسم لي تحت ضوء المشعل... كانت تلك ابتسامته الأخيرة... لقد وثق بي... والآن، لم يبقَ من جثته شيء نعيده إلى بيتي... إنما من الممكن أن يكون بيتي قد لقي حتفه أيضًا...

أنا أبكي، أو ربّما دمعت عيناي للتخلّص من ذرّات الرماد اللاسعة. كما أنّ الخدوش التي أهدتني إيّاها الخفافيش تحرقني وتنزف على ثيابي التي يبدو أنّها لا تمتصّ السوائل. فاستلقيتُ أمام جذع الشجرة مُتكوّرًا على جانبي، ومُبللًا بالدموع، ومُصرّجًا بالدم، ومُثقلًا بالحزن والغم.

آه، يا لينور دوف، كيف آلت الأمور إلى هنا؟ هبّت الريح، وحملتني إلى الكوخ المُترجّع على ضفة البحيرة في المقاطعة الثانية عشرة، حيث ذهبتُ مع لينور دوف للاحتفال بذكرى ميلادها في شتاء العام الماضي، وأهديتها أفضل هديّة حصلت عليها في حياتها... فقد غنيتُ لها قصيدتها؛ تلك القصيدة التي بدأت أكرهها...

حدث ما حدث في شهر ديسمبر البائس البارد،

فيما خطّ كلُّ جمرٍ مُحتضِرٍ خافِتٍ شبحه على الأرضية بالرماد.

كم تمّيتُ طلوع الفجر عاجلاً، كم قَلبتُ صفحات الكتب عبثاً لإيجاد

ما يطفئ نار الأسي والحداد على فقيدتي لينور،

الحسناء الجميلة البهية لينور،

الحسناء الجميلة البهية التي غاب اسمها عن عالم الأحياء.

لن يُنطق باسم هذه الشابة في عالم الأحياء بعد اليوم. فقد ماتت وفارقت هذه الدنيا، ويبدو أنني سألحق بها قريباً. هل ستبحث عني لينور دوف إلى الأبد يا ترى؟ هل سيقصّ شبحي مضجعاها إلى آخر حياتها؟

فصرختُ بأعلى صوتي: "انسيني! وامضي قدماً في حياتك!" ورحتُ أعاتب نفسي لأنني لم أطلب منها أن تعيش حياةً سعيدة بعد مماتي حين سنحت لي الفرصة. ثم ضربتُ رأسي بجذع الشجرة إلى أن سال دمي، فأرخيْتُ جسدي على الجذع، واستسلمتُ لنهايتي. ها أنا أسلمك نفسي أيّها الرئيس سنو، فافعل بي ما تشاء.

لم يكحل الرقاد أجفاني؛ مع أنني كنتُ أروح مُنهكاً تحت وطأة أحداث الليلة. وتملّكني يأس ساحق، فغرقْتُ في خمول أشبه بغيوبة يَقْطَعُ. لا أعرف

كم بقيتُ على هذه الحالة. لقد مرّت ساعات على الأرجح؛ فقد هدأت الرياح وورقد الرماد.

قالت لي لينور دوف يومًا إنّه ما من ضمانة لشروق الشمس. ويا ليتها لا تُشرق اليوم؛ فلا خير يُرتجى ممّا ينتظرني. أفصّل الاختباء في الظلمة إلى الأبد. وحين تسلّل ضوء النهار عبر قماش قميصي، رفضتُ الخروج من مخبئي. لماذا ما زلتُ على قيد الحياة أصلًا؟ ترى، ما الحيل الشيطانية التي ينسجها مُصمّمو المباريات لي الآن؟

ما زلتُ أسمع الطنين الذي بدأ يصدر من الأرض ليلة أمس قبل أن تعود صورة سماء ساحة القتال مباشرة. لا بدّ من أنّه صوت مولّد الكهرباء الاحتياطي الذي أخبرني عنه بيتي، والذي يقع خارج حدود الساحة في أقصى الشمال. يبدو أنّه ما زال قادرًا على تشغيل ساحة القتال؛ على الرغم من المشكلات التي سببها الفيضان في إمدادات الطاقة. لكنّ خطّتنا لم تستهدف إمدادات الطاقة، بل دماغ الساحة الذي ما زال يعمل بشكل ما لإبقاء العرض قائمًا ولتسلية الجماهير.

فقلتُ لِنفسي: "اصمت! لا جدوى من هذا الكلام بعد الآن!" سئمتُ من الاستغراق في أخطائي وإخفاقاتي. كفى. فشلت الخطة.

حاولتُ أن أعود إلى حالة الخمول التي كنتُ فيها منذ قليل، غير أنّ القلق والتوتر سيطرا عليّ، وتردّد في أذنيّ ما قالته ماغز قبل أن نبدأ بالتدريب. "في سنواتي الأولى كمرشدة، لم أكن أسأل المجالدين عن رغباتهم وطموحاتهم؛ لأنّ الإجابة بدت لي حينها واضحة: يريدون النجاة والبقاء على قيد الحياة. لكنني مع مرور الوقت أدركت أنّ رغبات المجالدين لا تقتصر على هذين الأمرين فحسب. فمثلًا، عندما كنتُ مجالدة في المباريات مثلكم، كنتُ أرغب في حماية المجالد الآخر من مقاطعتي".

كنا نطمح إلى أن نموت موتة سريعة ومُشرّفة، تقي أحبّاءنا من عذاب مشاهدة معاناتنا. كما أردتُ أن أتغلّب على ساحة القتال. أمّا ما عُر، فما كان همّها إلّا أن تحمي المجالد الآخر من مقاطعتها. لا أعلم إن كانت مايزيلي لا تزال على قيد الحياة، لكن إذا كانت حيّة فقد تحتاج إلى مساعدتي لتموت ورأسها مرفوع كما أرادت. وقد أتمكّن أيضًا من مساعدة بعض المستجدين الآخرين. أعتقد أنّ المدفع ضرب عدّة مرّات بعد ثوران البركان، لكنني لم أسمع الضربات وسط الضجيج. وبما أنّ مُصممي المباريات لم يعلنوا أنّني الفائز في المباريات الربعية، فما زال في ساحة القتال مجالد حيّ آخر. ولن أكتشف مَنْ هو قبل حلول الليل.

بدلًا من الاستسلام، يمكنني أن أمدّ يد العون إلى أحد حلفائي. فربّما أستطيع مساعدتهم بشكل أو بآخر؛ كأن أحميهم من المحترفين، أو أن أجلب لهم بعض الطعام أو الماء. حين فكّرت في الأمر، لاحظتُ أنّني جائع وعطشان، ولا بد من أن أتغدّي لأحافظ على قوّتي ونشاطي. عليّ أن أفتش عن أغراضى لأرى ما نجا من مؤونتي.

حين أبعثُ قميصي عن وجهي، أسرتني ساحة القتال بجمالها من جديد. كنتُ أتوقّع أن أجدها مُغطّاة بطبقة من الرماد الأسود القذر، إلّا أنّ مُصممي المباريات جعلوا الرماد أبيض شفافًا ولامعًا، ليتماشى مع معايير الجمال التي وضعوها لتصميم ساحة القتال؛ فبدت وكأُنها مُغطّاة بطبقة من سكر النبات. وصارت أشعة الشمس ترتدّ عن بلورات السكر، وتشكّل أقواس قزح صغيرة في الغابة. نهضتُ عن الأرض وجسدي مُتخسّب، وأخذتُ أنفض البلورات عن ثيابي. شعرتُ بإغراء قوي لأضع واحدة في فمي الجاف؛ مع أنّي أعلم جيدًا ما سيحدث لو فعلت ذلك.

غير الرماد ملامح الغابة وأربكني؛ فواجهتُ صعوبة في العودة إلى ربوة نبات القسور، لكنني استطعتُ إيجاد طريقي إليها بعد فترة. بدت الأزهار وكأُنها محفوظة تحت طبقة من الجليد. وكانت البوّابة مشقوقة، وقد توقّفت درفتّها عن

الفتح والإغلاق بعنف. وما عادت الأشجار تُصدِرُ شررًا أزرق، ولم يعد القطيع يركض هلعًا؛ مع أنني رأيتُ بضعة غزلان صغيرة ميتة تحت الرماد. لا شك في أنّ ساحة القتال تضررت، وأنّ آثار هذا الضرر مُنتشرة في كل أنحائها. سيضطرُّ مُصمّمو المباريات إلى توجيه كاميراتهم بحذر، واختيار زوايا مناسبة؛ إذا أرادوا أن يتفادوا تصوير الخراب.

ارتدت كلّ الساحة حلّة بيضاء كالثلج، إنّما كان الهواء دافئًا وعطرًا. أزلتُ الرماد عن حقيبتني، ثمّ شربتُ جرعة كبيرة من المياه. بقي معي نصف "غالون" من المياه تقريبًا، وحبّنا بطاطا، ورغيفان من الخبز، وبيضة، وتفاحة، وكوب من عصير العنب. وكانت عصافير بطني تزقزق من شدّة الجوع، فهرستُ البيضة بين رغيفي الخبز لأصنع شطيرة، والتهمتُها بشراهة، ثمّ أكلتُ تفاحتي الأخيرة. بعد ذلك، تقفّيتُ أثر خطواتي السابقة لأصل إلى المكان الذي مات فيه أمبيرت. لم يعد هيكله العظمي هنا، لكنني وجدتُ سريري القماشني، فنفضتُ عنه الرماد وطويته بعناية ووضعتّه في حقيبتني.

ماذا يجب أن أفعل الآن؟ فكّرت في البحث عن الناجين من البركان؛ لكنني أدركت أنني قد أصادف محترفين ومستجدين على حد سواء. رُحْتُ أحفر في الرماد برجليّ بحثًا عن رمحي الذي تركته هنا في مكان ما، غير أنني لم أجده. هل أخذه مُصمّمو المباريات مع هيكل أمبيرت العظمي؟ آه، وجدتُ سكينني، ثمّ تقفّيتُ أثري للعثور على فأس أمبيرت. استغرق الأمر منّي وقتًا طويلًا إلى أن تذكرتُ أنني أوقعتها حين اهتزت الأرض وطرحنتني أرضًا، فذهبتُ لآخذها، ووضعتها في حزامي. أريد أن أحمل معي تذكارات من حلفائي.

مررتُ أصابعي على زهرة دوار الشمس المُعلّقة حول عنقي. يبدو أنّ طبقة الصمغ التي تغلّفها قد ذابت خلال الفيضان، وصارت المادة المُتفجّرة المطلية بألوان دوار الشمس ليّنة، لكنّها حافظت على شكلها وألوانها الزاهية. ليت معي كبسولة تفجير أخرى؛ فالمادة المتفجّرة وحدها لا تنفع بشيء. لاستعمالها أنا بحاجة إلى القيام بتفجير آخر. لكن، ماذا سأفجّر؟ فمع أننا نجحنا

في إلحاق ضرر بدماع ساحة القتال، إلا أن الساحة ما زالت تعمل؛ إمّا لأنّ الحاسوب احتفظ ببعض وظائفه الأساسية، أو لأنّ مُصمّمي المباريات استطاعوا نقل عمليّات تشغيل الساحة كلها إلى الكابيتول، أو لأنّ هذين الخيارين كليهما حصلًا معًا؛ وهذا هو الخيار الأرجح. فلا بدّ من أن مولّد الكهرباء الاحتياطي هو الذي يمدّ ساحة القتال بالطاقة ويضمن استمرار المباريات. لكنني لن أستطيع الوصول إليه إلا إذا تمكّنتُ من الهرب من ساحة القتال.

حينئذ، أضاء بصيص من الأمل في نفسي. فمن الممكن العثور على طريقة للهرب من الساحة وتدمير المولّد. ولستُ أعزل؛ فمعي سكين وفأس. وهذا أفضل من لا شيء. يبدو لي أنّ هذه الخطة رهان خاسر؛ مثلي تمامًا. لذا، قد أكون الشخص المناسب لتنفيذها بنجاح.

ثم سيطر عليّ الشك. لن تنجح في تنفيذ هذه الخطة! ستفشل حتمًا! فأنت مجرّد فاشل يلوّح بفأسه في محاولة يائسة لإصابة الكابيتول. ألم تتعلّم من تجاربك السابقة؟

ربّما لم أتعلّم شيئًا من تجاربي، وربّما لا أحظى بفرصة فعلية للنجاح في هذا المسعى، وربّما يجدر بي أن أعود إلى خضوعي الضمني، وأستسلم للأمر الواقع. لكن، لم يبقَ لديّ ما أخسره. فما ضير المحاولة؟ عليّ أن أحاول من أجل أميبرت.

ما الذي كان بيتي سيقوله لي لو كان هنا؟ كان سيطلب منّي الذهاب إلى المولّد. أذكر أنّه قال لي إنّ المولّد في أقصى الشمال، ولا بدّ من أنّني قريب منه. إذًا، الخطوة الأولى هي مواصلة السير إلى أقصى الشمال، والعثور على طريقة لتحطيم جدار ساحة القتال؛ مع أنني لا أعرف ما إذا كان مَصنوعًا من الإسمنت أو المعدن، أو إذا كان هناك حقل قوة خفيّ. سأفكّر في هذا الموضوع حين أصل إلى وجهتي وأعرف ما أتعامل معه.

استرشدتُ بالشمس، ومشيتُ شمالاً. كان جسدي يئنُّ من الألم
والثَّخِيب، وحزاما الحقيبة يحقان على كتفَيَّ المجروحَتين. لكن، من حسن
حظِّي أن زبِّي أسود ويخفي الدماء؛ وإلا لكان منظرِي مُروِّعًا لو كان زيُّ
مقاطعتي أصفر. ومع أنني ما زلتُ جائعًا وعطشان، إلا أنني لم أجرؤ على
تبيد ما تبقى من مؤونتي. إذا حالفني الحظُّ ووصلتُ إلى المولد، فسأحتفل
بتناول قطعة بطاطا.

في الغابة فسحات تنبض بالحياة وزقزقة العصافير وأزيز الحشرات،
فيما هناك فسحات أخرى يسودها صمت ثقيل. لا أرى أثرًا لأيِّ من المجالدين
الآخرين. يبدو أنني الوحيد الذي توَعَّل إلى هذا العمق في الشمال؛ ما يعني أن
الرَّبي مليئة بالكائنات المعدِّلة جينيًّا الجاهزة للانقراض عليّ... لكن، من
الممكن أيضًا أن تكون البوابات مُعطَّلة. على أي حال، ليس لديّ سوى خيار
واحد: أن أواصل السير إلى حدود ساحة القتال الشمالية.

بعد بضعة أميال، سمعتُ طقطقة في الأشجار، ثم هطل مطر خفيف،
ففتحتُ فمي، والتقطتُ بضع قطرات على لساني. كان طعمها كالمياه العذبة،
لا كمياه الجدول السامة. لكن، أين وجد مُصمِّمو المباريات هذا الماء بعد أن
فجَّرتُ الخزان؟ هل لديهم خزان احتياطي، أو أنابيب مياه من الكابيتول إلى
هنا؟ حين فجَّرتُ الخزان، زرعُ المتفجِّرة على ارتفاع صدري. ربما بقي القاع
مليئًا بالمياه وهم الآن يستفيدون منها. أيًّا كان مصدر المياه، صار عندي الآن
ماء عذب، ومن الأفضل ألا أفِرط فيه.

سارعتُ إلى فك غطاء "الغالونين"، ووضعتهما في فسحة أرض
مشمسة؛ مع أنني أعرف أن هذه الطريقة ليست الأكثر فعالية لجمع قطرات
المطر. أنا أتدبُّر أموري بالموارد المتاحة لي. ثم خلعتُ سروالي وقميصي،
وبقيتُ في ملابسِي الداخلية؛ لأنظف جسدي وثيابي من الدم. ورأيْتُ الرماد
المُتجمِّع في أظفاري يذوب تحت المطر كحبات السكر. نظرتُ إلى الأشجار،
ولاحظتُ أن رذاذ المطر يُذيب الرماد البركاني عن الأغصان والأوراق أيضًا،

ويتسرب إلى الأرض. ظلَّت السماء تمطر حوالي نصف ساعة، ثم توقف المطر، وعادت الغابة نقيّة وغيضة الأفنان كما كانت في اليوم الأول من المباريات.

إن زوال الرماد يبعث على الراحة، لكنني لم أفلح إلا في جمع أكثر من بضع ملاعق من الماء. ضاعت مئي الفرصة. لو كان معي من القماش المُشَمَّع الذي تحدّث عنه وايات خلال التدريب لاختلف الوضع تمامًا. إنّما لا يصلح السرير القماشي الذي في حقيتي لجمع المياه. عليّ أن أتدبّر أموري بالموارد المتاحة لي.

عندما وصلتُ إلى نهاية الغابة، لم أجد جدارًا من الطوب أو الفولاذ، ولا سياجًا مُكهرَّبًا، بل مجموعة من الشجيرات المُنظَّمة على شكل رأس رمح، والتي تُشكّل سورًا عاليًا يمتدّ على امتداد النظر في كلا الاتجاهين. وحين دققتُ النظر إلى الشجيرات، عرفتُ من أوراقها الخضراء الشائكة وثمارها الحمراء الزاهية أنّها نبتة *البهشيّة*؛ وهي تشبه الشجيرات التي يُزيّن بها سكان المقاطعة الثانية عشرة منازلهم احتفالًا بيوم رأس السنة. الفرق الوحيد بينهما هو أنّ ثمار شجيرات ساحة القتال مُرقّطة بالأسود. لم أخاطر وأقترب منها لأنّ ثمار شجيرات *البهشيّة* الطبيعية سامّة بطبيعتها. لذا، مشيتُ بمحاذاة السور، وأنا أفكّر في طريقة لعبوره والوصول إلى الجانب الآخر. لا أعتقد أنّ أغصان الشجيرات ستحملني، ولا أظنّ أنّني أستطيع أن أحفر تحت الغطاء العضوي. ثمّ لمحتُ فتحة ضيّقة، فمشيتُ جانبًا، وتمكّنتُ من المرور بين الشجيرات من دون أن تخدشني أوراقها. مشيتُ في الممر الضيّق حوالي عشر أقدام، ثم انعطفتُ معه، وتوغّلتُ أكثر فأكثر في السور. يبدو أنّه كثيف وسميك جدًّا. شققْتُ طريقي في دهاليز الخصرة بحذر، وفي داخلي شعور بأنني ما زلتُ أُنَّجّه شمالًا؛ مع أنّني اضطررتُ إلى الانعطاف يمينًا أو يسارًا بضع مرّات. مهما كان السور سميكًا، فسأصل إلى طرفه الآخر وإلى حدود ساحة القتال الشمالية في نهاية المطاف.

لكنتني لم أصل إلى أي مكان. فكلّما توغّلت أكثر بين الشجيرات ازداد ارتباكي؛ إذ كنت أجد نفسي إمّا أمام طريق مسدود، أو أمام مُفترق طرق، ما يستدعي منّي اتّخاذ خيار عسير. أدركتُ بعد فوات الأوان أنّه كان عليّ أن أضع علامات على جذوع الشجيرات، أو أن أصنع أكوامًا من التربة لأعرف من أين جئتُ؛ لأنني تهتُّ. فقد حاولت أن أسترشد بالشمس، لكنني أقسم إنّ مُصمّمي المباريات يحركونها في السماء عمدًا ليزيدوا ارتباكي. لقد تهتُّ. وبدأ الذعر يتملّكني، فصرتُ أندفع في الممرات بتهوّر من دون أي خطة أو وجهة حقيقية. لم يعد يهمني العثور على حدود الساحة الشمالية، بل كل ما أريده الآن هو أن أخرج من هذا المكان. كنت أتصب عرقًا، وأكاد أموت من العطش. إنّما لا أظنني أستحق أن أرتشف جرعة ماء بعد أن انطلت عليّ هذه الحيلة بسهولة، ووضعتُ نفسي في هذا المأزق. لو قرّر مُصمّمو المباريات أن يطلقوا عليّ كائنات مُعدّلة جينيًّا الآن، فلن أنجو منها. فلا مكان للهرب. لكنني لا أريد أن يشاهدني سيد وأمي ولينور دوف وأنا أموت بسبب تصرف غبيّ كهذا.

بقيتُ أجوب في ممرات السور لساعات، خائفًا ومَرعوبًا، أبحث بيأس عن أيّ مخرج يُخلّصني من هذا الجحيم الأخضر. فأنا لا أريد أن ألفظ أنفاسي الأخيرة في هذه المتاهة الشائكة المُنبثقة من كابوس سوداويّ عن موسم الأعياد. وحين استنفدتُ قواي، وتعبتُ أعصابي، ارتميتُ على ركبتيّ، وحاولتُ أن ألمم شتات أفكارِي. لا أسمع أصوات الغابة داخل السور، حتى إنّني بصعوبة أسمع ألحان الطيور المُغرّدة، والهواء خانق شبه راكد، لا أشعر بنسيمه الطفيف يتسلل بين الأغصان إلّا إذا جلستُ ساكنًا وكأنّ على رأسي طيرًا. فصرتُ أوازن بين خياراتي في رأسي: هل أستسلم، أو أواصل السير عشوائيًا من دون أن أعرف إلى أين أذهب، أو أحاول أن أشقّ ممرًا لنفسي بالفأس؟ أظنّ أنّ الخيار الأخير هو الأكثر جدوى. لكنني تريتُّ وتردّدتُ؛ لأنني أشعر أنّ ثمة شيئًا غامضًا وشرييرًا يقبع في هذا السور. فعلوه المهيب، وسماكته الكثيفة جعلاني أشعر بالصّعّر. كما أنّني خائف ممّا قد يختبئ فيه.

لكنتني قَرَرْتُ أن أستسلم لمصيري، إذ لم يعد يهمني ما سيحدث لي. لذا، نهضتُ عن الأرض، ومددت يدي نحو الفأس.

وما إن وضعتُ يدي على الفأس حتى تحرّك شيء أمامي، فرفعتُ عيني، ورأيتُ أرنبًا رماديًا يُحدّق إليّ. لا أدري ما إذا كان هذا الأرنب هو نفسه الذي تقاسمتُ معه تفاحة، إنّما يطيب لي أن أعدّ أنّه هو.

قلتُ له: "مرحبًا يا صديقي. كيف الحال؟"

فحرّك أذنيه بضع مرّات، ثم استدار وقفز مُبتعدًا عني، فتبعته من دون تفكير؛ علّه يستطيع أن يخرجني من هنا بفضل حاسّة شمّه. لحقتُ بذيله الأبيض القطني في الممرات والمنعطفات. وبعد دقيقة أو دقيقتين، لمحتُ الغابة عند نهاية ممرّ ضيق، فهتفتُ مُحتفلاً. وحين اندفع الأرنب نحو الفتحة في نهاية الممر، ركضتُ خلفه.

وما إن خرجتُ من المتاهة حتى مرّ نصل سيف بجانب رأسي، وخذش طرف أذني، فصرختُ، وتراجعتُ خطوة إلى الوراء، فتعثّرتُ بغصن يابس. بعد أيامٍ من العزلة لم يقاطعها إلّا بعض الحلفاء، نسيئُ أمر المحترفين تمامًا. وها هم الآن يباغتونني بهجوم مفاجئ.

لم أخطّط لشيءٍ ممّا فعلته لاحقًا؛ فكلّ ما تلا ذلك كان ردود فعل حرّكتها الغريزة وحدها. فحين هجمت عليّ مجالدة من المقاطعة الرابعة مُصوّبةً رمحها ثلاثي الشعب نحو عنقي، أبعثتُ الرمح عني بحركة خرقاء بيدي اليسرى، وأخرجتُ سكينني وغرسته في بطنها. ثمّ تدحرجتُ جانبًا، فاصطدمتُ بساقٍ، وقطعتُ وتر ركبتيها الخلفي، فوقع الشاب المُتبقي من المقاطعة الرابعة على الأرض مُتلوّيًا من الألم. حينئذٍ، نهضتُ وأمسكتُ بفأسي، وقطعتُ رأسه بضربة واحدة مشحونة بالأدرينالين، قبل أن أستدير أخيرًا لمواجهة صاحب السيف: باناش.

وقفنا مُتقابلَيْن؛ سَكَّيْنِي وفَأَسِي ضد سيفه وترسه. ثم أخذنا ندور حول بعضنا بعضًا ببطء، فيما تأوَّهت الشابة الجريحة على الأرض من الألم. وسرحت عيناى إلى الحروقِ المحفورة على ذراعيه وساقيه، وإلى شفثيه المُتَشَقَّقَتَيْن، وعينيه اللتّين تسيطر عليهما نظرة مضطربة وكأَّته كلب مسعور. فاعتراني الخوف؛ لأنَّ باناش أضخم مَّيِّ حجْمًا وبنية، وأشدَّ بأسًا، وسلاحاه أفضل من سلاحَيَّ. ثمَّ اختلستُ نظرة إلى الغابة وراءه بحثًا عن مَهْرَب.

فقال لي: "لن تُفَلِّت مَّيِّ".

ثمَّ انتزع الفأس من يدي، وجرحها بضربة سيف واحدة، ثم ضربني بترسه على صدري بقوة فأوقعتُ سَكَّيْنِي، وتراجعتُ مُنْقَطِع النفس رافعًا يَدَيَّ في الهواء. لم يبقَ معي سلاح إلا كلماتي.

فصارت الكلمات تنساب على لساني بسرعة: "مهلاً، مهلاً، مهلاً، توقّف يا باناش، وفكّر جيّدًا. ماذا سيقول الجمهور عنك إذا قتلت رجلاً أعزل، ولا سيّما أنّ هذا الرّجل من المقاطعة الثانية عشرة، وقد حصلَ على علامة 1 في التدريب؟ سيقول إنّك جبان. فكّر في سمعتك. فأنا لا أظنّ أنّك تريد أن تتصرّف بغباء وتُطلِّخَ سمعتك، أليس كذلك؟" ومع أنّ ما تفوَّهتُ به لم يكن حجّة قوية، إلّا أنّني أعتقد أنّه قرّر أن يُفكّر في ما قلته حين سمع كلمة "غباء". أنا مدين بالشكر لسيزار. فواصلتُ الثرثرة لأماطل، وأكسب المزيد من الوقت: "أعرف أنّك لست شابًا غيبيًا مفتول العضلات. فالفكرة التي خطرت لك أثناء موكب الاستعراض عبقرية، وأنا آسف لأنني سرقتها منك. عليك أن تتصرّف بذكاء، وإلّا فقد يتوقّف المُمُولون عن منحك الهدايا والمساعدات. بالمناسبة، هل أرسلوا لك أي شيء حتى الآن؟ أنا أبلي بلاءً حسنًا معهم؛ إذ يبدو أنّهم يحبّون الخاسرين أمثالي. أمّا أنت، فلا أحد يُكلِّف نفسه معك؛ لأنّ الجميع يعرفون أنّك ستفوز. فأمثالك هم دومًا من يفوزون في هذه المباريات. هيّا يا باناش، ارم لي السكين على الأقل، لنقدّم للجمهور عرضًا يستحق المشاهدة".

فبدأ باناش يهز رأسه يمينًا ويسارًا، وكأُنه يحاول أن يطرد كلماتي من عقله. "لا! لقد تقاتلنا بالفعل، وقد خسرت. والآن ستموت!" ثم رفع سيفه، وصوّب عينيه على عنقي، فهَيَّأَتْ نفسي للضربة القادمة، وحاولتُ أن أبدو شجاعًا وأن أموت مرفوع الرأس. حدّقتُ إلى عينيه بتحدٍّ؛ لئدرك أنه لم يهزمني ولم يحطّم عزيمتي. آمل أن أرى في عينيه لحظة الإدراك هذه قبل أن أموت.

لكنّ ما رأيته هو تعابير الدهشة والمفاجأة التي ارتسمت على وجهه حين انغرس سهم في حنجرته.

وقع سيف باناش منه، ثم خرَّ أرضًا، فاستدرت بسرعة، ورأيت مايزيلي تخرج من خلف شجرة، وهي تلعب بأصابعها بقاذفة سهام تُطلق منها السهام بالنفخ. وكانت تضع حول عنقها القطعة التي توضع في الفم لنفخ السهام. يبدو أنها ضفرت نبتة مُتعرّشة لتصنع لنفسها قلادة جديدة. شاهدت باناش يلفظ أنفاسه الأخيرة من دون أيّ انفعال أو تأثر.

ثم قالت لي: "إذا تعاونا، فسنصمد لفترة أطول".

فأجبتها وأنا أفرك عنقي في الموضع الذي اخترق فيه السهم حجرة باناش: "لقد أثبتت وجهة نظرك منذ قليل. هل نشكل فريقًا؟"

فكرت في مُقترحي قليلًا، ثم هزت رأسها مُوافقة وهي تُربت على الجعبة المُعلّقة على خصرها وقالت: "معي اثنا عشر سهمًا سامًا؛ إذا غيّرت رأيك وقررت أن تذهب في سبيلك مُجددًا".

"عَلِم. أنا سعيد برؤيتك يا آنسة دونر." صُرب المدفع ثلاث مرّات وأسكتني. عندئذ، نظرت إلى الجثث الثلاث المطروحة حولي؛ مُستوعبًا للمرأة الأولى أنني قتلت شخصًا، لا بل شخصين اثنين. قتلتها بوحشية. ومع أنني كنتُ أدافع عن نفسي، إلا أنني لن أستطيع أن أعكس ما فعلته. لقد أزهقتُ روحيهما، ولا سبيل إلى استرجاعهما. حملتُ سلاحَيّ وقلتُ لمايزيلي: "فلنبتعد من هنا".

حدّقت مايزيلي إلى جثث المحترفين، ثم أخذت سكينًا من المجالدة من المقاطعة الرابعة. "هل تريد أي شيء؟"

"لا". فأنا لا أعرف كيف أستخدم الرمح ثلاثي الشعب، ولم أشأ أن آخذ سيف باناش المُلطَّخ بدماء المستجدين. فلستُ خليفته، ولا أرغب في أن أظهر نفسي بهذه الصورة.

ابتعدنا عن السور، وتوغّلنا في أعماق الغابة، ثم رأينا طائرة تحلّق فوقنا في طريقها لإخراج الجثث الثلاث من ساحة القتال. نزل المخلب العملاق إليها، ورفعها واحدة تلو الأخرى، فتوقّفنا عن السير بعدما ابتعدت الطائرة. لم يعد هناك أي داعٍ للابتعاد عن هذا المكان.

قالت مايزيلي: "أنت تنزف!"

عندي جرحان؛ واحد من الرمح ثلاثي الشعب، والآخر من سيف باناش.

فأمرتني قائلةً: "اجلس". فجلستُ على جذع شجرة ساقطة، فيما أخرجت أدوات الإسعافات الأولية من حقيبتها السوداء. "أخذتُ هذه الأدوات من أحد المحترفين الذين ماتوا. ولولا كريم الحروق لفقدتُ صوابي من شدّة الألم". كان كُما قميصها مُمَرَّقَيْن عند الكتف، فلاحظتُ آثار الحروق على ذراعيها تتداخل مع آثار السوط ومجموعة من الجروح والكدمات. إنَّ بشرتها تسرد حكاية العذاب الذي تكبّده منذ يوم الحصاد. لم أتوقّع قطّ أن أرى مايزيلي دونر، الشابة المُدلّلة التي تلوّن أظفارها وترتدي شرائط مخملية على شكل فراشات في هذه الحالة. ولم أتوقّع أيضًا أن تواجه كل تلك المصائب بثبات. كانت جدتي تقول دائمًا إنَّ معدن الناس لا يظهر إلّا في وقت الشدة.

"يبدو أنّ الحمم البركانية قد حرقت كل ما صادفها".

"لا، لم تكن الحمم ساخنة أصلًا. كانت أشبه بمادة لزجة تُسبب حروقًا كيميائية إذا لامست بشرتك، ثمّ جفّت وتحوّلت إلى مادة صلبة وزلقة كالجليد

على الأرض".

ربّما لهذا السبب لم أر دخانًا ولم أحترق. نظّفت مايزيلي جروحي بعناية، وقطّبتها بفرز مُتقنة ومُتساوية. لم أستغرب من دقّة غرزاتها؛ فقد شاهدتها تصنع قلائد جميلة كتذكارات لحلفائنا باستخدام ألعابها وبعض الخيوط. وحين أنهت تقطيب جراحي، جلست أمامي وقالت وهي تحدّق إلى حقيبتني. "هل معك أي طعام؟"

"معي أكوام من الطعام. إنّما يؤسفني أن أبلغك- ببالغ الأسف- أنني لا أملك أي شوك أو ملاعق أو سكاكين لتناول الطعام".

فحانت منها ابتسامة خجولة، ثم أخرجت من جيبها سكين جيب وشوكة مصنوعة من سلك معدني. "لا تقلق، الحل عندي".

"حسنًا، هذا يغيّر قواعد اللعبة. هل تقبلين دعوتي إلى العشاء؟ فمعي حبّتا بطاطا رائعتان. إنّهما نيئتان، لكن يمكننا أن نشويهما. وماذا معك؟"

"ثلاث شرائح من اللحم المقدد، ونصف علبه زيتون. هل نتقاسم الطعام بالتساوي؟"

"مهلاً! أغمضي عينيك".

فحملت إليّ مايزيلي: "لماذا؟"

"هيا أغمضي عينيك". فأغلقت عينيًا واحدة. "أغلقني الأخرى أيضًا". فلَبّت طلبي. عندئذ، أخرجت الكوب الطويل- الذي نجا من أحداث اليوم من دون أن ينكسر بأعجوبة- من حقيبتني، وصببت فيه كل العصير المتبقي، ومددت لها الكوب قائلاً: "حسنًا، افتحيهما".

وحين رأت الكوب الفاخر المليء بعصير العنب، شهقت شهقة صغيرة من الفرح وقالت: "هذا أجمل شيء أراه في حياتي".

"أودُّ أن أهديك العصير لأشكرك على إنقاذ حياتي".

فقالت مبتسمة: "لن أشرب إلا إذا شربت معي. سنتقاسم العصير بالتساوي".

"حسنًا". وافقتُ لأنني أرغب حَقًّا في احتساء ذلك العصير مرة أخرى.
"لكنك ستشربين أولًا".

تناولت مايزيلي الكوب مَني، واستنشقت رائحة العصير كما لو كان عطرًا فاخرًا، ثم ارتشفتُه فدمعت عيناها. "يا إلهي! لم أتصوّر أنني سأذوق طعم الدّيار مرة أخرى". ومدّت لي الكوب قائلة: "دوورك".

قضينا فترة العصر ونحن نُمرّر كوب العصير بيننا، ونرتشف العصير مُتلدّدين بكلّ رشفة. وحرصتُ على أن تحصل مايزيلي على الرشفة الأخيرة. وعندما أنهت العصير، مسحت الكوب بمنديلها ومدّته إليّ.

"لا، احتفظي به. فمكانه مع أدوات طعامك".

فوضّبته في حقيبتها بعناية، فيما اتكأْتُ على جذع الشجرة ورائي مُنهكًا، وقلْتُ لها: "ما الذي يجري في ساحة القتال؟ لم أرَ إلا مجموعة من المجالدين منذ أن جئنا إلى هنا".

ففكّرت مايزيلي في الأمر قليلًا، وهي تُمرّر أصابعها على آثار حرق على ذراعها، ثم قالت: "يبدو أنّ في الساحة خللاً أو عطلاً ما، مع أنني واثقة أنّك لاحظت ذلك. أمّا إذا كنت تستفسر عن المجالدين الآخرين... فلا أعلم عنهم شيئًا. قد نكون آخر مجالدين على قيد الحياة".

"إذا كنّا حقًا آخر مجالدين، فلا تتردّدي في قتلي بتلك السّهام، فصلاحيّتي ستنتهي قريبًا على أي حال".

"أتظن أنني لن أستطيع قتلك؟"

فنظرْتُ إلى عينيها مباشرة، وأنا أستحضر في ذهني كل السنوات التي عاملتني خلالها بقسوة ولؤم. لكنني، عندما تذكَّرتُ كيف تغيَّرت منذ حفل الحصاد- فقد دافعت عن لويلا، وساعدت أمبيرت، واهتممت بالمستجدين- قلتُ لها: "نعم، لا أظنُّك ستستطيعين قتلي".

فارتسمت على وجه مايزيلي ملامح البراءة والضعف، وقالت: "أشكرُ على مصارحتي. أنا أيضًا لا أظنُّك ستستطيع قتلي".

لحسن الحظِّ، علا صوت النشيد في الساحة قبل أن تصبح اللحظة مُحرجة أكثر فاستدرنا نحو السماء.

قالت مايزيلي: "وفق حساباتي، كُنَّا ستة وعشرين مجالدًا ليلة أمس".

"نعم، هذا هو العدد الذي توصلتُ إليه أنا أيضًا. عندما تظهر صور المجالدين في السماء، سأعدُّ عدد الموتى لنعرف عدد الأحياء. لكن، هل يمكنكُ أن تحاولي أن تتذكَّري مَنْ هُم الموتى لنعرف مَنْ بقي حيًّا؟ فأنت أفضل منِّي في تذكُّر التفاصيل".

"سأبذل جهدي". ثمَّ وضعت مايزيلي أصابعها على قلائدها وهي تحديق إلى السماء.

ظهرت صورة باناش أوَّلًا، تلتها صور جميع مجالدي المقاطعة الثانية.

فغرستُ أصابع يدي اليمنى في إبر الصنوبر على الأرض قائلاً: "يبدو أنَّ الحظ لم يحالف المحترفين اليوم".

ثمَّ ظهرت صورة أمبيرت، وباقي فريق المقاطعة الثالثة. لقد أصبح مجالدو المقاطعة الثالثة من الماضي.

فقالت مايزيلي: "لم يحالف الحظ كلا التحالفين اليوم".

بعدها، ظهرت صورة الشاب والشابة من المقاطعة الرابعة اللذين قتلتهما اليوم، فشعرْتُ وكأني أنظر إليهما وأراهما للمرّة الأولى. ثمّ أصبْتُ بالغثيان وأنا أفكّر في عائلتيهما. لكنني كنتُ أدافع عن نفسي. عليّ أن أركّز على العدّ. "وصل العدّ إلى أحد عشر مجالدًا مينيًا".

وحين ظهرت صورة مجالد ومجالدة من المقاطعة الخامسة، قالت مايزيلي: "لم يبقَ أحد من المقاطعة الخامسة".

ظهرت بعدها صورة آتريد؛ إحدى يماماتي من المقاطعة السادسة التي خسرت كلا مجالديها من الفتيان، ثم صورة شاب من المقاطعة العاشرة، وشابة من المقاطعة الحادية عشرة؛ ليست تشيكوري وإثما المجالدة الأخرى من تلك المقاطعة. وانتهى البث.

فقلتُ: "صار مجموع الموتى ستة عشر. بقي عشر مجالدين".

وأضافت مايزيلي: "بقيت مُحترفتان: سيلكا من المقاطعة الأولى، وماريتي من الرابعة، وثمانية مسجدين: أنت، وأنا، وهال، وتشيكوري من المقاطعة الحادية عشرة..." ثم أخذت نفسًا عميقًا لتركّز وأكملت: "... ورينجينا والشابة الأخرى من المقاطعة السابعة، أظن أنّ اسمها أوتون. بقي اسمان... مَنْ نسيت؟"

"إحدى يماماتي من المقاطعة السادسة".

"هذا صحيح! ويلي. بقي مجالد أخير. من هو؟ أظنّ أنّه شاب. كان يرتدي زيًّا أحمر، ما يعني أنّه من المقاطعة العاشرة".

عندئذٍ، تذكّرتُ يوم ركض إليّ أمبيرت في صالة التدريب، وهو يلوّح بأنشطة حبل صنعها له شاب من المقاطعة العاشرة. فقلتُ: "أهو باك؟"

"أجل!"

"أحسنتِ صنعًا يا مايزيلي. لا أعرف كيف تذكّرتِ الجميع".

"ركّزتُ على ألوان أزيائهم. لم تبقَ أي أزياء بنفسجية، ولا زرقاء كهربائية، ولا برتقالية، ولا خوخيّة، ولا صفراء. ولم يبقَ إلّا زي أو زيّان من الألوان الأخرى".

فقلتُ: "لم يبقَ في تحالف المحترفين إلّا مجالدتان. لو كان وايات هنا، لفرّح بفرصنا في الفوز".

عندما لفظتُ اسم وايات، ساد الصمّثُ بيننا. مات ثمانية وثلاثون مجالدًا، ويرتفع هذا العدد إلى تسعة وثلاثين مجالدًا إذا حسبنا لولو، وإلى أربعين مجالدًا إذا حسبنا وُدباين. لم يبقَ سوى مجموعة من المجالدين. لا أصدّق ذلك؛ فالأمر لا يبدو واقعيًّا. لا شيء هنا يبدو واقعيًّا.

أطلّ قمر ساحة القتال، فأثار ضوؤه الفصّي فسحتنا الصغيرة. أشعرُ بوجود مايزيلي على بعد بضع أقدام منّي، وأسمع نبضها وتنفّسها، إنّما ثمّة إحساس في داخلي يقول لي إنّ وجودها معي لن يدوم؛ مثل كل شيء في هذه الساحة. ومن الممكن أن أكون قد متُّ بالفعل؛ إمّا من التسمم، أو في الطابق السفلي - ألف، أو بحدّ سيف باناش.

"هل قتلتِ أحدًا غير باربا وأنجلير؟"

أعتقد أنّها تقصد المجالدين من المقاطعة الرابعة اللذين قتلتهما اليوم. "لا. وأنّتي؟"

"كان باناش ضحيّتي الثانية. فمنذ يومين، قتلتُ لوبي من المقاطعة الأولى بعد أن انفصل عن حلفائه. وأنا متأكّدة من أنّني أصبت كامبلا من المقاطعة الثانية بسهم أيضًا، إنّما يبدو أنّ ثوران البركان هو ما أودى بحياتها".

فجأة، ارتطم وعاء صغير بالأرض، فدُعِرنا ونهضنا واقفين.

حملت مايزيلي الوعاء، وفكّته عن المظلة قائلة: "آمل أن نكون قد حصلنا على بعض الطعام". ثم أزال الغطاء، فتصاعد من الوعاء بخار وحرّ على وجهي، وفاحت رائحة حساء الفاصولياء واللحم. هذه الهدية من ماغز، وكأنّها تحاول أن تشجّعنا وتخبرنا بأنّها تشعر بألمنا وتحثنا على الصمود والمثابرة. فاغرورقت عيناى بالدموع. يبدو أنّي لسْتُ في عالم وهمي، بل في العالم الحقيقي... العالم الوحيد الذي أعرفه... العالم الذي أشارك فيه في مباريات الجوع.

قالت مايزيلي: "تناولتُ هذا الحساء عندما توفّيت جدتي".

"وأنا أيضًا عندما توفّيت جدّتي". ولم أعدد لها جميع موتاي؛ فلا منافسة في الموت.

تناولت مايزيلي ملعقة من الملعقتين المُعلّقتين على الغطاء وناولتني إياها، ثم أخذت الأخرى. وتقاسمنا الحساء بالتساوي وجلسنا نحسبه بصمت.

كان نسيم الليل باردًا، فشدّت مايزيلي قميصها لتغطية ركبتيها وتدفئتهما، وضمت ذراعيها إلى صدرها. ومع ذلك، ظللت أرى علامات القشعريرة والبرد على بشرتها. فقلتُ: "ما رأيك في أن نشعل نارًا؟"

"أجل. هذه فكرة جيّدة... إلّا إذا كنت تعتقد أنّ النار قد تعرّضنا للخطر وتكشف موقعنا للآخرين".

"سنكون على ما يرام إذا تناوبنا على الحراسة. وقد تساعدنا النار في جذب باقي المستجدين إلينا".

"أعتقد أنّنا قادران على محاربة ماريتي وسيلكا؟"

"أتمرحين؟ أنتِ تستطيعين أن تتغلّبي عليهما وحدك بسهامك السامّة. لن تحتاجي إلى أي مساعدة منّي". ثم رحّضت أجمع الحطب، وقدحّت حجري بقداحة الصوّان.

فقلت لي مايزيلي مُبتسِمة: "كم أنت ماكر! لا أصدّق أنّك هَرَبْتَ هذه القداحة إلى هنا".

فأجبتها: "ألا تعرفين أنّ الجمال عندي هو ذاك الذي يُجدي، لا ذاك الذي يُبهر ويدوي؟" وغصصتُ وأنا أقول الكلمات الأخيرة؛ لأنني تذكّرتُ مَنْ يقول لي هذه العبارة عادة. لكنني سرعان ما صببتُ تركيزي على إشعال النار.

أمّا مايزيلي ففردت قطعة صغيرة من القماش المشمّع على الأرض، وجلست عليها، وأخذت تفرك يديها فوق النيران. ثم قالت: "يمكنك أن تنام الآن إذا أردت. فأنا لستُ مُتعبة".

لكنّ الدائرتين السوداوين المُرتسِمَتين حول عينيها تقولان عكس ذلك. إنّما لم أناقشها في الموضوع؛ لأنني كنتُ أشعر بالنّعاس. فقلتُ: "حسنًا، أيقظيني عندما تتعين لأتولّى الحراسة". ثمّ ربطتُ قداحة الصوان حول عنقي، وفرشتُ سريري القماشي على الأرض، واستلقيتُ عليه وأنا أراقب النيران المُتراقصة.

فقلت لي مايزيلي: "يجب أن تُغمض عينيك لتنام".

"حسنًا". وتقلّبت على السرير؛ فأنا أشعر أنّ عندي ما أقوله لها. إذ إنّني لم أشكرها كما ينبغي على ما فعلته اليوم. بلى، شكرتُها، بتقديم العصير لها. لكنّ هذا لا يكفي، ولا يعبر عمّا أشعر به. فماذا أقول لأكثر الشّابات لوّمًا في المقاطعة بعد أن أصبحنا صديقين؟ لا، بل أصبحنا أكثر من مجرد صديقين. فنحن زميلان في تحالف المستجدين... ونشارك معًا في مباريات الجوع من دون أن يقتل أحدا الآخر... ونحرص على سلامة بعضنا بعضًا... أظننا أصبحنا كعائلة.

"عليك أن تنام ما دامت الفرصة متاحة لك، يا هايميتش".

"أعلم، لكنني... أنا أفكر في... علاقتنا... أنا وأنت... هل تذكرين ما قاله لك أمبيرت حين صنعت له تذكاره؟"

فالتزمت مايزيلي الصمت بعض الوقت، ثم قالت: "حسنًا، سأكون أختك".

حينئذ، مددنا يدينا في الوقت نفسه، وأمسك كلٌّ منا يد الآخر لوهلة، ثم قلتُ لها: "تصبحين على خير، يا أختاه". واستدرتُ على جنبي وتركتُ النوم يغلبني.

هذه الليلة، راودتني كوابيس مُروّعة عن أشخاص لا ينبغي لي أن أنساهم؛ فقد شاهدتهم يموتون واحدًا تلو الآخر في كوابيسي. وحين أيقظتني مايزيلي، أنقذتني من الجحيم.

يبدو أنّ مايزيلي تركتني أنام معظم الليل. وحين تبادلنا الأدوار، قررتُ أن أمنحها الفرصة نفسها للنوم. فوضعتُ الفأس والسكين بجانبني، وصرتُ أرمي قطعًا صغيرة من الحطب وإبر الصنوبر في النار بين الفينة والأخرى لإبقائها مُشتعلة، إلى أن أشرقت الشمس مُعلنةً بداية اليوم الخامس لنا في ساحة القتال. ثم بدأت عصافير بطني تزقزق من الجوع، فخفتُ أن تستيقظ مايزيلي من شدة الصوت. لكن، لم يبقَ شيء في معدتي من الحساء الذي تناولناه ليلة أمس. فصارت عيناي تشردان نحو السماء؛ بحثًا عن هديّة من الممّولين، بدلًا من مراقبة الغابة. لا أطلب الكثير، إذ تكفينا قطعة خبز وبعض الجبن والمياه. فمخزوننا من المياه سينفد قريبًا.

صبتُ تركيزي على خطّتي. فعلى ما يبدو، كنت أسير على الطريق الصحيح عندما حاولت عبور السور. لذا، تلاعب بي مُصمّمو المباريات وأربكوني، إلّا أنّ ما فعلوه أگد شكوكي. لقد وجدتُ حدود الساحة، وإذا تمكّنتُ من عبور السور السميك والوصول إلى الجانب الآخر، فسأعثر على المولّد، وسأحاول تدميره.

إنّ الوقت يداهمنّا، لكنّ مايزيلي تستحق الحصول على قسط من الراحة. فحاولتُ أن أشغل نفسي، وسحبْتُ القماش المشمّع من تحتي، وحاولتُ أن أصنع منه أداة لجمع مياه الأمطار في حال أمطرت السماء مجددًا. فكانت ثمرة جهودي قمعًا أعوج الشكل، ربطتُ حوافه ببعض النبات المتعرّش. كنتُ فخورًا بإنجازي الصغير إلى أن سمعت مايزيلي تضحك عليّ.

"هل صنعتَ لنفسك قبة؟"

فَرِحْتُ حين سمعْتُها تضحك. "علامَ تضحكين؟ هذه أداة راقية من الطراز الأول لالتقاط مياه الأمطار. ستعصّين أصابعك ندماً لأنك سخرتِ منها".

"أحقًا؟ وكيف ستدخل قطرات المطر عبر هذه الفتحة الصغيرة؟"

إنّها مُحقّة. فتحة القمع صغيرة جدًّا، ولن تجمع الكثير من المياه. فنحن نستفيد من سقف منزلنا لتوجيه المياه نحو المزراب من أجل ملء برميل مياه الأمطار. "هل تفكّرين في زيادة مساحة سطح القمع؟"

فقلت مايزيلي: "أنا أفكّر". ثم مدّت يدها لتأخذ مني القمع، وفكّت النبات المتعرّش عن القماش المشمّع وفردته أمامها. إنّه عبارة عن مربّع طول جوانبه أربع أقدام، وعلى كلّ زاوية من زواياه حلقة صغيرة لتثبيته. "سنحتاج أولًا إلى طريقة لتعليقه". ثمّ نظرتُ حولها، وجمعت بعض النبات المتعرّش. وساعدتها في ربط الثّبات بالحلقات على زوايا المربّع. بعدها، استعارت مايزيلي سكينني، وثقبت المربّع ثقبًا صغيرًا في منتصفه. "صار بإمكان الماء أن يسيل من هذا الثقب. ولو كان معنا أنبوب، لاستطعنا أن نوجّه المياه نحو فتحة "الغالون"."

بحثنا في ما معنا من أغراض؛ علنّا نجد شيئًا نستفيد منه. غير أنّي شعرتُ وكأئنّا نتعب نفسيّنا من دون جدوى، إلى أن وقعت عيناى على الكوب. وتذكّرتُ كيف امتلأ كلّ بالعصير. فسألْتُ مايزيلي: "هل تعلّقتِ بهذا الكوب كثيرًا؟"

"أنا مُستَعِدَّةٌ للاستغناء عنه إذا كان سيساعدنا في جمع المياه".

فوضعتُ الكوب على جذع الشجرة، وقطعتُ ساقه وقعره، فصار لدينا أنبوب زجاجي أجوف، وضعته مايزيلي في الثقب في منتصف قطعة القماش، فثبت في مكانه بفضل تصميمه المتعرج وكسوره.

وقالت مايزيلي: "يبدو أنّ ابتكارنا هذا سيفي بالغرض. كلُّ ما ينقصنا الآن هو بعض المطر". ثم طوت القماش المشمع بعناية وأعادته إلى حقيبتها. "إدّا، ماذا سنفعل الآن؟ كنتُ أفكر في العودة إلى قرن الوفرة علّنا نجد بعض الطعام بين الأغراض المتبقية هناك. بعدها، يمكننا أن نبحث عن باقي المستجدين. هل تفضّل أن نبحث عنهم قبل أن نذهب إلى قرن الوفرة؟"

"أظنّ أنّ علينا أن نّجّه شمالاً".

"شمالاً! لماذا؟"

فأعطيتها جوابًا لا يشير ريبة مُصمّمي المباريات: "حدسي يقول لي أن اتّجه شمالاً".

"أحتاج إلى الطعام يا هايميتش".

"ظننتُ أنّك لا تتناولين طعام الفطور".

"حوّلتني ساحة القتال إلى شخص يحب كل الوجبات من فطور وغداء وعشاء. فأنا لم أذق طعم الجوع الحقيقي من قبل. إنّه موجه". ثمّ وضعت يدها على معدتها وأضافت: "ومُخيف".

"أعرف هذا الشعور جيّدًا. لكنني مُصمّم على التوجه شمالاً".

"هل يمكننا على الأقل أن نبحث عن حقائب المحترفين الذين قاتلناهم أمس؟ لا بد من أنّهم خبّأوا أغراضهم في مكان قريب من هنا قبل أن يهاجموك".

"هذه فكرة جيدة. لكن لن نطيل البحث. خمس عشرة دقيقة فقط، ثم سننطلق شمالاً".

نظرت إليّ مايزيلي نظرة فاحصة، ثم بدأت بالبحث. عندما كنت في الشقة، شكّيت في أنني لم أكن صريحاً معها. ومع أنني لا أدري إذا كانت تعتقد أنّ لي يدًا في أعطال ساحة القتال، إلّا أنني مُتأكّد من أنّها تعرف أنني أخفي عنها سرّاً. فهل أخبرها الحقيقة؟ لكن، كيف أخبرها؟ ومتى؟ فالكاميرات تراقبنا.

ذهبنا إلى موقع قتالنا مع المحترفين، وافترقنا لنبحث عن حقائبهم. ولم يخب ظنّنا، فقد عثرنا على ثلاث حقائب بأحجام مختلفة مُخبّأة تحت حافة صخرية على بعد مسافة قصيرة. أفرغنا محتوياتها على الأرض: سيرير قماشي مثل الذي أحمله، و"غالونان" فارغان، وثلاثة مناديل، وزجاجة دواء سائل لمعالجة التسمّم، وقطعة من القماش المشمّع، وموقد لحام يعمل بالوقود كذاك الذي يستخدمه تام آمبر في عمله. وحين ضغطتُ على الزر، أصدر الموقد طقطقة، ثمّ نفث لسان لهب طوله ست بوصات.

رفعت مايزيلي حاجبها قائلةً: "ها قد وجدنا طريقة سريعة لإشعال النار".

فشعرتُ بالحزن لأنّ هدية لينور دوف فقدت قيمتها بلمح البصر، وقلتُ دفاعًا عن القدّاحة: "إلى أن ينفد الوقود".

ثم فرشنا الطعام أمامنا: علبة سردين، وموزة عليها بقع بنية، وأربعة أرغفة من الخبز، ومرطبان فيه حوالي بوصة من زبدة المكسرات. فأضفتُ حبّي البطاطا المُتبقيتين معي، فيما أضافت مايزيلي شرائح اللحم المجفف وعلبة الزيتون. هذا أفضل ممّا توقّعتُ.

فسألْتُها: "حسنًا، يا مَنْ صارت تحب طعام الفطور، ماذا سنأكل؟"

تولت مايزيلي إعداد الطعام، فقسّمت الأربعة إلى نصفين، ودهنتها بزبدة المكسرات، ثم زيتتها بشرائح الموز الطري بطريقة أنيقة. ومع أنني لم أكن مُقْتِنَةً بهذا المزيج العجيب، إلا أنني أخذتُ قسمة من الشطيرة، وسرعان ما تبدّدت كل شكوكي. "طعمها لذيذ".

"أنا المسؤولة عن ابتكار النكهات الجديدة في متجر عائلتي. هل جرّبت حلوى التافي بنكهة الفلفل الحار والكرز التي نبيعتها؟"

"نعم! كانت هذه الحلوى هي المفضلة لدى جدّتي!"

فأخرجت سكينها وشوكتها وقطعت قطعة من شطيرتها. "أنا من ابتكرها. كما ابتكرتُ كرات القرفة والجبن القشدي، والمصّاصات بنكهة الخزامى. كان العمدة مُغرَمًا بها."

"يبدو أنّ وظيفتك لم تكن سيئة إلى هذه الدرجة".

فقالت مُتَنَهِّدة: "بل كانت مثيرة للسخرية. فأنا لا أحب الحلوى، وأفضّل استثمار وقتي في صناعة أشياء أكثر إثارة".

التهمتُ شطيرتيّ قبل أن تنهي مايزيلي لقمتها الأولى، ثمّ رحّضتُ أبحث عن شيء أفعله. ففتحتُ "غالوتّي" الماء اللذين وجدناهما في حقائب المحترفين، على أمل العثور على بضع قطرات من الماء. لكنّهما فارغان وجافّان تمامًا. "يبدو أنّهم كانوا عطشى أيضًا".

وقطعتُ بضع دوالٍ من شجرة، وربطتها بحلقات قطعة القماش المشمّع التي كانت في إحدى حقائب المحترفين لصنع أداة ثانية لجمع المياه. "ليس معنا أنبوب آخر لهذه القطعة".

"سنتدبّر الأمر بشكل أو بآخر. وبما أنّنا حصلنا على سرير قماشي ثانٍ، صار بإمكاننا أن ننام على الأشجار".

"بالتأكيد. أشعر بأمان أكبر عندما أنام على الشجر. وإذا تسلقنا شجرة عالية، فلن نحتاج إلى مناوبات الحراسة؛ لأننا سنسمع صوت خطوات أيّ أحد يقترب منا".

حزنا غنائمنا، ثم أشارت لي مايزيلي بيدها لأمشي أمامها: "تفضّل، سأتبعك".

المشكلة هي أنني لا أعرف أين نحن بالضبط. لكنني مشيتُ كأنتي واثق من وجهتي، آملًا أن أجد ما يساعدي على تحديد موقعنا. وبما أنني لم أعد أثق بالشمس كثيرًا، صرّحتُ أبحث عن معالم مررْتُ بها من قبل. مشينا حوالي عشر دقائق قبل أن نصادف أحدها: شجيرات التوت الأزرق ذات الأغصان المكسورة التي اختبأتُ بينها في الليلة الأولى. يبدو أنّ مغامرتي في متاهة السور قد أبعدتني عن المكان الذي دخلتُ منه.

فقلتُ لمايزيلي: "وجدتني لولو هناك".

فهتقت: "ياه، توت أزرق". وأخرجت وعاءً صغيرًا من حقيبتها، ثم بدأت بجمع حفّات من التوت، الأمر الذي أثار قلقي.

"ألا تعرفين أنّ هذا التوت غير صالح للأكل؟"

"بالتأكيد أعرف. لكنّ مخزوني من السمّ كاد ينتهي، وأحتاج إلى إعادة تعبئته".

يبدو أنّ السهام لم تكن سامّة، بل مايزيلي هي من سمّتها. أخذت تهرس التوت حتى صار سائلًا لزجًا.

"هل أنتِ مُضطرّة إلى تضييع الوقت على تلك الأمور؟" فقد شارف وقت الظهر على الاقتراب، وبدأتُ أفقد صبري.

فقال: "ولم العجلة يا هايميتش؟" وأسكتتني. فهي تعرف أنني أخفي عنها سرًا، ويبدو أنها قرّرت أن تستفيد من الوضع. أظنّ أنّ هذا ما فعلته مع لينور دوف أيضًا.

وصبّت مايزيلي بعضًا من السائل في زجاجة صغيرة على شكل قلبٍ مُعلّقة على إحدى قلائدها، ثمّ قالت: "هذه الزجاجة مُصمّمة لاحتواء العطر؛ ما يعني أنّ غطاءها ضيقٌ ومُحكّم يمنع تبخر محتواها. ليت سِعَتها أكبر". ثم أغلقت الزجاجة. "كيف ماتت لولو؟"

"استنشقت زهرة المرّجان. أخبرني أمبيرت عن وايات".

"كان يحاول حمايتها. وعندما مات، هربت، فحاولتُ اللحاق بها، لكنني أضعفتها عندما وصلنا إلى الجبل". وأضافت وهي تمسح وعاءها بأوراق الشجر. "ثري، ماذا يدور في أذهان سكان مقاطعتنا الآن؟ لا شكّ في أنّ الجميع يشجّعك وبأمل أن تفوز".

"ربما كانوا يشجّعونني قبل بداية المباريات. لكنني أشكّ في أنّهم ما زالوا في صفّي. فأنّيت منّ حاول البقاء مع المستجدين. وأنا أشجّعك أنتِ على الفوز".

"لا تُعبّر المحاولة إنجازًا إذا باءت بالفشل".

"أنتِ مُحقّقة، لكنّ المحاولة أفضل من عدمها". صحيح أنني حاولتُ أن أنجز العديد من الأمور في ساحة القتال، إلّا أنني مُتأكّدة من أنّ مُصمّمي المباريات لم يعرضوا جهودي على الهواء؛ ما يعني أنّ محاولتي أيضًا باءت بالفشل. لكن، من الجيد أنني صرّحتُ أعرف إلى أين عليّ أن أتوجّه. ربّما عندما أصل إلى ما وراء السور، سأتمكن أخيرًا من تنفيذ محاولة ناجحة.

واصلنا السير بصمت ونحن نراقب محيطنا، وترقّب ظهور أي محترفين أو كائنات مُعدّلة جينيًا أو مُستجدين؛ لكننا لم نصادف أحدًا. رأينا آثار فيضان الطابق

السفلي - ألف... فقد مررنا أمام أشجار تقطر دَمًا بدلًا من النسغ... وحفرة واسعة تدلّ على أنّ شيئًا ما انفجر في تلك الرقعة وغطى كل ما حوله بسائل شفاف لزج... وجذع شجرة يطلق غارًا كبيرتيًا مُتوهّجًا... فمشينا على مسافة آمنة من تلك الظواهر الغريبة.

توقّفتُ لأتفحّص ثلاث جثث ثعالب مُعدّلة جينيًا، فراؤها برتقالي كلون شمس الغروب. ويبدو أنّها نفقت بعدما أكلت بيضًا سامًا.

فسألْتُ مايزيلي: "برأيك، لماذا صمّم مُصمّمو المباريات هذه الثعالب المعدّلة جينيًا؟"

"لسرقة طعامنا على الأرجح".

أو لتأكلنا... مثلما أكلت السناجب آمبيرت. من يدري؟ ربما كانت هذه الثعالب مُبرمجة خصيصًا للقضاء عليّ.

وصلنا إلى السور عند الظهر، فقلْتُ لمايزيلي: "هذا السور متاهة. لا جدوى من محاولة عبور ممراته، لأننا سنعلق في داخله لساعات".

"وماذا تقترح أن نفعل؟"

"أقترح أن نشق طريقنا لنرى ما يوجد في الجانب الآخر". فوضعتُ حقيبتى على الأرض، وشمّرتُ عن ساعديّ، وأخرجتُ سكينى الطويل.

تفحّصت مايزيلي السور بعينها، وأخذت تدرس طوله وارتفاعه، ثمّ اقتربت منه لتفحص أوراق نبتة *البهشيّة* وثمارها الحمراء المرقطة بالأسود. وأخيرًا قالت: "ثمّة شيء مريب بشأن هذا السور". ثمّ نظرت وراءها إلى الغابة وأضافت: "لكنّ كل ساحة القتال مُريبة".

فطمأنتها: "علقتُ داخل متاهة السور أمس لساعات، ولم يحصل لي شيء. إنّه مُصمّم كمتاهة".

فوضعت مايزيلي حقيبتها على الأرض، وأخرجت السكين الذي أخذته من جثة باربا، ثم تسللنا إلى داخل السور، ومشينا جانباً في الممر المستقيم الضيق مسافة عشر أقدام، ثم توقّفنا عند المنعطف الأول. عندئذٍ، التفتُّ لأواجه الشمال الحقيقي وقلْتُ: "علينا أن نشقّ طريقنا من هنا. لكن علينا أن نعمل بسرعة".

"عَلِم". فتقدّمت مايزيلي ووقفت إلى جانبي. "هل نعدّ إلى الرّقم ثلاثة؟"

فأومأْتُ برأسي إيجاباً، وبدأنا نعدّ معاً، ونحن نرفع أسلحتنا ببطء. "واحد، اثنان، ثلاثة!"

فقطعنا الأغصان في الوقت نفسه؛ كلُّ بسكينه. لكن ما إن هوت الأغصان على الأرض حتى انفصلت عشرات الثمار الحمراء المرقّطة عنها، وحصّت على أدُرِّعنا، فصرخ كلانا ونحن نحاول أن نمسحها عن أجسادنا.

فصرختُ: "ما هذه الكائنات؟"

"دعاسيق!"

دعاسيق! رفعتُ ذراعي لأتفحّص الحشرات. نعم، هذه دعاسيق... أو كائنات تشبهها. تشبّثت الكائنات بجلدي على طول ذراعيّ. وفي غضون ثوانٍ، بدأت تنتفخ فصارت بحجم حبات البلوط، ثم انفجرت ولطّخت وجهي بدمائي.

هربت مايزيلي إلى خارج السور، فركضت وراءها بأقصى سرعة. كُنا نصرخ بأعلى صوتينا ونحن نجري في دوائر، ونحاول انتزاع تلك الكائنات عن جلدنا. فما إن تغرس أسنانها الرفيعة كالإبرة في جلدنا حتى تتكّمش به بعناد، ويصبح من الصعب انتزاعها.

فقالت مايزيلي: "انتفها! انتفها!" وهي تقفز في مكانها، لكنّها تمالكت نفسها بما يكفي لتمسك الدعاسيق واحدة واحدة، وتنتفها عن جلدنا.

فحدوثُ حذوها. لكنّ تلك الكائنات الشيطانية غرست أسنانها في جلدي بعمق، فصرتُ أمسِكُها من رأسها وأشدُّ عليها بقوة وأسحبها ببطء؛ فتفلت جلدي وتلطّخني بالدم. توقّفتُ عن الحركة، وثبّتُ رجليّ على الأرض لأحافظ على توازني، ورُحْتُ أتمتم: "حشرة تلو الأخرى... حشرة تلو الأخرى... حشرة تلو الأخرى... وأنا أنتف الدعاسيق وأبعدها عن ذراعَيّ ووجهي وعنقي. ثم خلعتُ قميصي وسروالي لأتخلّص من بضع دعاسيق تسلّلت تحت ثيابي. وحين تخلّصتُ من كل الحشرات التي التصقت بي، ذهبتُ لأساعد مايزيلي؛ فقد نالت حصة الأسد من الحشرات لأنّ قميصها بلا كمّين. "حشرة تلو الأخرى... حشرة تلو الأخرى..."

كانت مايزيلي ترتجف كورق الشجر في مهب الريح، ثم لاحظتُ أنّي أرتجف أيضًا. وصرنا نردّد معًا: "حشرة تلو الأخرى... حشرة تلو الأخرى...". وحين تخلّصنا من كل الحشرات الظاهرة على جسدها، خلعتُ قميصها وسروالها

وسألتني: "هل من دعاسيق على ظهري؟" أجل، نصف دزينة. بدأت أشعر بالدوار. ومع أنني كنت أرغب في الجلوس لألتقط أنفاسي، إلا أنني لم أتوقف عن التنف إلى أن تأكدت من أننا قضينا على كل الحشرات التي التصقت بمايزيلي.

ثم قلت لها: "لقد تخلصنا من كل الدعاسيق. لم يبق عليك شيء". حينئذ، استلقينا على الأرض شاحبين ومُنَهَكَيْن، بملابسنا الداخلية المملخة بالدماء. لقد جفّ حلقي. ففتشت في حقبتي عن "غالون" الماء لنبلّ ريقنا، وأصررت على أن تشرب مايزيلي أولاً.

"أنا آسف، هذا خطئي. تصرفت وكأني أعرف ما يوجد في متاهة السور. لكنني أقسم إنني لم أر تلك الدعاسيق أمس، فهي لم تقترب مني".

"أظن أنّ مُصممي المباريات لا يريدون أن نعبر ذلك السور".

فأومأْتُ. "وصلت الرسالة".

"أتظنّ أننا خسرنا كمية كبيرة من الدماء؟"

"لا أدري. ربما حوالي كوب أو كوبين". وإذ بدعسوقة محتالة تنفجر وراء أذني، فزاد شعوري بالدوار. أخرجت شرائح اللحم المقدد الثلاث من الحقيبة، وناولتها لمايزيلي قائلاً: "كليها لتعوضني عن نقص الحديد في دمك".

فقسّمت الشرائح بيننا بالتساوي، وأعطتني حصّتي قائلةً: "النصف بالنصف". ثم أضافت ونحن نأكل: "لن تبقى فينا قطرة دم إذا بقينا نحاول أن ننقذ خطتك".

فنظرْتُ إليها، ورأيتها تقطع شريحة اللحم المقدد بالسكين وتتناولها بالشوكة. ولم أتمالك نفسي فضحكتُ. "أنتِ مُجّعة. لا يمكننا أن نستمر على هذه الحال". كان رأسي مُشوَّشاً فلم أستطع التفكير في خطة جديدة. كل ما

استطعتُ فعلُهُ هو التمدد على ظهري والتحديق إلى السماء الزرقاء الصافية.
"رأسي مُشوَّش. لا أستطيع أن أفكر بوضوح".

فردت عليّ مايزيلي: "ولا أنا". ثم بحثت في الحقيبة. "هل تحب
الزيتون؟"

"لا أعرف. فلم أكل زيتونًا من قبل".

فناولتني واحدة. "ضعها في فمك وامتصّ منها الملح. ثم كُلّها. لكن لا تبتلع
النواة".

فوضعتُ حبة الزيتون على لساني. كانت قشرتها ملساء، وطعمها غريب
غني بالمعدن. فقلتُ: "إنّها لذيذة". فوضعت مايزيلي حبتين إضافيتين في يدي.
تلذذتُ بكل منهما، وأخذتُ أدحرجها في فمي، وأعضتها بأسناني إلى أن وصلتُ
إلى النواة.

مرّ بعض الوقت، وامتلأت السماء بالغيوم، ثم بدأت تمطر، فصحتُ: "إنّها
تمطر!" فنهضنا بسرعة، وفردنا قطعتي القماش المشمّع. لكننا لم نشأ أن
نضعها تحت الأشجار السامّة، فغرسنا أغصانًا في الأرض في فسحة لا تغطّيها
أي أشجار، وعلّقنا القماشتين عليها تحت السماء مباشرة، ووضعنا "الغالونين"
تحتهما.

وما إن جهّزنا الأداتين حتى حصلنا على نتائج فورية؛ فبدأ خيط رفيع من
الماء يسيل من ثقب كل قطعة قماش ويصب في "الغالونين".

ثمّ اشتدّ المطر، فرفعنا رأسنا إلى السماء، وغسل كل منا وجهه وجسده
من الدم. بعدها، غسلنا ثيابنا قدر المستطاع. أمطرت السماء حوالي عشرين
دقيقة، ثم انقطع المطر وكانّ أحدًا أغلق الصنبور.

فارتدينا ملابسنا لتجفّ على جسدينا، وتناوبنا على شرب الماء من أحد
"الغالونين". فقالت مايزيلي: "لم نعد أخوين بالاسم فقط، بل صارت تجمعنا

قراءة بالدم".

"بالفعل، يا أختاه. أعتقد أنني ابتلعت كمّية كافية من دمك توهّلني لحمل هذا اللقب".

"هل تمنيت يومًا أختًا حقيقية؟"

"كانت عندي شقيقتان توأم مثلك وميريلي، لكنهما لم تعيشا طويلًا".

"أنا آسفة. لم أكن أعلم ذلك".

"بالطبع لم تعلمي. فقد وُلِدَتَا وتُوفِّيَتَا عندما كنتُ صغيرًا؛ قبل أن ألتحق بالمدرسة وألتقي بك".

فارتسمت على وجهها تعابير الحزن. "ثري، هل ستظل ميريلي توأمًا بعد موتي؟"

فقلتُ من دون تردّد: "دائمًا وأبدًا". فإذا كان سيّد يُشاهدنا الآن، لا أريده أن يعتبر نفسه طفلًا وحيدًا بعد موتي.

"سيكون الأمر صعبًا عليها".

لا تنتهي معاناة مباريات الجوع مع نهاية المباريات؛ فهي أشبه بحجر يُلقى في الماء، ويُحدِثُ تموجات مُتتالية فيه. فتتشكّل تموجات مُتّحدة المركز، تكبر وتنتشر على سطح المياه، فتغمر عائلات المجالدين الموتى، ثمّ أصدقاءهم، ثمّ جيرانهم، ثمّ كلّ سكّان المقاطعة. وكلّما كان الشخص أقرب إلى موقع اصطدام الحجر بسطح المياه، ازدادت معاناته أكثر فأكثر. فكم من شخص صار مُدمنًا على الشّراب وتعرّض للاكتئاب وصار عنيقًا أو انتحر، وكم من عائلة تحطّمت وتشتّتت. لا أحد يتعافى من مباريات الجوع، كلّ ما يمكننا فعله هو محاولة المُضيّ قُدّمًا قدر المستطاع.

ما زال سيد صغيرًا جدًّا ليتعرّض لتلك المعاناة، فقلتُ: "أنا أقلق على أخي أيضًا".

"إِنَّهُ يَأْتِي إِلَى مَتَجَرْنَا أَحْيَاءًا. وَهُوَ يَحِبُّ حَلْوَى التَّافِي. اسْمُهُ سَيِّد، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟"

لم أتوقَّع أَنَّهَا تَعْرِفُ اسْمَهُ وَنَوْعَ الحَلْوَى الَّتِي يَحِبُّهَا. لَقَدْ أَثَّرَتْ بِي. "نَعَمْ. سَيِّد".

وَإِذْ بِالْمَدْفَعِ يَضْرِبُ مَرَّتَيْنِ فَجْأَةً.

فقلتُ: "أَمَلٌ أَنْ يَكُونَ الْمَدْفَعُ قَدْ ضَرَبَ لِإِعْلَانِ وَفَاةِ سَيْلِكَ وَمَارِيَّتِي. مَعَ أَتْنِي أَسْتَبْعِدُ الْأَمْرَ".

فَرَدَّتْ مَايْزِيلِي بِحُزْنٍ: "لَا أَعْرِفُ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَمَالُ فِي مَحَلِّهَا. فَإِذَا مَاتَتْ سَيْلِكَ وَمَارِيَّتِي، لَنْ يَبْقَى فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ إِلَّا مُسْتَجِدُّونَ. وَمَاذَا سَنَفْعَلُ حِينَئِذٍ؟"

إِنَّهَا مُحِقَّةٌ. مَاذَا سَنَفْعَلُ حِينَئِذٍ؟ "سَنَعْقِدُ اجْتِمَاعًا آخَرَ، كَمَا اقْتَرَحْتِ سَابِقًا أَثْنَاءَ التَّدْرِيبِ".

"وَمَاذَا سَيَحْصُلُ إِذَا اتَّفَقْنَا أَنْ نَظِلَّ أَوْفِيَاءَ لِتَحَالِفِنَا، وَأَنْ نَمْتَنِعَ عَنِ قَتْلِ بَعْضِنَا بَعْضًا؟"

"سَيُطْلَقُ عَلَيْنَا مُصَمِّمُو الْمَبَارِيَّاتِ الْمَزِيدِ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْمَعْدَّلَةِ جِينِيًّا أَوْ سَيْسَبِيَّونَ ثورَانًا بَرَكَانِيًّا ثَانِيًّا".

فَقَالَتْ وَهِيَ تَفْرِكُ مَعْدَتَهَا: "أَوْ سَيَجُوعُونَا. هَلْ صَارَ بِإِمْكَانِنَا الْعُودَةَ إِلَى قَرْنِ الْوَفْرَةِ لِلْبَحْثِ عَنِ الطَّعَامِ؟"

"نَحْنُ نَبْعَدُ عَنِ الْقَرْنِ حَوَالِي سِتَّةِ أَمْيَالٍ. أَلَيْسَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ نَرْتَاحَ قَلِيلًا لِنَسْتَجْمَعَ قِوَانَا؟"

"ماذا بقي معنا من طعام؟"

فتفقدت محتويات الحقبة وأجبتها: "سردين، وزيتون، وحبتا بطاطا".

"أظنّ أنّ علينا أن نعود إلى القرن".

في الحقيقة، أنا مُنْهَك تمامًا، وأُفْضَلُ أن أبقى هنا وأنتظر أن يسقط الطعام من السماء. إنّما عليّ أن أجرب ما اقترحته مايزيلي؛ فأنا مدين لها بمحاولة تنفيذ خطتها. وكلّما طالت مباريات الجوع، زادت تكاليف إرسال الهدايا والمساعدات إلى ساحة القتال. ومن الممكن أن نكون قد استنفدنا كل التبرعات التي وصلتنا من الممولين. لذا، حزمنا أغراضنا وتوجّهنا جنوبًا.

اجتازنا عدة أميال بخطى مُتثاقلة، ثمّ توقفت مايزيلي فجأة ورفعت رأسها قائلة: "أسمعت شيئًا؟"

فأرهفتُ السمع، لكنّ سمعي مُشوَّش؛ فما زالت أذناي مُتضرّرتين من الانفجار، وأشعر وكأنيّهما مَحْشَوَتَان بالقطن. فأجبتها: "لا".

فقلت لي: "صه!" ثم همست بعجالة: "سمعتُ صوتًا من هناك". وأشارت إلى يميننا، أي إلى الغرب.

أملتُ رأسي لأسمع بوضوح. وبالفعل، تنهى صوت إلى مسمعي. "هل هذا صوت رضيع؟" فشطحت مخيلتي، وتخيلتُ أطفالًا رُصَّعًا خارقين وجائعين يزحفون في الغابة وهم يبكون طلبًا للمساعدة، وما إن نحاول مساعدتهم حتى يحاصرونا ويأكلونا حتى لا تبقى منّا إلاّ العظام.

"هذا ما ظننته في بادئ الأمر. لكنّ الصوت فيه نبرة شبيهة بصوت الحيوانات... كالضغاء أو الأنين... وكأنّ صاحب الصوت ماعز أو هرة صغيرة".

فشطحت مخيلتي أكثر، وصار لدى كلّ من الأطفال الرُصَّع الذين تخيلتهم قرنان على رأسه، وذيل زغبِيّ مَنفوش عند أسفل ظهره. "من الأفضل

أن نبتعد عن هنا. فمهما كان الكائن صاحب الصوت، لا أعتقد أنه يحتاج إلى مساعدتنا".

حينئذ، علا صوت صراخ حاد مروّع بين الأشجار. هذا صوت شاب، لا شك في ذلك.

فقال مايزيلي وهي تجهّز قاذفة السهام: "لكنّ صاحب هذا الصوت يحتاج إلينا، فلم يبقَ أي شَبان على قيد الحياة في تحالف المحترفين يا هايميتش؛ ما يعني أنّ هذا الشاب إمّا هال أو باك".
فحملتُ سكينتي وفأسي وقلتُ: "هيا بنا".

تركّتُ حقيبتني بين مجموعة من نبات سهم الماء المعروف أيضًا باسم "كاتيس"، ولحقنا بمصدر الأصوات. لم تفارقني صورة الرُصع المتوحشين، لكنني واصلتُ السير وأنا فكر في سُبل لحماية ركبتيّ. وكلّما اقتربنا، اتّضح الصوت الغريب أكثر فأكثر، إنّما ما عاد مألوفًا ولا طبيعيًا، وتداخلت معه أصوات بشرية تصرخ وتئنّ من الألم. فجأة، سحبني مايزيلي إلى الأرض، فوجدتُ نفسي أنظر من بين الشجيرات إلى منحدر صغير يؤدي إلى فسحة لا تغطيها أشجار.

كان باك وتشيكوري مطروحين على الأرض، ويتلوّيان من شدّة الألم على بُعد خمس عشرة قدمًا منّا تقريبًا. ثم لاحظتُ الأشواك المعدنية الطويلة المغروسة في جسديهما، وهما يحاولان عبثًا أن ينزعها بأيديهما المتثاقلة المُرْتبِكة؛ كما لو أنّهما يعانيان من أعراض تشلّ أصابعهما. أنا أحاول أن أفهم ما أراه: هل تستخدم سيلكا سلاحًا يقذف أشواكًا؟ أو هل اصطدم باك وهال بشجرة صنوبر إيّرها سامّة؟ أو هل لسعهما سرب من الدبابير المتوحشة القاتلة؟ إنّ كل الكائنات المعدّلة جينيًا التي صادفناها حتى الآن هاجمتنا في أسراب أو مجموعات، كالفراشات، والخفافيش، والسناجب، والدعاسيق... لذا، تفاجأت حين ظهر صاحب الهجوم وحيدًا على مرأى نظري مُتبخترًا.

يعيش حيوان النيص⁽⁸⁾ في تلال المقاطعة الثانية عشرة. وتُكنّ له لينور دوف مودّة خاصّة؛ لأنّه من الحيوانات التي يُساء فهمها، كما تسمّيها "القوارض المريّشة". فخلافاً لما يعتقدّه الناس، لا يستطيع حيوان النيص أن يقذف أشواكه أو أرياشه. ولا تُصاب إلّا إذا لمست جسده، ولا سيّما ذيله. أمّا إذا تركته وشأنه فسيدعك وشأنك أيضاً. إنّما لا أعتقد أنّ لينور دوف ستحبّ هذا الوحش العملاق المعدّل جيئياً. فهو يشبه الدب بحجمه ومخالبه وأنيابه. ولن أستغرب إذا كان كائنًا هجينًا ابتكره مُصمّمو المباريات في مختبر من خلال مزج جينات النيص والدب معًا. غير أنّه يمتاز بجمال لافت للنظر ككل ما في ساحة القتال؛ فعلى ظهره وجانبه وذيله صفوف من الأشواك الذهبية والفضية والبرونزية المتألّئة تحت أشعة الشمس. لكنّ جمال ساحة القتال ما عاد يبهرني.

ما زال النيص يُصدِر أصواتًا مُشوّهة تشبه بكاء الرُصّع، وهو يشمّ المكان حوله ويجوب الفسحة. ثمّ رأيْتُ هال، وكان وجهه مُتورّمًا بسبب نصف دزينة من الأشواك، وراح يصرخ ويركض نحو النيص حاملاً مذراة في يده، فتراجع الوحش نحوه، ورفع أشواكه الشائكة. كان بإمكان هال أن يلوذ بالفرار، لكنه مُصِرٌّ على مساعدة رفيقهِ؛ على أمل أن يكونا جريحين فقط، وليسا في طريقهما إلى الموت.

فهمست لي مايزيلي وهي تخلع حقيبتها عن ظهرها، وتُخرج منها قطعتي القماش المشمع: "نحتاج إلى درع نحتمي بها".

مزّرتُ أصابعي على القماش السميك المغلّف بطبقة مقاومة للماء، لكنها قد لا تقاوم الأشواك. فاقترحتُ: "قد يكون من الأفضل أن نضع قطعتي القماش فوق بعضهما بعضًا". إذ شعرتُ أنّ درعنا المكوّنة من طبقتين أكثر أمانيًا. "ما الخطة؟ أظن أننا في أمان إذا بقينا بعيدين عنه. إذ عليه أن يلمسنا ليغرس أشواكه فينا".

أخذنا نفكر في الخيارات المتاحة أمامنا، فقالت مايزيلي: "يمكنني أن أحاول إصابته بالسهم إذا اقتربنا منه قليلاً، لكنني لا أعرف إذا كانت ستخترق جلده. هل تستطيع أن تصيبه بسكين؟"

"لست متأكدًا؛ فهو يبدو محميًا ومحصنًا. قد نستطيع أن نصيبه ونجرحه إذا قلبناه على ظهره".

"وكيف تقترح أن نقلب هذا الوحش العملاق؟"

لمحتُ غصن شجرة غليظًا على الأرض، فقلت: "هذا الغصن قد يفي بالغرض".

وفي تلك اللحظة، أدار النيص ساقيه الخلفيتين، وغرس وابلًا من الأشواك في فخذ هال الذي صرخ من الألم وطرح أرضًا. فأخذتُ الغصن، وبدأتُ أكسر الفروع الصغيرة الناتئة منه لأحوّله إلى عصا طويلة، إلا أن صوت الفروع المتكسّرة جذب انتباه الوحش، فبدأ يصك أسنانه بعضها ببعض والتفت إلينا. وفيما كان يقترب منّا، اجتاحتنا رائحة عبقة كريهة من المسك والورود وملأت عيني بالدموع.

فرفعت مايزيلي الدرع أمامنا، وصرنا نختلس النظر من فوقه إلى النيص. ثم قالت: "لا أعتقد أن محاولة قلب هذا الكائن ستجدي نفعًا. وما زال بعيدًا لأتمكّن من إصابته بالسهم. أتظن أن بإمكانك إصابته بفأسك؟"

أنا أقضي وقتًا طويلًا في قطع الحطب وجمعه بسبب مُتطلّبات عملي في المقطرة، وعمل أمّي في الغسيل. لذا، أعرف كيف أستخدم الفؤوس. ومع أن هذه الفأس أطول من تلك التي أعمل بها عادة، إلا أنّها لا تختلف كثيرًا عن تلك التي تدرّبتُ على رميها مع رينجينا خلال فترة التدريب.

فقلتُ لمايزيلي: "سأحاول. لكن، جهّزي سهامك من باب الحيلة".

فوضعتُ سكينِي في حزامِي، وأمسكْتُ فأسِي بيديَّ الاثنتين كما تعلمنا في التدريب. "حسناً، أنا جاهز". فبدأت مايزيلي تنزل الدرع شيئاً فشيئاً، فيما رفعتُ الفأس وراء رأسي ثم رميتها على النيص. دارت دورة في الهواء، ثم انغرست في جانب الوحش.

فأطلق النيص صرخة حادة من الألم والغضب، ثم التفت وصوّب مؤخرته نحونا. لم أشعر بالقلق في بادئ الأمر؛ لأنه يبعد عنّا عشر أقدام تقريباً، إلا أنه بدأ يتصرف بغرابة؛ فصار يرتجف ويهزّ جسده مثل كلب مُبلّل، ثم فجأة قذف أشواكه في كل الاتجاهات. غير أنّ مايزيلي سرعان ما رفعت الدرع فوقنا؛ فاخترقت عشرات الأشواك الدرع القماشية، وانغرست إحداها في طرف أنفي، وحطّت واحدة أخرى على بُعد شعرة من عيني، وكادت تعميني. فتراجعتُ إلى الوراء، وانتزعتُ الشوكة من أنفي بعنف، فبقيت فتات من لحمي عالقة على طرفها المسنن، تاركة وراءها جرحاً حارقاً لاسعاً.

وانتزعت مايزيلي شوكة من وجنتها وهي تُبقي الدرع مرفوعة، وقالت: "اتضح لنا كالعادة أنّ معلوماتك خاطئة".

"أنا آسف... يبدو أنّ ساحة القتال وما فيها لا تخضع لقوانين الطبيعة". وأدارت مايزيلي الدرع تسعين درجة لئُبعد الأشواك عن أعيننا، ثم اختلسنا النظر من فوقه. لمحّت فأسِي على الأرض. يبدو أنّها تحرّرت عندما اهترّ الوحش ليطلق أشواكه. "أتظنّ أنّ ضربة الفأس آذته؟" "لا أعرف".

لكن جنّ جنون النيص، وصار يضرب الأرض بأقدامه، ويتلوى وينوح كطفل صغير في نوبة غضب. لكنني أعلم جيداً أنه ليس طفلاً، بل مسخّاً ابْتُكِرَ في أنبوب اختبار ليقتلنا. أخذ يرتجف ويهترّ مُجدداً، فانحنينا وراء الدرع للاحتماء من الأشواك التي ستنهال علينا.

صُرب المدفع، فعرفتُ أنّ أحد المستجدين الثلاثة قضى نحبه، وبقي اثنان. لا أعرف ما السم الذي تحمله تلك الأشواك، لكن أنفي انتفخ واحمرّ كحبة فراولة ناضجة. هل يمكن أن ينجو المجالدان الباقيان إذا شربا الترياق؟ وهل أشرب منه أنا أيضًا؟ هل شوكة واحدة كفيلة بقتلنا؟

فقلتُ لمايزيلي: "علينا أن نصل إليهما ونعطيهما الترياق".

"أعرف. لكنني لا أظن أنّ عصاك ستفيدنا كثيرًا".

فقلتُ: "لن يفيدنا أيّ من أسلحتنا ما دام بإمكانه إطلاق أشواكه من مسافة بعيدة". ثم أخذتُ أراقبُ المخلوق في نوبة غضبه، فذكرني بأخي سييد في صغره. وأضفتُ: "ربّما نحن نتعامل معه بطريقة خاطئة. ربما علينا أن نهدّئه بدلًا من محاربتّه".

"أتريد أن تُهدّئه؟"

"نعم، سنتعامل معه وكأثّه طفل بالكِ ونحاول تهدئته، ثم سندفعه للابتعاد بشكل ما".

فقالت مايزيلي بنبرة جدّية فيها لمسة من السخرية: "لِمَ لا نغني له تهويده؟"

"لِمَ لا؟ ويمكن أن نعطيه بعض الطعام ليتلّه".

فتمتمت وهي تخرج العلب من حقيبتها: "أعتقد أنّ استخدام العسل قد يجدي نفعًا لاصطياد الذباب أكثر من الخل". ثم سألتني: "أتريد أن تعطيه الزيتون أو السردين؟"

"الزيتون؛ لأنّ رميه أسهل". فأخذتُ حبة زيتون وقذفتها أمام النيص، غير أنّه تجاهلها. فرشقتُ بضع حبات أخرى على أنفه. حينئذ، تحوّلت صرخاته إلى أنين خافت وهو يشمّ أرض الغابة، ويلتهم الزيتون بشراهة. فقلتُ: "الكل يحب

الموالح". ورشقتُ حبة أخرى مسافة أبعد، فهرع النيص وراءها. فصرت أرمي الحبات واحدة تلو الأخرى، وأزيد المسافة تدريجيًا، حتى أبعدهُ حوالي عشرة أمتار عن الفسحة. وحين لم يبقَ معي أيُّ زيتون، قذفت العلبة الفارغة بأقصى قوّة نحو أعماق الغابة، وسمعتُ صوت النيص وهو يصطدم بالأشجار أثناء مُلاحقته العلبة ككلب يركض وراء عظمة.

صُرب المدفع مرة ثانية، فركضت مايزيلي بسرعة البرق نحو هال لتحاول إعطائه الترياق. فيما توجّهتُ نحو تشيكوري وباك لأتفقّد نبض كلِّ منهما؛ في حال كان ضربًا المدفع السابقان مُخصّصين لمجالدين آخرين. لا نبض. فذهبتُ إلى مايزيلي التي استطاعت أن تُريق بعض الترياق في حلق هال، وبدأتُ أُخرج الأشواك من رجله لأخفّف مفعول السم في جسده.

فقالَت مايزيلي: "هيا، يا هال. عليك أن تتلع الترياق. هيا، حاول". فحاول، وبدأت عضلات حلقه ترتجف بسبب الجهد الذي يبذله، إنّما فارّ الترياق، وتساعد من حلقه، وسال من فمه على وجهه. فواصلت مايزيلي تشجيعه على ابتلاع الترياق، فيما نزعَتُ الأشواك من جسده. ثم ضرب المدفع. فحاولنا بضع دقائق إضافية؛ على أمل أن يجد هال طريق العودة إلينا؛ لأنّه شاب قوي يستحق الحياة. لكنّه لم يعد، فتوقّفنا عن المحاولة.

حامت الطائرة فوقنا كطائر جرح من أكلّة الجيف يتلهّف لالتهام بقايا حلفائنا. وسمعنا من أعماق الغابة صوت النيص وهو يلتهم علبة الزيتون، وقد نسي أمر فرائسه. أثلج الهواء المسائي قلبي، غير أنّه جعل رائحة المسخ الكريهة تفوح في الأجواء. ناولتني مايزيلي زجاجة الترياق، فارتشفتُ رشفة منها، وكان طعمه غريبًا؛ وكأنّ أحدهم وضع فتات الطباشير في اللبن الرائب ولم يخلطه جيّدًا. فعلى الرّغم من أنّي لا أعرف كمية السم الموجودة في كل شوكة، إلّا أنّي لم أشأ أن أخاطر بحياتي.

أغمضتُ ومايزيلي عيون حلفائنا القتلى، ورَبَّنا وضعية أجسادهم كيلا تكون صورة أطرافهم الملتوية هي آخر ما تراه عائلاتهم. ثم أخذنا الفأس، وقطعتي القماش المشمَّع، ومؤنهم، وخرجنا من الفسحة. حين وصلنا إلى المكان الذي تركتُ فيه حقيتي، أنزلتُ الطائرة المخلب لسحب الجثث. فجلسنا بين زهور الكاتنيس، جنبًا إلى جنب، مُنْهَكَيْنَ تمامًا.

ثمَّ همست لي مايزيلي بصوت خافت سمعته بصعوبة: "يجب أن يفوز أحدنا بهذه المباريات".

فرفعتُ نظري إلى الأشجار التي تحجبنا عن كاميرات الكايبتول بجذوعها الطويلة وأوراقها الشبيهة برؤوس السهام، وتلاتها البيضاء، وأجبتُ مايزيلي همسًا: "ولماذا؟"

"ليكون أحدنا أسوأ فائز في تاريخ مباريات الجوع، ويمرِّق نصوصهم الاستعراضية، ويُفسد حفلاتهم واحتفالاتهم، ويُشعل النار في قرية الفائزين، ويرفض الامتثال لقواعدهم".

ذكّرني حديثها بأبي، فقلتُ: "ليحرص أحدنا على ألا يكتب الكايبتول أكاذيبه وشعاراته ويزينها بدمائنا".

"بالضبط. سنرسم ملصقاتنا بنفسينا. وأعرف أين سنعثر على بعض الطلاب". ثم مدّت لي خنصرها- كما كُنّا نفعل مع أصدقائنا في باحة المدرسة- قائلة: "عدني بذلك".

فشبكتُ خنصرها بخنصري، وشددتُ عليه. لن يسمح لي الكايبتول بالفوز أبدًا، ليس بعد أن حاولتُ تدمير ساحة القتال. لكن، يمكنني أن أعدها بأنني سأبذل جهدي لأبقياها على قيد الحياة. "أعدك أن أحدنا سيرسم ملصقاتنا".

حينئذ، نهضت عن الأرض، وساعدتني على النهوض قائلة: "فلنجرد ما معنا من مؤن".

يبدو أنّ حلفاءنا حصلوا على هدية مُؤخَّرًا! لأننا وجدنا في إحدى حقائبهم بسكويتًا، وفاصولياء مطبوخة، بالإضافة إلى مفاجأة سارة غير متوقعة: حلوى بالزبيب والمكسرات. وكان معهم أيضًا لحافٌ وعدة "غالونات" من الماء، أحدها نصف ممتلئ. فاتفقنا على تأجيل رحلتنا إلى قرن الوفرة إلى الغد، ثمّ أشعلتُ نارًا صغيرة، فيما سخّنت مايزيلي الفاصولياء عليها. وبعد ذلك، تناول كلُّ منا طعامه بطريقته، فأكلت مايزيلي بالشوكة والسكين، فيما استخدمتُ البسكويت لأغرف الفاصولياء وآكلها. بعدها، أكلنا الحلوى لقمةً لتلذّذ بها. عُزِفَ النشيد، ثم ظهرت صور رينجينا، وأوتون، وباك، وتشيكوري، وهال.

فقلتُ: "مات خمسة، وبقي خمسة".

"أنتِ، وأنا، وسيلكا، وماريتي، وويلي".

حلّ الليل وويلي تخوض مَشَقَات ساحة القتال بمفردها. فقلتُ: "سنبحث عن ويلي غدًا".

"أجل. ويمكن أن تفوز هي أيضًا. نم أنتِ أوّلاً يا هايميتش، وسأتولى الحراسة".

لا جدوى من التظاهر بأبني لسئ مُنْهَكًا. فوضعتُ البطانية على كتفي مايزيلي، وجّهزتُ السرير القماشى، واستلقيتُ عليه، ثم قلت لمايزيلي: "غني لي تهويده".

فضحكت وشخرت قائلة: "لا أظنّك تريد أن تسمع التهويده العالقة في رأسي منذ مغامرتنا في المتاهة".

"يبدو أنّك تعانيين من دودة أذن. ألا تعرفين أنّ العلاج الوحيد لهذه الحالة هو غناء الأغنية أمام شخص آخر حتى تنتقل إليه دودة الأذن؟"
فقالت: "حسنًا. تذكر أنّك طلبتِ منّي أن أغنيها لك". ثم بدأ تغني بصوت منخفض.

دعسوقة يا دعسوقة، عودي إلى البيت،
فالبيت يحترق، وأطفالك هلكوا،
كلّهم هلكوا إلا واحدًا اسمه عاصي
ما زال يختبئ تحت المقلاة من النيران.

فابتسمتُ وأنا أستمع إلى تلك الأغنية السخيفة التي ذكرتني بطفولتي.
"أظنني جلبتُ دودة الأذن إلى نفسي. تصبحين على خير يا أختاه".

حاولتُ أن أغفو، لكنّ دودة الأذن تحوّلت إلى دودة دماغ تسللت إلى رأسي، وأغرقتني بأفكار مُشتتة كقطع مُتفرّقة من أحجية واحدة. دعسوقة... نار... قداحة الصوّان... لا، موقد اللحم... الخوف... طيري إلى بيتك... ثم دارت قطع الأحجية في ذهني إلى أن اتّصلت بعضها ببعض، واتّضحت الأحجية أمامي، وأوضحت لي كيف سنعبّر المتاهة.

شربتُ جرعةً أخرى من القارورة لأنظف حلقي من فتات الطعام العالق فيه. ما أجمل أن يستيقظ المرء ويتناول خبز الذرة الطازج واللبن الرائب والخوخ على الفطور، بدلاً من البحث عن بقايا الطعام المتعفنة في ساحة القتال. لقد ربّيت مايزيلي الطعام على قطعة القماش المشمّع؛ كما لو أنّنا خرجنا في نزهة في الطبيعة. وطوت منديلين على شكل زهور، وملأت الكوب الفاخر بورود وردية. ومع أنّ تلك الورود سامّة على الأرجح، إلّا أنّ شكلها جميل، وزينّ "مائدة" طعامنا.

اليوم هو يومنا السادس في ساحة القتال، وما زلتُ صامدًا. لا أعرف سبب عدم قضاء مُصممي المباريات عليّ- بأمر من الرئيس سنو- حتى الآن. هل يُقونني حيًّا لإرضاء الجمهور لأنني اكتسبتُ شهرة واسعة؟ أو يُدبرون لي موتًا استعراضيًا لافتًا؟ لا أعرف. لكنّ ما أعرفه هو أنّ عليّ أن أدمر ساحة القتال.

وصلت المظلة المُحمّلة بالطعام حين كنتُ نائمًا؛ فقد أصررتُ على أن أتولّى مناوبة الحراسة الأولى لأنني تحمّستُ للأفكار التي أعطتني إيّاها دودة الدماغ، فنمتُ بعد مايزيلي. دعسوقة، يا دعسوقة، ماذا سأجد خلف السور لو حرقتَه بموقد اللحم؟ حبّذا لو أجد مولّد كهرباء قابلاً للاشتعال أيضًا؛ لأحرق أحد أطرافه وأصل إلى لوحة التحكم، ثم...

حينئذ، سألتني مايزيلي: "هل نذهب إلى القرن أو نبحث عن ويلي أوّلاً؟"

فأخذتُ شريحة خوخ ودفعتُ الشريحة الأخيرة نحوها، وأنا أفكرُ في أفضل طريقة لإقناعها بمسائرتي وتنفيذ خطتي من دون أن أبوح لها- أو للمشاهدين- بماهيّتها. على كلِّ حال، إنّ التوجّه إلى قرن الوفرة فكرة سيئة لأنّه إلى الجنوب. فقلتُ: "فلنبحث عن ويلي أوّلاً، ما رأيك؟"

"موافقة. يمكننا أن نتدبّر أمرنا اليوم بالسردين والبطاطا".

"حسنًا. وشكرًا على إعداد الفطور وترتيبه وتزيينه".

"قررْتُ أن أبدأ نهاري برسم ملصق جديد".

ففكرْتُ في كلامها، واهتمامها بالآداب والأناقة، ونزهاتها الجميلة، وتذكّرْتُ ما قالته للويلا على القطار: "لا تسمح لي لهم بأن يقللوا من شأنك ويعاملوك كالحيوانات يا لويلا. يجب أن توقفهم عند حدّهم". لقد رسمت مايزيلي مُلصقًا يحمل رسالة واضحة: نحن مُتخصّصون، نحن نُقدّر الأشياء الجميلة، نحن لا نقل عنكم شيئًا! وهو يتماشى مع حملتها لإظهار أهميّتنا للكابيتول. لكن، هل سيدرك أنّها تُلمّح إلى التمرد؟ لا أظن ذلك. إذ لا يعرف الكابيتول ما قاله لي أبي. لذا، سيفهم المشاهدون من كلام مايزيلي أنّها تريد أن تروّج لنا بعددنا مُجالدين في مباريات الجوع، وأن تُحسّن صورتنا أمام الجمهور. كما أنّ المناديل المطويّة على شكل زهور لا تشكّل خطرًا أو تهديدًا على أيّ أحد.

فقلتُ: "أنتِ تُتقنين الرسم. ملصقك جميل". فانفجرت أسارير وجهها أخيرًا وابتسمت.

بعد أن حَزَمنا أمتعتنا، راقبنا محيطنا، ثم قلتُ: "فلننّجّه شمالًا". وسرْتُ في ذاك الاتجاه، فلحقت بي بخطوات مُتردّدة.

"لماذا؟"

"عندي شعور بأنّ ويلي ستّجه شمالًا لتبتعد عن ذاك البركان قدر الإمكان".

"لا أظنّ ذلك. فقد تجوّلنا في تلك الأنحاء، ولم نرَ أيّ أثر لها".

"بالضبط. ألا تذكرين ما قالته لنا ماغز؟ في ساحة القتال سنتنقل كثيرًا. ولم تذهب ويلي شمالًا بعد. دعينا نحاول".

لا يبدو أنّ مايزيلي قد اقتنعت بكلامي، لكنها واصلت السير معي. وبصعوبة، اجتزنا ميلًا قبل أن تُشكّك في خطتي: "لا أظنّ أنّنا سنجدّها في الشمال".

"أحقًا؟ أشعر أنّنا على الطريق الصحيح".

"لماذا؟ ألا تضيق ساحة القتال في الشمال كما في الجنوب؟"

لا تستهن أبدًا بمهاراتها في الملاحظة. "بلى، لكنّها تضيق تدريجيًا".

"ألا تعتقد أنّ ويلي ستشعر بأنّها مُحاصرة إذا ذهبت إلى الشمال؟"

"بلى. ولهذا السبب، لن يخطر في بال المحترفتين أن تبحثا عنها هناك".
أعرف أنّني أختبر حدود صبرها، لكنني لبستُ قناع الثبات، وأضفت ثقة مُصطنعة إلى خطواتي.

حقّدت إليّ مايزيلي بعينين مُتسائلتين، ومشيت بخطى مُتثاقلة وهي مُستغرقة في التفكير.

ثم توقّفت فجأة وهتفت: "لا، أنتِ مُخطِئ. تحظى ويلي بفرصة أكبر للنجاة في المرج. فهي فتاة صغيرة، وبإمكانها أن تتوارى عن الأنظار وتختبئ بين الأعشاب الطويلة التي تغطي مساحة كبيرة، وتبحث عن الطعام في قرن الوفرة عندما تسنح لها الفرصة. لن يعثر عليها أحد هناك. وحتى لو لجأت إلى الغابة، أظنّها أذكى من أن تدع نفسها تُحاصر في الشمال. أنت تعرف كل هذا

يا هايميتش، لكنك مُصِرٌّ على الذهاب إلى الشمال مرة أخرى... لماذا؟" ثم شبكت ذراعيها على صدرها وهي تنتظر مني جوابًا.

إدًا، عليّ أن أعطيها جوابًا مُقنعًا، وإلا لن تأتي معي. فقلتُ: "أظنّ أنّ علينا أن نُلقي نظرة أخرى على السور".

فاقشعرتُ بدنها من الفكرة. "حتى لو كان عندي فائض من الدم يمكنني إهداره في محاولة عبور ذاك السور، ماذا سنستفيد من ذلك؟"

فمددتُ يديّ وأشرتُ إلى ساحة القتال قائلاً: "لا شكّ في أنّ هذه الساحة لها حدود. فهي ليست مساحة لا متناهية. لا بد من أن تنتهي في مكان ما".

"وماذا تتوقع أن تجد على حدودها؟"

"لا أعرف تحديدًا... لكنني آمل أن أجد شيئًا يمكننا استخدامه والاستفادة منه".

"أتقصد أنّك تبحث عن غرض ميكانيكي أو كهربائي؟"

"ربّما. وإذا لم نجد أي غرض ميكانيكي أو كهربائي مُفيد، فبإمكاننا أن نجمع تلك الدعاسيق ونستخدمها كسلاح، أو أن نستفيد من المتاهة ونغري المحترفتين الباقيتين بدخولها، ثم نضلّلهما داخلها، أو نرمي عليهما قماشة مليئة بالدعاسيق. فليس الخروج من تلك المتاهة بالأمر السهل. أعتقد أنّنا- إذا تصرّفنا بذكاء- يمكننا أن نستغل السور لصالحنا". ثم رفعتُ حاجبيّ مُحمليًا وأنا أحاول أن أخبر مايزيلي عبر التخاطر أنّني لا أستطيع أن أبوح لها بكل شيء، وأنّ ما نفعله مهم وضروريّ. "أقسم لك إنّني لن أطلب منك أي طلب آخر بقية حياتي".

فقلّبتُ عينيها وقالت بسخرية: "يا له من عرض كريم!"

"هيا يا أختاه، علينا الذهاب إلى الشمال لرسم مُلصقي". أصبح هذا التعبير شيفرتنا الخاصّة للتمرد على الكابيتول.

فتهدت مايزلي مُستسلِمة: "حسناً، من الأفضل أن يستحقّ مُلصقك العناء".

"أعدك بأنه سيستحق العناء، دعسوقة يا دعسوقة".

أشعر أنّ أذنيّ أفضل حالاً اليوم. فقد صرّتُ أسمع الأصوات بوضوح ودقّة، حتى إنّني سمعتُ قبل مايزلي صوت الطنين الحاد القادم من منطقة إلى الغرب لم أستكشفها بعد.

فسألْتُ: "هل تسمعين هذا الصوت؟"

"نعم. ظننّهُ من أصوات الطبيعة، كأصوات العصافير".

"وهذا ما يقلقني. أتتخيّلين حجم البعوضة التي تصدر مثل هذا الصوت". حينئذ، تخيلتُ بعوضة عملاقة طولها أربع أقدام؛ فبدت لي الدعاسيق التي واجهناها سابقاً مجرد خدعة سخيفة بالمقارنة بها.

"يبدو أنّ الصوت يصدر من مكان بعيد. فلنحاول أن نبقى على مسافة آمنة من مصدره". ثم ارتشفت رشفة من "غالون" الماء وناولتني إياه.

وإذ "بالغالون" ينكسر، ويبللنا بالماء. لم نستوعب ما جرى بسرعة، بل مرّت علينا لحظة ارتباك قبل أن ننتبه إلى السكين الذي انغرس في "الغالون"، ونسمع صوت الخطوات المتسارعة نحونا. حينئذ، فهمنا أنّنا في كمين، فأطلقنا أرجلنا للريح مذعورين، وهربنا بعيداً عن المحترقتين- فلا شك في أنّ ويلي ليست من يهاجمنا- نحو طنين البعوضة العملاقة، على أمل أن تهاجمها وتنشغل بهما ريثما نلوذ كلانا بالفرار.

لو كُنَّا أسرع منهما في الركض، لاستطعنا الاستدارة ومُقاتلتَهُما، لكنَّ سيلكا وماريتي كانتا تطارداننا كظليَّينا. لن نحظى بفرصة الاستعداد للدفاع عن أنفسينا قبل أن تنالا مَنَّا. ولا يحميننا من الأسلحة التي ترميانها علينا إلا الأشجار التي نركض بينها بخطوط مُتعرِّجة. ليس في يدي حيلة إلا الهرب مُتحيِّناً فرصة سانحة لرمي سكينني عليهما.

فجأة، شعرْتُ وكأني دسْتُ على أرض مُتجلِّدة، فزلتُ قدمي، ووقعتُ على مؤخَّرتي، وانزلقتُ إلى فسحة خالية من الأشجار، فاستغربتُ ما رأيته. إذ كان اثنان من مُصمِّمي المباريات مُنحنيين ببذلتيهما البيضاوين فوق بوابة مفتوحة عليها زهور شقائق النعمان. وكان أحدهما يرتدي قناعاً واقياً على وجهه، ويمسك بمثقاب يصدر الطين الذي سمعناه منذ قليل. ثم انتبهتُ إلى مُصمِّمِ مباريات ثالث مُتَّكئ على ممسحة. وعرفتُ من تعابير وجوههم أنَّهم تفاجؤوا برؤيتنا أيضاً.

توقَّفتُ على بعد بضعة أقدام منهم، في بركة من مادَّة لزجة كالتي تفرزها البامية عندما تُسَلَق. أما مايزيلي، فتزحلقَت أمام مُصمِّمي المباريات، وتشبَّثت بغصن رفيع على حافة البوابة لتتوقَّف. لا أعرف كيف بقيت واقفة على رجليها ولم تفقد توازنها. بقي الجميع مُتسمِّرين في أماكنهم بضعة ثوانٍ من هول الصدمة. ثم ظهرت سيلكا مُتزحلقَةً، وتعثَّرت، فوقعت أرضاً، وأوقعت معها دلواً كبيراً انسكبت منه حوالي أربعة لترات من المادة اللزجة على أرض الغابة.

فصاح مُصمِّم المباريات الذي يُمسيك ممسحة- والذي يبدو أنَّه من جيلنا تقريباً- مُستاءً: "انتبهوا!"

أعرف عن سابق تجربة أنَّ مسح الأراضي وظيفه مُحترِّرة، فتعجَّبتُ حين رأيتُ مُصمِّم المباريات يمسح أرض الغابة، وينظِّفها من المادة اللزجة. ما

التالي؟ هل سأرى بلوتارك هيفينزبي يقشر البطاطا؟ أو الرئيس سنو يُنظّف الشعر العالق في بالوعة الحمام؟

توقّفت ماريتي عند أطراف الفسحة. ويبدو أنّها شعرت بوجود خطب ما، فصاحت: "ما الذي يجري هنا؟ هل أنتم مُصمّمو المباريات؟"

فرفعت مُصمّمة المباريات التي تمسك المثقاب قناعها عن وجهها، ووقفت مُنتصبة، ثمّ قالت: "نعم، وأنتم تخالفون قواعد مباريات الجوع. من الأفضل أن تتعدوا من هنا، وإلاّ فستواجهون عواقب وخيمة".

فقال لها مايزيلي وهي تلعب بقاذفة السهام: "لو أردت أن يكون تهديدك ناجحًا وفعّالًا، حاولي أن تتكلّمي من دون أن ترتجفي. يبدو لي أنّ ثلاثكم لا تساوون شيئًا في الكابيتول، وإلاّ فلماذا تُرسلون لتنظيف ساحة القتال؟"

وعلى الفور، عمّ الصمت، فيما أعاد الجميع تقييم الموقف على ضوء ما قالته مايزيلي. ثم اندفع مُصمّمو المباريات الثلاثة راكضين نحو السلم المؤدي إلى الطابق السفلي - ألف.

فصوّبت ماريتي رمحها ورمته. لوهلة، طننت أنّي الهدف، لكنّ الرمح طار فوق رأسي، واستقرّ في صدر مُصمّم المباريات الذي يحمل الممسحة وأرداه قتيلًا على فراش من شقائق النعمان. وفي اللحظة نفسها تقريبًا، رفعت المرأة التي تمسك بالمثقاب يدها إلى عنقها، وأخرجت سهمًا صغيرًا من تحت أذنها، ثم سقطت على الأرض. أمّا مُصمّمة المباريات الأخيرة فغطست في الفتحة المؤدية إلى الطابق السفلي - ألف. وسمعنا بعد بضع لحظات صوت ارتطام جمجمتها بالأرض الخرسانية وتفتّتها. يمكنني أن أتخيّل منظرها على الأرض بوضوح، فقد ركضت في ذاك الطابق السفلي مرة هاربًا من الموت. والآن، أجدني مُستغرِقًا في تخيّل المشهد بتفاصيله.

تسمّرت سيليكاً في مكانها من وقع الصدمة. "ماذا فعلتما؟ لقد قتلتما ثلاثة مُصمّمي مباريات. لن يسمحوا لنا بالفوز الآن!"

فقال لها مايزيلي بصوت يقطر عسلًا: "أما زلتِ تركضين وراء هذا اللحم التافه يا سيليكاً؟" ثم وضعت سهمًا جديدًا في قاذفة السهام، وألقت نظرة سريعة على ماريتي قائلة: "لشعرثُ بالأسف على قتلك يا ماريتي لو لم تتحالفني مع المحترفين. لماذا اختار مجالدو المقاطعة الرابعة التعاون مع حفنة من المتملّقين للكابيتول؟ غريب أمركم. كان عليكم أن تتحالفوا معنا".

فتردّدت ماريتي وهي تنظر إلى رمحها بلهفة، ثم شهّرت سكينها وبدأت تتراجع، فيما رفعت مايزيلي قاذفة السهام نحوها.

وإذ بطائرة تظهر من العدم، وترمي قبلة تنفجر مُطلقَةً سحابةً من التراب والغاز المسيل للدموع في وسط الفسحة. فأمسكتُ بيد مايزيلي، وهرعتُ بها إلى أعماق الغابة. تخبّطنا بالأشجار وأغصانها، وتعثّرنا بالجدوع المتكسّرة فيما كُنّا نحاول الفرار من الغاز. ورمت الطائرة المزيد من القنابل، وزادت كثافة الغاز في الجو؛ فحرقتنا عيوننا، وفاضت بالدمع فلم نعد نرى أمامنا. ثم صار صوت القنابل المنفجرة يبعد ويخفّ شيئًا فشيئًا؛ فقدّرتُ أنّ الطائرة لا يمكنها أن تتبع أكثر من مجموعة واحدة من المجالدين، وأنّها اختارت أن تلحق بالمحترفين.

قادني حدسي إلى مدخل السور في الشمال؛ بعيدًا عن الغاز المسيل للدموع. وصرّتُ أسكب المياه بالتناوب في عيني مايزيلي وعيني.

إنّها تستشيط غضبًا؛ لدرجة أنّها بلّلتني بلعابها وهي تصرخ عليّ: "ما خطبك يا هايميتش؟ أين كنت؟ لماذا لم تساعدني كما ريتي؟"

إنّها مُحقّة. فقد تسمّرتُ في مكاني من هول المفاجأة؛ إذ لم أتوقّع أن نلتقي بمصمّمي المباريات في ساحة القتال. وأربكني منظر الزي الأبيض.

"لا أدري ما حصل لي يا مايزيلي! فقد توالى الأحداث بسرعة كبيرة. وكنْتُ مُغطَّى بتلك المادة اللزجة و..."

"أنتَ حليفي. أنتَ مَنْ كان عليه أن يساندني بدلاً من تلك الحقيرة آكلة السمك المُتملِّقة للكابيتول التي لا تعرف كيف تسرح شعرها المجدِّد!"

أشعر بالعار. لا شيء يبرر تصرُّفي. فقد كان معي سكين في يدي، وكنْتُ في موقع استراتيجي قريب من مُصممي المباريات، يُتيح لي فرصة ذهبية لقتلهم بسهولة. تردّد في رأسي سؤال بلوتارك: "ما الذي ردّعتك؟" لم يعد بإمكانني التذرع بأنني لست بقاتل؛ ما يعني أنني إمّا مُبرمج على الخضوع أو جبان. أمل ألا يكون سيد قد شاهد ما حدث. ماذا أقول؟ من المستحيل أن يكون قد شاهد ما حدث. فلن يسمح الكابيتول ببث المشهد للجمهور. لا بد من أنّ الكاميرات مُوجَّهة على ويلي أينما كانت.

"أنتِ مُحقّة. لقد خذلْتُكِ، وأنا آسف."

"آسف! ربّما من الأفضل أن تفوز أنتِ يا هايميتش ليتسنى لك وقت كافٍ ليشتدّ عودك."

ها قد عادت الشابة الأكثر لؤمًا في الكون. لكنّ كلماتها لاذعة ومؤلمة لأنها مُحقّة.

ثم أخرجت علبة السردين من الحقيبة، وانتزعت غطاءها بعنف قائلة: "سأكل العلبة كلها وحدي، فأنا من جليها". وأمسكت سمكة بيدها ووضعتها في فمها.

يا إلهي! يبدو أنّ الوضع خطير حقًا حتّى تضرب مايزيلي بآداب المائدة عرض الحائط وتأكل السردين بيديها.

تركتها تحتكر السردين لنفسها؛ مع أنّ رائحة السمك شهية، وعصافير بطني تزقزق من الجوع. لكنني خذلْتُها، وما زلتُ أحتاج إلى مساعدتها للعبور

إلى الطرف الآخر من السور. ترى، هل ستُغيّر رأيها عني إذا أخبرتها أنني فجّرتُ الخزان، وأنتي جزء من خطة تدمير ساحة القتال، أم أنني قضيتُ على سمعتي حين خذلتها منذ قليل؟ لا أدري. إنّما أمل حقًا أن تساعدني في خطّتي بعد أن تملأ بطنها بالسمك.

وبعد بضع دقائق، تلاشت أصوات الأكل. ثم رأيتُ مايزيلي من طرف عيني تمدّ لي علبة السردين، وقد تركت لي فيها ثلاث سمكات، فهزرتُ برأسي يمينًا ويسارًا. فوكّرتني بالعلبة بإصرار، غير أنني لم أصدها مجددًا؛ لأنني كنتُ أتضوّر جوعًا.

حينئذ، سألتني بنبرة مشحونة بالغضب: "هل امتنعت عن المساعدة بسبب ملصقك؟"

أظنّها تسألني عمّا إذا كنت قد قرّرتُ تجنّب مواجهة مُصممي المباريات لأنني أنوي أن أرسم ملصقًا دسمًا للكابيتول. "ليتنى أستطيع أن أقول إنّ هذا سبب ما فعلته. لا أعرف سبب عدم تدخلتي. أظنّ أنني مُبرمج على أن يُمرّغ أنفي في التراب. كنتِ مُحقّة".

"لا، لقد قسوْتُ عليك. فقد سبق لك أن أدّيت دورك خلال موكب الاستعراض مع لويلا، وعندما حصلت على علامة 1 في التدريب. وأعتقد، بل إنني مُتأكّدة من أنّك ما زلت تخطّط لشيء ما وترفض الحديث عنه". ثمّ بلّلت منديلًا ومسحت به يديها.

"لو بدأنا بالتخلّص من مُصممي المباريات قبل الدّخول إلى ساحة القتال، لحصلنا على فرصة فعلية".

فتذكّرتُ ما حدث أثناء التدريب على رمي السكاكين، والسؤال الذي طرحه عليّ بلوتارك آنذاك عن سبب خضوعنا لحكم الكابيتول. لكنني لا أستطيع أن أناقش هذا الموضوع مع مايزيلي أمام الكاميرات. لذا، لم أقل شيئًا، بل انشغلتُ بمسح آخر قطرات الزيت في العلبة وأكلها. ثم كشطتُ

المادة اللزجة عن سروالي. لحسن الحظّ، لم تكن رائحتها كريهة، ولم تحرق جلدي، ولم تتجمّد أو تتصلّب عليّ. ما يجعل هذا الأمر من أرحم التحديات التي واجهتها هنا حتى الآن.

عاد تنفّس مايزيلي إلى وتيرته الطبيعية. لكنني قرّرتُ منحها خمس دقائق إضافيّة لتستعيد قوّتها قبل أن أقترح الذهاب إلى السور. وجلستُ أراقبها وهي تمرّر أناملها على شبكة عنكبوتٍ منسوجة على شجيرة.

ثم قالت: "ما أدقّ تصميم هذه الشبكة! العناكب من أبرع الناسجين على وجه الأرض".

"لم أتوقّع منك أن تلمسي شبكة عنكبوت".

فردّت عليّ: "أنا أحب الحرير". وأخذت تحفّ الخيط بين أناملها قائلةً: "الخيط ناعم كالحرير؛ تمامًا مثل بشرة جدّتي". ثم فتحت دلّاية مُعلّقة على إحدى قلائدها وأرنتني الصورة في داخلها قائلة: "هذه جدّتي. التُقِطْتُ هذه الصورة قبل سنة من وفاتها. أليست جميلة؟"

فتأمّلتُ عينيّ جدّتها المُبتسمتين اللتين تفيضان بالشقاوة وكأُتهما تُحيكان أمرًا. وقلْتُ: "بلى. كانت امرأة طيبة. وقد كانت تدسّ لي قطعًا من الحلوى أحيانًا".

فضحكت مايزيلي: "كانت تدسّ الحلوى لأطفال آخرين أيضًا. ووبّخها والداي على فعلتها هذه أكثر من مرة". ثمّ ضمّت الدلاية بين يديها، وتأمّلت وجه جدّتها قائلة: "ما أحبّني أحد أكثر منها. لطالما تمّنت أن أشبهها حين أكبر. إنّما يبدو أنّني لن أكبر وأشيخ".

"وما أدراك؟ ما زالت لديك فرصة للفوز والنجاة".

فقالت: "لا أظنّ ذلك أبدًا. ليس بعد ما فعلته اليوم". ثمّ عصّت شفّتها وأضافت: "كلّما رأنتني جدّتي خائفة، قالت لي: "لا تخافي يا مايزيلي، لا شيء

يُؤَخِّدُ مِنْكَ يَسْتَحِقُّ الْحِفَاظَ عَلَيْهِ".

"أَعْرِفُ تِلْكَ الْأَغْنِيَةَ. فَهِيَ مِنَ الْأَغَانِيِ الَّتِي تُغْنِيهَا لِينُورُ دُوفُ".

فَقَالَتْ مَايْزِيلِي مُبْتَسِمَةً: "أَهْذِهِ حَقًّا كَلِمَاتُ أَغْنِيَةٍ؟ حَبِيبَتُكَ مَلِيئَةٌ بِالْمَفَاجِآتِ. يَبْدُو أَنَّهَا تَسْبِقُنَا جَمِيعًا بِأَشْوَاطِ".

"فِي مَاذَا؟"

فَأَجَابَتْ: "دَعُكَ مِنَ الْأَمْرِ". وَأَغْلَقَتْ الدَّلَايَةَ، ثُمَّ نَهَضَتْ عَنِ الْأَرْضِ قَائِلَةً: "هَيَّا بِنَا إِلَى سُورِكَ الْعَزِيزِ يَا سَيِّدَ آبِرْنَاثِي".

فَقَلْتُ: "حَسَنًا يَا آنَسَةَ دُونِر". وَكَسَرْتُ غَصَبًا مِنْ إِحْدَى الْأَشْجَارِ الْمَأْلُوفَةِ، وَقَلْتُ لَهَا: "أَمْسِكِي هَذَا الْغَصْنَ".

"وَمَاذَا سَأَفْعَلُ بِهِ؟"

فَأَخْرَجْتُ مَوْقِدَ اللَّحَامِ، وَأَشْعَلْتُ بِهِ الْغَصْنَ، ثُمَّ قَلْتُ لِمَايْزِيلِي وَأَنَا أَشِيرُ لَهَا بِرَأْسِي نَحْوَ السُّورِ: "أَنْتِ مَسَاعِدَتِي. سَتَحْرِقِينَ كُلَّ مَا يَهَاجِمُنَا. أَنْتِ مَسْتَعِدَّةٌ؟"

"حَسَنًا".

فَانْدَفَعْتُ رَاكِبًا إِلَى دَاخِلِ السُّورِ مَبَاشِرَةً، نَحْوَ مَوْقِعِ مَحَاوَلَتِنَا السَّابِقَةِ لِاخْتِرَاقِهِ. فَأَشْعَلْتُ مَوْقِدَ اللَّحَامِ، وَمَرَّرْتَهُ عَلَى شَجِيرَاتِ السُّورِ فِي خَطِّ مَسْتَقِيمٍ مِنْ مَسْتَوَى كَتْفِي إِلَى الْأَرْضِ. وَسَرَعَانَ مَا اشْتَعَلَتِ الشَّجِيرَاتُ، وَبَدَأَتِ الدَّعَاسِيْقُ تَتَهَافَتُ عَلَيْنَا. فَتَقَدَّمَتِ مَايْزِيلِي نَحْوَهَا وَهِيَ تَلَوُّحُ بِالْغَصْنِ الْمَشْتَعَلِ، وَصَارَتِ الدَّعَاسِيْقُ تَحْتَرِقُ وَتَنْتَفِخُ ثُمَّ تَنْفَجِرُ فِي الْهَوَاءِ كَحَبَّاتِ الذَّرَّةِ فِي الزَّيْتِ الْحَارِّ. مَرَّرْتُ مَوْقِدَ اللَّحَامِ فِي خَطِّ مَسْتَقِيمٍ آخَرَ لِأَوَّلِ، عَلَى بَعْضِ أَقْدَامِ إِلَى الْيَمِينِ، فَانْدَفَعْنَا نَحْنَا الْمَزِيدُ مِنَ الدَّعَاسِيْقِ، وَأَخَذَتْ مَايْزِيلِي تَلَوُّحُ بِالْغَصْنِ الْمَشْتَعَلِ عَلَى الْحَشْرَاتِ وَتَغْنِي وَهِيَ تَبِيدُهَا:

دعسوقة يا دعسوقة، عودي إلى البيت،

فالبيت يحترق وأطفالك هلكوا،

كلّهم هلكوا إلا واحدًا اسمه عاصي

ما زال يختبئ تحت المقلاة من النيران.

فرافقتها في الغناء، وأنا أمّر موقد اللحم على السور يمينًا ويسارًا
لأشقّ بابًا فيه. فاحت رائحة الحشرات المحروقة والمواد الكيميائية والسكر
المحترق، وتعالى صوت احتراقها مع إيقاع أغنيتنا. كان السور يبعث حرارة
خانقة لا تُحتمل، لكننا واصلنا العمل لشقّ نفقٍ فيه. وبعد أن تقدّمنا بضعة أمتار،
بدأت أشعة الشمس تتسرّب إلينا من بين الأغصان.

فصرختُ لمايزيلي: "بقي القليل!"

بدأ لسان اللهب يضعف ويخفت، فضغطتُ على الزناد بقوة إلى أن
تحوّلت آخر مجموعة من الأوراق الشائكة التي تعيق طريقي إلى رماد. ثم
رميتُ موقد اللحم الفارغ على الأرض، وعبرتُ إلى الطرف الآخر من السور،
وإذا به أرض قاحلة مستوية على حافة منحدر. خرجت مايزيلي من السور،
ووقفت إلى جانبي مُلوّحة بالغصن المُشتعل، ثم رمته داخل النفق لتحرق ما
تبقي من الدعاسيق، وأخذت تربيّت على قميصها لإطفاء الشرر.

وسألتنني: "هل وصلنا إلى النهاية؟"

فتقدّمتُ نحو الحافة، واثّض لي أنّ المنحدر هو في الواقع هاوية عميقة
تبلغ حوالي مئة قدم، قاعها مفروش بصخور حادّة كالأنياب. وفي وسط

الصخور ماكينه ضخمة، تخرّ خرخرة هادئة كقطة سعيدة. هذا مُولّد الكهرباء؛ ها هو ذا أمامي لكنه بعيد المنال.

فتنهّدُ قائلاً: "نعم، هذه نهاية الطريق".

انضممت إليّ مايزيلي عند حافة الهاوية، وأخذت تتأملها، ثم قالت: "لا شيء نستفيد منه هنا يا هايميتش! فلنعد أدراجنا".

أوصلتنا خطتي الأخيرة كسابقتيها إلى طريق مَسدود. ولم أستغرب؟ ستفشل الخطة بالتأكيد. غمرني شعور بالعجز بسبب عبثية مباريات الجوع، والخطتين الفاشلتين، والحياة نفسها. لا بدّ من وجود طريقة أخرى لتدمير ساحة القتال، لكنّ رأسي الآن مشوّش وعاجز عن التفكير في تلك الأمور.

لا يخطر في بالي حاليًا إلا أن أرفض العودة إلى الطرف الآخر من السور على سبيل التمرّد. فمايزيلي مُخطئة: ليست هذه الرقعة من الأرض جزءًا من ساحة القتال؛ فلا شيء فيها يمت إلى الجمال بصلة. إذا أراد مُصمّمو المباريات أن يقتلوني، فسيتعيّن عليهم أن يلحقوا بي إلى هذه الرقعة من العالم الحقيقي، وهذا بحد ذاته يُعدُّ انتصارًا صغيرًا؛ لأنني سأكون قد فقتهم ذكاءً. كما أنّ الهواء هنا نقي، والشمس في مكانها الطبيعي. لن أعود إلى قفصهم السام.

فقلتُ لمايزيلي: "سأبقى هنا".

وخيم الصمت بيننا، ثمّ قالت: "حسنًا، لم يبق سوى خمسة مجالدين. لذا، سأودّعك الآن وأذهب في سبيلي، فأنا لا أريد أن نضطر إلى مواجهة بعضنا بعضًا في نهاية المباريات".

ولا أنا. كما أنني لا أظن أنني سأكون عوًّا مُفيدًا لمايزيلي أو ويلي. فكلُّ حلفائي ماتوا، فيما بقي مُصمّمو المباريات في أمان، لا تطالهم طائلة. لذا، قلتُ لمايزيلي: "حسنًا".

سمعتُ وقع خطواتها المتباعدة وهي تتجه نحو السور.

ثم ضرب المدفع، فالتفتُّ نحو مايزيلي بأسرع ما يمكن، والتفتت هي الأخرى نحوي أيضًا. فقد ظنَّ كلُّ منَّا أنَّ المدفع صُرب لإعلان وفاة الآخر، وارتسمت على وجهينا علامات الألم والقلق بوضوح.

فقالت مايزيلي وهي تبتلع ريقها بتوتُّر: "بقي أربعة مجالدين فقط".

بدت مُحترارة وضائعة، ورؤيتها في هذه الحال كان لها أثر ساحق فيَّ. ربّما من الأفضل أن نبقى معًا. كيف لي أن أعرف ما الأفضل؟ أشعرُ أنني لا أنفك أأخذ قرارات سيئة؛ لدرجة أنني لا أثق بنفسي لاختيار ما إذا كنتُ أرغب في تناول البيض المقلي أو المسلوق. فكيف يمكن للمرء أن يتخذ قرارات سليمة في ظل موت أربعة وأربعين مجالدًا إلى جانب لولو ووُدباين؟

فسألتها: "هل أنتِ واثقة من أنكِ تريدين أن يذهب كلُّ منَّا في سبيله؟"

إنّها ليست مُتأكّدة ممّا تريد فعله؛ فأنا أرى على وجهها الحيرة ذاتها التي تسكنني. إذ لا توجد تعليمات واضحة لما ينبغي فعله في موقفٍ كهذا، ولا استراتيجية عبقرية نلجأ إليها.

فقالت: "كل ما أعرفه هو أنني لا أريد أن يسرق أحد البطاطا التي معنا. سأجلبها، ثم سنُفكّر في خياراتنا، ما رأيك؟"

فرفعتُ يديّ مُستسلمًا وقلت: "بما أنَّ البطاطا دخلت في المعادلة، فلا مجال للاعتراض."

واختفت مايزيلي وراء السور، فمشيتُ بمحاذاة حافة الهاوية، وأنا أفكر في طريقة للنزول إلى المولد. فجأة، اصطدمت قدمي من دون قصد بحصاة حمراء؛ فتدحرجت الحصاة، وسقطت في الهاوية. ركزتُ سمعي عليها لأحتسب الوقت الذي تستغرقه للارتطام بالقاع. يبدو أنّها ما زالت تسقط. الهاوية عميقة جدًّا، ولن أتمكن من النزول. فابتعدتُ عن الحافة، وجلستُ على الأرض غارقًا في اليأس بعد فشل خطة أخرى من خططي. وإذا بالحصاة تطير فوق الحافة فجأة، وتحطُّ على الأرض بجواري.

حدقتُ إليها مُتفاجئًا من عودتها. أستبعد أن يكون أحد ما قد رماها إليّ من الأسفل. فنهضتُ، والتقطتُ حجرًا ورميته على المولد، مُتتبعًا مسار سقوطه. وإذا بالحجر يصل إلى بضعة أمتار من الهدف، ثم يرتد فجأة إلى الأعلى عائدًا من حيث أتى، ويحطُّ في يدي. يبدو أنّه ازداد سخونة. لا بدّ من وجود حقل قوّة حول المولد لحمايته من العوامل الطبيعية والحيوانات والمجالدين الأشقياء. ويبدو أنّ إنشاء حقل قوّة أسهل على الكابيتول من فرد غطاء كبير من القماش المشمع فوقه. فليس من المُستبعد أن يحاول مجالد مُتمرد تخريب المولد، إنّما لا أظن أنّه سيصل إلى هذه الرقعة المخفية. مهلاً، ولمَ لا؟ فهذا أنا قد نجحتُ في ذلك، إلّا أنني حتى لو أسقطتُ صخرة ضخمة في الهاوية، فلن أصيب المولد.

بصراحة، حظي سيئ لدرجة أنّني لم أتمالك نفسي من الضحك.

وما إن بدأتُ أضحك، حتّى سمعتُ مايزيلي تصرخ وتصيح. فنهضتُ بسرعة، وركضتُ في نفق السور العابق بالدخان، ثم لمحتُ بقعًا وردية زاهية في الطرف الآخر، وسمعتُ أصوات زبيط تشبه صوت إوز لينور دوف. فهَيَّأتُ فأسِي وأنا خارج من بين شجيرات البهشيّة، واستعددتُ للمواجهة، ثمّ وجدتُ نفسي وسط بحر من الريش.

ذُكِّرْتَنِي عَشْرَاتِ الطَّيُورِ الْمَائِيَةِ الْمُسْتَنْفِرَةِ بِتِلْكَ الَّتِي كُنْتُ أَصَادِفُهَا عِنْدَ الْبَحِيرَةِ. فَقَدْ كَانَتْ سَيِقَانَهَا طَوِيلَةً، وَمَنَاقِيرُهَا رَفِيعَةً وَحَادَّةً فَتَاكَةً كَنْصَلِ السَّيْفِ. وَلَمْ يَكُنْ لَوْنُهَا رَمَادِيًّا مَائِلًا إِلَى الزَّرْقَةِ وَلَا أَبْيَضَ، بَلْ كَانَ وَرْدِيًّا فَاتِحًا كَلَوْنِ الْعَلَكَةِ الَّتِي تُبَاعُ فِي مَتَجَرِّ عَائِلَةِ دُونِر. وَكَانَتْ تَنْقُضُ بِإِصْرَارٍ عَلَى مَايْزِيلِي الَّتِي اخْتَبَأَتْ تَحْتَ قِطْعَةِ الْقِمَاشِ الْمَشْمُوعِ، وَأَخَذَتْ تَلَوِّحُ بِسَكِينِهَا لِتَحْمِي نَفْسِهَا، فَأَرَدَتْ بِضَعَةِ طَيُورٍ قَتِيلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ. لَكِنَّ الطَّيُورَ سَدَّدَتْ لَهَا ضَرْبَاتٍ مَوْجَعَةً أَيْضًا، فَسَالَ الدَّمُ مِنْ وَجْتِئِهَا وَصَدْرِهَا وَكَفَّهَا. وَكَمَا السَّنَجَابُ الَّتِي التَّهَمْتُ آمْبِيرَتَ، لَمْ تَبْدِ طَيُورَ الْإَوْزِ أَيَّ اهْتِمَامٍ بِي؛ فَهِيَ مُبْرَمَجَةٌ لِلْهَجُومِ عَلَى مَايْزِيلِي فَقَطْ، وَمُعَاقِبَتِهَا بِقَسْوَةٍ. رَحْتُ أَلْوَحَ بِفَأْسِي وَأَضْرَبْتُهَا بِكُلِّ مَا أُوتِيتُ بِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ، فَتَكَوَّمَتْ حَوْلِي أَجْنَحَةٌ وَرْدِيَّةٌ وَسَيْقَانٌ تَشْبَهُ قَصَبَ الْخِيْزْرَانِ؛ لَكِنَّ الطَّيُورَ تَفُوقْنَا عَدَدًا بِأَشْوَابٍ.

وَإِذْ بِأَحَدِهَا يَنْقُضُ فَجْأَةً عَلَى مَايْزِيلِي، وَيَغْرَسُ مَنْقَارَهُ فِي حَلْقِهَا. وَمَا إِنْ سَحَبَهُ وَتَرَاوَجَ، حَتَّى قَطَعَتْ عُنُقَهُ النَّحِيلَ بِضَرْبَةٍ قَاضِيَةٍ. ثُمَّ تَفَرَّقَ سَرَبُ الْإَوْزِ وَغَادَرَ، فَعَرَفْتُ أَنَّ لَا أَمَلَ فِي مَحَاوَلَةِ إِنْقَازِ مَايْزِيلِي. فَجَثَوْتُ إِلَى جَانِبِهَا، وَأَمْسَكْتُ يَدَهَا السَّلِيمَةَ، فَأَحْكَمْتُ قَبْضَتَهَا وَشَدَّدْتُ عَلَى يَدِي، وَوَضَعْتُ يَدَهَا الْمَجْرُوحَةَ عَلَى قَلَائِدِهَا الَّتِي صَارَتْ تَرْقُدُ فِي بَرَكَةِ مِنَ الدَّمِ. حَاوَلْتُ أَنْ تَتَكَلَّمْ، لَكِنَّ ذَاكَ الطَّائِرَ اللَّعِينِ سَرَقَ صَوْتَهَا بِمَنْقَارِهِ الْخَبِيثِ، فَمَا صَدَرَ مِنْهَا سَوَى أَنْفَاسٍ مُتَقَطَّعَةٍ مَبْحُوحَةٍ. وَيَبْدُو أَنَّ صَوْتِي أَنَا أَيْضًا قَدْ بُحَّ، فَلَمْ تُسْعِفْنِي الْكَلِمَاتُ لِمَوَاسَاةِ مَايْزِيلِي أَوْ الْإِعْتِذَارِ مِنْهَا أَوْ تَشْجِيعِهَا عَلَى الصُّمُودِ. فَنَظَرْتُ إِلَى عَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوِينِ الصَّافِيَتَيْنِ لِتَعْرِفَ أَنَّهَا لَنْ تَمُوتَ وَحْدَهَا، بَلْ فِي أَحْضَانِ أَخِيهَا... فِي أَحْضَانِي أَنَا.

وَقَبْلَ أَنْ تَلْفِظَ أَنْفَاسَهَا الْأَخِيرَةَ، أَرَخْتُ قَبْضَتَهَا عَلَى يَدِي، ثُمَّ شَبَكْتُ خَنْصَرَهَا بِخَنْصَرِي لِلتَّأْكِيدِ عَلَى الْوَعْدِ الَّذِي قَطَعْنَاهُ لِبَعْضِنَا. فَأَوْمَأْتُ لَهَا بِرَأْسِي، لِأَطْمَئِنِّهَا إِلَى أَنَّهَا فَهَمْتُ قَصْدَهَا، وَأَنَّي سَأَبْذُلُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِي لِهَزِيمَةِ الْكَابِتُولِ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ شَعَرْتُ بِمِثْلِ هَذَا الْعِجْزِ فِي حَيَاتِي.

ثم ماتت.

لم تنكسر، ولم تتوسل، ولم تُبِ ضعفاً، بل ظلّت مُتمسكة بغضبها وتمرّدها حتى الرمق الأخير. ومع أنّي شخصياً لا أرى في ضعف الإنسان في لحظاته الأخيرة مقياساً لحياته وقيّمته وشأنه، إلّا أنّني أعرف أنّ مايزيلي أرادت أن تموت مرفوعة الرأس. وبالفعل، فارقت هذه الحياة كما أرادت؛ مجروحة وإثماً غير مُنكسرة. فكّرتُ في تنظيف جراحها، وإزالة آثار الدماء عنها، لكنّ هذه الإطالة ملصقها الأخير. لذا، سأتركها على حالها، ولن أجمل المشهد؛ حتى تسكن صورة مايزيلي أحلام وحوش الكابيتول الليلة.

ثمّ حامت الطائرة فوقنا، وضرب المدفع مُعلناً وفاة مايزيلي. فأخذتُ قاذفة السهام من يدها، وإحدى قلائدها من عنقها- تلك التي عليها ميدالية نحاسية على شكل زهرة- لأحمل معي تذكّراً منها يدلّ على قوّتها.

تحدّرت مشاعري وأطرافي، فتراجعتُ إلى الوراء بضع أقدام، واتكأْتُ على جذع شجرة، ثمّ ضممتُ قلادة مايزيلي إلى صدري. وحين أدرك الطيّار أنّي باقي في مكاني، أنزل المخلب المعدني. وتصوّرتُ المشهد الذي ستلتقطه الكاميرات: وجهي المُنهار الظاهر وراء المخلب وهو يرفع جثة مايزيلي إلى السماء، ويتركني وحدي في وحدة مُظلمة.

لو هاجمني كائن مُعدّل جينياً الآن لما قاتلتُ، ولاستسلمت له وتركته يقضي عليّ. أعرف أنّي قطعْتُ منذ لحظات وعدّاً على مايزيلي وهي على فراش الموت بأن أوصل القتال، لكنني لا أستطيع أن أستجمع نفسي. مسحْتُ الدّماء عن قلايدها بسروالي لتنظيفها- هذا الزيّ الأسود نعمة حقيقية- ثمّ ربطتها حول عنقي لتنضمّ إلى رفيقاتها، فصارت عندي مجموعتي الخاصة من الحلّي: إذ معي قلادة دوّار الشمس من المقاطعة التاسعة، وعملة وايات النقدية، وقداحة الصوّان من لينور دوف، وزهرة مايزيلي النحاسية. حتى إنّ مجموعتي تكاد توازي مجموعة الأنسة دونر نفسها.

يبدو أنّ قاذفة السهام فيها سهم واحد. ياه، كان عليّ أن آخذ صرّة السهام وقارورة السم من مايزيلي. لقد فاتتني الفرصة. لا بأس، ما زال معي سهم واحد. لكنّ حمل سهم مُسمّم بالقرب من وجهي أثار قلقي، فأخرجته من القاذفة، وربطته بحزامي باستخدام نبتة مُتعرّشة.

وداعًا يا مايزيلي دونر، أيتها الشابة التي كنتُ أكرهها، ثمّ احترمتها، ثم أحببْتُها بحقّ! لا كحبيبة، ولا حتى كصديقة، بل كأخت. لكن، ما الأخت؟ وفكّرْتُ في كل ما خضناه معًا؛ بدءًا بمناوشاتنا في الأيام الأولى بعد الحصاد، ووصولًا إلى قتالنا جنبًا إلى جنب ضد تلك الطيور الوردية، وحصلتُ على الجواب: الأخت شخص تتشاجر معه... وتحارب من أجله حتّى الرمق الأخير.

ثمّ لمحتُ مظلة تتراقص بين الأشجار وتحطّ أمامي. آمل ألاّ تحتوي السلة المربوطة بها على حساء الفاصولياء واللحم، فأنا لا أظنني قادرًا على أكل هذا الحساء الآن. وحين فتحتُ السلة، وجدتُ فيها حاويتين مُغطّاتين: وعاء مليء بالمثلجات بنكهة الفراولة- أظنّ أنّ لهذه المثلجات دلالة ما- لكنني لا أذكر ما هي، وكوب من القهوة الساخنة. هذا مشروب مايزيلي المُفضّل، فارتشفتُ رشفة وحرقتُ لساني، ثم ارتشفتُ رشفة أخرى.

لقد تذكّرتُ قصّة المثلجات! عندما كنّا في مطبخ الشقّة المُخصّصة لمجالدي مقاطعتنا في الكابيتول، وكانت بروسربينا قلقة بشأن علامتها الدراسية، قالت لها إيفي إنّ التفاؤل أقوى سلاح. أمّا مايزيلي... فقالت...

"سأتذكّر هذه النصيحة في ساحة القتال. هل ترغبين في المزيد من المثلجات؟"

أذكرُ أنني وماعز حاولنا حينها أن نكتم ضحكتنا؛ لأنّ بروسربينا ليست شخصًا شرييرًا، وإثما عليها أن تتخلّى عمّا ورثته عن الكابيتول من أفكار مغلّوطة لترى الأمور على حقيقتها. لكن، ما الرسالة التي تحاول ماعز أن توصلها لي الآن؟ هل تدعوني إلى التفاؤل، أو تحاول أن تذكّرني بردود مايزيلي

الجريئة؟ هل أرادت ببساطة أن تُرسِل لي وعاءً لذيذًا من المثلجات؟ أظنُّ أنّ الجواب هو كل ما سبق. تناولتُ الملعقة، وأكلتُ بعض المثلجات، فانهمرت الدموع على وجهي. لم أقاومها أو أحاول إخفاءها، بل تركتها تسيل بحرّية وأنا أُفرغ الوعاء بالكامل. فلا بأس بالبكاء أمام ما عُرّ.

دنت شمس الغروب من الأفق شيئًا فشيئًا، وأنا أرتشف قهوتي الفاترة التي ساعدتني على تصفية ذهني. لقد ذهبت مايزيلي، ولم تعد بحاجة إلى حمايتي. ومن الأفضل أن أعود إلى حافة الهاوية لأرسم ملصقي الأخير. قرّرتُ أن أجمع كل المؤن والأغراض في حقيبة مايزيلي، فوضعتُ فيها نصف "غالون" الماء المُتبقي، ووعاء المثلجات الذي صار يحتوي على حبّي البطاطا. وفيما كنتُ أوصّب المناديل الاحتياطية، لاحظتُ شقًّا في بطانة الحقيبة، فأدخلتُ أصابعي في البطانة، ووجدتُ فيها كيسًا بلاستيكيًا كثير النتوءات. ياه، لقد نسيتُ أنّني أعطيتُ مايزيلي عدّة تحويل البطاطا إلى بطارية. أظنّها أبقت أمر الكيس سرًّا، ولم تُفصح عنه حين جردنا أغراضنا؛ لأنّ محتوياته مُهرّبة ومُخالفة لقوانين المباريات. لكنني لا أظنُّ أنّ أحدًا سيكتثر لأننا هربنا بعض الأسلاك والعملات والمسامير إلى ساحة القتال. ففي هذا الأمر مخالفة تافهة بعد حادثة تفجير خزان الماء، ومقتل ثلاثة مُصممي مباريات.

ثمّ وجدّني أفكّر في مُصممي المباريات الذين صادفناهم. إذ لم يكن أيّ منهم كبيرًا في السن، حتى إنّني أظنُّ أنّ الشاب الذي كان يحمل الممسحة في أوائل العشرينات. هل تألّموا وهم يموتون؟ هل يبكيهم أهلهم وأصدقائهم وجيرانهم كما نفعل نحن في المقاطعات حين نخسر أحبّاءنا؟ وهل سيخبرهم الكابيتول الحقيقة الكامنة وراء موت أحبائهم؟ أو سيفبرك حادّنا مُفتعلًا لإخفاء فشله وقلة كفاءته؟ لن يستطيع الكابيتول التملّص من تلك الحادثة باستبدال مُصممي المباريات الثلاثة بأشخاص يشبهونهم.

علا صوت النشيد الظالم المُغمّ في ساحة القتال، وأنا أخبئ حقيقتي الخضراء بين مجموعة من الشجيرات. ثم ظهرت صورة ماريتي، تليها صورة

مايزيلي في السماء. لا يبدو موتهما عشوائيًا أو وليد الصدفة. فقد أقصاهما الكابيتول بسرعة وسلاسة لمعاقبتهما على قتلها مُصممي المباريات، وكافأني وسيلكا على امتناعنا عن المشاركة في تلك الحادثة؛ بمنحنا بضع ساعات إضافية من الحياة.

وماذا عن ويلي؟ غابت عن فكري، ولم أولها اهتمامًا كافيًا؛ لكنها ما زالت صامدة في مكان ما. وقد أشارت مايزيلي مرّة إلى أنّ ويلي قادرة على مواصلة المعركة ضد الكابيتول من بعدنا في حال لم ننحُ نحن؛ فتذكّرتُ كم كانت ويلي رزينة ولبقة خلال مقابلتها المتلفزة مع سيزار. ولو فازت هي، فستكون أذكى وأجدر بالدفاع عن حقوق المقاطعات من وغدٍ مغرورٍ وشقيٍّ وأنابيّ مثلي، حتى لو كانت عندي فرصة ضئيلة للفوز؛ مع أنّ فوزي ليس مُمكنًا بعد كل ما حصل. أهذا ما عليّ فعله؟ هل يجدر بي أن أكّرس ساعاتي الأخيرة لمساعدة ويلي وحمائتها من سيلكا والكائنات المعدلة جينيًا حرصًا على أن تتوّج هي الفائزة؟ نعم. أنا واثق من أنّ مايزيلي كانت سترغب في ذلك لو عرفت كل ما أعرفه.

إذا أردتُ أن أحمي ويلي فعليّ أن أجدها أوّلاً. وأنا، بصراحة، لا أرى أمامي سوى طريقة واحدة للعثور عليها. ولا أمانع مصادفة سيلكا أثناء البحث. ففي أسوأ حال، سأطلق عليها السهم المُسمّم.

فبدأتُ أصرخ وأصيح: "ويلي! يا ويلي!"

وانّجھتُ جنوبًا نحو المرج على ضوء أشعة شمس الغروب المُتلاشية في الأفق. لم أشعر بالوحدة في أيامي الأولى في ساحة القتال، لكنني أشعر الآن بأنّ المكان موحش من دون مايزيلي. فبعد أن شكّلنا فريقًا وقضينا أوقاتنا معًا، اعتدتُ على رفقتها. والآن في غيابها، صارت الظلمة تخيفني وتُطبق على صدري.

"ويلي!"

أشعر وكأنني آخر شخص حي في هذا العالم، واقترابي من الموت يزيد الأمر سوءًا. لذا، لجأتُ إلى لينور دوف في ذهني لتواسيني. فأنا مُتأكد من أنها تشاهد ساعاتي الأخيرة لحظةً بلحظةً على شاشة التلفاز. وأظنُّ أنّ لموتي أثرًا أقوى فيها؛ لأنها ستشاهد ما يحدث لي وهي عاجزة عن مساعدتي وإنقاذي. وحين تخيلتها مُتسمرةً أمام شاشة التلفاز لمتابعتي، أردتُ أن أتحدى بالشجاعة من أجلها... أو أقله أن أتظاهر بالشجاعة. "ويلي! أين أنتِ يا ويلي؟ أنا هايميتش!" أمل أن تبقى لينور دوف على تواصل مع سيّد بعد رحيلي، وأن تواصل تعليمه أسماء النجوم وخبايا العالم، وأن تتأكد من ألاّ يصبح...

ما هذا؟

سمعتُ صوتًا غريبًا ورائي قطع حبل أفكارِي. هذا الصوت دخيل على سيمفونية الليل المعتادة في الغابة. فوقفتُ ساكنًا، وأنصتُ بانتباه.

تيرن، تيرن!

ها هو مجددًا. ليس صوتًا من أصوات الطبيعة، بل من صنع البشر... وهو، على وجه التحديد، صوت احتكاك المعدن بالمعدن. أعرف هذا الصوت، فهو يذكّرني بيوم صيفي من طفولتي؛ حينما كنتُ غلامًا عنده وفرة من أوقات الفراغ. ذاك اليوم، كنتُ أَلعب مع لينور دوف وبلير وبوردوك وبعض أطفال عائلة ماكوي لعبة "شرطي حرامي" في حقل، وعثرنا على دراجة أحد جنود حفظ الأمن مخبأة بين شجيرات العليق إلى جانب الطريق. إذ إنّهم يستعملون الدراجات أحيانًا للتنقل أو لإيصال الرسائل أو للقيام بمهامّ يومية أخرى. وبدا لنا أنّ أحدهم كان على عجلة من أمره، فتركها بين الشجيرات وكان ينوي العودة لأخذها. لكنها صارت لنا... أقله إلى أن يعود.

كانت الدراجات رفاهية نادرة في المقاطعة الثانية عشرة، لا ينعم بها سوى بعض أطفال التجار. وأذكر أنّ مايزيلي وميريلي كانتا تملكان درّاجتين ورديتين مُتطابقتين، وكانتا تنزّهان عليهما أحيانًا في الساحة، وتُثيران نار

الحسد والغيرة في القلوب. فقد كان كل أطفال السيم يحلمون باقتناء دراجة، لكنها كانت حلمًا بعيد المنال. لذا، عندما عثرنا على دراجة لامعة ومهجورة، شعرنا بالغبطة والفرح والحماسة؛ كما تتحمس القطط عندما ترى النعناع البري، وأقسمنا على إبقاء الأمر سرًّا، وتناوبنا على حراسة الدراجة، وتعلّمنا جميعًا ركوبها على مدار أسبوع كامل. كانت الدراجة رائعة، ومُصمّمة بإتقان، ومُزوّدة بمكابح على المقود، وجرس فضيّ لامع نرّته لإعلان وصولنا. كان ركوبها ممتعًا حقًّا. ثم اختفت الدراجة فجأة، فافتراضنا أنّ الجندي أخذها. فهي لم تكن مُلكًا لنا.

تِرن، تِرن!

أنا مُتأكد من أنّ هذا الصوت صادر من جرس درّاجة؛ الجرس الذي علّقته مايزيلي بقلادة مصفورة، وألبسته لويلي في صالة التدريب. يبدو أنّها سمعت نداءي، وهذا ردّها. فتحلّيتُ بالصمت، وتتبعْتُ مصدر الصوت، فقادني باتجاه الشمال من جديد، وشعرتُ كأنّني أتقّى آثار خطواتي، وأعود أدراجي إلى المكان الذي ماتت فيه مايزيلي.

تِرن، تِرن!

توقّفتُ عند شجرة ضخمة، وسمعتُ رنين جرس خافتًا يصدر من بين أغصانها. فقلّتُ: "لا تخافي يا ويلي، أنا هنا. يمكنك أن تنزلي من عندك". وانتظرتُ قليلًا، إنّما لم أحصل على أي جواب، ولم أسمع خشخشة أغصان، ولا حفيف أوراق. لا حسّ ولا خبر من حليفتي. فتابعْتُ: "ويلي، هل هذه أنتِ؟" مَنْ غيرها؟ لم يبقَ أحد آخر في ساحة القتال سوى سيلكا. لكنّني لا أظنّها قادرة على تسلّق شجرة بهذا الارتفاع. فحسب تقديراتي، إنّ الجرس في أعالي

الشجرة. ولو صادقت سيلكا وبلي واستطاعت أن تسرق منها تذكراها، لرأيتُ صورة يمامة أخرى في السماء. عندئذٍ، تسلّقتُ الشجرة.

وبعد أن تسلّقتُ كثيرًا، ووصلت إلى علوِّ شاهقٍ، بدأتُ أشكُّ في أنني على الشجرة الخاطئة. وكلّما علوتُ، لانت الأغصان وصغرت أكثر فأكثر، حتى صار عليّ أن أثبت قدمي على جذع الشجرة كيلا تنكسر من جرّاء ثقلي. كانت وبلي هادئة وساكنة، لدرجة أنني كدتُ ألا أراها مُستلقيةً على بطنها على غصنٍ لين رفيع. ورأيتُ جرسها يطلُّ من تحت ذقنها، وسكينًا صغيرًا منمنمًا في إحدى يديها.

"مرحبًا يا وبلي".

تحركت شفّتها المُتشقّقتان بصعوبة، إنّما لم يصدر صوتها. ثمّ لمحتُ في عينيها نظرة شاردة مألوفة، أعرفها جيدًا من الأوقات الصعبة التي مررنا بها في السيم. يبدو أنّ وبلي من ضحايا سلاح الكابيتول المُفصّل: الجوع. عليّ أن أنزلها عن الشجرة قبل أن تسقط من هذا العلو، كما عليّ أن أعطيها بعض الطعام في أسرع وقت. لكنّها هزيلة وضعيفة، ولا أعرف كيف سأنجح في إنزالها من هنا، خصوصًا في ظلّمة الليل. لذا، أعطيتها رشفة ماء من "الغالون"، غير أنّ الماء سال من طرف فمها. لا أظنُّ أنّها ستتمكّن من أكل البطاطا.

فجرّبتُ أن أسقيها بعض الماء مرّة أخرى راجيًا: "حاولي أن تشربي يا وبلي". فشربت بضع رشفات، ثمّ أغمضت عينيها.

توارى القمر وراء غيمة، فغمرنا الظلام، فعانقتُ جذع الشجرة لأثبّت نفسي في مكاني إلى أن ينير ضوء القمر الخفيف ساحة القتال من جديد. أشعر أنّ كثافة الهواء آخذة في الارتفاع. هل يخطط مُصمّمو المباريات لهبوب عاصفة مطيرة؟ ترعبني فكرة البقاء على هذا العلوّ في هذه الظلمة الدامسة، فيما المطر يبلل الأغصان ويجعلها زلقة. إنّما لا يمكنني أن أترك وبلي وحدها.

أستطيع أن أشعل نارًا بقداحتي. لكن، كيف سأشعل نارًا هنا؟ بحثتُ في حقيبة مايزيلي عن شيء يمكن استخدامه كوقود، فإذا بي أعثر على عدّة تحويل البطاطا إلى بطارية. أنا أستطيع أن أنتج نورًا بنفسني من الناحية النظرية. وحتى لو كان النور خافتًا فسيبَدُّ بعضًا من هذه الظلمة، وسيجلب لنا راحة البال والطمأنينة.

وإذ بالرعد يُدوي في السماء ويدفعني إلى محاولة صناعة بطارية. فحشرتُ نفسي بين الجذع وأحد الغصون بوضعية غير مريحة، واستخدمتُ الحقيبة كطاولة. أذكر أنّ بيتي قال لي ألا آكل البطاطا التي أستخدمها لصنع بطارية. لذا لم أستخدم إلا إحدى الحبتين اللتين معي، واحتفظتُ بالأخرى لأطعمها لويلي على الفطور. فقطعتُ حبة البطاطا إلى نصفين، وأخرجتُ العملتين والمسامير ولفافة الأسلاك من الكيس البلاستيكي، وحاولتُ أن أطبق ما علّمني إياه بيتي. عليّ أن أُلّف عملتين نحاسيتين ومسمارين مصنوعين من الزنك بالأسلاك، وأن أغرس مسمارًا وعملة في كل نصف من البطاطا؛ تاركًا ذيلًا من الأسلاك خارجها. استغرق الأمر مني بعض الوقت؛ لأنني كنتُ أعمل في الظلمة. ثمّ أفلتتُ إحدى العملتين النقديتين من بين أصابعي وسقطت على أرض الغابة، فمررتُ بلحظة عصيبة، وكنتُ على وشك الاستسلام، إلى أن تذكّرتُ ميدالية مايزيلي النحاسية، فحرّرتها من القلادة. وبعد عدد من المحاولات الفاشلة، نجحتُ في وصل السلك الأخير بمصباح صغير، وحصلتُ على نورٍ خافتٍ. لو كانت ساحة القتال في وضعها الطبيعي، لما استفدنا من هذا الوميض الباهت بشيء، لكنّه في كنف العتمة الحالية، كان شعلة أمل ونبض حياة. ففتحتُ ويلي عينيها، وأخذت تحدّق إليه، ثم أطلقت تنهيدة خفيفة تنم عن ارتياح.

تساقطت قطرات المطر الأولى مُتراقصة على أوراق الشجر، فيما كنتُ أبحث عن مكان مناسب وقريب لأعلّق عليه السرير القماشي، إنّما لم يبدُ لي أنّ الأغصان متينة وقادرة على حمل وزنٍ. لذا، قرّرتُ أن أعلّق قطعة قماش

مشمّع فوق ويلي لأحميها من البلل، ثم لفتّها بلحاف مايزيلي لأدْفئها، وقطعتُ بعض الشرائط من القماش، وربطتُ ساقِي ويلي وخصرها بالغصن لأثبتها عليه. لا أعتقد أنّها لاحظت ما أفعله، فما زالت شاردة في ضوء المصباح الخافت.

لن أحركها من مكانها قبل أن يحلّ الصباح. ثمّ علّقتُ غطاءً ثانيًا في الأغصان، وقصصتُ بعض الشرائط لنفسِي. أغدقت السماء علينا بوابل من المطر بعض الوقت، ثم تحوّل المطر تدريجيًا إلى رذاذ، وبدأت الغيوم تنقشع أخيرًا. كنتُ شبه نائم حين سمعتُ صوتًا من الغصن فوقِي. لقد حطّت عليه مظلة مربوطة بكوب من كريمة البودينغ الساخنة بنكهة الفانيليا، وكيس صغير فيه كرات الشوكولاتة الملفوفة بأغلفة ورقية لامعة ومُزخرفة.

ما زال في الكابيتول من يملك ذرة من الإنسانية.

فرُحْتُ ألّقم ويلي البودينغ لقمة برفق وصبر. ومع أنّ نصف اللّقم سألت من طرف فمها، إلّا أنّ النصف الآخر وجد طريقه إلى بطنها. ثمّ قسمتُ كرة من الشوكولاتة إلى نصفين بأسناني، ووضعتُ قطعة في فمها. فلعقتُ شفّتيها مُتلدّذة بالطعم الحلو.

وسمحتُ لنفسِي بتناول كرة أو كرتين. فالشوكولاتة سلعة باهظة الثمن في السيم، وهي تُخصّص عادة للاحتفال بالميلاد أو المناسبات الخاصة. وكانت تلك الكرات مصنوعة من أفرح أنواع الشوكولاتة، وطعمها غني وحلو قشدي. لن أعترض لو كتب لي أن تكون هذه الشوكولاتة آخر وجبة أكلها في حياتي.

نفضتُ ماء المطر عن قطعة القماش المشمّع لأستخدمها كلحاف. وفيما كنتُ أغطّ في النوم، سمعتُ بكاءً، فمددتُ يدي لأواسي ويلي، لكنها كانت مُستغرقة في النوم. يبدو أنّ البكاء يأتي من أسفل الشجرة. هل هذه سيلكا؟ ومن غيرها؟ فنحن آخر ثلاثة مجالدين في ساحة القتال. لم تكن تحاول أن تصل إلينا وتؤذينا، بل جلست باكية عند الجذع. إنّما لم أتخيّل أنّها من الأشخاص

الذين يكون. لكن، لِمَ أستغرب من وضعها؟ فما زالت آثار الدموع التي سكبُتها على مايزيلي مطبوعة على وجهي. وحتى لو كانت سيلكا المجالدة التي تحظى بأكبر فرصة للفوز في مباريات الجوع، فلا شكُّ في أنَّها تملك أسبابًا كثيرة للبكاء أيضًا! فقد تكبَّدنا جميعًا خسائر فادحة.

ثم أدركتُ أننا آخر ثلاثة قلوب بشرية نابضة في ساحة القتال، وأنا اجتمعنا عند هذه الشجرة. ومع أنَّ مشهدنا يملؤه الحزن واليأس، فهو يجسِّد أيضًا لحظة من التآزر والوحدة بين المقاطعات في خصمِّ مباريات الجوع. وأنا أعرف جيِّدًا ما ينقص هذا المشهد ليكتمل، فرميْتُ حفنة من كرات الشوكولاتة إلى الأسفل، وسمعتُ شهقة مُتفاجئة، ثم تحوَّل البكاء إلى أنفاس مُتقطَّعة، وتناهدت إلى مسمعي خشخشة غلاف الشوكولاتة الورقي، ثمَّ عمَّ الصمت.

بهذا المشهد رسمتُ مُلصقًا مُؤثِّرًا.

نمْتُ نَوْمًا مُتَقَطِّعًا لم يجلب لي سوى الكوايبس. وحين طلع الفجر، كنتُ
أتمايل ناعسًا ومنهكًا؛ كالرجل في قصيدة لينور دوف. كما كنتُ أشعر أنني
مغبون وسطحيّ وعديم الإحساس؛ لأنّ ساحة القتال لم تعطيني المجال ولا
الوقت لبكاء أحبائي. فلوبلا وأمبيرت ومايزيلي والآخرون يستحقون أن أودّعهم
وأبكيهم، إلا أنني لستُ قادرًا على استحضار الحزن والدموع كما يليق بهم.

اطمأننتُ على ويلي، فوجدتها تنام على غصنها بسلام. لا داعي لإيقاظها
الآن.

يبدو أنّ سيلكا قد ذهبت في سبيلها. على أيّ حال، لم أكن أتوقّع أن
تتحوّل من خصمين إلى حليقيين. فكل ما حدث البارحة هو أنّها مرّت بلحظة
ضعف، وأخذت منّي كرات الشوكولاتة، ثم شعرت بالخجل لأنّها أخذتها. إذ لا
أظن أنّ المقاطعة الأولى تكافئ مجالديها المحترفين على ضعفهم
وإنسانيّتهم. أعتقد أنّ سيلكا تجول في الجوار على الأرجح، إلا إذا ابتعدت
لتبحث عن الطعام. من الممكن أن تكون قد اتّجهت إلى قرن الوفرة، أو ذهبت
للبحث عن مؤن ماريتي. لكنّها تعرف مكاننا... وستعود لتجهّز علينا.

أخرجتُ يدي من تحت الغطاء لأزيل الغمص من عينيّ، فلاحظتُ لطلحات
سوداء على أصابعي. من أين أتت هذه اللطحات؟ لم أرها في العتمة الليلية
الماضية، ولا أظنّها ناتجة من لحاء الشجرة... ولا من قطعة القماش المشمّع...
هل لطلختني بطارية البطاطا؟ لا يهم... إلا إذا...

فجأة، دارت العجلات في رأسي، وربطتُ الأمور بعضها ببعض، فأتضحَت الصورة أمامي. وتذكَّرتُ أنني فككتُ الميدالية النحاسية من قلادة مايزيلي لأصنع البطارية، وأنَّ أصابعي تلطَّخت باللون الأسود حين قَرَدْتُ الفيتل لتفجير خزان المياه. ثمَّ تبادرت إلى ذهني الكلمات الأخيرة التي قالها لي بيتي إلى مائدة الطعام قبل المقابلات المتلفزة...

"وإذا لم يستطع أمبيرت أن يلقاك في شمال الساحة... لقد استبدلنا
أيضًا..."

آنذاك، لم يكمل بيتي جملة لأنَّ ويلي اقتربت منَّا لتتكلَّم معي، فلم أعرف ما استُبدِلَ غير تذكارات مجالدي المقاطعة التاسعة. وعلى ضوء استنتاجاتي، أظنُّ أنَّ بيتي وضع في قلادة مايزيلي فتيلًا إضافيًا في حال حدث شيء لفيتل أمبيرت. أكنْتُ أحمل معي فتيلًا وأحسبه مجرد ذكرى من مايزيلي؟ تظاهرتُ بأنني أشاهد شروق الشمس، وصرْتُ أحفُّ حبل القلادة المضفور بإبهامي وسباتتي بشرود، ثم عبثتُ بغطاء "غالون" الماء. شكوكي في محلِّها. قلادة مايزيلي هي مصدر اللطخات السوداء.

ها قد سنحت لي فرصة جديدة للقيام بمحاولة أخيرة لتخريب مباريات الجوع بطريقة يعجز الكابيتول عن إخفائها عن الجمهور. إيَّاها لن أتأكَّد من أنني حصلتُ على كل ما يلزمي قبل أن أفكُّ صغيرة القلادة، وأتفقَّد ما إذا كانت تخبئ بين طياتها كبسولة تفجير أيضًا. وإذا اتُّضح لي أنني على حقِّ، لا يجب أن أضيع هذه الفرصة الذهبية.

فانكأْتُ على جذع الشجرة مُتظاهِّرًا بعدم المُبالاة، فيما تراحمت الأفكار في رأسي. ماذا سأفجِّر؟ لقد سبق أن فجَّرتُ خزان المياه، ولا أستطيع الوصول إلى المولِّد، ولن يكون من السهل أن أنزل إلى الطابق السفلي مرة أخرى. لم يبقَ في ساحة القتال هدف يستحقُّ تفجيره سوى قرن الوفرة. وهو هدف لا بأس به بصراحة. أليس قرن الوفرة هو الرمز الحقيقي لهذه المباريات

الدينئة؟ أليس الفتيل الذي تُركَ لي مجرد بادرة رمزية؛ لأنّ آلات الساحة بعيدة المنال؟ وإذا استهدفتُ القرن الذهبي اللامع في وسط المرج الجميل الاصطناعي وفجّرته وشوّهته، فسيصبح رمزًا لتاريخ مباريات الجوع البشع والقيح. فقرن الوفرة لا يطعم سوى قلة منّا، ويجلب الهلاك واليأس للباقيين.

لكنّ المهمة الصعبة تكمن في إجبار مُصمّمي المباريات على بث الانفجار للجمهور. وبما أنّ عدد المجالدين انحصر في ثلاثة مجالدين في ساحة القتال، فقد أنجح في مسعاي. فإذا استطعتُ أن أساعد ويلي على استعادة بعض من قوّتها، ومنحتها ما يكفي من السرعات الحرارية لتأكّد من أنّها ستصمد وتبقى على قيد الحياة، ثم خبّأتها في مكان آمن، فبإمكاني حينئذ أن أخطط لاستدراج سيلكا إلى قرن الوفرة لقتال نهائي وحاسم، وأن أحاول التغلّب عليها وتدمير القرن في الانفجار ذاته. فإذا كُنا قرب القرن عند وقوع الانفجار، لن نستطيع مُصمّمو المباريات إخفاء لقطات الانفجار عن الجمهور. وإن حصل ونجو، فسيأمر سنو مُصمّمي المباريات بقتلي، وستتوّج ويلي الفائزة في المباريات.

حين نظرتُ إلى وجهها الصغير المُنهك ترددتُ قليلًا. فويلي على حافة الموت من الجوع. وحتى لو استطاعت أن تصمد وتقاوم الجوع، فإنّ نقص الطعام والغذاء يعرّضها لمخاطر أخرى كالضعف الجسدي والجفاف والأمراض. لا يزال معنا بعض الشوكولاتة، لكنّ إطعام ويلي الحلوى على معدة خاوية قد يؤدي إلى نتائج سلبية. ومعنا حبة بطاطا خفيفة على المعدة، إنّما علينا أن نشويها. حسنًا، هذه قائمة أولوياتي بالترتيب: شوي البطاطا، إطعام ويلي، تخبئة ويلي، استدراج سيلكا إلى قرن الوفرة، تفجير سيلكا والقرن.

ما العثرات التي يمكن أن تفسد خطتي؟

المشكلة الأولى هي أنّ مُصمّمي المباريات سيسلّطون عليّ كل الكائنات المعدّلة جينيًا الموجودة في ساحة القتال إذا رأوني أعبت بتذكّار آخر

بعد ما فعلته بالخزان. لذا، عليّ أن أفكّ الفتيل بعيدًا عن عدسات الكاميرا.

خير البر عاجله. وعلى الفور، تظاهرتُ بأنني أحاول أن أحجب الشمس، وسحبتُ قطعة القماش المشمّع فوق رأسي. ثم قمّتُ بحركات مدروسة لأفكّ قلادة مايزيلي وأخذ منها الفتيل. وكم فرحتُ حين رأيتُ كبسولة التفجير على طرف الفتيل. فلففتُ الفتيل حول الكبسولة، وأخفيتهما في جيبِي، وفركتُ يديّ جيدًا بسروالي لأزيل عنهما اللطخات السوداء. هل سيلحظ مُصمّمو المباريات أنّ إحدى قلائدي قد اختفت؟ ربّما يجب عليّ أن أتظاهر- حين تستفيق ويلي- بأنني أضعتها مثلما ضاعت قلادة النحاس الأصفر. لكنني إذا فعلت ذلك فقد ألفت نظر مُصمّمِي المباريات إلى اختفائها.

جردتُ أغراضي لأتأكّد من أنّني جمعتُ كلّ ما يلزمي. الفتيل؟ موجود. كبسولة التفجير؟ موجودة. المادة المتفجّرة؟ موجودة. قدّاحة الصوان؟ موجودة. معي كل ما أحتاج إليه، حتى إنّ معي حفنة من أغلفة الشوكولاتة الورقية المزبّنة التي يمكن استخدامها لإشعال النار. تحمّستُ للبدء بتنفيذ الخطة، فنزعتُ قطعة القماش عني، وتمدّدتُ، ثم تحرّرتُ من الشرائط التي تبيّتُ بها نفسي على الغصن.

فتحت ويلي عينيها فجأة، وأخذت تحدّق إليّ وكأنّها تقيّمني، ثم عبست في وجهي.

وهمست: "لا تتركني مجددًا".

لا شك في أنّها تظنّ أنّني تخلّيتُ عن المستجدين. وظنّها في محله؛ مع أنّني كنتُ مُنشغلًا بأمرٍ أخرى تستحق الاهتمام.

فحاولتُ أن أبدو مُبتهجًا: "صباح الخير يا ويلي. ما رأيك في أن أنزل عن الشجرة لأشوي لك حبة بطاطا؟"

"لا تتركني".

"أظن أنّ سيلكا تتربّص لنا في مكان قريب، وبقاؤك على الشجرة أكثر أمناً من نزولك معي".

فقالت: "لا. لا أستطيع أن أبقى وحدي مجدداً". ثم حاولت التحرر من قيودها، وأضافت: "سأذهب معك".

حينئذ، قلتُ وأنا أهدئها: "حسناً، حسناً! تمهّلي. دعيني أفكّ شرائطك". ومع أنّني كنت أفضل ألاّ آخذها معي، إلاّ أنّه لا يمكنني أن أخاطر وأدعها هنا وحدها؛ لأنّها ستحاول اللحاق بي، وستسقط عن الشجرة وتموت. لذا، حررتها من شرائط القماش المشمع واللحاف برفق، ووضّبتُ أغراضنا في الحقيبة قائلاً: "عليك أن تتشبّثي بي جيّداً. هل أنتِ قادرة على ذلك؟"

فأومأت برأسها إيجاباً. لكن، حين لفتّ ذراعيها حول عنقي، كانتا مُرتخيتين كالمعكرونة المسلوقة. إذّا، لا خيار أمامي سوى أن أحملها على كتفيّ. فقلتُ لها: "من الأفضل أن أحملك حملة عمّال المناجم". ثم رميتُ الحقيبة على الأرض، ورفعتها برفق، ووضعتها على كتفيّ، وأحكمتُ قبضتي على ذراعها الموضوعة على صدري؛ كما تعلّمنا أن نفعل لإجلاء الجرحى من المناجم بعد الحوادث. إنّ ويلي أساساً فتاة نحيفة كالعصا، ويبدو أنّها نحفت أكثر في ساحة القتال؛ حتى إنّني لا أظنّ أنّ وزنها يتجاوز ستين رطلاً. نزلتُ من الشجرة ببطء، وكدثُ أقع مرّتين، وترّحتُ مرتين بسبب غصنين انكسرا تحت وزننا. وحين وصلتُ إلى أرض الغابة، وضعتُ ويلي على الأرض بين إبر الصنوبر.

أعطيتها كرة من الشوكولاتة، ولففتُ اللحاف حولها. وحين تحسستُ جبينها ووجدته بارداً كالثلج، سألتها: "هل تشعرين بالبرد؟"

فقالت: "قليلاً". حينئذ، لاحظتُ شفيتها الزرقاوين.

"حسناً، سأشعل ناراً للتدفئة ولشواء حبة البطاطا".

جلتُ بنظري في محيطنا، واتّضح لي أنّ جمع الحطب لإشعال نار سيُشكّل تحدّيًا. فمع أنّ السماء لم تمطر طويلًا الليلة الماضية، إلّا أنّها أمطرت بغزارة وبلّلت كل الخشب الذي يمكن استخدامه حطبًا. وقد تساعدني الشمس في تجفيف الشجر والأغصان والجذوع خلال بضع ساعات. أمّا في الوقت الحالي، فسيكون من الصعب العثور على حطب جافّ. سأضطر إلى البحث في أماكن محميّة بأغصان كثيفة أو تشكيلاتٍ صخرية.

وماذا أفعل بويلي؟ هل أحملها على ظهري وأنا أجمع الحطب؟ لا، سيكون هذا صعبًا. هل أعلّق آمالي على أنّ سيلكا في مكان بعيد عنّا؟ لا، فهذه مجازفة كبيرة. هذا يعني أنّ عليّ أن أخبئ ويلي. "ويلي، سأضطر أن أتركك قليلًا لأجمع الحطب".

"لا، لا تتركني".

"لن أغيب طويلًا ولن أبتعد كثيرًا. سأؤكد من أنّك في مكان آمن ومخفيّ عن الأنظار".

"لا".

"نحن بحاجة إلى إشعال نار. لا تخافي. انظري إلى ما أحضرته لك". وعلّقتُ قاذفة السهام حول عنقها قائلاً: "هذه قاذفة سهام مايزيلي، وفيها سهم مُسمّم. كل ما عليك فعله هو أن تأخذي نفسًا عميقًا، وأن تنفخي بقوة من هذا الطرف لتطلق السهم. قتلت مايزيلي باناش بقاذفة السهام هذه وأنقذت حياتي".

فقال ويلي بحزن: "لقد تركتنا مايزيلي أيضًا".

"لا، لم تترككم، بل انفصلت عنكم لتبحث عن لولو، ولم تستطع العودة إليكم. لو كانت هنا لأرادت أن تحصلني على قاذفة السهام. فقد أخبرتني أنّها تظن أنّك جديرة بالفوز في هذه المباريات".

فسألتنى وقد جحظت عيناها من الحماسة: "هل قالت لك هذا حقًا؟
لكن، ماذا تقصد بكلامها يا ترى؟ لماذا أنا جديرة بالفوز؟"

سؤال ممتاز. "أظنها كانت تقصد أنّك سُمّثلين المستجدين بجدارة، ولن
تديري لهم ظهرِك أبدًا".

فدمعت عينا ويلي، ثم استجمعت نفسها وقالت: "أنا لها. سأفعل ما في
وسعي من أجل المستجدين. خبّئي". ثم مدّت ذراعيها نحوي لأحملها.

وجدتُ شجرة في الجوار شبه مخفية وراء ستار من عرائش العنب
البري، فخبّأت ويلي خلف الستار، وربّبت العرائش لأخفيها قدر الإمكان في
الظروف الراهنة، أي الوقت وجغرافيا الغابة. ستنتظرنى ويلي هنا إلى أن
أعود، ومعها سكين صغير وقاذفة سهام لحماية نفسها. فقلتُ لها: "معك سهم
واحد فقط، فصوّبي جيّدًا ولا تهدريه. انتظريني هنا، وسأعود قبل أن تشعري
بغيابي".

عنيث ما قلته، ونويث أن أفي بوعدِي وأعود إليها بسرعة. إنّما كلّما
وسّعت نطاق بحثي بحثًا عن الحطب، تزعزعت ثقتي بكلامي أكثر فأكثر. كلُّ
الحطب الذي وجدته سيُنتج دخانًا كثيرًا إذا نجحتُ في إشعاله باستعمال أغلفة
الشوكولاتة الورقية، مع أنّي أستبعد أن أنجح في إشعاله. وبدأتُ أفقد الأمل
من فكرة شيّ حبة البطاطا. ربما لو قطعّتها إلى شرائح نيئة رفيعة ستتمكّن
ويلي من ابتلاعها. ما نحتاج إليه الآن هو سلّة ممتلئة بالطعام. كلامي موجّه
إليكم أيّها المُمَوّلون! ماذا ينتظرون؟ لا شكّ في أنّي وويلي قد جمعنا في
رصيدنا ما يكفي لنحصل على كوب من مرق عظام الدجاج، بما أنّ كلينا من
آخر ثلاثة مجالدين في ساحة القتال. أظنّ أنّ ما عَزَّ قرأت أفكارِي. فحين كنتُ
أسرع عائدًا إلى حليفتي، هبطت مظلة قربي. فانحنيتُ ومزّقتُ غلاف الهدية
المُعَلّقة بالمظلة، ووجدتُ سلّة مزخرفة عليها بطاقة سميكة كُتِبَ عليها:
"تقدمة الكابيتول"، وكانّ ساحة القتال فيها شيء ليس من تقدمة الكابيتول.

وكان في السلة منديل من الكتان أبيض كالثلج، وبين طياته إبريق. اقشعرتُ بدني حين أخرجتُ الإبريق الأبيض من السلّة، ورأيتُ الدرج اللولبي الملتفّ حوله، والنسر الذهبي المُترِّع على غطائه. وحين ضغطتُ بإبهامي على ذيل النسر، فُتِحَ الغطاء كاشفًا عن محتوى الإبريق: حليب بارد قشدي. إنَّ هذا الإبريق نسخة طبق الأصل عن الإبريق الموجود في مكتبة بلوتارك؛ إذا لم يكن هو نفسه.

وضعتُ البطاقة في جيبِي، وأعدتُ الإبريق إلى السلة لأخفي يدي المرتجفة. ما معنى هذه الهدية الجديدة؟ أرى احتمالين لا ثالث لهما، وهما مُتناقِضان كالليل والنهار.

إذا نظرْتُ إلى الأمر نظرة إيجابية، من الممكن أن يكون بلوتارك مَنْ أرسل لي هذه الهدية عن طريق ماغز ليعطينا بعض الغذاء، ويشجّعنا على المثابرة، ويقول لي: أحسنت يا هايميتش. لقد نَقَدتْ مهمتك بنجاح؛ رغم الدعايات والأكاذيب المتداولة والحقائق المزيّفة. أدّيتْ دورك. فمع أنّ انفجار الخزان لم يُغرق دماغ ساحة القتال بالكامل - ولا بأس في ذلك، فأنت لم تتخاذل - لقد أحدثت فوضى عارمة. حُدِّ هذا الحليب إلى ويلي، وأبقها على قيد الحياة، وافعل ما في وسعك.

أمّا إذا نظرْتُ إلى الهدية نظرة سلبية، فقد لا يكون لماغز أي علاقة بهذه الهدية التي يمكن أن تحمل رسالة خبيثة وشريرة فحواها: مرحبًا يا هايميتش، معك الرئيس سنو. إذا كنتَ تظنُّ أنّني لم ألاحظ حيلتك الصغيرة عندما شربت الحليب في المكتبة، فراجع حساباتك لأنني أرى كل ما تفعله. أرى قنابلك، ومكائدك، وقداحتك التي أهدتك إياها يمامتك الجميلة. ووضعتُ الكرة في ملعبك. هل ستشرب الحليب، أو ستعطيه لحليفك المريضة، أو ستصّبه على الأرض لأنك تظنُّ أنّه مسموم؟ ماذا ستفعل يا هايميتش آبرناثي؟ أنت تعرف من دون شك أنّ كل العيون في بانيم - وخصوصًا عينيّ أنا - تراقبك من كتب.

نعم، إنّ الجميع يشاهد تحرّكاتي. وإذا لم آخذ هذا الحليب إلى وبلي بسرعة وأعطيتها إياه، فسيظنّ الجميع أنّي أعامل وبلي بلطف لأتقرب منها وأقتلها من أجل الحصول على لقب الفائز الثاني من المقاطعة الثانية عشرة. لكنني شبه مُتأكد من أنّ الحليب مُسمّم، وأنّ الرئيس سنو هو من أرسله. فلا أظنّ أنّ بلوتارك مُتهوّر وطائش ليربط نفسه بي علنًا؛ خصوصًا بعد أن فجّرتُ خزان المياه. ولا شكّ في أنّ عددًا كبيرًا من الأشخاص ومُصممي المباريات يعرفون أنّ الدرج اللولبي الذهبي رمز شائع في قصر عائلة هيفينزبي. وبما أنّ بلوتارك مُكلّف بتغطية أخبار مجالدي المقاطعة الثانية عشرة وشؤونها إعلاميًا، أظنّ أنّه إذا دعمنا أو ساعدنا سيخالف قوانين مباريات الجوع؛ أذكر أنّ هذا ما قالته لي بروسرينا.

إدّا، الرئيس سنو هو من أرسل لي هذا الحليب القاتل. أنا أقاوم الوقوع في قبضة الكابيتول ودعاياته منذ أن جلب لي تبيي كعكة ذكرى ميلادي اللعينة في القطار. إنّما يبدو أنّ هذا المصير مكتوب لي، وسيظلّ يلاحقني كالغراب المُترعّ على باب غرفة الرجل في قصيدة لينور دوف. وقعتُ تحت رحمة الرئيس سنو، فأنا مجرد أداة يُحرّكها كيفما شاء. أنا دميتُه وبيدقه ولعبته. سيستخدمني ليرسم ملصقه وينشر دعايته. وقد وقعتُ في الفخ، وبات عليّ أن أنصاع لرغبته في مباريات الجوع التي تُعدُّ أكبر أداة إعلامية في جعبة الكابيتول.

لا شكّ في أنّ أبي يتقلّب في قبره.

لن يسمح الكابيتول أبدًا لتحالف المستجدين- تحالف المقاطعات الفخور- بالفوز. ستموت وبلي إمّا من السم، أو من الجوع، أو على يد سيلكا؛ تلك المُتملّقة الكابيتوليّة التي ستفوز حتمًا بالمباريات.

أمّا أنا، فلم يبقَ أمامي سوى خيار واحد إذا أردتُ ألاّ أَعُدّ خائنًا في عيون سكان المقاطعات، والرئيس سنو يعرف أنّه حشرني في زاوية. إذ إنّهم

سيفترضون أنني ساهمتُ في قتل ويلي لأتني لم أعطيها الحليب، ولن يعرفوا أنني كنتُ أحميها من التسمم. لقد تعقب الرئيس كل خطوة خطوتها إلى هذه اللحظة، وهو الآن يترقب استسلامي الحتمي. عليّ أن أشرب الحليب بنفسِي. دقتُ ساعتِي، وخسرتُ المباراة.

أخرجتُ الإبريق من السلة، وفتحْتُ غطاءه، مُتفحِّصًا محتواه. أشعر بأنَّ كل خلية في جسدي ترفض الاستسلام. فكَّرتُ في أن أتظاهر بأنني أفقد توازني وأتعثّر وأسقط الإبريق على الأرض، علني أوَّجَل لحظة فوز سيلكا بعض الوقت. وإذا بصوت المدفع يدوي في ساحة القتال، فتجمّدتُ في مكاني مذهولًا. أليست هذه هي اللحظة التي كان الرئيس يترقبها ليتلذذ بخسارتي؟ ما الذي يحدث؟ من الذي تجرأ على العبث بخطته؟

فرميتُ الإبريق جانبًا، وسمعتُه يرتطم بصخرة وينكسر وأنا اندفع راكضًا نحو عرائش العنب البري. كما وعدتُ ويلي، لم أبتعد عنها كثيرًا. فركضتُ إليها، مُتشبِّهًا ببصيص أمل صغير. أرجو أن تكون سيلكا قد لقيت حتفها على يد أحد الكائنات المعدلة جينيًا. فموتها سيُسَهِّل الأمور عليّ. لكن، ما إن تجاوزتُ آخر مجموعة من الشجيرات التي تعترض طريقي ووصلتُ إلى العرائش، حتى تسمّرتُ في مكاني، واستولى عليّ الذعر من هول ما رأيتُ.

كانت سيلكا تقف أمامي كالتمثال بزِيَّها الأخضر المُخاطي المُلطَّخ بالأحمر، وتمسك فأسها بيدها اليمنى، وفي اليسرى رأس ويلي. وكانت عينا ويلي لا تزالان مفتوحتين، وفمها فاغرًا، ودمها يقطر على إبر الصنوبر المُتناثرة على أرض الغابة. أمّا جسدها، فكان مطروحًا على الأرض كدمية مكسورة. ثم حوَّلتُ نظري إلى جرس الدراجة الفضي، فقاذفة السهام، فالحذاء الصغير في رجليها، فالسكين في يدها. قُطِعَ رأس فرخ يمام صغير، ولن يُمحي هذا المشهد من ذاكرتي طالما حييتُ، ولو عشيتُ عشرة آلاف عامًا.

فقلتُ لها وأنا أكثّر عن أنيابي: "ماذا فعلتِ؟"

عندئذٍ، حاولت سيلكا أن تستجمع نفسها وتصبّ تركيزها عليّ. ثم رفعت رأس ويلي، وقالت دفاعًا عن نفسها: "هاجمتني أولًا".

حينئذٍ، لاحظتُ السهم المُسمّم يتدلى من كمّ سيلكا الفضفاض. يبدو أنّ ويلي حاولت أن تدافع عن نفسها. وعلى الأرجح، لم تسعفها أنفاسها لإطلاق السهم بقوة تضمن انغراسه في هدفه. وتحقّق ما كانت تخشاه؛ لقد تخلّيتُ عنها. أعمتني رغبتني في رسم ملصقي، فتركّت حليفتي بلا حراسة.

ثم أضافت سيلكا: "فعلت ما عليّ فعله. كان عليها أن تفارق الحياة، وستلحق بها أنت أيضًا. هذه فرصتي الوحيدة للعودة إلى عائلتي".

"كلّنا عندنا عائلات. أتظنين أنّ عائلتك ستنسى ما فعلته هنا؟ فأنا شخصيًا أعرف أنّ عائلتي لن تنسى". احذفني من حياتك يا سيد، تبرّأ منّي، وابصق حين تسمع أحدًا ينطق باسمي؛ ففشلي في تدمير ساحة القتال أهون بألف مرة من العار الذي جلبته لنفسني.

"سأخبر الجميع الحقيقة حين أعودُ إلى منزلي".

فقلتُ: "لن تعودني إلى منزلك يا سيلكا". ثم أخرجتُ فأسّي من حزامي. لن يعود أيّ منّا إلى المنزل. لا أنا ولا أنت.

سأقتلك، ثم سيقتلني الرئيس سنو، ولن يفوز أحد بمباريات الجوع.

هذا ملصق يليق بالدورة الثانية من المباريات الربعية.

وحين ألقت سيلكا رأس ويلي جانبًا من دون أي رحمة أو احترام؛ وكأنيها تتخلّص من قطعة خردة، ثم حين رأيْتُ لطحّة الشوكولاتة على أعلى خدها، حيث مسحت دموعها ليلة البارحة بعد أن عقدتُ معها هدنة من طرف واحد، وأخيرًا، حين قالت لي: "أنا من سيُكرّمه الكابيتول!" أزال التردد من نفسي، وخففت من ثقل ما أنا مُقدّم عليه.

انقضَّ كلُّ منّا على الآخر بفأسه. وكان بوذي أن أدعي أنني أسرع أو أقوى منها، لكننا كنا متكافئين في القوة. ومع أنّها تلقّت تدريبًا أفضل منّي، إلّا أنّ عندي أفضليّة عليها. فأنا أحمل معي حلفائي الذين تفاخرتُ بهم أمام رئيسة مُصمّمي المباريات. معي واحد وثلاثون حليفًا يسندون ظهري في هذا القتال الحاسم.

هاجمتني سيلكا بضربتها الأولى من الأعلى، مُستهدفة رأسي؛ وكأنيما تنوي أن تشطر جسدي إلى نصفين متساويين. فصدتُ ضربتها في اللحظة الأخيرة، ثم نَقَذْتُ هجومًا مُضادًا وجرحتُ ساقها، فسال دمها، وارتسمت على وجهها تعابير الذهول والمفاجأة. إذ لم تكن تتوقّع منّي أن أنجح في اختراق دفاعاتها. من الأفضل ألاّ تستخفّي بقدراتي يا آنسة سيلكا، فمع أنني لم أتلقَّ تدريبًا مُكثّفًا مثلك، يكفي أن تعدّي زجاجات الشراب الأبيض التي صنعتها هاتي منذ أن بدأتُ بالعمل معها، وكومات الثياب التي غسلتها أُمي حتى الآن لتعرفني أنني قضيئٌ وقتًا أطول منك في استخدام الفؤوس لأوْمَنَ لهما الحطب. كما أنني استخدمتُ هذه الفأس بالذات لأصبّ جام غضبي على ساحة القتال بعد موت أمبيرت، فوُلِدَتِ إلفة بيننا، وصارت الفأس تستقر في يدي وكأنيما امتداد لذراعي.

كان قتالنا وحشيًّا وهمجيًّا ودمويًّا. فلا سبيل إلى تجميل ما دار بيننا. إذ كنّا ننهال على بعضنا بعضًا بالضربات، وأصاب بعضها الهدف. وتشابك رأسا فأسينا، فشدّ كلُّ منّا باتجاه الآخر، ثم ضربتني بركبتها بقوة على بطني فأرتني نجوم الظهر. وسارعتُ لتحاشي ضربة أخرى، فانغرست فأس سيلكا في جذع شجرة. وفيما كانت تحاول تحريرها، جرحتها على وركها. وبعد بضع لحظات، التفتت إليّ وشقّت فخذي. وتشابك سلاحانا مجددًا، فضربتُ سيلكا بمقبض فأسني على فمها، فوقعت بعض أسنانها على الأرض. لكن، أثبت التدريب الذي تلقّته سيلكا جدواه؛ فحين بدأت تلوح بفأسها فوق رأسها بحركات دائرية

مُعقّدة، تشبّت انتباهي. وفي لحظة غفلتي، ضربتني بفأسها ضربة مباغطة وشقّت بطني.

فشهقتُ. وانهالت عليّ سيلكا بضربة أخرى طرحت فأسي على الأرض. وحين تحسّستُ موضع إصابتي بأصابعي، عرفتُ أنّ وضعي سيئ. ثم هجمت عليّ من جديد، فاستدرتُ لألوذ بالفرار، غير أنّها لقت ذراعها حول عنقي وقطعت أنفاسي. وصرتُ أرى نقاطًا سوداء، وشعرتُ بأنني أفقد وعيي. وإذ بنظري يقع على جثة ويلي مقطوعة الرأس، فاستعدتُ عزمي. لا يمكنني أن أدع سيلكا تفوز في مباريات الجوع. وفي محاولة أخيرة يائسة، استللتُ سكينني من حزامي، ووجهتُ ضربة إلى الخلف فوق كتفي. فسمعتُ صرخة ألم، ثم تحرّرتُ من قبضة سيلكا وفررتُ هاربًا من دون أن أعرف حجم الضرر الذي سبّته لها.

ضغطتُ بيديّ الاثنتين على الجرح في بطني، وركضتُ مُندفعًا بفعل الألم والخوف في مسار مُتعرّج بين الأشجار، مُدركًا أنني لن أستطيع أن أهرب إلى الأبد، وأنّ عليّ أن أواجه سيلكا. كانت الأغصان تصفعني على وجهي، والجذور تعثرُ خطواتي وأنا أركض يمينًا ويسارًا بين الأشجار. كان هدفي الوحيد أن أزيد المسافة بيني وسيلكا. لكنّ صرخاتها تتعالى. إنّها تلحقني وتقترب منّي، وأنا أشعر بأنّ ساقبي بدأتا تخوران. وإذ بي أشمّ عبق الحشرات المحترقة المنتشرة في الهواء، وأجد نفسي عند مدخل السور الذي فتحته مع مايزيلي في شمال ساحة القتال. دعسوقة، يا دعسوقة، ها أنا أعود إليك! لكنّ بيتك لم يعد يحترق، بل أصبح ملاذًا يتيح لي فرصة لالتقاط أنفاسي. قربيما ستمتنع تلك المُتملّقة المُمتثّلة لقوانين الكابيتول عن ملاحقتي خارج حدود ساحة القتال.

حين وصلتُ إلى الحافة، عصف بي الهواء الحارّ المتصاعد من الهاوية. وبما أنّني لم أعد قادرًا على الركض والفرار، استدرتُ لأواجه خصمي؛ إذ عبرت سيلكا السور خلفي غير مبالية بحدود الساحة. حينئذ، رأيتُ ما فعلته بها بسكينني. لقد اقتلعتُ عينها من مكانها. فافتخرتُ بإنجازي الصغير، مع أنّه لا

يبدو إنجازًا حقيقيًا عندما أنظر إلى أمعائي التي أجاهد لإبقائها في بطني. ثم رفعت فأسها ورمتها باتجاهي من دون تردّد. وفي الوقت نفسه، انهارت ركبتاي اللتان كانتا بصعوبة تحملانني، فسقطتُ على الأرض، فيما طارت الفأس في الهواء مُصَفِّرة فوق رأسي وسقطت في الهاوية.

عندئذ، تذكّرتُ أمر حقلِ القوة الخفيّ الذي يُغلف مولّد الكهرباء، وما يحصل للأشياء التي نرميها عليه، فانتظرتُ مُترقِّبًا ما سيحدث. وما تلا ذلك هو ما تسمّيه حبيبتني بالعدالة الشعرية.

فقد بقيت سيلكا في مكانها، تضغط على عينها النازفة، وتحذّق بعينها السليمة إلى جرحي مُترقِّبة موعده موتي. ثم سمعتُ صفير الفأس وهي تعود أدراجها من حيث ذهبت، ورأيتُ ملامح الارتباك ترتسم على وجه سيلكا وهي تحوّل نظرها إلى الفأس. ثم تنهت إلى مسمعي صوت الفأس المُروِّع وهي تستقر في رأس سيلكا.

صرنا كلانا مطروحين على الأرض، فانقلبتُ على ظهري، وأخذتُ أهدق إلى الطائرة الحائمة فوقنا. يبدو أنّ سيلكا تأبى أن تموت، فما زلتُ أسمعها تغرغر مُختنقةً. كلُّ ما عليّ فعله هو أن أصمد لفترة أطول منها.

فوضعتُ يدي في جيبي، ورحت أبحث عن منديلٍ أوقف به نزيفي. لكنني وجدتُ بقايا خطتي الأخيرة، أو ما قبل الأخيرة. لم أعد أذكر أي خطة كانت. على أي حال، وجدتُ الأدوات التي كنتُ سأستخدمها لتفجير قرن الوفرة. من الواضح أنّني لن أستطيع أن أنفّذ تلك الخطة أيّا كان رقمها. لذا، أظنُّ أنّ الموت خارج حدود ساحة القتال سيكون كافيًا. إنّما من المؤسف ألاّ أحاول أن أرسم ملصقًا إضافيًا. مهلاً، أظنُّ أنّ معي مُتسعًا من الوقت لأودّع ساحة القتال بشكل لائق. نعم. أعرف تمامًا ما عليّ فعله.

لا بأس يا أبي. لا بأس يا أمّي. ارفع رأسك يا سيّد. لن يرسم أحد غيري هذا الملصق.

شعرتُ أنني أفقد الوعي تدريجيًّا وأنا أفكُّ زهرة دوّار الشمس من حول
عنقي، وأغرس كبسولة التفجير فيها، وأعضُّ الفتيل بأسناني لأقطعه وأقصره
ليصبح طوله بضع بوصات، ثم ألقىُّ الباقي جانبًا.

سأنجح هذه المرّة يا أمبيرت. ستنفجر القبلة الموقوتة، يا لويلا ووايات
ولولو وويلي. أعدكُ أنني سأنجح يا مايزيلي. انتبهي، يا بانيم. إنّ المستجدين
فوق الجميع.

مرّقتُ البطاقة التي أرفقها الرئيس بإبريق الحليب بسهولة، وسحقّت
القطع بين أصابعي وخلطتها مع أغلفة الشوكولاتة. وأخيرًا، فككتُ قداحتي من
قلادتي، وطبعتُ عليها قبلة طويلة.

آه، يا لينور دوف. يا حبّ حياتي. سأكون معك دائمًا وأبدًا. سنلتقي مجددًا.
"هايميتش. هايميتش أبرناثي. توقّف فورًا عمّا تفعله".

أمسكتُ حجر المرو بيدي المرتجفة وقدّاحتي بالأخرى. يا لها من قطعة
مُتقّنة وجميلة! الجمال هو ذاك الذي يُجدي، لا ذاك الذي يبهر ويدوي، هذا ما
قالت له لي لينور دوف عندما أهدتني القداحة التي وجدت غايتها الحقيقية أخيرًا.

ضرب المدفع. لم تفوزي يا سيلكا. ولن تُتوّجي فائزة، بل سيحمل مخلب
الطائرة جثتك بعيدًا. أسمع صوت أبواق. لا بدّ من أنّها تدقّ من أجلي.

ثمّ أطلق الحجر شررًا على كومة الأوراق والأغلفة، فاشتعلت نار
صغيرة، فيما تراقص وابل من الرصاص حول يديّ. ها. لم تصيبيوني.

"توقّف يا هايميتش أبرناثي! لقد... اترك ما في يدك الآن! اتركه الآن!"

كانت النار تلفظ أنفاسها الأخيرة، فسارعتُ إلى إشعال طرف الفتيل،
وبدأت الشعلة تلتهم الخيط الأسود بنهم. "أنت لا تعرف ما تفعله! توقّف! لا
ترميها!"

لكنتني أعرف تمامًا ما أفعله. فاستجمعتُ ما تبقى لي من قوّة، ورميتُ قنبلة دوّار الشمس في الهاوية. وحتى لو لم تصل إلى المولّد، يُفترض أن نسمع دوّي انفجار قويًّا. لكنّ القلق الذي سيطر على مُصمّم المباريات وهو يطلب مني ألا أرمي القنبلة أيقظ في داخلي بصيص أمل. فماذا سيحدث حين تصطدم تلك القنبلة بحقل القوة يا ترى؟ ليست لديّ أدنى فكرة. كل ما أعرفه هو أنّ مُصمّم المباريات يخشون ما سيحدث. انزلق حجر المرو من يدي، وخطّ على فراش من الصخور والحجارة على الأرض. ووضعتُ قدّاحتي على قلبي تحت ياقة قميصي. ستفهم لينور دوف مقصدي.

نثرت الريح رماد النار الصغيرة التي أشعلتها، فتلاشى في الجو واندرثر. وتكاثرت النقاط السوداء التي أراها إلى أن حجبت عني الشمس بالكامل. ثمّ دوّي انفجار هزّ العالم. وآخر ما أعياه هو ملمس أمعائي اللزج في يدي، ودفء الطائر المنقوش على قدّاحتي على صدري، واهتزاز الأرض تحتي.

فسلّمتُ نفسي للموت سعيدًا.

طق، طق، طق.

أسمع صوت الماء ينقط نقطة نقطة في مكان ما.

"يبدو أنّ أمي نشرت الغسيل داخل البيت".

طق، طق، طق.

"أشعر بالبرد. يجب أن أضع بعض الفحم على النار. البرد قارس. أين

لحافي؟ هل معك لحافي يا سيد؟"

طق، طق، طق.

"أظنّ أنّ هاتي تُعدّ كمّيّة جديدة من الشراب الأبيض. فدائمًا تفوح رائحته وتعبق. ودائمًا نرمي القطرات الأولى التي تنتجها المقطرة. إذ لا تنفكّ هاتي تنبهني "ارمِ القطرات الأولى يا هايميتش، فهي تسبّب الموت. أتسمعني؟ القطرات الأولى قاتلة".

طق، طق، طق.

"لا جدوى من ذلك يا هاتي. فقد مُتُّ يا هاتي؟" طق، طق، طق.

"هاتي؟ أمّي؟" لِمَ لا يجيبني أحد؟ ثمّة خطب ما. "أمّي؟"

صحوثٌ من نومي على حين غرّة. لِمَ تصنع هاتي الشراب الأبيض في مطبخي؟ ستجرّنا جميعًا إلى السجن. لِمَ لا يجيبني أحد؟ مهلاً، هذا ليس مطبخي. ما الذي يحدث؟ ولمّ أشعر بألمٍ فطّيع في جسدي؟

ضوء أخضر في السماء يُنذر بإعصار. رائحة موادّ كيميائية عابقة وطعمها على لساني. صوت تنقيط المياه يتداخل مع همسات بعيدة وكلمات لا أستطيع تمييزها. معدن بارد يثبّتي على معدن بارد آخر. الخوف يسيطر عليّ.

طرفتُ بعينيّ بسرعة إلى أن اتّضحت رؤيتي. يوجد ضوء لونه كلون المستنقعات، وشبكة من الأنابيب المتقاطعة على السقف العالي. لعقتُ شفّتيّ الجافّتين المُتبيّستين، وحاولتُ أن أبلع ريقِي. أردتُ أن أفرك عيني، إنّما لم أستطع رفع يدي أعلى من بطني. حطّت أصابعي على صف طويل من العُرز على بطني. من أين أتت هذه العُرز؟ أنا مُمدّد على طاولة فولاذية من دون فرشاة أو غطاء أو وسادة. أطرافي مقيدة بأصفاد وسلاسل قصيرة. هناك حزام يلتفّ على صدري ويضغط عليه. أنا عارٍ... عارٍ كما ولدتني أمّي. ليس عليّ شيء... لا شيء سوى قدّاحة الصوّان...

فعادت إليّ ذاكرتي فجأة دفعة واحدة. فتذكّرتُ حافة الهاوية، والقنبلة، وغرغرة سيلكا المُختنقة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وصيحات التحذير

القادمة من فوق، والشرر المتطاير، والفتيل المُشتعل، وزهرة دوّار الشمس التي شقّت طريقها في الهواء ونزلت في الهاوية، وذاك الصوت الذي صمّ أذنيّ وارتدّ صداه في عظامي.

لقد متُّ. شعرْتُ بأمعائي تخرج من جسدي، وأعضائي تنطفئ؛ الواحد تلو الآخر. أردتُ أن أرحل عن هذه الدنيا بعد أن أتممتُ مهمتي ورسمتُ ملصقي.

فما الذي جرى لي؟

كانت قدّاحتي على قلبي، مثلما وضعتها في لحظاتي الأخيرة في ساحة القتال. لكنها الآن مَربوطة حول عنقي برباط حذاء جلدي. ربط شخصٌ ما قدّاحتي حول عنقي. وهذا الشخص ليس أمّي.

أين أنا، يا لينور دوف؟ وأين أنتِ، يا حبي الوحيد؟

أرى أنابيب مَغرورة في ذراعيّ وبطني. وحين أدركتُ رأسي إلى اليمين، شعرْتُ بموجة ألم حارق في أمعائي. ثم رأيتُ على بعد بضع أقدام منّي، أشخاصًا وجوههم مُتَكِنَة على جدار زجاجي، وأفواههم مفتوحة؛ فلاحظتُ أنّ ألسنتهم مَقطوعة. إنهم من الأفوكس. كانوا عراة ومُتسخين، يضربون الزجاج بأيديهم مُتوسّلين إليّ. إنّما لا أستطيع أن أساعدهم. استدرتُ إلى اليسار مَدعورًا.

شعرْتُ ببعض الطمأنينة حين وقعت عيناى على الأرنب الرمادي الذي صادفته في ساحة القتال، صديقي الذي أنذرنى من الخطر، وقادني خارج المتاهة. هل جاء ليُنقذني مرّة أخرى؟ ساعدني. هل تستطيع أن تساعدني؟ إنّه يحدّق إليّ بعينه الخضراوين في قفصه من دون أن يرمش، ويضغط جسده المرتجف على الزجاج. لماذا يرتجف هكذا؟

وإذا بكائن ينقضّ على الأرنب كالسهم من بين الظلال وبيتلعه دفعةً واحدة. وما بقي من حليفي إلا كتلة صغيرة تشقّ طريقها في جسد ثعبان طوله ست أقدام.

فأغمضتُ عينيّ وأطبقتهما جيّدًا. هذا مجرّد كابوس. حاولتُ أن أحتّ نفسي على فقدان الوعي من جديد لأهرب من هذا المكان الملعون. لكنني كنتُ أعرف في قرارة نفسي أنّ ما أعيشه حقيقي، فبدأتُ ارتجف مثل الأرنب، لا بل أكثر منه. ارتجفتُ وأنا أنتظر الثعبان ليلتهمني. أرجوكم... أطلقوا الثعبان عليّ، وضعوا حدًّا لهذا العذاب.

تناهت إلى مسمعي أصوات خطى ناعمة، يُسمَع وقعها بصعوبة. وشعرتُ بأحد يشدّ على الأنابيب المغروزة في جسدي. ثم رأيتُ امرأة في قناع تستبدل كيسًا فيه سائل شفاف بآخر فارغ.

فسألتها بصوت مبحوح أجشّ: "أين أنا؟" لكنها تجاهلتني، وأخذت تمسح الغرز الموجودة على بطني بسائل كريحه الرائحة أرسلّ موجات من الألم في جذعي. "كفّي عن ذلك! أنتِ تؤلميني!" حاولتُ أن أقاوم، لكنها لم تتوقف عمّا تفعله. فتوقّفتُ عن المقاومة لأنّ التحرك يزيد حدّة الألم.

ثم رحلت، وسمعتُ همسًا من جديد. إنّما استطعتُ هذه المرة أن أتعرف إلى بعض الكلمات: "مختبر"، "إنتان دموي"، "سلوك عدائي". بعدها، شعرتُ بسائل بارد يتسلل من الأنبوب المغروز في ذراعي إلى أوردتي، وفقدتُ الوعي.

حين صحوّت، كنت قد اكتسبتُ معلومة جديدة: في هذا المكان، يؤدّي السلوك العدواني إلى فقدان الوعي. إذ إنّني حُقنتُ بمادة عبر أنابيبي كما كانت لولو تُحقن عبر الجهاز المُثبّت على صدرها. فصرتُ أثير أكبر قدر ممكن من المتاعب، وأتصرّف بعدوانية كلّما سنحت لي الفرصة. لا أعرف كم بقيتُ مُحتجّرًا هنا. هل مرّت ساعات أو أيام أو أسابيع؟ حين أكون واعيًا، يتوسّل إليّ

الأفوكس ويطلبون مساعدي. وكلّما سمعتُ خطوات بشرية ناعمة تقترب منّي، تبعها الألم. وحين يذهب البشر، يأتي دور الكائنات المعدّلة جينيًّا. فيقتلُ أرنبٌ آخر. بعدها، تُدسُّ خلطات كربهة في فمي قسرًا. لا تدخل أشعة الشمس إلى هذا المكان، وليس عندي حليف يساندني ويؤانسني هنا. أنا وحيد وأعزل، بلا حول ولا قوّة.

غمرتني موجة جديدة من الحيرة والارتباك حين استفتقتُ ووجدتُ نفسي في مكان يطغى عليه اللون البرتقاليّ الغامق. لا أعرف كيف عدتُ إلى شقّة مقاطعتي في الكابيتول. حين التفتُّ إلى الجانب الآخر من الغرفة، أدهشني منظر سرير وايات، الذي أُزيلَ عنه اللحاف على حين غرّة. فحتى الآن، لم أجد الفرصة لأبكيه وأحدّ عليه.

حرّكتُ أصابع يديّ ورجليّ برفق، فعرفتُ أنّ الأنابيب والقيود قد نُزعتُ عنيّ. إنّما يبدو أنّي حصلتُ في المقابل على جهاز مطابق لذلك الذي كان مُثبّتًا على صدر لولو. ثم أزلتُ اللحاف الزغبي والملاءة الفاخرة عنيّ لأفحص بطني المجروح. ما زلتُ عارِبًا. وقد أُزيلتُ الغرز، ولم تبق سوى ندبة كبيرة أشبه بابتسامة مُلتوية. ومع أنّ فخذي أفضل حالًا من بطني، إلّا أنّني أظنُّ أنّني سأحمل الندبة التي ارتسمت عليه طوال حياتي. قفزتُ من السرير بسرعة لأنّهض، فشعرتُ بالدوار، وتهاويتُ عليه من جديد، فتمسّكتُ باللحاف والملاءة ريثما أستعيد توازني. انتظرتُ بعض الوقت قبل أن أجرب مجددًا، ثمّ ثبتُّ قدميّ على الأرض ونهضتُ ببطء.

لا يزال لباس النوم الخاصّ بي على الأرض؛ تمامًا كما تركته في صباح اليوم الأول من مباريات الجوع. وبما أنّني لا أرى خيارات أخرى، ارتديتُ لباس النوم.

مشيتُ مُتمايلاً بخطى مُتثاقلة نحو غرفة الجلوس، واثّكأتُ على عضادة باب غرفة الفتيات لأحفظ توازني، فلاحظتُ لحافي ولحاف وايات على الأرض

مع الوسائد التي نمنا عليها في ليلتنا الأخيرة في الشقة، حتى إنّ وسادة لولو ما زالت تحمل بقع دم جافة حيث نزفت أذنها. ومنامة مايزيلي مطوية بعناية على سريرها. لا أحد منهم هنا لأنهم ماتوا.

صرختُ بصوت أجش: "ماغز؟ وايريس؟" ولم أحصل على أي جواب. المبنى كله صامت صمت القبور. وحتى الشارع المحاذي مغلق ومهجور، والحيّ محاصر. أنا شاب خطير حقًا. أنا الشاب المُشاكِس الظريف الذي صار مُتمرّدًا قاتلًا. يبدو أنني أصبحت كعائلة وُدباين تشانس المُتمرّدة، وكُتب لي أن أتدلى من حبل المشنقة تحت أنظار سكان المقاطعة الثانية عشرة.

في المطبخ، كانت الطاولة فارغة. لكنني وجدتُ في البراد صينية خبز ورقًا ممتلئًا بعلب صغيرة من الحليب. حليب وخبز. هذا ما تناوله الرئيس سنو بعد أن تسمّم من المحار. ومع أنّ معدتي انكمشت وصارت بحجم حبة الجوز، إلّا أنّها ما زالت تشتهي الطعام. فغمستُ بضع قطع من الخبز في الحليب والتهمتها. لم أعد أخاف من التسمّم. فلو كان الرئيس سنو يريد أن يقتلني، لما بذل كل هذا العناء ليبقيني حيًّا. لا بد من أنّ لديه خطأ كبيرًا لي. ذكرّرتني الكاميرا المُثبتة في زاوية سقف المطبخ بأنّ الكابيتول يراقب كل خطوة أخطوها، أو يسجّلها. لا، فبعد كل ما حدث، لن يكتفي الكابيتول بتسجيل ما أفعله. ولا شكّ في أنّه يراقبني من كُتب ليلاً نهارًا. ولن يسمح لي بالموت. فإذا حصل لي أيّ مكروه، سينعشني الكابيتول، ويحرص على إبقائي على قيد الحياة لأسلّيه وجمهوره. ولن أستغرب لو كان ما أفعله في هذه اللحظة يُبتّ بُتًا مباشرًا. وربّما ستلازمني عدسات الكاميرا إلى الأبد لأنني فزتُ في مباريات الجوع...

أرهقتني جولتي في الشقة، فعدتُ إلى السرير ونمتُ نومًا مُتقطّعًا.

ومضت الأيام، وأمضيتُ وقتي على مزاجي في الشقة. فلا شيء يشغلني. لديّ وقت كافٍ للتفكير في عواقب أفعالي في ساحة القتال. فأنا لم

أفوت أي فرصة لتخريب مباريات الجوع العزيزة على قلب الرئيس سنو. إنما لم أعد أفتخر بأفعالي كالسابق. فلا أنفك أتساءل عمّن يدفع ثمن أفعالي. وأغلب الظن أنّ الكابيتول يعدّب بيتي وماغز ووايريس لاستخلاص أسماء المتواطئين معهم، وهم الأشخاص الذين خبأوا موادّ مُتفجّرة في زهور دوار الشمس، والفتائل في القلائد المصفورة، فضلًا عن أسماء مُصمّمي المباريات وجنود حفظ الأمن الذين ساعدوهم على تهريبها إلى ساحة القتال. أرجو أن يكون الكابيتول قد أبقى أعضاء فرق التجميل المُكلّفين بالمقاطعة الثانية عشرة وإيفي خارج الموضوع، فما هم سوى بيادق ساذجة وليّة له. ولا أظن أنّ أحدًا يشكّ في ولاء دروسيل وماغنو ستيفت، إنما لا يهمني إذا أحاطت بهما الشكوك. وماذا عن بلوتارك؟ ما زلتُ غير متأكّد من دوره في الخطة، لكنّه كان مُحقّقًا بشأن الشمس وبوابات الكائنات المعدلة جينيًّا. ولولا المعلومات التي زوّدي بها، لما استطعتُ تنفيذ مهمتي بسهولة. هل هو في صفّي أو في صف الكابيتول؟ هل يمكن أن يكون عميلًا مزدوجًا يلعب على الحبلين؟ يصعب الجزم.

لا أجرؤ على التفكير في عائلتي وأحبّائي في الديار. فقد كان كل قرار اتّخذته، وكل خطوة خطوتها، قائمًا على أساس أنّ موتي سيحميهم من الأذى. هذا ما أكّده لي الرئيس سنو في مكتبة بلوتارك، حين قال: "إنّ موتك يمنح لينور دوف وعائلتك فرصة لعيش حياة طويلة وسعيدة". وضعي الآن شبيه بوضع بيتي: لو مات هو لبقني أمبيرت حيًّا. كان الرئيس سنو يريد أن يعدّبه، فأجبره على مشاهدة مَقْتَل ابنه. فلا سبب لقتل أمبيرت، إلا تعذيب بيتي. لكن، بما أنّ الرئيس سنو يحتاج إليّ لأنّ عليه أن يُتوّج فائزًا في الدورة الثانية من المباريات الربعية- لتكون مثالية كما يحلم بها- أظنّه غير رأيه بشأن قتلي.

ومع ذلك، أعتقد أنّ وضعي أسوأ من وضع بيتي. ففي حين كانت مخالفاه سرّية، تمّ بتّ مخالفاي على الهواء المباشر في بانيم كلّها. إنما لا يسعني سوى أن أتساءل عمّا إذا تمّ بتّ مخالفاي حقًّا. لا أعرف إلى أيّ مدى

تلاعب الكابيتول بمشاهدي وفبركها وحرفها. فربما لم يعرض أيًا من المشاهد التي تدينني، ولم يبث أيًا من ملصقاتي للجمهور. وإذا كان هذا ما حدث، فمن الممكن أن يُخفف الكابيتول من حدة العقوبة التي تنتظرني.

أنا أتحدّى الرئيس سنو وألغابه الربعية على رؤوس الأشهاد منذ لحظة وصولي إلى الكابيتول. ولم أراجع حتى بعد اجتماعي به في مكتبة بلوتارك، بل تباهيتُ بعصيانِي. وإذا قدّم طبقًا من المحار المُسمّم لإنسيتاتوس لومي- مدير موكب الاستعراض- ليعاقبه على عدم كفاءته، فلا شكّ في أنّه يحضّر وليمة كبيرة لي ولأحبائي.

حسبُ الأيام بناءً على تغيّر الضوء في الشارع أمام المبنى. لقد مرّ أسبوع حسب ما أظنّ. وما زال الحبس الانفرادي مُستمرًا. إنّ الوحدة الموحشة تخيفني أكثر من ذاك المختبر المريب. وعندما يشتاق المرء إلى صحبة كائنات معدلة جينيًّا، يستوعب أنّه في ورطة حقيقية. لكن، ماذا أفعل؟ أتوق إلى من يؤانسني.

ومع مرور الأيام، باتت أرغفة الخبز وتصلّبت، وبدأ الحليب يفسد. ومع ذلك، لم أتوقّف عن الأكل والشرب بنهم كمن تعافى من مرض وفُتحت شهيته على الطعام. فصرّثُ آكل الخبز وأشرب الحليب وأنا أحلم بالخوخ الطازج، والبطاطا المهروسة، وحساء لحم الأرانب، والكعكة التي تعدّها أمّي بمناسبة ذكرى ميلادي. هل سأكل تلك الكعكة مجددًا؟ لا أظنّ ذلك. وإن حصل وعدتُ إلى المنزل، لن يكون للأعياد الطعم نفسه. سيتغيّر كل شيء. حتى إنني لن أعود إلى منزلي، بل سيكون لي بيت في قرية الفائزين فيه كل الكماليات التي ذكرها لي بيتي: كهرباء لا تنقطع، وأجهزة التدفئة والتبريد، ومرحاض فيه "سيفون"، وماء ساخن ينصبّ من الصنبور بحركة بسيطة. فلا داعي لصحّ الماء، ولا لقطع الحطب. ولا تختلف تلك الكماليات عن نظيراتها الموجودة هنا في سجنِي.

ربما ألغى احتفال فوزي بسبب أفعالي المتمردة. وربما وُضعت في هذا السجن بانتظار موعد إعدامي العلني. آمل أن يكون هذا ما حدث.

صرْتُ أقضي ساعات طويلة في حوض الاستحمام. لقد أُزيلت المنشفة التي رميتها فوق الكاميرا، ولم أكلّف نفسي عناء وضع واحدة أخرى في مكانها. لأنّ مَنْ يراقبني عبر الكاميرات سيخدّرني عبر الجهاز المزروع في صدري ويأخذ المنشفة، وقد يقيدني من جديد. لا جدوى من المقاومة. فصرْتُ أجلس في الحوض لساعات وساعات. وكلّما بردت المياه، استبدلْتُها بماء ساخن. وكانت أصابع يديّ ورجليّ تتجعد، وبقايا الجلد الميت تنقشر عن ندبتي وتطفو حولي. بعدها، كانت تستحوذ على ذهني مشاهد من ساحة القتال وتطاردني. ولم أكن أرى سوى الموت. فقد كانت تتتالي في ذهني مشاهد وفاة مجالدين لم أشهد نهايتهم؛ كأولئك الذين لقوا حتفهم في المعركة الأولى أمام القرن مثلاً. حاولتُ أن أتذكّر أسماء جميع المجالدين الآخرين، وعددهم سبعة وأربعون مجالداً إلى جانب لولو. فساعدني نظام مايزيلي الذي يعتمد على ألوان الأزياء في تذكّر أسماء نصف المجالدين، إنّما غاب عني النصف الآخر. فأنا لا أذكر أيّاً من أسماء مجالدي المقاطعتين الخامسة والثامنة مثلاً.

لم أجد السكينة في غرفة يتردّد فيها صدى غياب وايات، فأخذتُ لحافي، وانتقلتُ إلى أريكة غرفة الجلوس. وصرْتُ أضغط على جهاز التحكم بلا جدوى؛ فشاشة التلفاز تدور وتنطفئ على هواها، وتعرض عليّ مُقتطفات مُختارة بعناية من مباريات الجوع القديمة: مشاهد دموية، وأطفال مرعوبون يائسون. هذه المشاهد من الدورات الأولى من مباريات الجوع التي نادراً ما يعرضها الكابيتول على الشاشات. إذ كانت المباريات الأولى أشبه بنسخة رديئة عن المباريات الحالية، فما كانت الميزانية المُخصّصة لها شيئاً يُذكر. وكان المجالدون يوضعون في ساحة قتال قديمة مع بعض الأسلحة، ويتعاركون في ما بينهم. لا استعراض ولا أزياء باهرة ولا مقابلات مُتلفزة.

في إحدى الليالي، تسللت نعمة شجية إلى أحلامي، ففزرتُ من نومي مذعورًا، وناديتُ باسم لينور دوف. وإذ بي أجد شاشة التلفاز مُضاءة، وعليها صورة شابة ترتدي ثوبًا مليئًا بالكشاكش ملوّنًا بألوان قوس قزح، وتغني لحناً مألوفًا، كلماته غريبة عني.

سأصبح في قبري؛ عاجلاً وليس آجلاً.

ستكون وحيدًا؛ عاجلاً وليس آجلاً.

حسنًا، أتساءل إلى من ستلجأ في الغد؟

لأنه عندما يدق الجرس يا حبيبي ستكون وحدك.

كانت تغني أغنياتها على مسرح رث في الكابيتول، أمام جمهور يرتدي ملابس من طراز قديم تشبه ثياب العمة ميسالينا والعم سيليوس. وعندما ركزت في صوت الشابة ولهجتها ولكنتها وأناملها المُتراقصة على أوتار الغيتار، عرفتُ أنها من شعب كوفي... لكنّها ليست حبيبتي. ليست لينور دوف.

وأنا الشخص الذي سمحت له أن يراك تبكي.

أنا أعرف الروح التي تُكافح من أجل إنقاذها.

من المؤسف أنني أراهن على خسارتك في الحصاد

الآن، ماذا ستفعل عندما أذهب إلى قبري؟

عندما انتهت الأغنية، كانت عيون الجمهور دامعة. وحين صاح أحدهم: "أحسنِتِ!" تعالت الهتافات والصيحات، فانحنت الشابة للجمهور، ثم مدّت يدها مُشيرة إلى شخص يقف في الظلال، فرأيتُ ظلَّ رجلٍ منتصب القامة، ممشوق الجسد، شعره مجعّد. فتردّد الرجل، وكأُتّه يخوض صراعًا داخليًا ليقرّر ما إذا كان سيتقدّم إلى منتصف المسرح أو سيبقى في الظلال. وما إن خطا خطوة واحدة نحو المسرح، حتى انطفأت شاشة التلفاز.

مهلاً، هل ذكرت الشابة الحصاد في أغنيّتها؟ أجل، هذا ما سمعته. لقد ذكرت الحصاد. فما الذي يُبرّر وجود شابة من شعب كوفي في الكابيتول غير الحصاد؟ أيعقل أن تكون هي الفائزة الوحيدة من المقاطعة الثانية عشرة؟ لا بدّ من أنّها هي. لا عجب أنّ لينور دوف ترفض أن تحدّثني عنها. يبدو أنّها تعرف قصة هذه الشابة، ويبدو أنّ قصّتها سرّ دفين، أو حكاية موجّعة تفتح جروحًا قديمة. لذا، تمتنع لينور دوف عن ذكرها. ثم تذكّرُ الرقع الملوّنة الزرقاء والصفراء والزهرية التي تخفيها لينور دوف في ثيابها. هل هي قصاصات من فستان تلك الشابة يا ترى؟ أهذه طريقتك في إحياء ذكراها يا لينور دوف؟ ما اللون الذي سُمّيت تلك الشابة الملوّنة بألوان قوس قزح تيمّنًا به؟ ماذا حلّ بها بعد مشاركتها في الدورة العاشرة من مباريات الجوع؟ هل عادت إلى منزلها؟ هل ماتت في ذاك المختبر الجهنمي؟ ماذا فعلت ليُخفي الكابيتول أثرها بالكامل؟

من يكون ذاك الرجل الذي مدّت إليه يدها في نهاية العرض؟ فقد بدا لي أنّ الشابة تكّن له مودّة خاصة. من الممكن أن يكون المجالد الآخر من المقاطعة الثانية عشرة، وقد لقي حتفه في ساحة القتال على الأرجح. ومن الممكن أيضًا أن يكون من مقدّمي العرض، من أمثال سيزار فليكرمان. لو أنّه لا يزال على قيد الحياة، فلا بدّ من أنّه تجاوز الأربعين من العمر.

أربعون عامًا. هذا يعني أنّ ما شاهدته حصل بعد فترة قصيرة من نهاية الأيام المظلمة. ولو نسيت المقاطعة الثانية عشرة هذه الشابة، فلا أظنّ أنّ

أحدًا في الكابيتول سيتذكرها. لا، مهلاً. أعرف شخصًا في الكابيتول يتذكر شعب كوفي، شخصًا يعرف كيف يختارون أسماء أطفالهم وكم يحبون طيورهم، شخصًا يعرفهم حق المعرفة. يبدو أنّ المعلومات التي ظننت أنّه حصل عليها من مُخيري الكابيتول لها مصدر مختلف تمامًا. ربطت الأمور بعضها ببعض بسرعة في ذهني. ثمانية وخمسون ناقص أربعين. ثمانية عشر. كان الرئيس سنو في الثامنة عشرة من العمر خلال الدورة العاشرة من مباريات الجوع، وكانت تلك الشابة في العمر نفسه على الأرجح. هذا يعني أنّ ذاك الرجل ذا الشعر المجعد في الظلال... أهو الرئيس سنو نفسه؟

فتذكّرتُ حديثي معه في مكتبة بلوتارك، وابتسامته العارفة حين قال لي: "أنا أعرف يمامتك جيّدًا".

"وماذا تعرف عنها بالضبط؟"

"شابة تأسرك بجمالها، وتخطف أنفاسك بألوانها الزاهية وبغنائها العذب الذي يشبه غناء الطائر المقلّد. أنت تحبّها، ويبدو أنّها تحبك أيضًا. لكنك تشكّ أحيانًا بصدق مشاعرها تجاهك لأنّ أحلامها لا تتسع لك".

آه، يا لينور دوف، ماذا فعلتُ بك؟ كيف سيجعلك الرئيس سنو تدفعين ثمن نجاتي وفوزي في مباريات الجوع؟

حينئذ، خرجتُ عن طوري، فحملتُ كرسيًا ورميته على النافذة، فانكسرت وتناثر فتات الزجاج على طاولة مزينة بتمائيل قشط خزفية. ثم ضربتُ قضبان النافذة بمصباح ثقيل، ولم أتوقّف عن ضربها إلى أن سمعتُ الرصاص يتطاير فوق رأسي.

ثم ظهر عدد من جنود حفظ الأمن المُدجّجون بالسلاح، وصوّبوا بنادقهم عليّ. ورأيْتُ خلفهم فريق التجميل مَدعورًا. ولو لم تكن إيفي ترنكت تمسك بأحزمتهم بقبضة محكمة، لأطلقوا أرجلهم للريح. وقالت إيفي بفرحة مُصطنعة: "أنت مُستعد للحصول على إطلالة أنيقة باهرة وساحرة؟"

عندئذ، قيّدني جنود حفظ الأمن بالأصفاد، ودفعوني إلى وسط غرفة الجلوس، حيث وقف فريق التجميل يحملق بي بذهول وفزع. فقد كنتُ جلدًا على عظم، أرتدي بيجاما مُنسيخة. وكانت قدمي العاريتان تنزفان لأنني دست على الزجاج المُحطّم. خلال الأسابيع القليلة الماضية، تحوّلت أظفاري إلى مخالب، وشعري إلى فراء. قتلْتُ عدّة أشخاص، ولم أنقذ أحدًا سوى نفسي. دخلتُ ساحة القتال شابًّا بريئًا، وخرجتُ منها وحشًّا قاتلًا، كما عاملني سكان الكابيتول.

قلتُ: "أحتاج إلى زهرة أعلّقها على سترة بذلتي".

يبدو أنّ الابتسامة لا تفارق مُحيًا إيفي مهما اشتدت الظروف. فرفعتُ وردة بيضاء وأجابتنِي: "أمرك مُطاع سيدي. ما رأيك أن تستحمّ قبل أن نبدأ؟ أظنّ أنّك ستودّ أن تكون إطلائتكُ بهية في حفل تتويجكُ فائزًا في مباريات الجوع".

إدّا، لم يصدر حكم إعدامي بعد.

فبدأ فريق التجميل بالعمل، وغسلوني بالماء والصابون، وشدّبوا شعري، وحلقوا ذقني، وفركوا أسناني، وضمّدوا قدمي. ثم حين رأوا الندبة على بطني، أبدوا اشمئزازهم منها، وعالجوا مظهرها على الفور. ثمّ ألبسوني بذلة أخرى من خزانة العم سيلْيوس.

فقلتُ وأنا أمرر أصابعي على كؤوس الشراب المطرزة على سترتي: "أين ماغنو ستيفت؟"

فأجابتنِي إيفي وهي تجعّد أنفها باشمئزاز: "لا يزال يتعافى من إحدى مغامراته مع الضفادع السامة. لكنه ينوي أن يحضر حفل الليلة، بما أنّك فزتُ في المباريات".

"سأخبر الجميع أنّك من اختار ملابسِي وزيّنتني".

فقالت: "أرجوك، لا تفعل...!" ثم أضافت مُتَنَهِّدَةً: "لأنَّ ماغنو سيثير جلبة. ولا ينقصني أي بلبلة، يكفيني ما أتحمّله بكوني من عائلة ترنكت". ثم لما وضعت قدّاحتي فوق ياقة قميصي، حاولتُ أن أعيدها إلى مخبئها، لكنّها منعتني قائلة: "طلب مئّي أن تكون القلادة ظاهرة، على مرأى الجميع".

"هل ماغنو مَن طلب هذا؟"

فقالت: "لا"، وهي تُقَصِّرُ ساق الوردة، وتُدخلها في فتحة الزر وتربّت عليها. "هو من طلب مني ذلك". ثم تراجعَت خطوة إلى الوراء وأضّقت: "تبدو أنيقًا جدًّا. لا تنس، إنّ التفاؤل أقوى سلاح".

على الرّغم من أنّي كنتُ أرتدي ملابس فاخرة أنيقة، قيّدي الجنود بالأصفاد، ونقلوني في الشاحنة المُعتادة التي كانت أكثر ظلمة وكآبة من دون مايزيلي، ووايات، ولولو. لم يأخذوني إلى غرفة انتظار خضراء هذه المرة، بل مشيتُ وأنا مُكبَّل تحت خشبة المسرح مع أربعة جنود مُكلّفين بمراقبتي، ثم أجلسْتُ على كرسيّ.

أنا مُمتنٌّ لإيفي لبقائها إلى جانبي، حتى إنّهُ عندما اعترض أحد الجنود، قالت له: "إنّهُ الفائز في الدورة الثانية من المباريات الربعية. وبما أنّ دروسيلما وماغنو غير مُتاحين، يجب أن يقف معه شخص من فريقه لتكريمه على ما أنجزه".

فقال لها الجندي: "أنتِ وحدك المسؤولة عن نتائج أفعالك، فلا تلومي إلّا نفسك!"

فكرتُ في الأفعال التي ارتكبتها في ساحة القتال. لا شك في أنّ الكابيتول قد عرض للجمهور قتالي مع الثنائي من المقاطعة الرابعة وقضائي عليهما، وقتالي الوحشي بالفأس مع سيلكا. ربّما يحقّ لهم أن يُقيدوني كوحش. أنا ممتنٌّ حقًّا لإيفي. فهمستُ لها: "لن أؤذيك".

"أعرف، فقد اكتشفتُ طينتك منذ أن ساعدتني في جمع محتويات صندوق التجميل عن الأرض. وأعرف أنّ ما خصته لم يكن سهلًا قطّ".

فاجأتني بكلامها العاطفي، فقلتُ لها: "شكرًا يا إيفي".

"لكنّ مباريات الجوع تخدم المصلحة العامة".

ها هي تُكرّر دعايات الكابيتول من جديد. حيرتني يا إيفي. أنا لا أفهمك.

امتلأت المساحة تحت خشبة المسرح بالناس ومرافقيهم الذين احتشدوا حول خمس منصات معدنية سترفع الشخصيات الرئيسة إلى المسرح الليلة. كان فايروس وبروسرينا يتحركان بتوتر فوق إحدى المنصات، ويُعدّلان "مكياج" بعضهما بعضًا. أمّا دروسيللا، فكانت تتغندر بكعب عالٍ طوله ست بوصات، وعلى رأسها نسر مُحنّط. وكان ماغنو يرتدي زياً مُزيّنًا بزواحف حيّة. وساعده بعض المرافقين في اعتلاء منصته، ثمّ أمسكوه ليحافظوا على توازنه. جلثُ بنظري في الأنحاء، والتفتُ يمينًا ويسارًا بحثًا عن مرشدتيّ. وأخيرًا، رأيتُهما تدخلان. كانت ماغز على كرسيّ مُتحرّك. ومع أنّ وايريس ما زالت قادرة على الحركة والمشى، إلّا أنّ علامات الاضطراب واضحة عليها؛ إذ كانت تهزّ برأسها كالعصافير، ولا تتوقّف عن التّمتمة. يبدو أنّهما تعرّضتا لعذاب أليم. ما إن لمحتني ماغز حتّى حاولت النهوض عن كرسيها، إنّما لم يسمح لها الجنود بذلك، بل أعادوها إلى مكانها. لن يمنحونا فرصة للمّ شملنا.

حين رأيتُ حالة ماغز ووايريس، ما عاد بإمكانني أن أنكر أنّ عائلتي وأحبائي سيُعاقبون على أفعالي. هل سبق أن قُتلوا؟ هل سيقوم الرئيس سنو بترتيبات كما فعل مع بيتي ليحرص على أن أشاهد معاناتهم شخصيًا؟

علا صوت النشيد الوطني، وسمعتُ سيزار فليكرمان يرحّب بالجمهور في حفل تتويج الفائز في الدورة الثانية من المباريات الربعية، ويصف ألعاب هذا العام بأنها تاريخيّة، واستثنائيّة، وراسخة في الذاكرة؛ مُشدّدًا على أنّها أيضًا تذكير مُغمّ بالأيام المُظلمة. ثم بدأ بتقديم فريقَي وسط صيحات الجمهور

وهتافاته. فاعتلى فايتوس وبروسربينا المسرح على منصتهما، وهما يُصقّان
لنفسيهما، تليهما دروسيلا على منصّتها بوضعية دراميّة، مُتَشَبِّهَةً بنسر يفرد
جناحيه. وعندما ارتفعت منصة ماغنو، كاد يسقط عنها، لكنّه استعاد توازنه في
اللحظة الأخيرة، فاعتلى المسرح راكعًا على ركبة واحدة، وبداه مُتشابكتان
فوق رأسه في علامة النصر.

ثمّ رفع جنود حفظ الأمن ماغز، وأجبرها على الوقوف، فوقّعت إلى جانب
واپريس، وشبكت كلّ منهما ذراعها حول خصر الأخرى، واتّكأتا على بعضهما
بعضًا.

أما أنا، فقد حُررْتُ من قيودي، إنّما أمسكني الجنود ليُبْقوني في مكاني
على المنصة إلى أن بدأت ترتفع. تُرى، ما الذي رآه الجمهور ممّا حدث خلال
مباريات الجوع؟ هل سيُهَلَّلُ ويُصقّق لي أو سيشمئز منّي؟ وكيف يراني؟ هل
ما زال يرى ذلك المشاغب المُشاكِس المحبوب؟ أو صرْتُ في عيونه الوحش
القاتل القادم من المقاطعة الثانية عشرة؟ ما من أحد حولي أسأله سوى إيفي
ترنكت، لكنّها نزلت عن المنصة واختفت وسط الظلال.

هَيَّأْتُ نفسي للأسوأ. فإمّا سيرمي الجمهور عليّ فاكهة فاسدة، أو
سيُهينني ويطرّدني من المسرح. وحين رفعتني منصتي إلى المسرح، أعمتني
الأضواء الساطعة، فرفعتُ يديّ لأحمي عينيّ. وبعد أن تكَيّفت عيناى مع
الضوء، أدركتُ أنّ كل الجمهور الموجود قد وقف لاستقبالي بعاصفة من
التصفيق الحارّ والهتافات والدموع.

أنا بطل اليوم، نجم بانيم، الفائز في المباريات الربعية، ما يعني أنّ
الرئيس سنو هو من فاز.

ثمّ بدأ الجمهور يُرَدّد هتافات: "أرنا إيها! أرنا إيها! أرنا إيها!"

التفتُّ إلى سيزار ليشرح لي ما يطلبه منّي الجمهور، فرسم خطًّا أفقيًّا
على بطنه. ندبتي. يريد الجمهور أن يرى ندبتي. ولا أظنّ أنّ أمامي خيارًا آخر.

فرفعتُ قميصي الحريريّ، وأنزلتُ سروالي قليلاً مُراعياً حدود الحشمة والحياء، وأريتهم ندبتي. ظلّ الجمهور يُصقّق لي خمس دقائق كاملة.

ثمّ ظهر علم بانيم المرفرف على الشاشات العملاقة المُعلّقة حول المسرح، وعُزِفَ النشيد الوطني، فيما قادني سيزار إلى كرسي مُنجد وسط خشبة المسرح لنشاهد معًا موجز ألعاب هذا العام. ستكون هذه هي المرة الأولى التي أشاهد فيها ما بثّه الكابيتول للجمهور من مباريات الجوع التي شاركتُ فيها.

بدأ الموجز بمشهد قراءة البطاقة الذي شاهدته في المنزل مع أمي وسيد في الربيع: رفعت فتاة صغيرة تجسّد البراءة بزِيّها الأبيض غطاء صندوق خشبي مليء بالمغلّفات، ثم تتسع اللقطة، فيظهر فيها الرئيس سنو مُعلّناً بصوت رسمي: "احتفاءً بالدورة الثانية من المباريات الربعية، نحترم رغبات الأشخاص الذين خاطروا بكل شيء من أجل تحقيق السلام في أمّتنا العظيمة". ثمّ انحنى قليلاً، واختار المغلف المكتوب عليه الرقم "50" من الصندوق، وقرأ البطاقة الموجودة في داخله: "بمناسبة الذكرى الخمسين لمباريات الجوع، نذكركم بأنّ الخسائر التي تكبّدها المتمرّدون في صفوفهم خلال الحرب تساوي ضعف خسائر الكابيتول. لذا، سيتعيّن على كل مقاطعة إرسال ضعف العدد المُعتاد من المجالدين إلى مباريات الجوع، ما يساوي أربعة أطفال؛ اثنان منهم من الإناث واثنان من الذكور، من كل مقاطعة. وفي مضاعفة عدد المجالدين عبرة مفادها أنّ القوة الحقيقية لا تُقاس بكثرة الأعداد، بل بالحقّ والعدل".

ثمّ انتقل الموجز إلى مراسم القرعة والحصاد، وعُدّدت أسماء المجالدين بسرعة وبالترتيب؛ بدءًا من المقاطعة الأولى: "سيلكا شارب!" "باناش باركر!"... وكلّما ذُكر اسم عُرضت صورة صاحبه، وزاد رقم العدّاد الموجود في زاوية الشاشات رقمًا؛ بدءًا من الرقم واحد ووصولًا إلى ثمانية وأربعين. وبما أنّني- الفائز- من المقاطعة الثانية عشرة، حظيت مقاطعتي

بوقت أطول لتقديم مجالديها من المقاطعات الأخرى. فها هي دروسيلًا بقبعتها الصفراء وأرياشها تقول: "السيدات أوّلاً!" ثم تُعلن اسم المجالدة الأولى: "لوپلا ماكوي!"، وها هي حبيبة قلبي تعتلي المسرح بخطى وثقة. وحين أعلنت دروسيلًا اسم "مايزيلي دونر!" انتقل المشهد إلى مايزيلي وميريلي وأستريد وهنّ يتعانقن وسط الحشد في إحدى لقطات الوداع المؤثّرة التي صوّرها بلوتارك. "والشاب المحظوظ الأول الذي سيرافق الأنستين هو... وايات كالو!" فعُرِضَت لقطة سريعة لوايات قبل أن تُعلن دروسيلًا اسمي أنا. لم يُعَرَض مشهد لينور دوف حين رفضت أن تمثّل وتذرف الدمع أمام الكاميرا. فأغلب الظن، لم يكن المشهد مُؤثّرًا بما يكفي لبلوتارك، ولم يرقّ للرئيس سنو لأنّ فيه شابة من شعب كوفي. إنّما لم تُعَرَض مشهد أمّي وسييد أيضًا. لِمَ حُدِّقَت المشاهد التي صوّرها بلوتارك مع أمي وسييد؟ اقشعرّ بدني بسبب غياب أمي وأخي عن الشاشة. ثمّ اختتمت دروسيلًا مراسم الحصاد قائلة: "سيّداتي سادتي، رَحّبوا معي بمجالدي المقاطعة الثانية عشرة المشاركين في الدورة الخمسين من مباريات الجوع!"، وكأَنَّها تتحدّى سكان المقاطعة الثانية عشرة أن يخالفوا ما طلبته منهم، "أتمنى أن يبتسم الحظ لكم دائمًا!" وانتهى الجزء المُتعلّق بالقرعة والحصاد من الموجز بإعصار من قصاصات الورق الملوّنة التي غمرتني وأخفتني عن الشاشة.

أردتُ أن أفصح عن الحقيقة وأصيح بملء رئتيّ: لقد أطلقوا الرصاص على رأس فتى وفجّروا دماغه! وأطلقوا النار أيضًا على سكان المقاطعة الثانية عشرة! ولم يُسحَب اسمي في القرعة! لقد أجبروني على المشاركة في مباريات الجوع! لكنني التزمْتُ الصمت في خضوع ضمنيّ. فأنا الآن تحت رحمة الرئيس سنو وسيطرته التامة، وهو يعرف ذلك جيّدًا.

ثم انتقل الموجز إلى موكب الاستعراض. ووفقًا للمقاطع التي أشاهدها، لقد نظّم إنسيتاتوس لومي موكبًا لا تشوبه شائبة. إذ لم تُعَرَض الاستعدادات والتحضيرات المحمومة في الإسطبل، بل اقتصر المشهد على عرض العربات

وهي تجتاز الممشى بشكل مُنظَّم وراقٍ. ثم عُرِصَتْ لقطعة جوية أخيرة كانت فيها العربات الاثنتا عشرة تسير على الممشى في تناغم. وانتهى العرض قبل حوالي خمس عشرة ثانية من انفجار تلك المفرقة النارية الزرقاء التي أثارت فوضى عارمة. هذا كل ما شاهده سكان بانيم. ومَن لم يكن بين الحشود الجالسة على المدرجات لم يعرف أنَّ العربات تصادمت بعضها ببعض، ولا أنني حملتُ لويلا إلى الرئيس سنو وحملتُه مسؤولية وفاتها. لكنَّ كلَّ ما لم يُعرَض في الموجز يعني أنه لم يحدث. وحان الآن دور المقابلات المتلفزة مع جميع المجالدين.

عُدَّت المقابلات لإبراز ذكاء المحترفين وتشبُّت المُستجدين. هل لاحظ أحد غيري هذه التعديلات؟ لقد أنزل الموجز مكانة لولو وقدرها، وأظهرها وكأنَّها مجرد فتاة ترتدي أزياء مزينة بالزواحف الحية، وتجاهل اللحظات البارزة في مقابلتي مايزيلي ووايات، واختصر مقابلتي ولم يترك منها إلاَّ تبادلًا ساخرًا واحدًا مع سيزار:

"تضاعف عدد المجالدين في ألعاب هذا العام. كيف سيؤثر هذا على فرصكم في الفوز يا هايميتش؟"

"لا أظنَّ أنَّ زيادة عدد خصومي ستُحدث أيَّ فرق، ما دام الغباء مُتفشِّيًا في صفوفهم".

وانتهى موجز مقابلتي حين قهقه الجمهور، فيما ابتسمتُ ابتسامة ساخرة تؤكد أنني وغد أناني مُتعالٍ. لم يُذكر شيء مما قلته عن مساعدة المستجدين وحمائهم، ولا عن صناعة الشراب لجنود حفظ الأمن؛ فتحوّل الشاب المُشاكس إلى صعلوك.

ها نحن نصعد إلى ساحة القتال. إنَّ المشهد الافتتاحي الذي يظهر فيه المجالدون مذهبولين بجمال الثروة النباتية والحيوانية هو رسالة تقدير مُوجَّهة

إلى مُصممي المباريات. لكنّه لا يذكّرني إلّا بذلك العطر الحلو المُضلل الذي يُربك العقل ويُشوِّش التفكير.

وها هو الصعلوك- أي أنا- يجمع ما يحتاج إليه ويتعد عن منتصف ساحة القتال بأقصى سرعة. بعدها، بدأت أحداث المعركة الأولى التي دارت أمام قرن الوفرة، حيث قُتِلَ ثمانية عشر مجالدًا. وكان الحاضرون من الجمهور يلهثون ويشهقون ويهتفون فرحًا وهم يشاهدون المجزرة، مع أنّه سبق لهم أن شاهدوها من قبل ولا جديد بالنسبة إليهم: لقد مات وايات بطلًا، وضحّى بنفسه لحماية لولو المذهولة التي هربت من المجزرة سالمة من دون أي خدش. وقاتلت مايزيلي من اعترض طريقها، ثمّ لحقت بلولو لتحميها. سقط الكثير من المستجدين في تلك المعركة: يمامتان من المقاطعة السادسة، شابًا المقاطعة السابعة، وجميع مجالدي المقاطعتين الثامنة والتاسعة، ولاني والمجالدة الأخرى من المقاطعة العاشرة، وتايل من المقاطعة الحادية عشرة. وصل مجموع وفيات المستجدين- مع وايات- إلى ستة عشر مُستجِدًّا. أمّا مجموع وفيات المحترفين، فمجالدان اثنان: شابّ وشابّة من المقاطعة الخامسة؛ ما يعني أنّ مجموع الوفيات النهائي في المعركة الأولى كان ثمانية عشر مجالدًا.

عاد الصعلوك إلى الشاشة. خذ وقتك. لا داعي للاستعجال. التقط أنفاسك على تلك الصخرة، وتفقد محتويات حقيبتك. لا تقلق بشأن المستجدين، فإنّهم يتدبّرون أمورهم بنفسمهم. نعم، استمتع بالمناظر الخلابة واذهب في نزهة في الغابة.

أصيب عدد من المجالدين بالتسمّم من فاكهة الأشجار وماء الجداول. فتلّوت كارات- الشابة من المقاطعة الأولى- وأورتنشين- الشاب من المقاطعة الرابعة، ذاك الذي دفعني عن العربة- حتى الموت. فارتفع عدد الموتى الذين رأيت صورهم في السماء في الليلة الأولى إلى عشرين مجالدًا. ونصب باقي المحترفين مخيمهم على الجبل المغطّى بالثلوج.

حتى هذه اللحظة، يبدو لي أنّ موجز مباريات الجوع تسجيل وافي لما جرى في ساحة القتال. إنّما حين وصلنا إلى اليوم الثاني من المباريات، بدأت الأمور تخرج عن مسارها. فقد رأينا مايزيلي تقتل لوبي، الشاب من المقاطعة الأولى، بمفردها. وأعرف أنّ هذا ما حدث لأنّها أخبرتني بذلك بنفسها. ثمّ انتقلت الكاميرات إلى مجالدين ما زالوا يتعافون من تأثير السم، ومجموعة من المحترفين الذين يُطاردون المستجدين. ويبدو هذا الجزء منطقيًا أيضًا. لكنّ قصّتي والأحداث التي جرت في الغابة بدأت تنحرف عن الواقع. فتغيّر ترتيبها الزمني وترابطها وتسلسلها. لم ينشر الكايتول أكاذيب بقدر ما أخفى بعض الحقائق وطمسها. فمثلًا، رأيّني أقاتل السناجب مع أنّني لم أصادفها قبل اليوم الثالث حين قاتلتها لأنقذ آمبيرت. إنّما في هذه النسخة من الأحداث، لم ألتق آمبيرت بعد، فبدأ الأمر وكأني كنتُ أقاتل لحماية نفسي فقط. ثمّ عُرضَ مشهد لولو وهي تستنشق رحيق الزهور السامة وحدها وكأني لم أكن معها. بعدها، هربتُ من الفراشات الزرقاء الكهربائية وحدي. فقد محّا مُصمّمو المباريات الجزء الذي حملتُ فيه جثة لولو وتوغّلتُ معها في الغابة. فلم يعرف الجمهور أنّ الفراشات الزرقاء أرسلتْ لمعاقتي على فعلتي. لا أعرف ماذا رأى الجمهور خلال المباريات، لكنّ الموجز يجعلني أبدو وكأني لم أحاول حتى أن أحمي حلفائي. وفي اليوم الثالث، ظهرت السناجب مرّة أخرى، وهاجمت آمبيرت ونهشت لحمه، ولم تترك منه إلا هيكلًا عظيمًا على الأرض. وكالعادة، حُذِفَتْ من هذا المشهد أيضًا، كما حُذِفَتْ مشاهد تناولنا الطعام معًا، وتخيمنا في الغابة، وجلوسنا حول النار، وتعاوننا في تفجير خزان الماء، وثورة غضبي بعد موت آمبيرت، وأعطال ساحة القتال وخروجها عن السيطرة.

ثم سُلِّطَت الأضواء على فظائع ثوران البركان. فرأينا كيف عاش المجالدون لحظات الانفجار المدوّي الذي قذف عليهم ألسنة من اللهب، وكيف اختنقوا بسبب السحب الدخانية، واحترقوا حين لامستهم الحمم البركانية الكيميائية. سقط اثنا عشر مجالدًا، وبصعوبة نجا الآخرون من البركان واتجهوا عبر المرج نحو الغابة.

عندئذ، عادت الكاميرات إليّ مجدّداً، وأنا أستيقظ مغطّي بطبقة من الرماد اللامع وأواصل السير شمالاً. وبما أنّ مؤامرة تفجير الخزان حُذِقت من الرواية، صارت القصة التمويهية التي فبركتها لإبقاء المؤامرة سرّاً هي الحقيقة. فبدأ أنّ هدفي الوحيد هو بلوغ حدود ساحة القتال. ثم أمطرت السماء، إنّما لم نر أي أثر لانفجار الخزان، وما أسفر عنه من أعطال في ساحة القتال. وها أنا أعلق في متاهة السور، وأتبع الأرنب الرمادي إلى الحرية، وأصادف باناش ورفاقه.

مَن ذا الذي يقتل مجالدي المقاطعة الرابعة بوحشية؟ هل هذا أنا؟ لا أصدّق ما أراه. لم أعد أعدّ نفسي صعلوگًا؛ فالكلمة لا تكفي لوصف الكائن المقيت الذي تحوّلتُ إليه. وما زاد الطين بلة هو أنّ مُصمّمي المباريات عرضوا كل كلمة مُذِلَّة ومُتملّقة قتلها لباناش كيلا يقتلني. ثم أردته مايزيلي قتيلاً بسهم مُسمّم.

وقالت لي: "إذا تعاوننا، فسنصمد لفترة أطول". آه، يا مايزيلي، أشعر بالعار لأنّني ما زلتُ هنا أشاهد ما يروبه الكابيتول وأنا جالس على مقعدي.

ثم عادت الأحداث إلى مسارها الحقيقي بعض الوقت. فشكّلتُ فريقًا مع مايزيلي وحمينا بعضنا بعضًا، فيما تعاركت سيلكا وماريتي مع رينجينا وأوتون وهزمتاهما. لكن، حُذِقت مشاهد تدخّلي مع مايزيلي في قتال القنفذ، ومشاهد ماريتي ومايزيلي وهما تقتلان مُصمّمي المباريات الثلاثة. فطاردتنا ماريتي وسيلكا عبر الغابة، فيما قتل القنفذ باك وتشيكوري وهال بأشواكه، وقرّر أن يتوغّل في أعماق الغابة بنفسه.

هل وصلنا إلى اليوم الرابع أو الخامس؟ لا أعرف فقد دُمِجت كلتا المحاولتين اللتين نَقَذْتُهُما مع مايزيلي لاختراق السور وعبره في مشهد طويل واحد يتضمّن معركة مع الدعاسيق وموقد لحام. وبعد أن عبرنا السور، وقفْتُ مع مايزيلي على حافة الهاوية، إنّما لم يظهر مولّد الكهرباء على

الشاشة. ويبدو أنّ مُصمّمي المباريات حذفوا ضرب المدفع الذي أعلن عن وفاة ماريتي، والجزء الذي تقول لي فيه مايزيلي إنّها ستجلب البطاطا وتعود. فبدا وكأنا قررنا الافتراق عن بعضنا بعضًا، وذهب كل منا في سبيله. وما أثار دهشتي حقًا هو أنّ مُصمّمي المباريات عرضوا اللحظة التي اكتشفتُ فيها حقل القوة الخفي الموجود في الهاوية. أظن أنّهم لا يستطيعون أن يحذفوها لأنّها نقطة أساسية توضّح ما حدث عندما ماتت سيلكا.

ثم هجمت الطيور الوردية على مايزيلي، فسمعتُ صراخها. وللمرة الأولى، يبدو أنّي تصرّفتُ تصرّفًا لائقًا وركضتُ لنجدتها. أوه، لا. هل حوّل مُصمّمو المباريات قصتي إلى قصة الوغد الذي تعلّم أن يكثرث لأمر الآخرين ويهتمّ بهم؟ لا، آمل أنّهم لم يفعلوا ذلك.

والآن، إلى أين وصلنا؟ هل إلى اليوم الخامس أو السادس؟ من يدري؟
إنّه يوم مجيد باهر ساحر.

لا أثر لإبريق الحليب الذي أرسله لي الرئيس سنو. وأضاف مُصمّمو المباريات صوت صراخ ويلي وأنا أركض في الغابة، إنّما ليس هذا ما حدث أصلًا. يبدو أنّي تذكرتُ أخيرًا أنّي أنتمي إلى تحالف المستجدين، وأركض إلى ويلي لإنقاذها. وإذ بي أسمع ضرب المدفع وأجد نفسي أمام سيلكا وهي تحمل رأس ويلي في يدها.

وانتقلت الكاميرات إلى السناجب الذهبية التي قتلت ماريتي ونهشت لحمها كله. لكنّ ماريتي ماتت قبل ذلك الحين. ألم يلاحظ المشاهدون أنّ هناك خطبًا ما في تسلسل الأحداث؟ لقد ظهرت صورة مايزيلي وماريتي في السماء في الليلة نفسها. ألا يتذكّرون ما حدث؟ ألا يكثرثون للحقيقة؟ أيعقل أنّ مُصمّمي المباريات عرضوا على الجمهور صورًا مختلفة في السماء خلال المباريات؟ أو أنّهم لم يعرضوا الصور في السماء على الإطلاق؟ وهل قرروا نقل مشهد وفاة ماريتي إلى نهاية المباريات لزيادة التوتر والتشويق؟ أغلب

الظنُّ أنّ مُصمّمي المباريات كانوا يُسابقون الزمن للسيطرة على السرد، وتوجيه القصة وأحداثها على هواهم. ولم تعد الحقيقة مهمة، فقد تبنى الجمهور الموجود في القاعة هذه النسخة كما هي من دون أي تحفّظ، وهو يهتف ويضحك ويصفق في الأوقات المناسبة. وبما أنّه لا ينتبه إلى التغييرات التي طرأت على الأحداث، أصبح الموجز هو الحقيقة المُعتمّدة. أمل أنّ سكان المقاطعات ما زالوا يعتبرون أنّ الملخّص مجرّد دعاية سياسية، إنّما لا سبيل إلى معرفة ما زرعه الكابيتول في أذهانهم.

ثم عاد التركيز إليّ وسيلكا. وكنا كلانا ندرك أنّنا آخر مجالدين في ساحة القتال. فهجم كل منا على الآخر من دون أن نتبادل أي كلام، وبدأنا نتقاتل ونتبادل ضربات قاتلة بالفأس. بعدها، ركضتُ إلى السور، ووقفتُ على حافة الهاوية، حيث حاصرني سيلكا ورمت فأسها عليّ. وبعد أن وقعتُ على الأرض، استدارت الكاميرات إلى سيلكا لعرض تعابير وجهها وهي تترقّب موتي، ثم إليّ مجدّدًا وأنا أرتجف وأهتّز بعنف مُتشتتًا على الأرض. أظنّ أنّ هذا حدث بعد أن فقدتُ الوعي.

ارتدّت الفأس من حقل القوة، وعادت أدراجها وانغرست في رأس سيلكا. حسنًا. وماذا حدث بعد ذلك؟ ماتت سيلكا، وضرب المدفع، فيما كنتُ أنازع الموت. لا أثر لقبلة دوار الشمس، أو حجر المرو وقدّاحة الصوان؛ فقد أُخفيت عن الأنظار. ثم حمل المخلب المعدني جثة سيلكا. وعلا صوت الأبواق لإعلان فوزي. وحملني مخلب معدني آخر.

هل تحظر قواعد المباريات الخروج من ساحة القتال أو استغلال حقل القوة الخفي للفوز؟ قد تكون هذه الأحكام ضمنية أو عرفية، لكنني لم أسمع بها يومًا. إذًا، ما أنا؟ أنا على الأرجح شابّ مُشاكس وغشّاش. إنّما من الواضح أنّني لا أرقى إلى مستوى المُتمرّد.

اُتسعت اللقطة فيما حملتني الطائرة بعيدًا، كاشفةً للمرة الأولى عن شكل ساحة القتال بكاملها. تبدو كعين ضخمة، وقرن الوفرة هو البؤبؤ، أما المرج الأخضر الدائري فهو القزحية، والغابة والجبل اللذان يحيطان بالمرج ويضيقان على الجانبين تدريجيًا حتى يصبحا نقطتين مُتقابلتين يُشكّلان بياض العين. لا تخفى رسالة الكابيتول الرمزية على أحد. فحتى الأطفال الصغار في السيم يعرفون أنّ عيون الكابيتول تراقبنا.

هل يعرف الكابيتول أننا نراقبه أيضًا؟ حطّت الأنظار كلها عليّ، وأنا أنهض عن الكرسيّ وسط هتافات الجمهور. وعزف النشيد الوطني، فيما نزل الرئيس سنو إلى خشبة المسرح على منصة بلورية، وعلى سترته وردة حمراء كالدم. وكان يحمل تاجًا ذهبيًا في يديه.

انحنى بعض الفائزين السابقين، وركع بعضهم الآخر للرئيس، فيما وقفت صامتًا، وحاولتُ أن أقرأ تعابير وجهه وهو يقترب منّي ويضع التاج على رأسي. إنّ وزنه ثقيل. فهمستُ للرئيس بصوت خافت أخفاه تصفيق الجمهور: "يبدو أنّ عائلة سنو فوق الجميع". وانتظرتُ منه أن يُصدر حكمه ويعاقبني على ذنوبي.

غير أنّه ابتسم وقال: "استمتع بحفلك وبعودتك إلى الديار".

أُقيمت حفلة ما بعد التتويج في قاعة الاحتفالات في قصر الرئاسة. وعُرضت على الحضور في قفص ذهبي ضخم على شكل طائر يتدلى من الثريا الكبرى في القاعة على مستوى العين تقريبًا. أظن أنني حُيست في القفص على سبيل المزاح، فالضيوف يرون أن الأمر مضحك ويستمتعون بالعرض. إنما لا شيء في هذا الموضوع يثير الضحك. وحين جرّبت أن أفتح الباب بالمقبض الصغير، وجدته مُقفلاً بإحكام.

كُلف فريق من جنود حفظ الأمن بالوقوف بالقرب مني، ليشعر الحضور بالأمان. فسأيرت الكابيتول في هذه المسرحية، ورحت أمازح الممولين وأتصوّر معهم وأتصرّف كشاب مُطيع لأقنع الرئيس سنو بأنني في صفه. فقد تجمّد الدم في عروقي منذ حديثنا الأخير؛ حين طلب مني أن أستمتع بالحفل وبعودتي إلى الديار. ما العقاب الذي حصّره لي يا ترى؟ وإذا تصرفت كما يريد، هل سأستطيع تغيير مصيري؟

أحضر لي الناس لقيمات من الطعام، وصاروا يطعمونني إياها بأيديهم وكأنهم يطعمون كلبًا أليقًا. فأكلت حتى كادت معدتي المنكمشة تنفجر، وفركت شفّتيّ بعضهما ببعض للتعبير عن امتناني. أرجو ألا يعرضوا هذه المشاهد في المقاطعة الثانية عشرة. ففي حين أن أبناء مقاطعتي غفورون، إلا أنهم لن يسامحوني على مثل هذا السلوك، ولا سيّما أنهم لا يعرفون شيئًا

عن كل المتاعب التي سببها والتي أوصلتني إلى هذا القفص. فليس من السهل أن يتخلص الإنسان من وصمة عار كهذه.

وكل ما يحدث يُوثَّق من أجل أجيال المستقبل، حتى إن بلوتارك هيفينزبي وفريقه ما زالوا مُكلَّفين بتصوير ما أقوم به حتى الآن، ويحومون حولي بكاميراتهم. إنّما حين لاحظتُ أنّ بلوتارك يرفض أن ينظر إلى عينيّ، عادت شكوكي وتزعزعت ثقتي به من جديد. فرغم كل ما حدث، يبدو أنّه سلّم من كل تداعيات مؤامرة المتمرّدين. ومع ذلك، أريده أن يجيب عن أسئلة كثيرة.

لم ألمح الرئيس سنو طوال السهرة. وبصعوبة رأيتُ فريقَي أيضًا. فقد مرّ عليّ فايتوس وبروسربينا سريعًا لتهنّئتي. ووقفت دروسيلا وماغنو معي لالتقاط بعض الصور. يبدو أنّهما تصالحا بعد أن ذاقا طعم النجاح، فهما يتغازلان. لكن ماغنو لا يذكر اسمي، ويصّرّ على مناداتي "هاريش". يبدو أنّ إيفي ترنكت هي الشخص الوحيد الذي يراقبني من كذب، ويكثرث لأمرِي. فقد كانت تتفاعل مع الناس الموجودين بالقرب مني، مُتَيْقِظَةً مُتَنْبَهَةً، لكنّها حرصت على ألاّ تسرق منّي الأضواء، ولم تنسب لنفسها أيّ فضل في نجاحي.

لم يقترب بلوتارك منّي إلاّ قبيل الفجر؛ عندما شارفت الحفلة على الانتهاء. فتسلّل نحو قفصي، مُتَظَاهِرًا أنّه يتفقّد كاميرا مُعَطَّلَةً.

فهمستُ له: "هل من أخبار عن عائلتي؟ ولينور دوف؟"

فأجابني همسًا: "لا أخبار عن عائلتك. ولا تزال لينور دوف محتجزة في قاعدة جنود حفظ الأمن".

"ماذا؟ قالت لي إنّهم سيطلقون سراحها في الصباح قبل المباريات. هل اعتُقلت مجددًا؟"

"لا، بل لم يُطلَقْ سراحها منذ ذاك الحين".

"ماذا؟"

لكنّ بلوتارك ابتعد عني، فبقيتُ وحدي من دون جواب، أفكّر في فضاة ما اكتشفته. لم يُطلق سراحتها. لقد كذبَ عليها الجنود. إنّما من الممكن أيضًا أن تكون لينور دوف قد كذبت عليّ كيلا أقلق عليها، وكي أركّز على نفسي خلال المباريات. وقد نجحت خطتها. لكنني اكتشفتُ الآن أنّ حبيبي كانت مُحْتَجِزة وعاجزة طوال هذه المدة. كانت تحت رحمة الكابيتول فيما كنتُ أخرب ساحة القتال. احتجزوها. وجوّعوها. وعدّبوها. وقتلوهها. أمسكتُ بالقضبان الذهبية مُنذِهلاً، فيما اجتاحت عقلي وذهني الكلمات التي كنت أنكرها.

ثم ظهرت أمامي السيدة ذات أذني القطة، وهي تلوّح بحبة قريدس. ففتحتُ فمي تلقائياً، ورحت أمضغ القريدس فيما صوّرتنا صديقتها. لا أستطيع أن أتوقّف عن تأدية دوري، فحياة لينور دوف على المحكّ.

عندما بزغ الفجر أخيراً، سُمِحَ لي بأن أقضي حاجتي في حمامٍ من الرخام الوردي المزخرف. وكان الصابون فيه معطراً برائحة الورد. كم تمثّيتُ أن يأخذني الجنود إلى محطة القطار، لكنهم أعادوني إلى الشقة، حيث وجدتُ بانتظاري أرغفة من الخبز الطازج وحليباً وملابس نظيفة. يبدو أنّي سأبقى هنا لفترة أطول، ولن أعود إلى المنزل في المستقبل القريب.

على مدار الأيام العشرة التالية، نُقلتُ من مكان إلى آخر في الكابيتول للمشاركة في شتى الحفلات والمقابلات وجلسات التصوير احتفالاً بفوزي في مباريات الجوع علناً. وكنتُ أكبر مُتملّق للكابيتول في تاريخ المباريات. فقد كنتُ مُستعدّاً لفعل أي شيء وتحمل كل المذلات والإهانات لحماية أحبائي.

وأخيراً، بعد حفلة استمرت طوال الليل في حديقة حيوانات الكابيتول، نقلني جنود حفظ الأمن إلى محطة القطار الخالية التي ما زالت مزينة

باللافتات الدعائية: "لا ازدهار من دون سلام! لا سلام من دون ألعاب جوع!"،
وصورة الرئيس سنو التي كُتبت عليها عبارة: "حافظُ السلام الأول في بانيم".

كان هناك طبيب بانتظاري عند باب القطار، فأزال الجهاز عن صدري
بمهارة، تاركًا بقعًا صغيرة في الأماكن التي كان الجهاز مَغروسًا فيها في
صدري. لم أستطع أن أتظاهر بأنني حزنتُ على التخلص من ذاك الجهاز، لكنّ
مفعول الدواء زال في غضون دقائق قليلة وبدأت ندبتي تؤلمني.

لم أحصل على سرير ذي طابقين ولحاف مُتبيّس هذه المرة. فقد كُبلتُ
وُحِسْتُ في الغرفة نفسها التي حرّرتني منها بلوتارك المرة الأخيرة. لكنه ليس
هنا الآن. أظنّ أنّ العرض قد انتهى فعلاً. فلففتُ سترة العم سيليوس حول
جسدي، وجلسْتُ في زاوية الغرفة. وأمعائي تتمزّق من شدّة الألم.

مع أنّ الكابيتول لديه العديد من الأسباب للتخلّص مني، إلّا أنّ القطار لم
يتحرّك من مكانه بعد. عليّ أن أعود إلى المنزل. عليّ أن أعرف ماذا حدث.
بعد بضع ساعات، دخل أحد الجنود الغرفة ومعه رغيف خبز وعلبة حليب.
ما زالوا يطعمونني حمية الرئيس سنو الغذائية.

فسألته: "لماذا لم يغادر القطار المحطة بعد؟"

فقال وهو يشير برأسه نحو النافذة: "كنا ننتظر أصدقاءك"، ثم غادر.

أصدقائي؟ ليس لدي أصدقاء هنا. هل يقصد فريقتي؟ نظرتُ من نافذة
زنزانتتي، فرأيتُ ثلاث عربات تُجرُّ على الرصيف. وكانت كلُّ منها تحمل صندوقًا
خشبيًا. لم أعرف ما هذه الصناديق في بادئ الأمر. وبعد لحظة من الحيرة،
أدركتُ الحقيقة. الصناديق توأبيت. سأعود إلى الديار مع أصدقائي لويلا
ومايزيلي ووايات. ظننّهم أرسلوا إلى الديار ودُفِنوا منذ زمن. ظننّتهم يرقدون
بسلام في قبور عائلاتهم على التل في المقاطعة الثانية عشرة. إنّما يبدو أنّي
أخطأتُ الظن؛ سننهي هذه الرحلة معًا.

اتكأْتُ على الحائط، ثم انزلتُ إلى الأرض. وبعد ذلك، صار جسدي يرتجف ويرتعش بشكل هستيرى، وأنا أتخيل حالة جثث لويلا ومايزيلي ووايات التي أصيبت بضرر شديد بسبب العربات والسكاكين والطيور، وردّة فعل عائلاتهم وهي تبكيهم وتنتظرهم في المحطة. فإمّا سيُدير أفرادها ظهورهم لي، أو سيلتفتون إليّ لطرح أسئلة عمّا حدث لأطفالهم؛ وهذا السيناريو هو الأسوأ. ترى، هل من عادة الكابيتول أن يعيد الموتى مع الفائز إلى الديار أم أنه اتّخذ هذه الترتيبات كهدية وداع خاصة بي؟

سمعتُ الجنود يحمّلون التوابيت إلى القطار، فقد تناهى وقع ارتطامها بالجدران والأرضية إلى مسمعي. وكانت الأصوات قريبة جدًّا. أظنّهم يضعون التوابيت في العربة المجاورة. ثم أغلقت الأبواب وانطلق القطار إلى وجهته. فتكوّرتُ على الأرض مُسنِدًا رأسي إلى الجدار. ليتني كنتُ عائداً إلى المنزل في تابوت أيضاً. لكنني لا أزال حيًّا، وعليّ أن أستمتع بعودتي إلى الديار.

ثم فكّرتُ في لينور دوف... حبيبتى من شعب كوفي. تُرى، ماذا حدث لحبيبة الرئيس سنو؟ الفائزة الغامضة من المقاطعة الثانية عشرة. قد تكون على قيد الحياة مثله. إنّما لا يتذكّرها أحد من سكان المقاطعة الثانية عشرة إلّا بصعوبة. هل أمر الرئيس سنو بقتلها؟ لا، لا أظنّ ذلك. فقد كان الرئيس مجرد شاب مثلي- أكبر مني ببضعة أعوام- آنذاك، ولم يكن في السلطة... ما الذي يُخطّطه لحبيبتى؟ خطرت في بالي أغنية شعب كوفي التي كانت جدة مايزيلي تردّها لها حين تكون خائفة: لا شيء يؤخذ منك يستحق الحفاظ عليه. ما هذه الكلمات المُتكبّرة الجريئة؟ يمكن أن تؤخّذ مني أُمي وأخي وحبيبتى، وهم أغلى ما عندي.

تسللت إلى ذهني أغنية مَحظورة أخرى كانت لينور دوف تعزفها لبوردوك أحيانًا...

هل ستأتي؟ هل ستأتي معي

إلى الشجرة؛

حيث أعدموا رجلًا زعموا أنه قتل ثلاثة أشخاص؟

حصلت أشياء غريبة هنا،

لن تزيد غرابة في لقائنا هذه المرة،

إذا التقينا في منتصف الليل تحت تلك الشجرة.

هل ستأتي؟ هل ستأتي معي

إلى الشجرة؛

حيث طلب الرجل من حبيبته أن تهرب؟

حصلت أشياء غريبة هنا،

لن تزيد غرابة في لقائنا هذه المرة،

إذا التقينا في منتصف الليل تحت تلك الشجرة.

حصلت أشياء غريبة بالفعل، كأن ينادي رجل ميت حبيبته ويطلب منها الهرب. وماذا عن شبحه؟ لا، لم يكن شبحًا، بل طيرًا- أو بالأحرى كانت طيورًا- وفقًا للينور دوف، وتحديدًا طيور "أبو زريق" المعدلة جينيًا التي أرسلها الكابيتول إلى المقاطعة الثانية عشرة لتلقى حتفها، إلا أنه لم يحسب حساب أن تتزاوج هذه الطيور مع إناث الطيور المحاكية وتتجب نوعًا جديدًا- الطيور المقلّدة- قبل أن تفتنى. ألهذا السبب صارت هذه الأغنية محظورة؟ ألأنها تخلد ذكرى تلك الطيور المتمردة المعدلة جينيًا؟

هل ستأتي؟ هل ستأتي معي

إلى الشجرة؛

حيث طلبتُ منك أن تهرب لنكون حُرِّين ونعيش في مسرّة؟

حصلت أشياء غريبة هنا،

لن تزيد غرابة في لقائنا هذه المرة،

إذا التقينا في منتصف الليل تحت تلك الشجرة.

هل الأغنية عن رجل متمرّد علّقه الكابيتول على جبل المشنقة، ومات مُعلّقًا على شجرة الشنق؟ أعرف تلك الشجرة، فهي حقيقية؛ وقد أخذني إليها أبي مرّة. صارت لدينا مشانق معدنية تقدمة من الكابيتول في المقاطعة الثانية عشرة. إنّما في أيام الخوالي، كان المتمرّدون يُشْتَقون على أغصان تلك الشجرة ويتدلون منها.

هل ستأتي؟ هل ستأتي معي

إلى الشجرة،

وأنت ترتدي قلادة من الحبال إلى جانبي؟

حصلت أشياء غريبة هنا،

لن تزيد غرابة في لقائنا هذه المرة،

إذا التقينا في منتصف الليل تحت تلك الشجرة.

ربما سُئِنْتُ أَنَا وَلِينُورُ دُوفَ مَعًا. حِينُذُ سِيَسْهَلُ عَلَيَّ الْعُثُورُ عَلَيْهَا.
هَذَا عَزَائِي الْوَحِيدُ.

امْتَدَّتْ رِحْلَتُنَا طَوَالَ النَّهَارِ وَقِسْمًا طَوِيلًا مِنَ اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَتَوَقَّفُ بَيْنَ حِينٍ
وَأُخْرٍ لِمَلءِ خَزَانَاتِ الْقِطَارِ بِالْوُقُودِ. وَكُلُّ بَضْعٍ سَاعَاتٍ، كُنْتُ أَحْصِلُ عَلَى طَبَقٍ
مِنَ الْخُبْزِ وَعَلْبَةِ حَلِيبٍ، إِنَّمَا لَمْ أَكُلْ أَوْ أَشْرَبْ شَيْئًا عَلَى الْقِطَارِ. فَقَدْ كَانَ
بَطْنِي يُؤَلْمُنِي، وَالْأَرْضِيَّةُ الصَّلْبَةُ تَنْخَرُ عِظَامِي الَّتِي لَمْ تَعُدْ مَكْسُوءَةً بِاللَّحْمِ
وَالْعِضْلِ. وَكَلَّمَا غَفَوْتُ، زَارْتَنِي أَشْبَاحُ الْمَجَالِدِينَ الْمَوْتَى.

بَدَأَ لِي أَنَّ الْأَشْبَاحَ تَرِيدُنِي أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا، لَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَا هُوَ بِالضَّبْطِ.
وَكَانَتْ زِيَارَةُ لُوَيْلَا وَلَوْلُو أَغْرَبَ زِيَارَةً. فَقَدْ كَانَتَا تَرْتَدِيَانِ زَيْبَيْنِ مُتَطَابِقَيْنِ
وَتَجَلْسَانِ قِبَالْتِي وَأَنَا أَتَنَاوَلُ وَعَاءً مِنَ الْبَيْضِ الْمَسْلُوقِ. ثُمَّ سَأَلْتَانِي: "هَلْ
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفَرِّقَ بَيْنَنَا؟" لَكِنَّ الْكَابِيْتُولُ تَغَلَّبَ عَلَيَّ، فَمَا عَدْتُ أَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزَ
بَيْنَهُمَا.

نَهَضْتُ مِنَ النَّوْمِ فَرَعًا، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْقِطَارَ قَدْ وَصَلَ إِلَى مَحْطَةِ الْمَقَاطَعَةِ
الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ. لَقَدْ عَدْتُ إِلَى الدِّيَارِ. دَخَلَ الْجُنُودُ الْغُرْفَةَ، وَنَزَعُوا عَنِّي الْأَصْفَادَ،
وَاقْتَادُونِي نَحْوَ الْمَخْرَجِ. ثُمَّ قُتِحَ الْبَابُ.

وَقَالَ أَحَدُهُمْ: "أَخْرَجْ".

فَتَرَجَّلْتُ مِنَ الْقِطَارِ مُتَخَوِّفًا مِمَّا يَنْتَظِرُنِي. فَوَجَدْتَنِي عَلَى رَصِيفٍ خَالٍ
مُغَطَّى بِالسَّخَامِ. لَا أَحَدٌ بَانْتِظَارِي، وَلَا أَحَدٌ يَتَوَقَّعُ عَوْدَتِي الْآنَ. فَمَا زَالَ الظَّلَامُ
يَخِيْمُ عَلَى الْأَرْجَاءِ، وَسَاعَةَ الْمَحْطَةِ تَشِيرُ إِلَى الْخَامِسَةِ صَبَاحًا. أَنْزَلَ الْجُنُودُ
التَّوَابِيْتَ، وَأَتَلَفُوا بَعْضَ أَلْوَاحِهَا الْخَشْبِيَّةِ. ثُمَّ انْطَلَقَ الْقِطَارُ مُبْتَعِدًا، تَارِكًا إِيَّايَ
وَحِيدًا مَعَ بَاقِيِ مَجَالِدِي مَقَاطِعَتِي. فَدَنَوْتُ مِنَ التَّوَابِيْتَ، وَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى
أَقْرَبِ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَيَّ. وَرَأَيْتُ لَوْحَةً مَعْدِنِيَّةً مُثَبَّتَةً بِبِرَاغِيٍّ عَلَى الْغِطَاءِ، كَتَلِكِ
الَّتِي رَأَيْتَهَا فِي مَنْزِلِ بِلُوتَارِكِ، وَتِلْكَ الْمَوْجُودَةُ عَلَى الرَّبِيِّ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ.
فَمَرَرْتُ أَصَابِعِي عَلَى الْاسْمِ الْمَنْقُوشِ عَلَى اللَّوْحَةِ: لُوَيْلَا مَآكُوي.

عفت رائحة الجثث من بين الألواح الخشبية المُتشققة. فالتفتُ ومشيتُ
على الرصيف بجسدي المُتصلب.

كان يخيم على المحطة صمت كصمت القبور. لكنّ هذا السكون غريب،
حتى في هذه الساعة المبكرة. ربما اليوم يوم الأحد؛ وهو اليوم الوحيد الذي
توقّف فيه المناجم عن العمل. لقد اختلطت عليّ الأيام بسبب الأدوية التي
كان الجهاز يضحّها في عروقي، ولم أعد أعرف تاريخ اليوم. ولم يخطر في
بالي أن أسأل. أظنّ أنّنا في شهر أغسطس. فتحتُ الباب الزجاجي الثقيل،
وتنشّقتُ هواء الليل الدافئ والرطب الممتلئ بالسخام، وسمحتُ لنفسي
للمرة الأولى بأن أصدق أنّني عدتُ إلى الديار.

فتسارعت دقات قلبي الأحمق من الحماسة، وتسلّل بصيص من الأمل
إلى داخله. أيعقل أن أجد نفسي بعد ساعة واحدة في أحضان أمّي؟ أيعقل أن
أعبث بشعر سيد وأفسد تسريحته، وأنزع عنيّ ثياب العم سيليوس الميت،
وأرتدي سروالاً قصيراً مصنوعاً من كيس دقيق؟ هل ستحرر لينور دوف؟ هل
سأستعيد حياتي السابقة الحلوة التي لم أكن أعرف قيمتها قبل المباريات؟
هل يمكن لشخص تعيس الحظ مثلي أن يشعر بالسعادة مجددًا؟

فيما كنتُ أسير في الشوارع الخالية نحو السيم، قرصتُ نفسي لأتأكّد
من أنّي لا أحلم، وكأنّ الألم الذي يمرّق أمعائي لا يكفي ليطمئنّ قلبي. كل ما
في الأمر أنّني لم أكن أتوقّع أن أعود إلى المنزل قطّ؛ حتى لو لم أكن جزءاً من
خطة تدمير ساحة القتال. فما زلتُ لا أصدّق أنّني فزتُ في الدورة الخمسين
من مباريات الجوع التي توازي دورتين بسبب عدد المجالدين المضاعف.
لكنني لا أحلم. فقدماي تسيران بالفعل في حذاء جلدي في الشوارع المغطاة
بالسخام. هذا هو الطريق المؤدي إلى منزلي. حثتُ حُطاي، فإذا كنتُ أحلم،
أريد أن أتشبّث بعالم الأحلام لأحتضن عائلتي مرة أخيرة.

في بادئ الأمر، ظننتُ أنّ الضوء الذي أراه شروقُ الشمس في الأفق. إنّما سرعان ما أدركتُ أنّ مصدر الضوء أقرب وأكثر سطوعًا ممّا يجب. ثم تسلّلت رائحة الدخان إلى أنفي في الهواء العابق الرطب؛ إنّها رائحة حريق. لكنّه ليس حريق فحم. وبعد محاولة فاشلة للركض نحو مصدر الحريق، مشيتُ بسرعة بطريقة غريبة بسبب جروحي وندوبي المؤلمة، وقدميّ المتورّمتين، وجسدي الضعيف خائر القوى.

قد أكون مخطئًا. من الممكن أن يكون منزلًا آخر يحترق بسبب موقد صديّ، أو ربّما أشعل أحد ما نارًا وتركها من دون إشراف. ربما المنزل الذي يحترق ليس منزلي.

لكنني في قرارة نفسي كنت أعرف أنّ منزلي هو الذي يحترق.

عندما اقتربتُ، تناهت إلى مسمعي صرخات ناس يطلبون الماء ووعول امرأة. وحين وصلتُ إلى منعطف منزلي، انكشف أمامي مشهد مُرّوع؛ فقد كان منزلي مُتفدًا ككتلة من لهبٍ تتوهّج في السماء الغارقة بآخر أنفاس الليل.

فصرختُ مناديًا: "أمي؟ سيّد؟"

واندفعتُ بين الناس المُصطقّين لنقل دلاء المياه من مضخّتنا ومضخّات ثلاثة من الجيران. إنّما تهيأ لي أنّ جهودهم في ضخ المياه من المضخات البطيئة لملاء دلاء صغيرة ورشّها على النار الكبيرة المُستعرة جهود بائسة. وحين رأني الناس، ابتعدوا عنيّ مذعورين ومُتفاجئين من رؤيتي وهيئتي؛ فما كانوا يتوقّعون أن يصادفوا فزاعة جاحظة العينين ترتدي بذلة سهرة من الكابيتول هذه الليلة.

فناديتُ مجددًا: "أمي! سيّد!" ثم أمسكتُ بأقرب شخص أمامي. هذه إحدى فتيات عائلة تشانس، ولا يتجاوز عمرها ثمانية أعوام. فسألتها: "أين عائلتي؟ أين أمي وسيّد؟" فنظرت إليّ مرعوبةً، وأشارت إلى المنزل المُشتعل.

إنَّ أُمِّي وَسَيِّدٌ يُحْرِقَانِ وَهُمَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

تمايلتُ على قَدَمَيَّ بضعِ ثوانٍ وأنا أبحثُ عن مكانٍ مناسبٍ لاختراقِ جدارِ النارِ، ثم اندفعتُ نحوَ المنزلِ صارخًا: "أُمِّي!"

وما إنْ بلغتُ عتبةَ البابِ، حتى سقطتُ عارضةً خشبيةً، فقفزتُ بطريقةٍ لا شعوريَّةً إلى الوراءِ، فيما تطايرت عليَّ شراراتُ أعمتني مُؤقتًا. غيرَ أنني تقدّمتُ نحوَ المنزلِ من جديدٍ، إنَّما شعرتُ بأياديِّ تمسكني وتسحبني بقوةٍ إلى الخلفِ. ولم أستطع أن أقاوم أو أتحرر من قبضتها بسببِ حذائي الجلدي اللامعِ ذي النعلِ الناعمِ الذي ينزلق على الأرضِ. جُررتُ إلى الحديقةِ، وأمسك رجلُ بكل طرفٍ من أطرافي لتثبيتي على الأرضِ، فيما أمسك بوردوكُ بجذعي. فصرختُ بملءِ رئتي: "اتركوني! دعوني أذهب! حرّروني يا..."

حينئذٍ، وضع بوردوكُ يده على فمي ليسكتني، وقال: "لقد فات الأوان يا هايميتش. حاولنا وبذلنا جهدنا لننقذهما. لكن، فات الأوان".

عضضتُ يده بقوةً، فسحبها عن فمي مُتألِّمًا، وواصلتُ الصراخَ: "أُمِّي! سييد! يا أُمِّيبي!"

فجئنا بليِر على ذراعي اليمنى، واقترب منِّي والدموع تسيل على وجهه المملطخ بالسخام، وقال: "نحن آسفون جدًّا، يا هايميتش. أوكد لك أننا فعلنا كل ما في وسعنا. إنَّما لم نتمكن من إنقاذهما".

فصرختُ: "لا! اتركوني أذهب!" وحاولتُ أن أحزّر نفسي مجددًا، لكنهم يفوقونني عددًا وقوَّةً، فضلًا عن أنّ جراحي لم تتعافَ حتّى الآن. "أرجوكم! دعوني أذهب إليهما! دعوني أذهب معهما!" فتمسّكوا بي ولم يُفلتوني. وبقيةً مستلقيا على الأرضِ، أبكي وأتوسّل إليهم وأنادي أُمِّي وسييد إلى أن بَحَّ صوتي.

ثم سمعتُ بوردوكُ يسألُ أحدًا: "هل يمكنكُ أن تساعدني؟"

وشعرتُ بيدٍ باردةٍ رائحتها كعبير أزهار البابونج تحطُّ على جبهتي.

بعدها، ظهرت أمامي أستريد مارش التي حافظت على هدوئها بشكل ما، على الرغم من علامات الألم والحزن الظاهرة على وجهها، وقالت لي: "اشرب هذا يا هايميتش!" ثم وضعت زجاجة على شفّتيّ وكرّرت: "اشرب إلى أن أطلب منك أن تتوقّف!" فأطعّتها يائسًا، وغمرني طعم حلو مُهدّئ. وبدأت أستريد تعدّ: "واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة... حسنًا توقّف!" ثم أبعدت الزجاجة عن فمي، وأزالت شعري عن وجهي قائلةً: "هذا جيّد. نل قسطًا من الراحة".

فارتخى جسدي، وثقلت أجفاني. "ماذا..."

"شراب منوم".

"أمّي... سيّد..."

"أعرف. لا تقلق. سنفعل ما في وسعنا. اخلد إلى النوم. هيّا نم".

غرقّت في نوم عميق دام أكثر من يوم. ثم استفتقتُ ثقيل اللسان، ومُشوّش الذهن في منزل عائلة ماكوي. كانت والدة لويلا تقف إلى جانبي وفي يدها كوب معدني من الشاي. أخبرتني قصّة الحريق من غير مواربة؛ أظنّها تشاركني ألمي وحزني، وتعرف أنّ ما أحتاج إليه هو الحقيقة. "ابني كايسون هو أوّل من رأى الحريق وهو في طريقه إلى المنزل. كان المنزل مُشتعلًا حين رآه، فصاح بملء رئتيه لطلب المساعدة. هرعنا إليه، وبدأنا نرش الماء على الثيران، لكنّ المضخة بطيئة وخزّانكم فارغ".

الخزان فارغ بسببي أنا. إنّهُ فارغ لأنّني تهزّبتُ من مسؤوليتي في صباح يوم الحصاد، ولم أملاه. فهمستُ: "أنا السبب".

فقال لي السيدة ماكوي: "أعرف أنّك ستلوم نفسك على كل ما حدث لفترة طويلة. لكن، أجلّ تأنيب الضمير إلى الغد. فعلينا اليوم أن ندفن موتانا. أنت تعرف الترتيبات التي كانت تريدها أمك".

لا أستوعب ما يجري. ولا أعرف إذا كان السبب هو الصدمة التي تعرضتُ لها أو تأثير الشراب المنوم. ففعلتُ ما طُلِبَ مِنِّي. وكانت إيما- أخت لويلا الكبرى- قد نطقتْ بذلة العم سيليوس ولمعت حذاءه. إذ ليس لدي شيء آخر ارتديه إلى الدفن؛ لأنَّ كل ملابسِي تحولت إلى رماد. ومع أنني شعرتُ بحرِّ خانق، إلا أنني ارتديتُ السترة المزينة بكؤوس الشراب لأخفي بقع الدم التي خلفها جهاز الكابيتول على صدر القميص. فعلى الرغم من بهتان لونها بعد الغسيل، لكنها ما زالت ظاهرة.

فقلتُ لإيما: "عليَّ أن أرى لينور دوف".

"يعرف كايسون أحد جنود حفظ الأمن، ويقول إنَّها ستمثل اليوم أمام قائد القاعدة. لن ينفعها ذهابك إلى القاعدة يا هاي. ثم إننا ذاهبون إلى المقبرة".

في الخارج، كان ينتظرنِي صندوق بسيط من خشب الصنوبر. وقال السيّد ماكوي: "كانا مُتمسّكين ببعضهما بعض، فلم نفرّقهما".
أمِّي وسيّد... سيظللان مُتمسّكين ببعضهما بعض إلى الأبد.

تعاون بوردوك وبلير وعدد من زبائن أمي في حمل التابوت، وجاءت عائلة ماكوي بتابوت لويلا من خلف البيت. فتقدّم الجمعان جنبًا إلى جنب؛ وعرجتْ خلفهم. وكان الحشد يكبر أكثر فأكثر ونحن نقترّب من المقبرة. كل هؤلاء الناس لديهم أعمالهم وأشغالهم، لكنهم سيّدعون المرض لتبرير غيابهم. وحين بلغنا المقبرة، وصل عددنا إلى المئات. هذا الحشد أكبر بكثير من الحشد الذي حضر جنازة جدّتي. عندئذ، أدركتُ أننا لم نكن الوحيدين الذين سيكون موتاهم.

كانت خمسة قبور بانتظارنا في المقبرة: واحد لأمِّي وسيّد، وواحد للويلا، وآخر لمايزيلي، وآخر لوايات.

فسأل بوردوك: "لِمَنْ القبر الخامس؟"

وأجابته امرأة بصوت مرتفع: "جيثرو كالو. لقد شنق نفسه البارحة حين عاد ابنه. لم يحتمل العار".

ثم جاءت العمدة لإلقاء كلمة وداع لأحبائنا، إنّما كان كلامها خاليًا من أي معنى؛ تمامًا كزقزقة العصافير على الأشجار المجاورة. تصبّب العرق منّي، وتسرب من قميصي إلى سترتي. ومع أنّني كنتُ أرغب في أن أرتمي على ركبتيّ وأسند رأسي إلى شاهد قبر عائلتي الباردة، إلّا أنّني تمالكْتُ نفسي ووقفتُ مُنتصِبًا؛ فهذا ما كانت أُمي ستتوقّعه منّي.

وحين رفعتُ نظري إلى الأمام، ورأيتُ حليفتي من المقاطعة الثانية عشرة بزّيها الأسود، تقدّمتُ نحوها وأنا أناديها: "مايزيلي!" فأجهشت بالبكاء، وخبّأت وجهها وراء منديلها. حينئذ، أدركتُ أنّ هذه ليست مايزيلي، بل ميريلي. إنّهما تشبهان بعضهما بعضًا إلى حد كبير؛ وكأُتُهما حبة فول انقسمت إلى نصفين. كان السيد دونر يكي إلى جانبها. ثم أعادني شخص ما إلى مكاني. من الواضح أنّني مُضطرب ومُشوَّش الذهن.

دُفِن جميع الموتى. وقد تعاون كثيرون على نقلهم إلى قبورهم، ثم ربّتوا على الطبقة العليا من التربة لتمليسها، ووضع أحدهم إكليلاً من الزهور البرية على كل قبر. وتعالَت أصوات البكاء والنواح. كان المشهد رهيبًا ومُحزّنًا لدرجة أنّني تميّتُ أن أهرب بعيدًا.

ثم بدأ بوردوك بالغناء بصوته العذب:

أنا ذاهب...

ذاهب إلى الجنة؛ إلى الآخرة المنشودة.

لكن، عليّ أن أهتمّ ببعض المسائل العالقة.

فسكتت الطيور المقلّدة المتربعة على الأشجار المحيطة بنا، فيما واصل
بوردوك الغناء:

سألحق بك...

عندما أنهى أغنيتي...

عندما أفكك فرقتي...

عندما أسدد ديونني...

عندما أتخلص من الندم...

عندما أحل كل المسائل العالقة ولا يبقى لي شيء في هذه الدنيا.

فسكت الحشد أيضًا.

سألحق بك...

عندما أصبح نقيًا كالإمامة...

عندما أتعلّم كيف أحب...

عندما أحل كل المسائل العالقة ولا يبقى لي شيء في هذه الدنيا.

توحي الأغنية بأنّ فراقنا عن موتانا مؤقت، وتواسي القلوب. أظن أنّ
لينور دوف تؤمن بذلك. ويبدو أنّ الطيور المقلّدة توافقها الرأي، فقد تبنت
اللحن وأخذت تكرّره على طريقته.

جلت بنظري في الحشد، ورأيتُ الحاضرين يضعون الأصابع الوسطى من أيديهم اليسرى على شفاههم، ثم يمدونها نحو موتاهم. هذه طريقتنا في توديع أحبائنا. فحدوثُ حذوهم، ورفعُ يدي عاليًا لأتني أودّع أشخاصًا كثيرين اليوم.

ثم انتهت مراسم الدفن، وأُجِدْتُ بعيدًا عن المقبرة. وعلى الرغم من ارتبائي وذهني المشوّش، لمحتُ كايسون يبصق، إنّما لم يوبّخه أحد على فعلته. ثم لاحظتُ أنّ الضمادات تغطي وجهه ويديه.

أردتُ أن أذهب إلى قاعدة جنود حفظ الأمن لرؤية لينور دوف. لكنني لاقيتُ المزيد من الاعتراضات فعدلتُ عن الأمر. هل ذهابي إليها الآن سينفعها؟ من الأفضل أن أدع خاليتها يدافعان عنها، وأكتفي بمتابعة أخبارها في الوقت الراهن. فبعد وفاة عدد كبير من الصغار في السنّ في المباريات الربعية، توتّرت الأوضاع في المقاطعات. لذا، لا أعتقد أنّ قائد القاعدة في مقاطعتنا سيصبّ الزيت على النار ويزيد الطين بلّة، بل أظنّه سيطلق سراح لينور دوف ويكتفي بإعطائها توبيخًا صارمًا ويطلب منها أن تؤدّي فترة عقوبة.

استضافت عائلة ماكوي المُعرّين في منزلها، وقدمت لهم حساء الفاصولياء واللحم. لكنني لا أستطيع أن أبقى هنا. فعائلة ماكوي تنظر إليّ بعيون متسائلة، وتطلب منّي توضيح ما حدث للويلا. أعرف أنّ عليّ الإجابة عن هذه التساؤلات، إلا أنّني لا أظنني قادرًا على مناقشة الموضوع من دون أن أفقد صوابي مرة أخرى. فاستأذنتُ وغادرتُ سريعًا.

أُجِهُتُ إلى المنزل، ثم تذكرتُ أنّ منزلي قد احترق وما بقي منه سوى كومة من العوارض المحترقة ومضخة مياه. فوقفْتُ على أطلال منزلي. وحين بدأت الغشاوة تنقشع عن ذهني، سألتُ نفسي: "ماذا حدث؟"

تُعَدُّ الحرائق أمرًا شائعًا في المقاطعة الثانية عشرة. فطبقة السخام التي تغطي المقاطعة وما فيها أشبه بدعوة مفتوحة لاندلاع الحرائق وانتشارها

بسرعة. ومنذ نعومة أظفاري، غرست أمي في نفسي الخوف من الشرر المتطاير والفحم المشتعل. وما كان أحد أكثر حرصًا منها على التأكد من إخماد النار في الليل قبل النوم. وهكذا، عرفتُ أنّ الحريق ليس مُجرّد حادث، بل هو جريمة مُفتَعلة ومُتَفَذة بعناية لحبس عائلتي في المنزل ومنعها من الهرب من النافذة... إنّها جريمة أمر بها الرئيس سنو بمناسبة عودتي إلى الديار.

تحرّكت شظايا قلبي المفطور في أعماقي وانغرست في رثتيّ، فصار كل نفس آخذه عذابًا. فهمستُ للمرة الثانية هذا الصباح: "أنا السبب".

أمسك بي بوردوك وبلير قبل أن أرتطم بالأرض، وحملاني إلى منعطف منزلي، ثم أسنداني إلى جذع شجرة لاستعيد توازني. واقترح كل منهما أن يأخذني إلى منزله، إنّما لا أظنّني قادرًا على رؤية عائلتيهما بعد أن خسرتُ عائلتي ولم يبقَ لي أحد.

فقال بوردوك بحزن: "حسنًا، إذًا سنأخذك إلى منزلك الجديد".

حينئذ، تذكّرتُ أنّني صرّحتُ أملك منزلًا في قرية الفائزين. وبما أنّني كنتُ أتوق إلى الوحدة، تركتهما يأخذاني إلى قفص الكابيتول الغريب الذي كرهته ما إن رأيتُه.

وضعاني على السرير في غرفة النوم المبرّدة، فبقيتُ مُستلقيةً، وأخذتُ أحدّق إلى الجدار.

ثم سمعتُ بوردوك يهمس لبلير: "سأذهب إلى أستريد للحصول على المزيد من الشراب المنوّم".

فقال له بلير وهو يوارب الباب: "حسنًا سأبقى معه. اجلب له بعض الملابس أيضًا إذا استطعت".

عثر لي بوردوك على ملابس مستعملة، وأعطاني بعض الشراب المنوّم. لكنني أظنّ أنّ الجرعة التي حصلتُ عليها هذه المرّة أقل من المرة السابقة.

فقد نهضت من النوم مذعورًا عند منتصف الليل، وسيطرت عليّ رغبة ملحة في الذهاب إلى لينور دوف. عليّ أن آخذها بعيدًا. فالبقاء في المقاطعة الثانية عشرة يعني الموت. استرقتُ النظر من شق الباب، فرأيتُ بوردوك وبلير نائمين على أريكتين في غرفة الجلوس. فخرجتُ من نافذة غرفة النوم، وهربتُ من المنزل في ظلمة الليل.

كان منزل لينور دوف مُعتمًا، فتسلّقتُ أنبوب الصرف لأصل إلى العلية- فقد خصّص كليرك كارمين وتام أمبر العلية كلّها للينور دوف- لمعرفة ما إذا كانت قد عادت إلى المنزل. إنّما كان المنزل خاليًا، ولم أجد أثرًا لأيّ منهم. هل سيقضون الليلة في القاعدة؟ هل اعتُقلَ تام أمبر وكليرك كارمين أيضًا؟ لا أظنّهما يُقدّمان عرضًا موسيقيًا الليلة في ظل الظروف الراهنة. لكنني لا أريد أن يرباني هنا إذا عادا. فأنا لم أكن عند حسن ظنّ كليرك كارمين قبل أن أشارك في مباريات الجوع حتى، ولا أظنّه غير انطباعه عني للأفضل بعد تصرّفي كشاب مُشاكس لطحّ يديه بالدم. فاتجهتُ إلى المرج، واختبأتُ خلف مجموعة من الشجيرات. فإذا أُفِرَجَ عن لينور دوف، أعرف أنّها ستتّجه من القاعدة إلى المرج مباشرة للاطمئنان على إوزها. ومن الممكن أيضًا أن تقرر الذهاب إلى قرية الفائزين للبحث عني. لكنها ستمرّ بالمرج في طريقها إلى هناك على أي حال.

جلستُ على جذع شجرة ساقطة، حافي القدمين، مُرتديًا ثياب أحد عمال المناجم، وشعرتُ بأمانٍ لم أدقه منذ أسابيع طويلة. راق لي الاختباء هنا في الظلال، حيث لا يستطيع أحد العثور عليّ. فشرعتُ في التفكير بخطة لي ولينور دوف بعيدًا عن عيون الكابيتول، وعن النظرات المليئة بالشفقة التي يمطرها عليّ سكّان المقاطعة الثانية عشرة. لا يمكننا أن نبقى هنا. لكن، إلى أين سنهرب؟ لا خيار أماننا سوى "البريّة القاسية" التي حدّثني عنها الرئيس سنو. ومع أنّني أحبّ البريّة، إلّا أنّني أعرف أنّني لا أُنتمي إليها. فأنا لا أملك مهارة بوردوك في استخدام القوس والسهام، ولا قدرته على التعرّف إلى

النباتات. ولا أعدُّ صانع شرابٍ حقيقياً بعد. أنا نكرة. ومع أنّ لينور دوف تعتبر أنّ البرية منزلها الثاني، غير أنّها لا تتمتع هي أيضاً بالمهارات اللازمة للعيش فيها. أظنني أتصرّف بأنانية. فأنا أخطط للهرب مع لينور دوف، لكنها ليست مضطّرة إلى الهرب؛ لأنّها ستكون في أمان هنا من دوني. فإذا متُّ أو غادرت المقاطعة، لن يستفيد الرئيس سنو من استهدافها أو إيذائها. لذا، الخيار الأنسب هو أن أغادر المقاطعة وحدي، وأدع لينور دوف تعيش حياتها بسلام.

لن تدعني أغادر. وبصراحة، لا أريد أن أفترق عنها. لكنني لا أرى حلاً آخر. سأنتظر هنا لأراها مرة أخيرة، ثم سأعود إلى قرية الفائزين وأطلب من بوردوك قوساً وخيط صيد. ولا أسف عليّ إذا متُّ في البرية، ما دامت لينور دوف في أمان.

بدأ الأفق يتوشّح بألواح الفجر الزاهية، وتعالّت أصوات العصافير وهي تنشد أغانيها الصباحية. ثم تناهى إلى مسمعي زبط الإوّر وصراخ عالٍ. وحين رفعت رأسي، رأيتُ الحساء الجميلة البهية لينور دوف تقود سربها نحو المرج. وكان كليرك كارمين يقف مُنزِعاً عند طرف المرج ويصيح لها وهو يلوح بسبابته مُهدّداً: "إيّاك أن تغادري المرج!"

كان تام أمبر يقف إلى جانبه، وتهيأ لي أنّه أكثر إحيدياً مما أتذكّر. وسمعتة يقول: "إنّه محقّ، يا لينور دوف. حتى إنّ وجودك هنا يُعدّ مخالفة لشروط الإقامة الجبرية". يبدو أنّ قائد القاعدة أصدر تعليمات صارمة لإطلاق سراح لينور دوف. فتام أمبر هو الخال المتساهل الذي تلجأ إليه لينور دوف للطلبات الكبيرة. وهذا يعني أنّه، عندما يكون قلقاً أو صارماً...

فصرخت لينور دوف باستياء: "أعرف! سمعْتُكما في المرات العشر الأولى! كل ما أريده هو أن أختلي بنفسي خمس دقائق. هل ستسمحان لي بذلك أو تنويان إبقائي في الحبس؟"

فقال كليرك كارمين: "حسناً، لديك خمس دقائق فقط، ثم ستعودين إلى المنزل مباشرة لتتناول طعام الفطور. هل كلامي واضح؟"

حينئذ، وضعت لينور دوف يدها على جبينها محاكية التحية العسكرية التي يتبادلها جنود حفظ الأمن، ثم قالت: "نعم، سيدي. مفهوم، سيدي. ثق بي، سيدي".

فخطا كليرك كارمين خطوة نحوها، ولكن تام آمبر أمسكه من ذراعه ليوقفه، ووجه تحذيراً أخيراً إلى لينور دوف: "من الأفضل أن تلتزمي بما اتفقنا عليه، وألا نضطر إلى العودة إلى هنا لإعادتك إلى المنزل". ثم غادر الخالان.

فجأة، وجدثني ممتناً لكليرك كارمين. فكلانا نسعى إلى الحفاظ على سلامة لينور دوف وسعادتها. وكأنت مخاوفه في محلها. كان مُحققاً في رفض شاب مُتمرد، لا علاقة له بالموسيقا، ويصنع الشراب الأبيض، ويختفي لساعات طويلة مع لينور دوف في الغابة. أعتقد أنني كنتُ سأنجح في كسب موثته يوماً ما لو أتيت لي الفرصة. لا بأس. عزائي الوحيد هو أن كليرك كارمين سيظل إلى جانب لينور دوف، وسيحرص على حمايتها ورعايتها بعد رحيلي. ولن أحظى أبداً بفرصة لإخباره أيّاً من ذلك.

انتظرتُ قليلاً حتى يخلو لي الجو. فجلستُ أستمتع بجمال لينور دوف. كانت تدور حول نفسها، ورأسها مرفوع إلى السماء، وذراعاها ممتدتان في الهواء. لا شك في أن السجن كان جحيماً لها؛ فهي لا تحتمل كل ما يقيد الحرية، وخاصة حرية المخلوقات البرية العزيزة على قلبها. فهي جامحة مثلها. وكان سرب الإوز يجري حولها، ويصوت وكأته يوبخها على غيابها. فأخذت لينور دوف تدلل طيورها وتربت على رؤوسها. وحين اقتربت من صخرتها المفصلة لتستقر عليها، أطلقت صرخة مُتفاجئة، وحملت غرضاً عن الصخرة.

هذا كيس حلوى قوس قزح الذي طلبتُ من سيد أن يعطيها إياه بعد القرعة. أظن أنها تركتها هنا قبل أن تغني على المسرح في وسط الساحة في

ليلة اعتقالها. رأيتها تضمّ الكيس إلى صدرها وتدور في أرضها مبتسمة، ثم فتحتة. ولم أعد أستطيع أن أنتظر أكثر، فاندفعت راکصًا في المرج. وما إن لمحتني، حتى نادّت باسمي وجرت نحوي. غمرتها بذراعَيّ، وحملتها ورحت أدور بها، ونحن نضحك مُتعانقين.

قلتُ لها: "كم اشتقتُ إليك يا لينور دوف".

فأجابتنى ودموع الفرح تتساقط على وجهها: "لقد عدت إليّ. التقينا مجددًا في هذا العالم!"

"وأنتِ نجوتِ بشكل ما من حبل المشنقة!"

واحتضنّا بعضنا بعضًا بكل ما أوتينا من قوّة، فبدونا وكأنا شخص واحد. ولا ريب في ذلك. فكلُّنا يكمل الآخر.

ثم مرّرت يديها على وجهي قائلة: "هل أنت بخير؟"

فطمأنتها: "في أحسن حال". إذ ما عاد شيء يهمني. لا أستطيع أن أذهب وأتركها هنا. سترغب في الهرب معي، وسأسمح لها بمرافقتي. سنتدبّر أمورنا بشكل أو بآخر. فلا أظن أنّ أيّا منا يمكنه العيش من دون الآخر.

جلسنا على العشب الأخضر، ويدانا متشابكتان. ثم مدّت يدها لتلتقط كيس الحلوى الذي أوقعته على الأرض خلال عناقنا، وقالت: "شكرًا على الحلوى. يا إلهي، أنا أرتجف من فرط الحماسة، ولا أستطيع أن أُخرِج قطعة حلوى من الكيس!"

أجبتها: "اسمحي لي أنستي". وتناولت الكيس منها، مع أنّني كنتُ أرتجف مثلها، ووضعتُ قطعة حلوى في فمها.

فضحكت قائلة: "بما أنّك عدت إليّ، صار بإمكانني أن أكل الكيس الآخر من الحلوى".

حينئذ، سألتها: "أيّ كيس آخر؟" وأنا أطعمها قطعة أخرى من الحلوى.
"الكيس الذي أعطاني إياه سيد بعد القرعة. أنا أحتفظ به تحت
وسادتي".

"لكن... فنظرْتُ إلى كيس الحلوى. إنّه كيس حلوى عاديّ، عليه ملصق
متجر عائلة دونر. نظرْتُ داخله، ولاحظْتُ أنّ الحلوى لم تكن ملوّنة بألوان قوس
قزح، بل كانت كلّها حمراء كالدّم. ذكّرني لونها بالزهرة التي يزيّن بها الرئيس
سنو ستراته، فتبادرت إلى ذهني الكلمات الأخيرة التي قالها لي، وانكشفت
الحقيقة أمامي.

فصرختُ قائلاً للينور دوف: "ابصقيها!" ثم وضعتُ يدي أمام فمها،
وصرختُ مُلِحّاً: "ابصقيها الآن!"

حينئذ، ظهرت على وجهها علامات الصدمة، لكنّها بصقت قطعة
ممضوغة من الحلوى في يدي قائلةً: "ماذا؟ ما المشكلة؟"

قلتُ لها وأنا أهزّها: "أين القطعة الأخرى؟ أين القطعة الأولى؟"

"أظن أنّي ابتلعتها. لماذا؟"

"تقيّئها! أخرجيها من معدتك!"

فبدأت تخاف وتصاب بالذعر: "ماذا يحدث، يا هايميتش؟"

عندئذ، تذكّرتُ ساحة القتال، فقلتُ: "هل لديكم أقراص فحم في
المنزل؟"

"أقراص فحم؟ لا، لا أظن ذلك. لماذا نحتاج إلى...؟" ثم بدأت تستوعب ما
يجري، فانحنت إلى الأمام، ووضعت إصبعًا في فمها، وحاولت أن تتقيّأ الحلوى.
وقالت: "لم تنجح المحاولة. لا أستطيع أن أتقيّأ يا هايميتش. فمعدتي فارغة. لم
أكل منذ أيّام!"

فقلتُ: "حاولي". وساعدتها على النهوض. "هيا، حاولي". وبدأتُ أصرخ طلبًا للنجدة: "كليرك كارمين! كليرك كارمين!"

"هايميتش، أنا... " ارتسمت على وجهها علامات الحيرة، ثم وضعت يدها على صدرها وانهارت على الأرض وهي تقول: "لا أستطيع الوقوف".

ساعدتها على الوقوف مرّة أخرى. وقلتُ: "عليك أن تحاولي! أرجوك. علينا أن نعيدك إلى المنزل". ورفعتُ رأسي وصرختُ مجددًا: "كليرك كارمين! ساعدنا يا كليرك كارمين!" وإذ بها تنهار عليّ، فجلستُ على ركبتيّ، ووضعتها في حضني، وبدأتُ أتوسّل إليها: "لينور دوف... لا... لا... أرجوك". ثم سألت رغبة مخلوطة ببعض الدم من شفثيها. "لا... لا..."

وقالت لي بصوت أجشّ وهي تنظر إلى الأفق: "هل ترى ما أراه؟"

فأدرتُ رأسي ورأيتُ الشمس تشرق: "ماذا؟ أتقصدان الشمس؟"

"لا... تدع... شمس... الحصاد... تشرق..."

فقلتُ وأنا أحاول جاهدًا أن أكبح دموعي: "لا أستطيع أن أوقفها. أنتِ تعرفين أنّي لا أستطيع أن أوقفها".

ومال رأسها قليلًا وهي تهمس باقي الجملة: "... مجددًا".

لا، لا تتركيني مع هذا الطلب الصعب. لا تتركيني، ابقِ معي. "لينور دوف، أرجوك يا حبيبتي، اصمدي. ابقِ معي. لينور دوف؟"

فقلت: "عدني بذلك". ورفرفت أجفانها، ثم أغمضت عينيها.

"حسنًا، حسنًا. أعدك. لكن، لا يمكنك أن تذهبي وتتركيني وحدي لأنني أحبُّك كالنار في الهشيم".

"وأنا أيضًا". أظنني سمعت هذه الكلمات تخرج من فمها.

"لينور دوف". لن أخسرها. فطبعْتُ قِبلَةَ على شفتيها في محاولة يائسة
لأبقيها معي.

لكن، حين افتقرت شفتاي عن شفتيها، وذقْتُ طعم السم في فمي،
عرفتُ أنّها ذهبت.

يبدأ الكابوس دائمًا وأنا أضع قطعة الحلوى الحمراء في فم لينور دوف: نحن في أحضان بعضنا بعضًا في المرح، ووجه لينور دوف ملطّخ بدموع الفرح، وأنا أرفع قطعة الحلوى الحمراء إلى فمها من دون أن أفحص الكيس. لم أكلف نفسي عناء إلقاء نظرة سريعة عليه. لماذا؟ لماذا لم يخطر لي أن أفحصه وأعين محتوياته؟ أرفع قطعة الحلوى الحمراء إلى شفيتها، ولا سبيل إلى إيقاف ما يحدث بعدها. لحظة إدراكي لما حدث، وذعر لينور دوف، والرغوة الممزوجة بالدم التي تسيل من شفيتها، وتوسّلي إليها لتبقى معي، وإلحاحها عليّ للالتزام بوعدتي لها. ثم يظهر خالها، وبتنزعها كليرك كارمين من بين ذراعَيّ، ويحاول إعادة إنعاشها وهو ينادي باسمها، فيما يقف تام أمبر مُتصلبًا وراءهما وهو يهزّ رأسه مُتمتمًا: "لا، ليس مجددًا... ليس مجددًا".

عندئذ، تجتاح قصيدة لينور دوف عقلي وفكري ولا سبيل إلى إيقافها.

في حلقة ليلة مكروية كثيبة، فيما كنتُ أستقي

معارف غريبة عجيبة، من مؤلفات قديمة منسيّة

وأتمايل ناعسًا مُنهكًا، سمعتُ دقًا خفيًا؛ وكأنّ أحدًا

يدقّ ويدقّ باب مخدعي، ويدقّ ويقطّق، فتمتمتُ قائلاً:

"جاءني زائر يزورني، يدق باب مخدعي"،

مجرد زائر يدق باب مخدعي، ليس إلا.

حدث ما حدث في شهر ديسمبر البائس البارد،

فيما خطَّ كلُّ جمرٍ مُحتضِرٍ خافِتٍ شبحه على الأرضية بالرماد.

كم تمثيْتُ طلوع الفجر عاجلاً، كم قلبتُ صفحات الكتب عبثاً لإيجاد

ما يطفئ نار الأسي والحداد على فقيدتي لينور،

الحسناء الجميلة البهية لينور،

الحسناء الجميلة البهية التي غاب اسمها عن عالم الأحياء.

لا ينفك الغراب في القصيدة- ذلك الطائر المغرّد عديم الرحمة- يذكّرني بالرسالة الواضحة التي أرسلها لي الرئيس سنو يوم عُدتُ إلى الديار: لن أستطيع أن أحبّ أيّ أحد ما حييت؛ لأنّه سيحرص دائماً وأبداً على أن يموت أحبائي جميعهم بطريقة فظيعة ومرّوعة.

لذا، قطعْتُ علاقتي بكلّ الأشخاص الذين يمكن أن يعتبرهم الرئيس سنو أعزاء على قلبي: جيراني السابقين، وهاتي، وزبائني، وزملائي في المدرسة. إنّما رفض بليز وبوردوك أن يتركانني، وتمسّكا بي قدر استطاعتهما. ثم أدرك بليز أخيراً أنني لن أغيّر موقفي، فعانقني عناقاً أخيراً وغادر باكياً. لكنّ بوردوك أصرّ على زيارتي؛ مُتجاهلاً رغبتني في الوحدة والعزلة. وكان يأتي أحياناً برفقة أستريد، ومعهما زجاجات من الشراب المنوم. فاضطرت إلى رشقهما بالحجارة بقوة، إلى أن أصابت إحداها جبين أستريد وسال الدم على وجهها. عندئذ، تركاني وشأني. لكن، كان إيذاؤها بهذه الطريقة أفضح من كل ما فعلته في ساحة القتال.

بُتت في قلبي الذعر ستائري الحريئة الأرجوانية بحفيفها الحزين
المريب،

وملأت نفسي بوجل جديد غريب، لم أشعر بمثله في الماضي البعيد أو
القريب،

حتى إنني حاولت أن أهدئ خفقان قلبي الخائف الواجف، فزحمت أرّدد
وأكثّر:

"جاءني زائر يزورني يدق باب مخدعي؛

مجرد زائر يزورني، يدق باب مخدعي في ساعة متأخرة من الليل؛

مجرد زائر ليس إلا".

عندئذ، استعدت رباطة جأشي، وانقشع ترددي وارتباكي،

فقلت: "سيدي أو سيديتي، أرجو منك المعذرة والمغفرة،

الحق أنني كنت أغفو ناعسًا، حين سمعت دقًا خفيًا،

حين سمعت دقًا خفيًا ضعيفًا على باب مخدعي، حسبته وهما من نسج

خيالي".

وحين فتحت الباب على مصراعيه، ما وجدت أمامي سوى الظلام،

مجرد ظلام في ظلام ليس إلا.

انقطع وانعزلت عن العالم نهائيًا. ولم أعد أرى أحدًا. هذه هي المرة
الأولى التي أذوق فيها طعم الوحدة الحقيقية. فقد كنت في ما مضى أقضي
كل أوقاتي مع عائلتي أو أصدقائي أو حبيبتني.

وفي كل أسبوع، كان يأتيني جندي، ويمرّ لي ظرفًا فيه بعض المال- من أرباحي بعد الفوز في مباريات الجوع- عبر فتحة البريد، ويترك لي صندوقًا من الطعام عند باب المدخل. وكانت الظروف التي أحصل عليها مُزيّنة بحسابات دقيقة تشرح بالتفصيل ما اقتُطع من أرباحي لشراء اللحم والخبز والحليب وغيرها من المؤن. من قام بهذه الترتيبات من أجلي؟ أهو الرئيس سنو؟ هل لا يزال مُصِرًّا على إبقائي على قيد الحياة؟

لولا الوعد الذي قطعته للينور دوف، لسلمت نفسي للموت منذ زمن. لكنني وعدتها بأن أمنع شمس الحصاد من الشروق بشكل ما. قطعْتُ عليها وعدًّا تحقيقه مستحيل، فغرقْتُ في اليأس، وقضيتُ أيّامي وأنا أعبُّ جرعات من الشراب المنوّم لأهرب من الواقع، فأجديني أطعم لينور دوف قطعًا من الحلوى الحمراء في كوايبسي.

حدّقتُ إلى أسداف الدُجى طويلًا، أناجيتها مُتسائلًا، مُتوجِّسًا، مُرتابًا،

حالِمًا أحلامًا لا يجرؤ بشر سواي على خوض غمارها أبدًا،

إِثْمًا ظلَّت الظُّلال ساكنةً، وما اخترق سكينه الليل

إِلَّا همسة خافتة تحمل نداءً مرتجى وقعه "لينور؟"

همسة هَمَسَتْها في الدُجى، أعادها إليّ الصدى مُردِّدًا: "لينور!"

مجرّد همسة وصداها ليس إلا.

هزّ الرعب كياني، فالتفتُّ عائداً أدراجي،

وما هي إلا لحظات قليلة حتى تناهى إلى مسمعي دقُّ أشد وقعا وإلحاحا

من قبل،

فقلتُ لنفسي: "مُتأكد أنا أنني سمعتُ أحدًا يدق شباكي،

سيرى ثابتة الخطى يا رجلى؛ لنحلّ هذا اللغز الغامض العجيب.
اهدأ قليلاً يا قلبي؛ لنحلّ هذا اللغز الرهيب المُريب، لعلّه
مجرد ربح عابرة ليس إلا.

خرجت للبحث عنها في إحدى الليالي. فذهبت إلى المقبرة في أعلى
التل، ورحتُ أفْتش عن قبر وشاهد قبر جديدين. فوجدتُ قبر أمي وسيد
ومايزيلي ووايات ولويلا. إنّما لم أجد أثراً لقبر لينور دوف.

بعد ذلك، اتجهتُ إلى منزل خاليتها المائل الغريب، وكان غارقاً في
الظلمة والصمت. فتجولتُ في الفناء ككلب ضالّ، وتكورتُ تحت نافذتها
مُتلهّفاً. وكانت الساعة هي الثالثة فجراً حين علا صوت الكمان الناعم يعزف
لحن قصيدتها.

هل عرف كليرك كارمين أنّني هنا؟ هل يحاول أن يدفعني إلى الجنون؟
فقرعتُ باب المنزل صارخاً بأعلى صوتي: "أين هي؟ قل لي أين هي؟"
فسكت الكمان بعد فوات الأوان... بعد أن أيقظ دودة الأذن التي لا
تفارقني.

فتحتُ الشباك بعنف على مصراعيه، وإذا بغراب من سالف العصر
والأوان

يرفّ ويرفرف بجناحيه إلى داخل مخدعي بلا استئذان، ولا تحية ولا
سلام،

وما حانت منه أيّ التفاتة أو انحناءة، إنّما دخل بوقار الملوك وهيئة
العظماء،

وحطَّ مُتَرَبِّعًا على إطار باب مخدعي، وفي طلعتَه شيء من حكمة
القدماء،

حطَّ وترَّبَّع على إطار الباب، وجثم ولم يبرح مكانه.
إِنَّه مجرَّد غراب ليس إلَّا.

حدَّق إليَّ الغراب الأسود القاتم، بوجهه الجدِّي الصارم،
فرسم على وجهي ابتسامة طفيفة، ولَّهاني عن أحزاني المريرة،
فقلتُ: "من يرى رأسك المجزور المحلوق يخالك مخلوقًا مذلولًا حقيرًا،
إنَّما ليس في سلوكك ما يدل على الجبن والذل. أخبرني إذًا أيُّها الغراب
الكالح،

يا مَنْ أتاني في حلقة الليل، ما اسمك؟ أخبرني".

فنطق الغراب: "لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

وحين نفذ مخزوني من الشراب المنوَّم، صرْتُ أقصد باسكوم باي العجوز
لشراء شرابه الرديء، وأعود حاملاً كيسًا مليئًا بزجاجات ترتطم معًا مُصدِّرة صوتًا
طوال الطريق إلى المنزل. وفي بعض الليالي، كنتُ أغرق في الغيبوبة العميقة
التي أبتغيها. أمَّا في بعضها الآخر، فكنتُ أصاب بالأرق وأتجوَّل في ظلمة الليل بلا
هدف. وذات صباح، حين استيقظتُ نصف عارٍ ومغطَّى بلدغات البعوض على
العشب الأخضر أمام منزلي، عرفتُ أين سأجد لينور دوف. إذ لا أظنُّ أنَّ خاليها
دفناها في مقبرة المقاطعة الثانية عشرة، بل في مكان تحبه... في مكان يحبونه
جميعًا... الغابة.

كانت تحرِّكني غاية واحدة لن يوقفني شيء عن بلوغها: العثور على
لينور دوف. فجبتُ الغابة لأسابيع، وبحثتُ بين الأشجار وحول البحيرة،
وفحصتُ التربة تحت أشجار التفاح، علَّني أجد أثرًا لحبيبتني، ورجوتُ الطيور

المقلّدة أن تدلّني على مكانها. وناديتُ باسمها بأعلى صوتي، علّها تسمعني وتجيّب. وشيئًا فشيئًا، ارتدت الأشجار حلّة برتقالية وذهبية، وصارت أوراقها المتناثرة على الأرض تخشخش تحت قدميّ وأنا أمرّ عليها. كنتُ أصرخ: "لينور دوف! لينور دوف!" لكنها لم تفصح لي عن مكانها.

ثم ظهر بوردوك من بين الضباب، مُرتديًا سترة جلدية مُغلقة ليحتمي من البرد. وكان قوسه في يده، وعلى خصره حزام مثقل بالديوك البرية. لم يسامحني بعد على ما فعلته، ولن يسامحني أبدًا على الأرجح. لكنّ قلبه أشفق عليّ؛ ربما لأنّه ذاق طعم الحب ولوعته. فقال لي: "تعال معي، إذا أردت أن تراها". أغراني بفكرة العثور على حبيبتني- التي تجتاح عقلي وقلبي وروحي- تمامًا مثلما أغراني بالتفاح ذات مرّة، فتبعته في أعماق الغابة، بعيدًا عن البحيرة وعن الأركان التي اعتاد عليها في الغابة، إلى بستان مكنون مخفي. وهناك تركني.

كانت في البستان مقبرة صغيرة، فيها شواهد قبور جميلة مُزيّنة ومزخرفة. هذه مقبرة شعب كوفي. وكان كل شاهد قبر يحمل أبيات الشعر التي سمّي صاحبه تيمّنًا بها.

ورأيتُ بين الشواهد شاهدًا من الحجر الأبيض الناعم منقوش عليه البيت التالي: قال: "سيّدتني، ونادى باسمها: "مود كلير"

ونادى مرّة ثانية: "مود كلير"، وخبأ وجهه.

وعلى لوح صخري مغطى بالطحالب قرأتُ هذا البيت:

ما زال البعض يزعم إلى يومنا هذا أنّ الحسناء لوسي غراي ما زالت على قيد الحياة،

في كنف البراري الموحشة وأحضان الغابات.

ثم لمحتُ شاهد قبر من الصخر الرمادي الملوّن بالورد والبنفسجي
منقوشًا عليه ما يلي:

إِثْمًا ظَلَّتِ الظُّلَالُ سَاكِنَةً، وَمَا اخْتَرَقَ سَكِينَةَ اللَّيْلِ
إِلَّا هَمْسَةً خَافَتَهُ تَحْمَلُ نِدَاءً مَرْتَجِي وَقَعَهُ "لِينور؟"
هَمْسَةً هَمْسَتْهَا فِي الدُّجَى أَعَادَهَا إِلَيَّ الصدى مرَدِّدًا "لِينور!"
مَجْرَدَ هَمْسَةٍ وَصداها ليس إلا.

فتمدّدت قرب قبر حبيبتِي، وبقيتُ في مكاني فيما حلّ الليل، ثم بزغ
الفجر، ثم عاد الظلام من جديد. أخبرتها عن كل شيء، وترجيتها أن تعود إليّ،
وأن تنتظرنِي، وأن تسامحنِي على كلِّ ما فشلْتُ في تحقيقه.

بقيتُ أنتظرها إلى فجر اليوم الثاني. وحين لم تأتِ، دفنتُ قدّاحة
الصوان قرب شاهد قبرها، ورجوتها أن تحرّرنِي من وعدي الأخير، وأن تسمح
لي باللاحق بها الآن أينما كانت، وأن ترسل لي إشارة. ثم وجدتُ طريقي إلى
المنزل بطريقة ما وغططتُ في نوم عميق... وأطعمتها قطعة حلوى أخرى في
المنام.

كم فاجأني الغراب القبيح عندما بدّد وحشة السكون بكلامه الفصيح،

حتى لو خلا جوابه من المعنى والجدوى،

فلا أظنُّ أنّهُ كان من نصيب إنسان غيري في هذه الدنيا

أن يلتقي طائرًا أو حيوانًا ناطقًا يُظللُّ باب مخدعه،

طائرًا أو حيوانًا ناطقًا، إذا طُلِبَ منه الإفصاح عن اسمه،
أجاب: "لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

إنّما ما نطق الغراب المترجّع على إطار باب مخدعي بغير تلك العبارة
الوحيدة،

كأنّما تلك العبارة البسيطة تفصح عن خبايا نفسه كلّها،
وسكت بعدها عن الكلام المباح، هامدًا في مكانه إلى أن همستُ لنفسي
قائلًا: "غدًا، سيتركني الغراب ويفارقني كما فعل أحبائي،
سيغيب عني ويخبّي آمالي كما فعل من قبل أحبائي".
حينئذ، نطق مجدّدًا: "لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

صرتُ أسرف في احتساء الشراب، وأختفي في ظلمة الليل. ثم أستفيق
في أماكن منسية في المقاطعة الثانية عشرة، حتى إنني استيقظت من النوم
مرّة- عند الفجر- في أحد أزقة المقاطعة، ووجدتني أحّدق إلى رسالة مكتوبة
على الجدار برداذ برتقالي زاہ: "لا شجرة شبق من دون الكابيتول!" هذه
شعارات تحوّر دعايات الكابيتول. "لا حصاد من دون الكابيتول!" إنّ جدران هذا
الزقاق تحمل صرخة تمرّد وعصيان مخفية عن رادار جنود حفظ الأمن.

فتبادرت إلى ذهني ذكرى من ساحة القتال... كنتُ مع مايزيلي... بعد أن
قتلتُ مُصمّم المباريات... وتحديثنا عن خيوط العنكبوت وأغنية جدتها...

ثم قالت لي: "حبيبتك مليئة بالمفاجآت. يبدو أنّها تسبقنا جميعًا بأشواط".

نعم، إنّها مليئة بالمفاجآت والأسرار. وكانت تخفي أسرارها عني أيضًا.
لكنّ مايزيلي ربطت الأمور بعضها ببعض حين رأت الطلاء البرتقالي على
أظفار لينور دوف، واكتشفت أنّها من كتبت هذه الشعارات على الجدار. هذه

هي الإشارة التي طلبتها منها. إنها تذكرني أنّ عليّ أن أمنع شمس الحصاد من الشروق.

ومقصدها واضح: "لقد وعدتني".

وهكذا حكمت عليّ بالحياة.

باغتني الغراب حين خرج عن صمته، وأجابني جوابًا فصيحًا واضحًا في أوانه.

لا شكّ عندي في أنّه ينطق ما يتذكّره من كلام سيّده،

وأوّ سيّده بئس تعيس الحظ، لاحقته النوائب وأثقلته المصائب؛

إلى أن اختزل الهمُّ والغمُّ كلامه إلى عبارة واحدة جرّدها من ألحانها وأنغامها

وقطع أوتارها كلّها سوى وتر وحيد، إيقاعه كئيب، وقعه دائمًا وأبدًا:

"لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

وبما أنّ زائري الغامض يلهيني عن أحزاني المريرة،

وضعتُ كرسيًّا منجّدًا أمام الباب والغراب،

وجلستُ أعملُ عقلي وفكري وذكائي ودهائي،

لأحلّ لغز هذا الغراب المهيب من سالف العصر والأوان،

لأكتشف ما يقصده هذا الغراب القبيح الكئيب، نذير الشؤم والأحزان،

بعبارة: "لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

بعد أن أوصلت لي لينور دوف رسالتها، صرْتُ أحصل على زيارات مشحونة بالكراهية والغضب من أشباح أخرى في الليل. فباناش يسعى إلى مطاردتي وقتلي، أمّا سيلكا فتعتقد أنني مدين لها بتاج الفائز في مباريات الجوع. أرعبتني هذه الزيارات، حتى إنَّ الرعب تسرّب إلى ساعات اليقظة واجتاحني، فصرْتُ أنام ومعني سكين في يدي.

وهكذا، وجدتني إيفي ترنكت في صباح بداية الجولة الاحتفالية على المقاطعات. وحين استفتقتُ مذعورًا من النوم، اكتشفتُ أنّها استولت على سكينني، ثم قالت لي: "أنا آسفة جدًّا على الحادث الذي سلبك عائلتك يا هايميتش، وعلى التهاب الزائدة الدودية الذي أودى بحياة حبيبك. لقد عشت سلسلة من الأحداث المأساوية. لكنك لا تستطيع أن تبقى على هذه الحالة. لا يمكنك أن تستسلم. يجب أن تكمل حياتك".

حادث؟ التهاب الزائدة الدودية؟ إنّها مُحقّقة؛ لا يمكنني أن أستسلم. لكن لم يبقَ لي حيل ولا قوة.

سمحْتُ لإيفي بأن تشرّبني القهوة، وأن تجبرني على الاستحمام حتى يستطيع فايِتوس وبروسرينا أن يجهّزاني من دون أن يشمئزًا من مظهري. ثم ألسبوني بذلة مُزركشة لم يحظَ العم سيليوس بفرصة لارتدائها، وجعلوا مظهري لائقًا بشكل ما لأركب القطار المتجه إلى المقاطعة الحادية عشرة.

وأتمنني بلوتارك على سرّ: "طُرِدَ ماغنو بسبب إهماله وعدم مبالاته، ووقعت دروسيلا على الدرج وكسرت وركها. يبدو أنّ مايزيلي كانت مُحقّقة. كان يجب أن تعتزل دروسيلا المرتفعات قبل أن تعتزلها. على أي حال، حين اقترحتُ على الكابيتول أن تحل إيفي محل دروسيلا، حصلتُ على موافقة فورية؛ لأنّ الوقت يداهمنا، ولأنّ إيفي جلبت معها ثياب عمّها المنحط".

فطرحْتُ على بلوتارك سؤالًا يمكن الإجابة عنه بعدة طرائق: "لماذا أنت هنا يا بلوتارك؟" فاختر أن يعطيني جوابًا سطحيًّا.

"أنا هنا لتصوير جولتك الاحتفالية. فهذا جزء من عقدي. ياه، أترغب في تناول شطيرة؟ تبي!"

لم نركب القطار نفسه الذي ركبناه سابقًا. فهذا القطار أفخم، وأثاثه مصنوع من الفولاذ والكروم، ومقاعد مخرمفة بلون اليمام؛ كيلا أنسى، مع أن النسيان أصبح شغلي الشاغل.

حاولت إيفي جاهدة أن تبعدني عن الشراب. إئما كانت مهمتها صعبة لأن القطار مليء بشتى الأنواع والنكهات.

في هذا اللغز، جلسْتُ أفكر بيني ونفسي من دون أن أنبس بينت شفة،
فيما حدّق إليّ الطائر بعينين مُتوهجتين تسبران أغوار روعي.

في هذا اللغز وغيره من الألغاز، جلسْتُ أفكر مُتوسِّدًا ظهر كرسيّ
المنجّد المخرمليّ، تحت ضوء مصباح يشمت بي؛ لأنّ هذا الكرسيّ
المنجّد المخرملي لن تجلس عليه لينور مجدّدًا، وظَّهر هذا الكرسي
المنجّد المخرملي لن تُكئ عليه لينور أبدًا.

وإذا بالهواء يزداد كثافة، ويضوع فيه عطر؛ كأنما ينبع من مباحر سحرية،
تتأرجح في أيدي خفية، يصدح وقع خطواتها على السجادة المفروشة على
الأرضية.

حينئذ، قلتُ: "أيها البائس، لقد أرسل إليك دواء للنسيان، ومُسكِّن
للأحزان،

أرسل إليك دواءً للنسيان ومُسكِّن للأحزان؛ يريحانك من عذاب فراق
لينور

فاشتفَّ دواء السلوان الرحيم هذا، لطقًا، اشتقَّه وانسَ الفقيدة لينور".

فنطق الغراب: "لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

في المقاطعة الحادية عشرة، وقفتُ على درجات قصر العدل مقابل عائلات هال وتايل وتشيكوري وبلوسوم، التي تقيم الحداد على أطفالها. وبحثتُ بين الحشود عن أهل لولو، فلم أجدهم.

ثم بدأت الاحتفالات، فأسرفتُ في احتساء الشراب. وحين انتهى الحفل أخيرًا في وقت متأخر من الليل، طلب مني بلوتارك أن أرافقه، فصعدنا درجات كثيرة حتى وصلنا إلى علية قصر العدل.

فهمستُ وأنا أرفع زجاجة الشراب إلى شفتيّ: "شراب السلوان، دواء للنسيان ومسكّن للأحزان".

فانتزع بلوتارك الزجاجة من يدي قائلاً: "اسمع يا هايميتش، ليس لدينا كثير من الوقت. هذه العلية هي المكان الوحيد في قصر العدل الذي لم تُزرع فيه أجهزة تنصّت".

يبدو أنه مُحقّق. إذ يبدو أنّ هذا المكان لم تطأه قدم منذ دهر؛ فطبقة الغبار سميكة لدرجة أنّه بإمكان المرء أن ينام عليها، وكأنها فرشاة مريحة. لا أعرف لماذا اختار بلوتارك أن يجلبني إلى العلية. فإذا كان يريد بعض الخصوصية، كان بإمكاننا أن نتحدّث خارج قصر العدل. لكن، بصراحة لا يهمني السبب. فما عاد بإمكان أحد أن يؤذيني، على عكس بلوتارك.

"كيف لم يلحق بك أي أذى يا بلوتارك، في حين تعرّضت وإيريس وماغز للتعذيب؟ وأظن أنّ بيتي مات".

"لن يُقتل بيتي؛ لأنّ الكابيتول بحاجة إليه وإلى ذكائه".

"ظننت أنه سينتحر".

"لا يستطيع، فزوجته حامل. ثم إنهما لن يخيبا ظنَّ أمبيرت بهذا الشكل".

"آه، فهمت. إذًا، ما زال ينوي أن يُسقط الكابيتول، أليس كذلك؟"

"قد ننجح في هذا المسعى يومًا ما. لكننا لن ننجح إذا عمل كلُّ منا وحده. يجب أن نوحّد صفوفنا. لقد تصرّفت بشجاعة وذكاء في ساحة القتال، ونحن بحاجة إلى مساعدتك".

فقلتُ بدهشة: "لماذا تحتاجون إلى مساعدتي؟ أنا دليل حيٌّ على أنَّ الكابيتول يفوز دائمًا. لقد حاولتُ أن أمنع شمس الحصاد من الشروق مجدّدًا، وحاولتُ أن أحدث تغييرًا. وماذا استفدتُ؟ تسببتُ بموت الجميع. لذا، أنت لا تريد مني أن أنضمَّ إليكم". وأنا لا أريدك أيضًا. لا أريد أي مساعدة من أي شخص من الكابيتول. فأنا لا أثق بكم.

"لكننا نريدك حقًّا. لقد خضعت الكابيتول مجازيًا وفعليًا بذاك الانفجار. وكنت قادرًا على رؤية مستقبل مختلف. وربما لن تتحقق رؤيتك اليوم ولا في حياتنا. فقد تستغرق أجيالًا؛ لأننا مجرد حلقة في سلسلة الزمن. لكن هذا لا يعني أنَّ ما نفعله أثناء حياتنا بلا جدوى. ألا توافقني الرأي؟"

"لا أعرف. كل ما أعرفه هو أنَّكم تحتاجون إلى شخص آخر لا يشبهني".

"العكس تمامًا يا هايميتش. نحن بحاجة إلى شخص مثلك تمامًا".

"لكن، يجب أن يكون حظُّه أفضل من حظِّي".

"نعم، نحتاج إلى شخص أكثر حظًّا وإلى جيش يدعمه. ويجب أن نتخيّن الفرصة المناسبة لشنِّ هجومنا على الكابيتول مجدّدًا".

"لا شك في أنَّ الحصول على جيش سيساهم في النجاح. لكن، من أين ستأتي بجيش يا بلوتارك؟"

"إذا لم نجد جيشًا، فسيتعين علينا أن نشكل واحدًا. إنما لا شك في أن العثور على جيش أسهل من تشكيله من الصفر".

"ثم سنتقاتل في ما بيننا، وسنقتل بعضنا بعضًا؛ كما فعلنا في الأيام المظلمة".

"أنت أكثر من يعرف خطورة مواجهة الرئيس سنو. إذا خطرت لك أي فكرة أخرى لمنع شمس حصاد من الشروق، فكلّي آذان صاغية".

فقلتُ: "يا وجه الشرّ!

لا يهمني إن رمتك عاصفة عاتية على عتبة بابِ

هذا المنزل المسكون الممسوس، وحيدًا جريئًا في هذه الأرض المهجورة.

قل لي، أرجوك،

قل لي، أرجوك، قل لي،

ألن أجد يومًا دواءً لدائي وآلامي وأحزاني؟ أرجوك، قل لي".

فنطق الغراب: "لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

وقلتُ: "يا وجه الشرّ!

حبًا بالله الذي نعبده كلانا، ربّ السماوات والأرض،

قل لهذي الروح الحزينة الشجيّة، إذا كانت في جنّات عدن البعيدة العليّة

هل ستحتضن الحسناء الطاهرة النقيّة؟

قل لها على الفور: هل ستحتضن يومًا الحسناء الجميلة البهية لينور؟"

...

تفاديثُ الحديث إلى بلوتارك خلال ما تبقى من الجولة الاحتفالية. وتجنّبته حين وقفتُ على مسارح كل المقاطعات وأنا أنظر إلى عائلات المجالدين الموتى، وخلال كل الحفلات في الكابيتول التي قضيتها في قفصي المريح، وخلال كل الحفلات المتوترة في المقاطعة الثانية عشرة.

وبعد انتهاء الاحتفالات، اتجّه فريقي إلى القطار، فيما قام بلوتارك وفريقه بتصوير لقطات عن منزلي الجديد. وفي نهاية جلسة التصوير، صوّروا مشهدًا وداعيًا أقف فيه في فناء المنزل. وبقيتُ في مكاني أحدّق إلى سجنّي، مُتردّدًا في عبور العتبة واستئناف عقوبتي. فانضمّ إليّ بلوتارك.

وقال لي: "هل أنت بخير يا هايميتش؟"

فأجبته: "لم يعد عندي أحد يربطني بهذه الحياة". لم أكن أحاول أن أستدرّ شفقتَه، بل كنتُ فقط أشاركه حقيقة وضعي.

"إدًا، لم يعد لديك ما تخسره. وهذا يضعك في موضع قوة".

في تلك اللحظة، أردتُ أن أقتله، لكن ما الفائدة؟ فقلتُ: "أنتَ تظنُّ أنّك شخص صالح يا بلوتارك، أليس كذلك؟ تظنُّ أنّك بطل لأنك أعطيتني معلومات عن شمس ساحة القتال، وبوابات الكائنات المعدلة جينيًّا. لكنك في الحقيقة تساعد الكابيتول على إنتاج دعاياته ونشرها في أرجاء البلاد. مات تسع وأربعون ضحية صغارًا لتصوّر مشاهد مشوّقة، وتضع عليها لمسة هيفينزبي السحرية لتبدو بطلًا".

التزم بلوتارك الصمت بعض الوقت، ثم قال: "لا أحد ينظر إليّ كبطل يا هايميتش. لكنني، على الأقل، ما زلتُ صامدًا ولم أقصى من اللعبة بعد".

حينئذ، نهضتُ غاضبًا صارحًا: "فلتكن هذه العبارة خاتمة الكلام بيننا، يا طائر الشَّرِّ،

عُد من حيث أتيتني، إلى العاصفة!

ولا تترك لي من ريشك الأسود ما يذكّرني بكذبتك التي تُعذّب روحي!

اقتلع من قلبي منقارك الدامي، واسحب كلامك المسموم من أذني!

امحُ آثارك من حياتي! دعني وشأني في وحدتي وعزلتي! واغرب عن وجهي!

فنطق الغراب: "لا، وألف لا دائمًا وأبدًا".

ولم يحرك ساكنًا أو يذهب أو يغرب عن وجهي،

بل بقي مُتربّعًا فوق باب مخدعي، ولم يبرح مكانه؛

وظلَّ يحدّق إليّ وفي عينيه المتوهّجتين سيماء الشَّرِّ،

ظلَّ في مكانه يُظللّ الباب والأرضية، ويظللني دائمًا وأبدًا؛

لن أتحرّر منه أبدًا.

حبستُ نفسي في غرفتي إلى الأبد.

كم تمّيت أن أنسى الحزن والأسى والألم، وأن أهرب من الوحدة الموحشة. لم تبقَ عندي تذكارات من أحبائي، فكلّها إمّا احترقت أو دُفنت تحت التراب. فبذلتُ ما في وسعي لنسيان أصواتهم، ووجوههم، وضحكاتهم. وفقدت أفكارِي الداخلية حيوبتها وجمالها؛ وكأنّ الحزن سرق منها ألوانها، وأسكت أنغامها.

صارت صلتى الوحيدة بالعالم الخارجي قناة أخبار الكابيتول التي تزين شاشة التلفاز ليلاً نهاراً، حتى إنني أستطيع أن أقول لشبح لينور دوف- إذا زارني يوماً في المنام- إنني أعمل على استراتيجية لمنع شمس الحصاد من الشروق.

لم أعد أقوم بأي مشاريع، ولا أتشبث بأي توقّعات أو آمال، ولا أقيم أي صداقات أو علاقات، ولا أتواصل مع أي بشرٍ سوى باسكوم باي العجوز حين ينفذ مخزوني من الشراب. لكنني لا أستطيع أن أتظاهر بأنه ليس لديّ مستقبل. فأنا أعرف أنّني، في يوم ذكرى ميلادي من كل عام، سأشهد شروق شمس الحصاد، وسأُكَلَّف بإرشاد مجالدين اثنين- فتى وفتاة- وأقودهما إلى حتفهما.

وكلّما تذكّرتُ أنّ هذا ما ينتظرني، سمعتُ صوت سيد وهو يوقظني ذاك الصباح الذي زارني فيه الغراب ودق باب مخدعي للمرة الأولى.

"ذكرى ميلاد سعيدة، يا هايميتش!"

الخاتمة

لم تعد لينور دوف تزورني غاضبة مئى. كما أُنَّها ما عادت تحتضر. لذا، أظنُّها سامحتني. وخطَّ الزمن على وجهها أخايد ناعمة، ولامس الشيب خصلات شعرها؛ وكأنها عاشت حياتها إلى جانبي على مرِّ السنين، بدلًا من الرقود في قبرها. وما زالت حسناء جميلة بهية. لقد وفيْتُ بوعدِي، ووضعتُ حدًّا لشمس الحصاد؛ أو أقلُّه ساهمتُ في وضع حدِّ لها. لكنَّ لينور دوف قالت لي إنَّ ساعتِي لم تدقَّ بعد، ولم يحن وقت لمَّ شملنا. فما زال عليَّ أن أعتني بعائلتي.

رأيتُ الفتاة للمرَّة الأولى في سوق الهوب السوداء مع والدها حين كانت رضية. فقد كان بوردوك فخورًا بها، وبأخذها معه أينما ذهب. وبعد وفاته في انفجار المنجم، صارت الفتاة تأتي إلى سوق الهوب السوداء بمفردها لبيع سناجب أو أرانب. كانت قوية وذكية؛ وشعرها المسرَّح على شكل ضفيريَّتين آنذاك ذكرني بحبيبة قلبي، لويلا ماكوي. وحين تطوَّعت للمشاركة في مباريات الجوع، زلَّ لساني، ومنحها اللقب نفسه، فصارت حبيبتِي. لم أشأ أن أتقرَّب منها أو من بيتا؛ لكنَّهما حطَّما الجدران التي بنيتها حول قلبي. فلا يمكن لقلب أن يمتنع عن الحب إذا ذاق الحب يومًا. هذا ما تقوله لينور دوف.

لم أشأ أن تكون لي أي علاقة بالكتاب التذكاري الذي صاغاه، والذي يغطي فترة ما بعد الحرب. فما الجدوى؟ ما نفع كتاب كهذا؟ من سيريد أن يسترجع مرارة الخسائر التي تكبدها والمآسي التي عاشها؟ لكن، عندما وصلا إلى الصفحة الخاصة ببوردوك، كان عليَّ أن أخبرهما أنَّه من أرشدني إلى قبر

لينور دوف. ثم شعرت بأنّ عليّ أن أحدثهما عن مايزيلي دونر؛ صاحبة مشبك الطائر المقلّد السابقة، وعن سيد وحبّه للنجوم. وهكذا، بدأت أحدثهما عن عائلتي، والمجالدين في مباريات الجوع، وأصدقائي، وحلفائي، وحببتي. انسابت كلّ ذكرياتي على لساني من دون أن أشعر. وأخيرًا، حظيتُ بفرصة لرواية قصتنا.

وبعد بضعة أيّام، دقت كاتنيس بابي ومعها سلّة قديمة فيها بيض إوزٍ، وقالت: "لم أجلب لك هذا البيض لتأكله، بل لتفقّسه وتربّي سرّبًا من الإوز. لقد سرقْتُ البيض من أعشاش مختلفة حتى تتكاثر طيورك من دون أي مشكلات". ثم أكلنا إوزًا مشوبًا على العشاء. إنّ كاتنيس شخص صعب المراس. ويقول لي بيتا دائمًا إنّها تشبهني. لكنّها أذكى منّي، أو على الأقلّ، محظوظة أكثر منّي. فهي التي وضعت حدًّا لشروق شمس الحصاد.

صنع لي بيتا حاضنة بيض. وحين فقس، كان وجهي أوّل ما رآته فراخي. وفي بعض الأحيان، يرعى سربي على العشب الأخضر. لكن، حين يكون الطقس جميلًا، كنتُ أتجوّل مع طيوري في المرح؛ لأنّه مكان لينور دوف المفضّل. وأنا أجد السعادة في كل ما تحبه هي. اختار كلانا- كإوزنا- شريكًا واحدًا، وبقي معه إلى الأبد.

أظنّ أنّ وقتي في هذه الدنيا شارف على النهاية. فكبدي متضرّر بسبب إسرافي في احتساء الشراب. وما زلتُ لم أبطل هذه العادة. فالشراب لا ينفذ من بيتي إلّا حين يتأخر عليّ القطار. لكنني ما عدتُ أحتسي الشراب للنسيان، بل لأنني اعتدتُ عليه. سيجدني الموت حين تدق ساعتي، إلّا أنّني لا أعرف متى ستدقّ.

ما أعرفه هو أنّ الكابيتول لن يأخذ مني لينور دوف مجددًا، بل إنّّه لم يأخذها مني قطّ. فلا شيء يؤخذ مني يستحق الحفاظ عليه، ولينور دوف هي أغلى ما عندي.

وكلمًا قلتُ لها هذه الكلمات، قالت لي: "أحبك كالنار في الهشيم".
وأجبتها: "وأنا أيضًا أحبك كالنار في الهشيم".

[1 ←]

() المَرُؤُ: ضروب من الصَّوَّان توجد في الأرض على أشكال شتى أَهْمُهَا الرِّمال. (المحرَّر)

[2 ←]

() السَّنَاعِب: جمع سُنْعُبة، أي ابن عُرْس. (المحرَّر)

[3 ←]

() دابَّةٌ حَيَوص: دابَّةٌ تَفُور، تعدل عمَّا يريدُه صاحبها. (المحرَّر)

[4 ←]

() عريش العرب: قطعة خشبيَّة طويلة تمتدُّ في مقدِّم العرب، ويُرَبِّط إلى جانبيها حصانان.
(المحرَّر)

[5 ←]

() الوَهَق: جبل في أحد طرفيه أنشوطه. (المحرَّر)

[6 ←]

() نادٌ من النَّعاس: تمايل من النَّعاس. (المحرَّر)

[7 ←]

() الدَّهَق: وسيلة تعذيب كانت تستعمل في ما مضى. وهي مصنوعة من قطعتين من الخشب، توضع بينهما اليدان أو القدمان لتثبيتهما. (المحرَّر)

[8 ←]

() النَّيِّص: قنْفذ ضخم. (المحرَّر)